البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد الرابع عشر

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد الرابع عشر

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

اسم الكتاب :
البرتغاليون في بحر عُمان ، أحداث في حوليات ، من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م ، المجلد الرابع عشر .
الدكتور سلطان بن محمد القاسمي (الإمارات) .
....
اسم الناشر : منشورات القاسمي ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة .
سنة الطبع : ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة

التوزيع : منشورات القاسمي
ص . ب : ٦٤٠٠٩ الشارقة ، دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف : ٠٠٩٧١٦٥٠٩٠٠٠٠ – براق : ٠٠٩٧١٦٥٥٢٠٠٧٠
البريد الإلكتروني : Info@aqp .ae
....
الفهرسة الوصفية أثناء النشر :
مكتبة الشارقة العامة ، هيئة الشارقة للكتاب ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة :
٩٥٣،٠٧٥٣
ق س . ب
القاسمي ، سلطان بن محمد بن صقر ، حاكم الشارقة ، ١٩٣٩م- البرتغاليون في بحر عُمان : أحداث في حوليات ١٤٩٧م – ١٧٥٧م / سلطان بن محمد القاسمي .- الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي ، ٢٠٢٥م .
٢١ مج . ؛ ص : ٤٧٦ ؛ ١٥،٥ X ٢٣،٥ سم .
يشتمل على هوامش .
تدمك : ٩٧٨-٩٩٤٨-٧٢٠-٠٢-٧
١- عُمان (السلطنة) – تاريخ – العصر الحديث – الاحتلال البرتغالي ٢ - عُمان (السلطنة) – تاريخ – عصر اليعاربة ٣ – دول الخليج العربي – تاريخ – الاحتلال البرتغالي أ – العنوان
....
الترقيم الدولي : ٩٧٨-٩٩٤٨-٧٢٠-٠٢-٧
إذن طباعة رقم MC-٠٣-٠١-٨٣٨٦٣٥٤ بتاريخ ٢٠٢٥/٠٢/١٨م ،
مكتب تنظيم الإعلام ، وزارة الثقافة والشباب ، الإمارات العربية المتحدة
الطباعة : AL Bony Printing Press – Sharjah، UAE
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

المحتويات

مقدمة المجلد الرابع عشر	٧
• أحداث عام ١٦٠٥م	٩
• أحداث عام ١٦٠٦م	٨١
• أحداث عام ١٦٠٧م	٨٧
• أحداث عام ١٦٠٨م	٢٠٧
• أحداث عام ١٦٠٩م	٣٢٣
• أحداث عام ١٦١٠م	٣٩٩
دليل الباحثين	**٤٦١**
هوامش المجلد الرابع عشر	**٤٧٣**

مقدمة المجلد الرابع عشر

يضم هذا المجلد بين دفتيه أحداث ستة أعوام ، وهي من العام ١٦٠٥م إلى العام ١٦١٠م ، وكانت بداية تلك الأعوام نجاحاً في التبشير بالدين المسيحي في كل من هرمز ومسقط وممباسا وميلندي ، وسط المسلمين والوثنيين .

أما من الناحية العسكرية فقد تمرد العرب القاطنون على ساحل البحر الأحمر على الأتراك ، ويعدون ثلاث سفن حربية في جدة ، ولم تعرف وجهتهم .

بعد احتلال البحرين من قبل فارس وطرد البرتغاليين منها حصل الخلاف بين فارس والبرتغاليين ، يضاف إلى ذلك توقيع اتفاقية السلام بين ملك فارس والسلطان التركي ، والذي يمنع الاعتداء من قبل ملك فارس ، مشاركة البرتغاليين والحكام المسيحيين في حربهم ضد الأتراك ، وتأثيره على سياسة ملك فارس ضد البرتغاليين . في نهاية المجلد يبرز نشاط السفن الإنجليزية .

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

أحداث عام ١٦٠٥م

صدرت رسالة من ملك البرتغال إلى نائبه ، في الثامن والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٦٠٥م ، يذكر فيها أنه قد بلغه أن المسؤولين عن المسيحية يحققون نجاحاً طيباً في هرمز ومسقط و"ممباسا" و"مالندي" ، ونتائج مثمرة وسط المسلمين والوثنيين ، أما في سوقطرة فلم تحقق نجاحاً : [١]

نائب الملك والصديق ، أرسل لك أنا الملك عظيم تحياتي ، بالرغم من مغادرتك المتأخرة جداً من هذه المملكة ، وعندما مرت معظم فترة أمطار المونسون ، ومع ذلك وبمساعدة الرب واجتهادك الرائع ، يحدوني الأمل في أن تكون قد وصلت بأمان ، وفيما يخص خدمتي والتزاماتك فقد قمت بتلك الترتيبات في مسألة النقص الذي تسبب في جنوح السفن الثلاث لشركتك ، الذي لم يشعر به أحد .

---

(١) رقم الوثيقة والهامش.

السفينة "نوسا سنهورا دا بالما" "Nosa Senhora da Palma" و"ميرسيس" و"سانتو نيكولاو" "Santo Nicolao" التي دخلت إلى هذا الميناء في شهر أكتوبر ، الذي شعرت منه بالحزن البليغ الذي يمكنك تخيله ، والسفينة الشراعية الضخمة "ساو فيليبي" "Sao Philippe" التي انفصلت كما فهمت عن أسطولك في الثامن عشر من مايو في اتجاه اثنتين وعشرين درجة للشمال ، ما لم يكن ذلك حدث حسب علمي ، وأيضاً يحدوني الأمل في أن تكون قد عبرت لتلك الأنحاء بمساعدة الرب بأمان .

واضعاً في الاعتبار حاجة الدولة إلى الرجال والسفن والعتاد ، والذي فهمت أنه أمر قد نشأ بالفعل من رسائل "أيريس دي سالدانها" "Aires de Saldanha" ، وأعتبر أن ذلك وضعٌ صحيحٌ يتطلب زيادة الأسطول وإرسال سبع سفن بجانب السفن الشراعية الثلاث ، التي أرسلها مباشرة إلى "ملقا" وفيها جميعاً الرجال والعتاد الذي سيبين لك بخصوصه في رسالة أخرى ، وقد أمرت بمغادرتها مبكراً على ضوء النتائج المحزنة ، التي على العكس قد تحدث كما تشير الخبرة في تلك المواقف .

بنفس الأسلوب أمرت أنا في نوفمبر الماضي بمركبين شراعيين صغيرين بالمغادرة (وقد تم ذلك) مشيرًا لهم بذلك الجنوح الذي حدث للسفن الثلاث ، والأسطول الذي كان يستعد للتقدم هذه السنة لتلك المناطق ، الذي أخذت فيه السفن ترخيصين بالتناوب

لحكومة الدولة ، التي أعيدت بواسطة السفن الجانحة ، والذي ستجده في رسائلي ، إن كان ذلك يرضي الرب أن تصل تلك المراكب بسلام .

وصلتْ في السنة الماضية إلى هذا الميناء كل السفن التي غادرت تلك الدولة ، التي وصل إليها كقبطان مسؤول "بيرو فورتادو دي ميندونسا" "Pero Fortado de Mindonca" ، الذي تسلمت منه مجموعة الرسائل التي أرسلت لي من "أيريس دي سالدانها" ، التي يجيب فيها عن تلك التي بعثتها ، مع التركيز على الأمور التي اعتُبرت ضرورية .

من المستحسن توفيرها ، وبالمثل وبالقدر الممكن ، فإنني أحثك دائماً على الكتابة بشكل مطول ؛ لتقدم لي بيانات مفصلة لكل ما يحدث ، حتى -ولقلة الاتصالات- قد لا أتمكن من توفير الأشياء الضرورية لتلك الدولة بالشكل الذي يناسب ما أقدمه من خدمات .

بادئاً بالأمور الإيكريكية التي تأخذ دائماً الأسبقية ، وتتعلق بالهداية ونشر ما جاء بالإنجيل المقدس ، الذي أقدمه دائماً ، وأرغب في ازدياده وبثه لأقصى مدى ؛ حيث إن ذلك من الأمور الرئيسة في تلك الدولة ، خاصة لما يظهره ملوك هذه المملكة دائماً من عناية في كشفه والحفاظ عليه .

أحثك على العناية الخاصة بهم ، مكرماً ومعيناً الأساقفة ورجال الدين الذين تحت مسؤوليتك ومسؤوليتي خاصة في الهداية ، بما يوفر فضلاً عظيماً ، وما أعتبره خدمة جليلة منك تجاهي ، وأيضاً بنصحك وإرشادك لي كل سنة في دقة متناهية عن الدولة وعن تلك الأمور ذات الأهداف العالية ، التي في نصوصك وقانونك .

عليك أن تتباحث أكثر -خاصة في تلك الأمور-مع كبير الأساقفة

"بريميت" ؛ بسبب مهامه في وظيفته ، والحماس الذي يبديه في تلك الأمور وأخرى ، مقدراً ومحترماً خدمة الرب ، اعتبره أمراً مؤكداً أنه سيبذل عوناً ودفئاً كبيرين ،وسيقدم كل الاقتراحات الضرورية ليتفادى الأخطاء ، وتجاهل الأمور الكنسية أو المهام التي تحت مسؤوليته .

أنا مقتنع جداً بالأسقف الذي في "كوتشين" "Cochin" ، وأعلم تماماً كيف يمارس عمله في مكتب الرعاية ، وواجبات خدمتي ، وفي المناسبات التي توفرت ، لذلك آمرك بأن تتعامل معه بتفهم كامل ، ودعه يساعدك في أي أمور تراها مناسبة .

كما أنني راضٍ تماماً عن أسقف "أنجمالي" عبر معلومات وصلتني من كبير أساقفة "بريميت" و"أيريس دي سالدانها" ، وقد استخلصت من رسائله مدى الثقة التي يمارس بها وظيفته ، والالتزام بالأمور التي تتعلق بخدمتي ، ومن كل ذلك ترى في شخصه الحماس العظيم .

في أسطول تلك السفن التي في طريقها إلى "ملقا" ، أمرت إنزال هؤلاء الأسقفين في "ملقا" والصين ؛ لإكمال دراستهما والتزاماتهما ، وإنني أعتبرك مسؤولاً عن تقديم كل عون ومساعدة لهما بطريقة لا تجعل عدم ذلك إعاقة لهما في أداء عملهما وعدم تنفيذها .

لم تصلني رسائل من أسقف اليابان مع تلك السفن ، وكتب لي رئيس الجمعية أنهم فقدوا في السفن التي أخذها الهولنديون ، إلا أنه علم أن تلك الممالك هادئة ، وأن أعمال التحول إلى الديانة تتم إجراءاتها مع قليل من المنغصات ، التي علمت بالرضا عنها . للأسقف المذكور والرهبان في الأخوية الذين يواصلون العمل في حماسة في

تحويل الناس للديانة ، عليك استحسان عملهم ومساعدتهم في كل الأمور الضرورية .

حيث تم إعلامي أن في تلك الأماكن باليابان هناك الكثير من الاضطرابات التي قام بها رعاياي الذين يستحقون ، ولا يطيعون أوامر الأسقف المذكور في الأمور التي تتعلق بواجباته ووظيفته في الأخوية ، أمرت العام الماضي بإصدار حكم في الموضوع ، الذي أرسل إلى شركتك وآخرين ؛ بسبب عدم الأمن والاستقرار في الرحلات البحرية ، التي ستأمر بالتخلي عنها كلياً .

كما علمت أيضاً عن طريق رسالة هذه السنة ، أن رهبان الجمعية الذين في الصين عندهم أربعة منازل هناك ، وأن اثنين منهم وصلا إلى بلاط الملك كمواطنين محليين ، بالرغم من عدم التحدث معهم ، ولم يكتشفوا نواياهم ، وكان يتوقع تحقيق نجاح جيد . آمرك بأن تساعد هذه البعثة بما أن الرئيس أحد أبناء تلك المناطِق ، وأن تقدم لهم الصدقات والهبات التي حددتها لهم ... إلخ

كما أعلمت أيضاً بأن المسيحية في "أمبوينو" وجزر "مالوكو" تكاد تخفض كلياً ؛ نتيجة لنقص الاتصالات مع تلك الأنحاء ؛ نتيجة لإعاقتها من قبل أسطول الهولنديين المتمردين ، الذي أثق في أن تتم معالجته ... إلخ

نفس حالة التروي في المسيحية موجودة في جزر "سولار" و"تيمور" كما علمت ، وأجزاء من "موزمبيق" وأنهر "كوما" التي تحت سلطة

راهب "ساو دومينغو" "Sao Domingo" ، التي يصدر فيها أوامره لتعديل وتصحيح سوء الاستخدام والمعاملة ... إلخ

كما نصحت بواسطة رسائل "أيريس دي سالدانها" وكبير أساقفة بريميت وآخرين من المناطق المضطربة في الإقليم المسيحي بجزيرة "سيلام" ... إلخ .

سمعت أن الرهبان الأغسطينيين المسؤولين عن المسيحية في "أورمز" "Orms" ، ومسقط ، و"ممباسا" ، وساحل "مالندي" يحققون نجاحاً طيباً ونتائج مثمرة وسط المسلمين والوثنيين ، بالرغم من أن البعثة في سوقطرة لم تكلل بالنجاح الذي كان متوقعاً ، إلا أنني شعرت بيقين أن أولئك الناس يمكن تحولهم بسهولة لإيماننا وديننا المقدس ، للعلامات وإشارات المسيحية التي تجدها بينهم ، بالرغم من ذلك فستصدر أمراً للقيام بما يعتبره كبير أساقفة "بريميت" مناسباً ، والرهبان أيضاً الذين لهم تجربة أكثر عن ذلك .

كما تلقيت أيضاً نصائح عن طريق رسائل "أيريس دي سالدنها" "Aires de Saldanha" وكبير الأساقفة كيف وصل راهب من الجمعية إلى بلاط "البريستير" وكان اسمه "بيرو بايس" "Pero Bays" وقد تحمل الكثير من المخاطر والصعوبات ، وإنني أشكره كثيراً على كل ما قام به ... إلخ

آمرك بالعمل في ملجأ الفتيات الأيتام ... إلخ

أفادني المذكور سابقاً "أيريس دي سالدنها" بالعمل الجاري لإنشاء مستشفى المدينة قد بوشر بالعمل فيه مرة أخرى ... إلخ

كتب في "لشبونه" في الثامن والعشرين من فبراير ، عام ١٦٠٥م .
الملك "فيرناو تيليس" "Fernao Teles" .

بناء على مكتوب الملك إلى "دوم مارتيم أفونسو دي كاسترو" "Martim Afonso de Castro" العضو بمجلسه ونائب الملك بـالهند .
(وساطة ثانية)

وفي العام نفسه (١٦٠٥م)

بعث الملك رسالة إلى نائبه في الهند بشأن الأسطول البرتغالي ، في السادس من شهر مارس ، عام ١٦٠٥م ، يذكر فيها تمرد العرب على الأتراك وهم القاطنون على ساحل البحر الأحمر ، ويعدّون ثلاث سفن حربية في جدة ، ربما يهاجمون ساحل مالندي : (٢)

دون "مارتيم أفونسو دي كاسترو" ، نائب الملك وصديقي ،

أنا الملك أرسل إليكم تحايا كثيرة ، يكتب إليَّ "أيريس دي سالدانها" أنه كان قد عين في وظيفة قائد أسطول "مالابار" ، "دوم جورج دي كاستيلو برانكو" "D . George de Castelo Branco" ، الذي كان راضياً عن طريقته وخدمته ، وأنه في الأسطول المذكور ، أخذ اثنتين من سفن "الجالي" ، وأنه حينما يُبين الوقت الضرورة للمزيد ، فمن الممكن

(٢) رقم الوثيقة والهامش.

أن يرسلهم ، حتى لو فعل هذا ، فإنه يمكن أن يكون مُضطراً إلى أن يأخذ على نفسه عهداً .

بينما أُخبر الآن ، بعد الاستيلاء على قلعة "كونهالي" "Conhali" أن ساحل "مالابار" كان قد ظل خالياً كثيراً من الأعداء ، الذين يمكن أن يكونوا قادرين على تجهيز أعداد كثيرة من السفن ، كما كان قد فعل ، ولذلك كانت المسألة نفقة غير ضرورية مع أسطول قوي كهذا ؛ لأن ذلك كان عادة مُحتفظاً به ومرسلاً .

إن تعليمات بعض اللصوص الذين ما زالوا يحتاجون ذلك الساحل من المستطاع أن تقدم عرضاً أقل تكلفة وبسفينة خفيفة ، الذين هم ذوو أثر أحسن من قوارب "الفويست" السريعة وسفن "الجالي" ، التي تكونت منها الأساطيل حتى الآن ؛ نظراً لأن الأعداء يستخدمون قوارب "السانجويسي" التي من غير الممكن أن نطاردها بالسفن العادية وسفن "الجالي" ، فإنني أُوعز إليكم بأن يتم بناء عدد من السفن الخفيفة ؛ لكي تحل محل أسطول سفن "الجالي" وقوارب "الفويست" السريعة .

عليك أن تطوف حول ذلك الساحل ؛ لكي تحرسه ، وهذه القوارب المقسمة كما علمت أنه تمَّ بناؤها منذ سنوات في الماضي ، وأنها لم تجتمع ولم تحتجز في أي ميناء لذلك الساحل ، إذا لم تُجبر بواسطة سفن لعاصفة ما ، وأنها لحمل الماء أو المؤن ، وسوف تأمرون بهذا بشكل صارم ؛ لكي يتم الاحتفاظ بها من قبل القباطنة الذين يعملون بقوة ضد مثل هذه التي لا يجب أن تتوافق معها .

هو يكتب أيضاً بأنه كان قد عين "دوم ماسكارينهاس" ابن "دوم نونو

ماسكارينهاس" "D . Nuno de Mascarinhas" قبطاناً عاماً للجنوب ؛ بسبب الخطط العسكرية الجيدة التي استخدمها في الحرب التي قام بها ضد ملك "شوتيا" دفاعاً عن القلعة ، الذي حصل منه على انتصارات عـديدة ، وظـل مشـهوراً لدرجة أنه ارتأى أنه ينبغي أن يُعينه في المهمة المذكورة .

التي اعتقدت أنها حكيمة ، واعتبرتها كثيرة جداً في خدمتي أن نبلاء كهؤلاء الذين قد ميّزوا أنفسهم وحصلوا على خبرة ، يجب أن يكونوا مُفضلين في تعينات مشابهة ؛ نظراً لأنني علمتُ الآن أن ملك "شوتيا" "Chotia" المذكور كان مدفوعاً إلى الحرب ضد قلعة "داماو" "Damao" ؛ بسبب الضغط الذي يتعود قباطنة تلك القلعة على تسخيره في سبيل جمع إيجارات المنازل الريفية الكبيرة ، الذي هو مناقض لواجبهم ولما هو ضروري لخدمتي .

أمرتُ في العام الماضي بأن أجعل شرطاً مقدماً ، من خلاله أُحرم قباطنة القلعة المذكورة من أن يتدخلوا في جمع إيجار المباني ، وإنني سوف آمر بأن كل ما يدفع إلى أي فرد كان بالمال ، وليس بأي شيء آخر ، كما هو أكثر تفصيلاً بشكل تام في الإمداد المذكور ، وهو أمر مُرسل إليكم في هذه المراسلات ، وإنني أصدر تعليمات ؛ لكي تأمروا بأن يتم نشره والاحتفاظ به بما هو عادل وملائم لخدمتي .

بالمثل كتب "أيريس دي سالدانها" فيما يخص الثلاث سفن الخاصة بفرقة "دوم نونو ألفاريس بيريرا" "D . Nuno Alvares Perriera" القبطان العام لمنطقة الشمال ، التي كانت مفقودة في العاصفة مع ستين جندياً

برتغالياً ، الذين أمر ملك "الإيقيبان" بأن يؤخذوا إلى بلاطه ، وأنه كان قد كتب إلى الرهبان الذين ساعدوا هناك بأن يعملوا على إطلاق حريتهم بالوسائل الأكثر لطفاً التي يرونها مناسبة .

رأيت أنه من الحكمة أن أسير في هذا الطريق ، حتى لا أوفر لذلك الملك مناسبة لقطع علاقات الصداقة ، ويجب عليكم أن تسعوا إلى إطلاق سراح هؤلاء الرجال بنفس الوسائل ووسائل أخرى تعتقدون أنها تؤدي إلى الغرض ، مُتجنبين أي مناسبة لقطع العلاقات ، في حالة الاضطرار إلى الآخرين .

هو يخبرني أيضاً عن الرحلة البحرية لـ "مارتيم أفونسو دي ميلو" "Martim Afonso de Melo" ، القبطان العام لـ "المالابار" ، الذي أرسل من أسطوله ست سفن نجدة لجزيرة "سيلان" ؛ لأنه في ميناء "بانابار" تمرد هناك العدد الأكبر من الجنود ، وكان غير قادر على أن يقوم بالرحلة ، التي من أجلها كان قد أمر بأن يتم إجراء تحقيق ، وحيث إن هذه المسألة هي واحدة لمثل هذا المثال غير الثابت ، كما هو واضح .

واحدة مناقضة جداً للطاعة والإخلاص الذي دائماً ما قد أوضحه البرتغاليون في تلك الدولة منذ بداية اكتشافها إلى الآن ، وإنه من غير النافع أن نغض النظر عن مثل هذه القضية ، فإنني أُوعز إليكم وآمركم ، بأنه يجب أن يُتابع هذا التحقيق ، ويجب أن يعاقب بقسوة أولئك الذين يوجدون مُذنبين ، ويجب أن يكون هناك زعيم لهذه الفئة المتمردة ، الذي يجب أن يستحق عقوبة أعلى ، وإنكم تعتبرونه صحيحاً ، دعه يُرسل إلى هذه المملكة مُقيداً في الأغلال ، وسلموا إلى قبطان السفينة نسخة من إعلانات الأخطاء .

هو يكتب إليَّ أيضاً عن كيف كانت مدينة "تشول" "Chaul" قد طلبت منه أن يقدم حصراً محدداً للأعمال السيئة التي قام بها "دوم إستيفاو دي أتيد" "Estephao de Ataide" ؛ لكي يكون من الممكن تقديمه للعدالة ؛ لينال جزاءه التام ، وكذلك بالمثل كيف كان قد أرسل بنداً إلى قباطنة المدينة المذكورة بألا يتدخلوا في شؤون "التانادورين" في "تشول" العليا . لشيء ما أو لآخر أصدر إليكم تعليمات بأن تُنفذوا فيهم حكم الإعدام .

بعد أن يتم الآن إصدار الحكم حول أخطاء "إستيفاو دي أتيد" المذكور من قبل محكمة العدل ، فإنكم سوف ترسلون إليَّ نسخة من العقوبات والحكم الذي يجب أن يُعطى ، كما أمرت في تلك التي تخص محاكم جميع القباطنة .

على نحو مماثل سوف تسعون إلى أن يتم تنفيذ ما قد أمرت به القباطنة إذا لم يكونوا (كما هي مكتوبة في الأصل) براهمة أو رجالاً من السكان الأصليين ؛ نظراً لأسباب خدمتي ومنفعة تلك الدولة التي دفعتني ؛ لكي أفعل ذلك التحريم .

يكتب إليَّ "أيريس دي سالدانها" بأنه كان قد مرر مؤناً إلى الرجال المتزوجين والمقيمين لتلك الدولة ، الذين يترددون على أنهار "كواما" ؛ لكي يأووا إلى منازلهم في أي وقت يريدون ، متوقعين في مثل هذه الأوقات ، كما لو كانوا في أثناء أداء الخدمة مرتبطين بقبطان القلعة بفضل عقد ما ، وحيث علمت أنه من أجل منفعة ضمائرهم وخدمة

الإله ، فإنني أوعز إليكم أن تأمروا قبطانة تلك القلعة أن يمتثلوا لهذا الأمر بدون وضع أي عائق على الإطلاق .

كان مقيمو هرمز قد طلبوا من خلال "أيريس دي سالدانها" المذكور أن أعطي لقب مدينة لتلك القلعة ؛ لأنهم كان عندهم رسائل لي ، التي سميتها فيهم كذلك ، وأنا أرسل لكي أطلب معلومات عما إذا كان هناك في القلعة المذكورة يعيش برتغاليون فقط ، أو عما إذا كان فيما بينهم أي مغاربة ، وردوا بأن بعض الجنود البرتغاليين يساعدون في القلعة .

إنه في المدينة التي هي مُنفصلة عنها أقام الرجال المتزوجون معاً ، سواء أكانوا مسيحيين أم مغاربة ، الذين هم جميعاً من جنس مُختلط ، باستثناء شارع واحد ، الذي يقع على طول البحر الذي هو كله من ... ، وحيث إنني لا أشعر بالرضا من هذه المعلومات ، وأحتاج إلى أن أعرف عدد المسيحيين المتزوجين والمقيمين الذين يوجدون هناك معاً ، في خارج المدينة كما في داخلها .

الطريقة التي يحكمون بها أنفسهم بالإضافة إلى المغاربة ، والامتيازات التي يتمتعون بها ، فإنني أُوعز إليكم بأن يُطلب منهم أن يقدموا التماساً جديداً ، الذي مع رأيكم سوف ترسلونه إليَّ ؛ لكي يمكن به أن أتخذ قراري .

كذلك أيضاً يكتب إليَّ "أيريس دي سالدانها" المذكور بأنه كان قد أمر بأن تُحرم كل التجارة مع "المالينهاس" التي كنت قد أصدرت إليه تعليمات عنها ، لكنني علمت أن قباطنة "مالقا" لم يمتنعوا عن إرسال شحنات سفن من هناك في كل عام إلى مناطق أخرى .

ذلك لأنه قد بلغ إلى مسامعي أنه نافع جداً خدمتي أن هذا التحريم

يجب أن يتم الحفاظ عليه ، فإنني أوعز إليكم بأن تواصلوا العمل بقسوة ضد الأطراف المذنبة ، وفي محاكم القباطنة المذكورين يجب أن يتم سؤالهم عما يتعلق بهذا الخطأ ، وأن تضاف كبند إلى استجوابات المحاكم المذكورة .

هو أيضاً يُعلمني أنه من خلال أسير ، عُمره ثمانية عشر عاماً ، كان قد أُسر مع "روك دي بريتو" على ساحل ماليندي بواسطة سفن "جالي" الأتراك ، التي كانت قد جاءت إلى هناك ، والذي في عام ألف وستمائة وثلاثة كان قد أتى مدفوعاً عنه فدية من مضيق مكة .

كان قد علم أن عرب شاطئ البحر وأولئك الذين ينتمون إلى عرب المناطق الداخلية كانوا جميعهم قد تمردوا على الأتراك ، وكانوا يخضون حربا كبرى بقدر استماعتهم ، وأنه في ميناء مكة كانوا يقومون بإعداد ثلاث سفن "جالي" ، ويُخشى أن يتحركوا إلى ساحل "ماليندي" .

ذلك لأنه من الأكثر نفعاً لأمن تلك الدولة أن نحصل على معلومات كثيرة عن خطط وأفعال السلطان التركي وسفنه على طول طريق البحر الأحمر ، فإنني أعطيكم تعليمات في هذا الخصوص ، بأن تحتفظوا بيقظة شديدة ، بمحاولتي الحصول على جواسيس ، وأن تستخدموا كل الوسائل اللازمة ، التي بواسطتها لا يكون عندكم أي نقص في النصائح القادمة من المعاقل الرئيسة .

مثل مكة ، والسويس ، وجدة ، ومعاقل أخرى يمكنكم أن تكونوا قادرين جداً على أن تعرفوها من الأشخاص ذوي الخبرة في تلك

المناطق ، على الرغم من أنكم عندما تضطرون إلى فعل هذا ، تنفقون مبلغاً ما من المال .

كُتبت في "لشبونه" في يوم السادس من مارس ، عام ١٦٠٥م .

على الرغم من أن الأطراف المذنبة في انتفاضة "بانابار" يجب أن يكونوا الزعماء الرئيسين لها ، فإنكم سوف تأمرون بأنه يجب أن يُصدر ضدهم حُكم في تلك المناطق وفقاً لذنبهم ، وأن الأحكام يجب أن يتم تنفيذها ، وبهذه الصورة تتجنبون إرسال الأطراف المذنبة المذكورة إلى المملكة .

الملك - "فيرناو تيليس" على الغلاف الخارجي من قبل الملك ،

إلى "دون مارتيم أفونسو دي كاسترو" ، عضو مجلسه ونائب الملك في الهند .

نسخة ثانية

وفي العام نفسه (١٦٠٥م)

ورد بيان عن الرحلة التي قام بها "نيكولاو دي أورتا ريبيلو" "Nicolao de Orta Rebello" ، بتاريخ عام ١٦٠٥م ، وفيها وصف لبلاد فارس : [٣]

الفصل التاسع :

كيف غادرنا جزيرة هرمز لنجد أرضاً صلبة في فارس في مكان يدعى "بندر دي كوموراو"[أ] :

في السابع من أغسطس عام ١٦٠٦م ، بعد شرائي لكل احتياجاتي لرحلة العودة إلى البرتغال التي قررت القيام بها براً ، غادرت جزيرة هرمز قاصداً "كوموراو" "Comorao" على الساحل الفارسي على مسافة ثلاثة فراسخ (V ٢٦) .

(أ) كلمة "باندل" التي تستخدم كثيراً في النصوص البرتغالية في هذه الحقبة تطابق كلمة "بندر" وتعنى الميناء .

(٣) رقم الوثيقة والهامش.

إنها عبارة عن قلعة تخص جلالته ، بنيت من الطوب المصنوع من الطين ، أعدت لتستخدم كمستودع للطعام والماء ، الذي يصل يومياً إلى الجزيرة ، بجانبها قرية يسكنها سكان محليون يعيشون تحت ظل القلعة . مكثت هناك لمدة ثمانية عشر أو تسعة عشر يوماً ، وهو الوقت الذي استغرقته حتى أجد ركوبة ؛ حتى نتمكن من المغادرة ، كما لم تكن تنقصنا الفواكه الطازجة أبداً ولا الأسماك ولا اللحوم ، ولا أي شيء يجعل من الحياة أمراً بهيجاً ، كل شيء كان متوفراً .

لكن عندما وجدنا الجياد قررنا المغادرة مع بعض التجار من الفرس الذين سنرافقهم حتى مدينة "لار" (لار) في فارس .

غادرنا في سعادة بالغة في مساء السبت السابع والعشرين من أغسطس ، وكنت سعيداً بأنني في طريقي إلى وطني البرتغال ، وأيضاً عندما وجدت نفسي على ظهر الحصان ، الأمر الذي كنت أستمتع به كثيراً دائماً ، غادرنا وفي وداعنا كان العديد من البرتغالين (Fo .٢٧) الذين كانوا هناك ، وأيضاً قائد القلعة ، وتمنوا لنا رحلة آمنة .

حتى المسلمون وزوجاتهم جاءوا وألقوا على مسامعنا الكثير من الكلمات الرقيقة ، وتمنوا لنا أن نحقق مبتغانا وهدفنا دون مشقة أو عناء ، لكن كل شيء بيد الرب الذي يمنح السعادة عقب الشك وعدم اليقين .

الفصل العاشر :

كيف غادرنا "كوموراو" ، وما رأيناه في الطريق إلى "لار" (لار) وفي المدينة في يوم السبت السابع والعشرين من أغسطس ، بعد ثمانية عشر يوماً من وصولنا إلى القلعة (fo .٢٧v) ، قمنا بمغادرتها في طريقنا

إلى "لار" في حملة مكونة من مائة وعشرين حماراً وبعض الجمال ، بعد ثلاثة أيام ؛ أي : في الثلاثين من الشهر وصلنا إلى قرية تسمى "كوريستاو" ، وهذا ما رأيته في الطريق إلى هناك :

على بعد خمسة فراسخ من "كوموراو" وجدنا نبعاً صافياً للمياه يتفجر للأعلى من تحت جبل عالٍ ، لكن كانت المياه مالحة مثل ملوحة مياه البحر ، على بعد فرسخين من "كوريستاو" "Coristao" يوجد جسر حجري هو الأكبر الذي رأيته في حياتي ، لكنه الآن نصف مهدَّم ، لكن الجزء السليم الصامد يتكون ليس أقل من إحدى وعشرين قنطرة مقدسة .

ويبدو أن كل هيكل الجسر يبلغ طوله نصف فرسخ . يجري تحته نهر ينحدر من جبل عالٍ ، والمياه مثل تلك التي في النبع مالحة كما ذكرت ، تذوقت المياه في كليهما وكانت كما قلت .

(Fo. ٢٨) في كل طرق فارس يجد المرء بعد كل فرسخين أو ثلاثة نوعاً من البناء يسمونه الخان (فندق) ، ليست له أي وظيفة سوى تقديم المأوى للمسافرين ، وحول الطرق هناك إسطبلات للخيول ، وفي الوسط غرفة كبيرة في شكل صليب ؛ حيث ينصب الرجال أنفسهم .

لا يعيش أي أحد هناك ، ولا يدفع المسافرون أي شيء نظير الإقامة هناك ، معهم جميعاً صهاريج لتجميع مياه الأمطار ، وهي حقاً عناية إلهية بالمسافرين ، ليجد المرء سقفاً يؤويه ، ومياهاً لنفسه وحيواناته في صحراء ؛ حيث الماء مالح في كل مكان .

ثم إنشاء تلك الصهاريج على حساب مسلمين أغنياء ، يستخدمون جزءاً من ثروتهم في أعمال خيرية من هذا النوع أو غيره ، بعضها من

أجل أنفسهم ، وأخرى في ذكرى بعضٍ من أُسَرهم الذين توفوا فيما مضى ، بعضهم أيضاً يطلبون عند وفاتهم بأن تصرف ممتلكاتهم في بناء تلك الصهاريج ونُزُل وفنادق لسكن المسافرين . المسلمون الذين في تلك المحافظة شغوفون بأعمال الخير ، وإنهم في الحقيقة يحتاجون فقط إلى الإيمان وماء للتعميد والدخول في الديانة .

في كل مملكة فارس ، فإن السكان أحرار ليكونوا مرافقين مع الجنود في تلك الفراسخ الثلاثة ، وعليهم مرافقة القوافل بين كل خان والخان الآخر للراحة . كما أن جميع الممرات آمنة ، ولا يقابل الشخص في أي مكان في فارس لصاً أو أناساً تواجهه منهم المشاكل .

قرية "كوريستاو" هذه بها بالكاد عشرة أو عشرون منزلاً مع بعض الحدائق ، وقلعة شيدت من قوالب الطين ، ليس فيها أي قطعة مدفعية ، وصلنا في التاسعة مساء ، وغادرنا مرة ثانية خلال الربع الأول من الليل ، وظللنا في سفر حتى الساعة الثانية صباحاً (Fo .٢٩) . استرحنا بعد ذلك حتى نهاية بعد الظهر من اليوم التالي في تلك الفنادق (خان) ؛ حيث دونت اسمي على الحائط مع أسماء أخرى كثيرة لمسلمين عرب وبعض سكان "البندقية" .

قمنا بعد ذلك بالتوقف في قرية تسمى "كرومو" التي يعنى اسمها "شجرة النخيل" في لغتنا ؛ حيث يوجد الكثير من أشجار النخيل هناك ، التي كانت تحيط بنا لمسافة تصل لفرسخ .

بعد هذه القرية توقفنا عند نزل (فندق) على بعد أربعة فراسخ ،

وغادرناه في اليوم التالي في الرابعة بعد الظهر ، لنقطع الثلاثة فراسخ التي تفصلنا عن "لار" .

لم يكن ممكناً دخول المدينة في نفس اليوم ؛ حيث حل الظلام ، ويسمح فقط للشخص بدخول المدينة أو مغادرتها خلال النهار ، مخالفة ذلك الأمر تستدعى عقاباً شديداً ، وهناك أربعون جندياً يقومون بالحراسة في أثناء الليل (Fo .v٢٩) . لم ندخل "لار" حتى الصباح في اليوم التالي .

وجدنا هناك أربعة من المقيمين البرتغاليين الذي كانوا ينتظرون هناك مع تجارتهم وبضائعهم ؛ ليغتنموا فرصة العودة إلى هرمز . في الحقيقة قد يستطيع الشخص السفر من هرمز إلى داخل فارس إلا أن الطريق مغلق في الاتجاه المعاكس نتيجة للحرب بين الصفوي (Sophy) وبين ملك هرمز ، قاموا بزيارتي ورحبوا بي كصديق ورفيق من نفس البلد ، وأخذوني في جولة في المدينة .

حيث شاهدت سوقاً (بازاراً) كان من أجمل ما رأيت في فارس ، به فواكه عديدة من البرتغال ومنسوجات ، وكل الأغراض التي لا غنى عنها للرجل ، وهنا أيضاً توجد قلعة مشيدة من الطوب الطيني ، لكنه صلب ، وبنيت بطريقة جيدة ، كانت من أفضل المباني ؛ حيث يحتفظ المعلم الأكبر الصفوي الأعظم بحامية ؛ لأنه كان قد أخضع هذه المملكة تحت تاجه قبل سنتين .

الملك الذي كان يحكم في ذلك الوقت كان قد قتل اثنين من مواطني "البندقية" ، اللذين كانا يمران عبر البلاد بغرض سرقتهم . لم

يحتمل الصفوي مثل تلك القسوة وتلك الجريمة ، أرسل جنرالاً قوياً ضد الملك وهزمه ، واستولى على مملكته ، وخلال مأدبه كانت مقامه في خيمته ؛ حيث احتفظ به أسيراً قتله بطريقة بشعة ، لهذا السبب عين الزعيم الأكبر نائباً له هناك .

تحيط بالمدينة العديد من الحدائق ، ترش بالمياه من الصهاريج ؛ حيث لم يكن هناك مصدر للتزود بالمياه غيرها ، إحداها كانت مثيرة ورائعة وتخص الملك ، دخلتها في يوم من الأيام من باب الفضول ، ورأيت هناك العديد من أشجار الورد ، أما ما يتعلق بالفواكه فهناك الكثير من شجر الرمان ، كانت هناك أيضاً أشجار الصنوبر والزيتون التي تلقى عناية فائقة ؛ حيث كانت من الفصائل الغريبة في تلك البلاد .

قمت في نفس اليوم بالدخول إلى حديقة أخرى (V٣٠) صغيرة ، لكنها أكثر روعة وظليلة في الأيام الحارة ، تزينها بركة من المياه ، تحيط بها مقاعد تحت كرمة بديعة . كان صاحبها من العرب ، وأكد أنها من صنع برتغالي ، ولد في إحدى قلاع "مالابار" ، "كالديريا" "Calderia" تخلى عن إيماننا المقدس ، وجاء لهذا المكان أيام الملك الراحل الذي تزوج أخت زوجته ، كانت لا تزال تلك السيدة على قيد الحياة ولها طفلان . كانت كل رغبتها كما علمت أن تغادر مع طفليها لأرض مسيحية .

يجد المرء في هذه المدينة لحوماً من الضأن ممتازة ، للدرجة التي تصفها فيه بأنها من أجود الأنواع ، كما أنها رخيصة جداً ، يمكنك شراء خمس فراخ من الدرجة الأولى بسعر تسعين "ريساً" ، أما بخصوص طيور الحجل ، فإن خادمي اشترى لي منها أربعة أو خمسة وعشرين بمبلغ تسعين "ريساً" .

هي من النوعية التي تستحق "شيرافيم" في "غوا" . أما عن الفواكه فحدث ولا جرح ، كميات كبيرة ونوعيات ممتازة ، تقارن بتلك التي في أوروبا ، من الخوخ ، والكمثرى ، والرمان ، والسفرجل ، والعنب الرائع وبأنواع عديدة ، ولا أغالي إن قلت : إنها أفضل من تلك التي عندنا في البرتغال ، حتى لا يشك أحد في وطنيتي .

الفصل الحادي عشر : "مدينة "لار" وما حولها"

"لار" إحدى أعظم وأغنى المدن في فارس ، ومن اسمها اشتقت كلمة "لارينس" ، يوجد الكثير من سك العملة في الهند كما في فارس ، وليس العكس كما يظن البعض ، وفي الحقيقة ، فإن من "لار" جاءت أول "لارنيس" . إنها المدينة الأولى التي ضربت فيها تلك العملة ، وقيمة هذه النقود الفضية معروفة تماماً ، والفضة التي صنعت منها ذات نوعية على مستوى عالٍ ، والتي تستخدم في كل الشرق (Fo .v٣١) .

كانت "لار" عاصمة المملكة لتسعمائة سنة ، وحتى عام ١٦٠٢م ، عندما دمرها "الفيرديكاو" ، قائد الملك الصفوي الأعظم ، وقتل ملكها "إبراهانيكون" "Abrahanicon" ، وكان ذلك عقاباً عادلاً له ؛ لأنه كان شديد القسوة خاصة مع المسيحيين ، وكان في مناسبات كثيرة يعاقبه الله على أفعاله ، إلا أنه لم يعدّل من سلوكه وتصرفاته ، بل كان يحدث العكس من ذلك .

منذ أربعين سنة ابتلى الرب هذه المدينة بزلزال دمر الجزء الأكبر منها ، وتسبب في موت الكثير من الضحايا ، إلا أن الملك تمكن من النجاة بحياته ، وذلك بهروبه إلى أحد الحصون الثلاثة ، وفي حادثة

أخرى مرت سبع سنين دون أن تهطل الأمطار ، مما أدت لحدوث مجاعة أهلكت الكثير من الناس .

لكن كل تلك التحذيرات من الله لم تفِ بالغرض في تحسين الأوضاع ، لكننا نراه في أسوأ حالاته عند كارثة "ميبيلو" "Mebello" في عام ١٥٨٨م (Fo. ٣٢) . كانت هرمز في ذلك الوقت تحت قيادة "ماتياس دي البوكيرك" "Mathias de Albuquerque" وتوفي ثلاثُمِائة من البرتغاليين في تلك المعركة .

لم يقنع بتلك المذبحة ، ولم تكن كافية لتطفئ الكراهية التي بداخله ، بل قام الملك بإحضار عظامهم وجماجمهم إلى "لار" حتى يقدمها قرباناً لإلهه الملعون ، عنده مئذنة عظيمة شيدها ؛ ليعرض فيها تلك البقايا الحزينة حتى يثير المسلمين ضدنا .

إلا أن الرب الذي لا يترك عبيده أراد أن يحمي عظام هؤلاء المؤمنين من العار ، وكونهم قدموا كقرابين للكراهية عن أولئك الذين لا يعرفون حقيقة الايمان ولا الحقيقة ، فأرسل زلزالاً آخر هدم المدينة وقتل تقريباً كل السكان ، المئذنة الملعونة دفنها التراب واختفت تماماً من على وجه الأرض ، وبذلك دفنت عظام أصدقائه وأتباعه المخلصين في نفس الوقت الذي دمر فيه الأعداء الخونة للإيمان الالهي .

أعيد بناء المدينة مرة أخرى بعد سبع سنوات ، وأراد الملك أن يمارس أسلوبه في الأعمال الدينية ، إلا أنه الرب ، فقد لوح له بسيف العقاب ليقطع بذلك عنه الحياة ، تلك هي الأحداث التي تمت ، كان ثلاثة من تجار "البندقية" قد دخلوا المدينة ، وتم اغتيالهم بقصد الاستيلاء على بضائعهم .

أخطر الشاه الأعظم في الحال بواسطة أحد أبناء "البندقية" الذي كـان من بين الحاشية ، فأرسـل قائداً شجـاعاً يدعـى "الفيرديكاو" "Alverdicao" ضد الملك وقام بقتله ، دمرت مدينة "لار" وعادت للتاج الفارسي ، هدمت القلاع وقطعت رؤوس خمسة الآف عربي من المسلمين دون أي مقاومة أو قتال .

أعيد بناء المدينة مرة أخرى بعد أربع سنوات للمرة الثالثة ، وتم تشييد مبنيين رائعين للشاه الأعظم هناك ، أحدهما قلعة كبيرة ومنيعة ، شيّدت على قمة تل يُطلّ على كل المدينة ، ويبلغ محيطها أكثر من نصف فرسخ ، وتشمل ثمانية وعشرين معقلاً بارزاً ؛ حيث يقدم الجنود بالحراسة الليلية ، يتبادلون الحراسة على فترات محددة ، ينادي بعضُهم بعضاً بأصوات عالية من معقل عالٍ ؛ حتى لا يداهم النوم البعض .

تتألف الحامية من أربعمائة جندي ، غير مسموح لهم بمغادرة المدينة ولا حتى قائدهم ؛ نتيجة لحادثة خيانة حدثت من بعض الناس بالبلاد ، وحتى الذين بداخلها غير مسموح لهم بالذهاب إلى أي مكان . ليس من حق سكان المدينة حمل السلاح (Fo. ٣٣) ، كما أن ليس للمدينة أسوار ، هناك جبلان عاليان يحيطان بالمدينة يقومان مقام السور .

البناء الأخاذ الآخر سوق في غاية الجمال ، مغطى تماماً ، ويحتوي على ممرات في شكل قناطر مقوسة ، شيدت من الطوب ، تحمي الناس من الأمطار والشمس ، كل ذلك كان في شكل صليب في منتصفه برج على شكل مصباح ، سقفه على شكل قبة ، بنيت بطريقة رائعة وتثير الانتباه ، تقع تحتها نافورة ذات منافذ عديدة ، تنفث المياه منها

وتصب في حوض دائري ؛ حيث تتوزع منه على قنوات تحت الأرض ، تتدفق لتروي الحدائق المحيطة .

بالقرب من هذا السوق (البازار) مسجد ضخم ، وهو الوحيد في المدينة ، ويقوم بالصلاة فيه العرب المسلمون ، ويقدمون التبجيل فيه لشيخ مؤمن منهم ، مدفون هناك في ساحة خارج المسجد ، يوجد ضريح من الرخام تضيئه العديد من المصابيح من المساء ، تشاهد بجابنه بركة تملأ دائماً بالمياه ؛ حيث يأتي المسلمون في تضرع ليغسلوا أعينهم ويأخذون منها للمرضى .

يجد المرء في هذا المسجد في كل الأوقات الكثير من النساء الفقيرات اللاتي يؤدين الصلاة والدعوات لأولئك الذين يتصدقون عليهن كما يفعل العميان في "أسيايناً" .

امرأة من هذه المدينة بالرغم من أنها تلبس مثل المسلمين ، إلا أنها تختلف عن الأخريات ، كانت زوجة لأحد المرتدين الذي كان يمارس أعمال الخير كما أخبرت ، كانت له بعض الأعمال الروحانية ، منها كتاب عن القيامة كان يستخدمه في الصلاة ، نذر نفسه لله ، وشجع زوجته للقيام بالمثل ، وتتخلى عن أحكام الله ، لها طفلان صبي وفتاة ، عندما تركها زوجها ، ويبدو أنهما قد عُمّدا إما بواسطة والدها أو من قبل راهب من أتباع القديس "أوغسيتن" الذي مر من هناك .

الفصل الثاني عشر : "مغادرتنا من "لار" ومغامراتنا في الطريق إلى شيراز :

بعد قضاء خمسة أيام في مدينة "لار" وأخذ الإذن من التجار

البرتغاليين الذين يعيشون هناك ، غادرنا في الصباح الباكر من يوم السبت الموافق التاسع من سبتمبر متجهين نحو شيراز المعروفة تماماً عبر العالم ؛ بسبب مكتشفها "سيرس" "Cyrus" ، (Fo. ٣٥) ، قضينا نفس الليلة من ذلك اليوم في قرية تدعى "أشو" "Acho" (أكو) التي غادرناها في اليوم التالي العاشر من الشهر عند الفجر ، في طريقنا لقرية أخرى (بيكسيم) ؛ حيث استرحنا واستعدنا نشاطنا مرة أخرى .

إنها قرية كبيرة ذات منازل جميلة ، بالرغم من أنها بنيت من الطين ، قدموا لنا هنا خمسة وعشرين طائراً من الحجل بسعر لارين واحد ؛ أي : بالتقريب حوالي تسعين "ريساً" ، والفراخ كل خمسة بلارين واحد وهو السعر في كل فارس .

عند ساعة صلاة الغروب غادرنا ، وتوقفنا عند نهر بديع فيه مياه رائعة ، تحركنا مرة أخرى في الصباح الباكر ، وسافرنا لمسافة طويلة ، وصلنا بعدها إلى قرية جميلة بالقرب من نهر آخر ، كان يستخدم في تحريك طاحونتين ، هذه المنطقة المشيدة كانت تقع في نهاية سهل عريض يقع تحت سفح جبل شديد الانحدار .

وجدنا فيها الكثير من أشجار النخيل (Fo. ٣٥v) ، وتوجد قلعة شيدت من الطوب المصنوع من الطين ، إلا أنها كانت بطريقة منسقه ، مع اثنين من المعاقل ، وتحيط بها أعمال أخرى . في المنطقة المجاورة من الريف شاهدنا العديد من الغزلان التي يوجد منها الكثير في ذلك الإقليم .

تحركنا في اليوم التالي ووجدنا أنفسنا في وقت الغداء ، في مكان حيث شيد به نُزُل (خان) للقوافل فخم .

بناء على أوامر من "قمبر بيك" حاكم "لار" ، اشترينا من هناك أفضل أنواع البطيخ التي رأيتها في حياتي ؛ لكبر حجمها ونوعيتها ومذاقها اللذيذ ونكهتها اللطيفة ، حتى أنني فكرت في الاحتفاظ بالبذور للقيام بزراعتها في البرتغال .

غادرنا ذلك المكان في الرابعة بعد الظهر ؛ لنواصل المسير حتى حلول الظلام ، وبدا لنا الطريق طويلاً ، كان الواحد منا قد يظن أن ذلك كان ابتلاء لنا وكفاره عن الذنوب ، فقد كان الطريق شاقاً وشديد الانحدار ، تحفّه جبال عالية ، يكون أحياناً من الضروري تسلقها ، وأحياناً الزحف على أربع ، في بعض الأحيان نأخذ ممراً ضيقاً بين جبلين ، والذي أدهشنا كثيراً بالرغم من أنه كان من فعل الطبيعة ، إلا أنه بدا وكأنه شق بمعول .

كان الطريق يتسع لحيوان واحد فقط ، إذا نظر المرء نحو القمة فالارتفاع يجعلك تحس بالدوار ، كانت للصخور جدران ملساء وكأنها غسلت ، في هذا الوادي الضيق يكون صدى الأصوات وكأنه قادم من جهنم ، عندما خرجنا من تلك الجبال الشاقه كنا متعبين تماماً ، ولم يشجعنا ذلك على السفر قدماً لننام في قرية تبعد فرسخاً واحداً فقط .

غادرنا عند مطلع النهار ووصلنا في الحال إلى هناك (Fo. ٣٦) ، كان الطقس بارداً جداً ، وقد أخذ الجبل المجاور لها اسمها "جارام" "Jaram" ، بعد كل مشاق ذلك الطريق التي عشناها بدت لنا تلك القرية - وكأنها أرض الميعاد لبني إسرائيل-مكاناً بارداً مظللاً بالكثير من أشجار الفاكهة التي نعرفها .

لم تكن كبيرة إلا أن بها سوقاً (بازاراً) لا يجسد ذلك الذي في "لار" ، تحيط به القناطر المقدسة ، إلا أنه لم يكن له مصباح في منتصفه ، إلا أنه يفوقه في اختلاف المعروضات والمنتوجات التي به .

وفي العام نفسه (١٦٠٥م)

دوّن موجز الرحلة التي قام بها "نيكولاو دي أوركا ريبيلو" ، بتاريخ عام ١٦٠٥م ، وفيه وصف لكل المناطق من سوقطرة إلـى هرمز ومنها إلـى بلاد فارس : [٤]

الفصل السادس : كيف غادرت "باتا" "Pata" متجها إلـى سوقطرة .

ص ١٨ في : بعد أن ودعت البرتغاليين الذين وجدتهم في "باتا" ، أبحرت إلى هرمز في القارب الذي ذكرته من قبل ، في يوم الأحد السابع من مايو .

استفادت هذه السفينة الصغيرة ، ذات الشراع المصنوع من حصيرة القش ، من الرياح الموسمية ، وقد وصلت إلى جزيرة سوقطرة في العشرين من مايو ، ولقد توجب علينا البقاء هناك لمدة ثلاثة أيام ؛ كي نحمل على متن السفينة ماء للكفار ممن أخذناهم معنا ، ولقد كانت هناك أعداد كبيرة منهم ، بينما كانت عدد الأوعية لدينا قليلة .

---

(٤) رقم الوثيقة والهامش.

بمجرد أن رست السفينة ، ذهبت إلى الشاطئ لتفقد المكان ولشراء بعض الأطعمة الطازجة ، كالتمر ، والكثير من الحليب ، وبعض الماعز صغير السن ، وبعض الدهون ، التي كانت موجودة بكميات كبيرة ، ولقد كان هناك قرية صغيرة في المكان الذي نزلت فيه من السفينة ، عند الساحل العربي ، أو الساحل الغربي ؛ كي أكون أكثر دقة .

قد كان هناك كنيسة صغيرة وبها مذبح حجري غير مصقول ، ولقد تم وضع ثلاثة صلبان به ، ولقد أدهشني ذلك ؛ حيث إن هذه الأرض مطوقة بمضمار للعدو ، بالإضافة إلى ذلك ، ووفقاً للعادة ، قد تم تسمية جميع النساء "ماري" وجميع الرجال "توماس" ، ولقد قيل بأن الحواري المقدس وقف قديماً عند الجزيرة في أثناء رحلته من الهند ؛ حيث أرسله الله ؛ كي يبشر بالإنجيل .

يمكن لأحد أن يصدق ذلك حقا إذا اعتقد بأن هذة الجزيرة تقع عند مدخل البحر الأحمر ، الذي سيحتاج أن يمر من خلاله ، ويبدو أنه من خلال إقامته ، قد قام بتعليم السكان الدين المقدس ، ولكن بعد ذلك تم نشر دين محمد ، والتزم به الجميع فيما عدا من كانوا يسكنون بامتداد الساحل .

قد كانوا يحملون هذه الأسماء ، وكانوا يبجلون الصليب ، وقد كان العديد منهم يلبسونه متدلياً من أحزمتهم ، ولكنهم لم يعرفوا شيئاً عن التعميد ، او الاعتراف ، ولا أي شيء يمثل ديننا المقدس ، وهم أناس اجتماعيون جداً ، وكانوا سعيدين جداً لرؤيتنا .

على هذا الساحل الغربي ، الذي كنت فيه ، يتحدث الجميع غالبا

لغتنا ، ولقد وجدت ثلاثة منابع من المياه الممتازة ، ولقد كانت أشجار النخيل تحمل عناقيد ثقيلة من التمور ، التي زادت من جاذبيتها وجمالها .

بالتالي يمكن لأي أحد أن يجد الماء الكافي ، ويمكن أن يأكل التمور الطازجة ، وعندما يرضي أحد ما جوعه بعد أكل التمور ، فيمكنه أن يشرب الماء ، ومع كل ذلك ، فإن التربة جافة وفقيرة . يأكل الناس فقط الماعز ، والسمك ، واللبن ، والتمر . لم أجد هناك أي خبز ، أو خضروات ، ولا أرزاً .

الأرض هناك جبلية جداً ، البيوت الصغيرة التي يقطنها السكان الأصليون حزينة وصغيرة جداً ، وتشبه إلى حد كبير زريبة الخنازير أكثر من كونها مساكن لبني البشر ، ويبدو أنها لا تحتوي على شيء سوى بعض جلد الماعز الذي يستخدمونه كأسرة ، والعباءة التي يرتدونها ، وهي منسوجة من أصواف الماعز لديهم ، وهم بذلك يعيشون بدون أدوية وبدون أبسط سبل الراحة .

الفصل السابع : كيف غادرت جزيرة سوقطرة ، والصعوبات والعواصف التي توجب علينا مواجهتها بشجاعة قبل الوصول إلى هرمز .

لقد غادرنا بعد ثلاثة أيام ، وقد كان ذلك في صباح الثلاثاء ، الثالث والعشرين من مايو ، ولقد تمنينا الوصول إلى الساحل العربي ، الذي كان يبعد حوالي ستين فرسخاً من الجزيرة . كان يجب أن تأخذ الرحلة ثمانية أيام إذا كان البحر ساكناً .

في النهاية وصلنا على مرأى اليابسة ، وقد احتضنا الساحل متجهين

نحو رأس "روسالجيت" "Rosalgate" ، التي تبعد مائتين من الفراسخ عن سوقطرة ، ولقد واجهنا هناك عاصفة عندما ظننا أننا قد ضللنا الطريق عندما كسرت الدفة ، التي قد تركتنا جميعاً فريسة لليأس ، وحيث انقطع الأمل في وجود أي مساعدة دنيوية ، فقد توجهنا إلى العناية الروحية ، واعترفنا بذنوبنا ، وبكينا وارتجفنا في خوف قاتل .

استمرت العاصفة إلى ثلاثة أيام ، ثلاثة أيام من الأسى ، والاكتئاب ؛ لأننا لم نعلم أين نحن وإلى أين سوف تأخذنا الرياح . بدا البحر لنا شديد الضخامة ، والرياح عاتية جداً ، ومخيفة جداً ، بينما بدت السفينة صغيرة جداً ، وواهنة جداً .

لقد خشينا أن تتفرق أخشاب البناء الأربعة المثبتة بعضها ببعض بالحبال عن أنفسنا الفقيرة واليائسة ، فقد كانت كل ريح أقوى من التي قبلها ، ولقد توجب علينا إحكام ربطها بحبال إضافية لمنع العاصفة الشديدة من كسر القارب إلى نصفين .

لقد أصلحنا الدفة قدر استطاعتنا ، ودعونا الله في تلك الأثناء ، فلم نقدر على الاعتماد على قطعة الخشب الصغيرة هذه لخلاصنا ، وهو الخلاص الذي لم يعد يطمئن إليه أحد بعد الآن ، ولقد عاد السكون مرة أخرى ، وأكملنا في الاتجاه إلى فارس ، وألقينا بالمرسى على الساحل .

لقد كان اليوم الثامن عشر منذ مغادرتنا من سوقطرة .

لقد أردنا معرفة على أي أرض وجدنا أنفسنا ، لذلك اقتربنا من الشاطئ وعلمنا ممن كانوا على متن قارب صغير ، الذين قابلناهم عند

خليج ضيق ، بأننا وصلنا إلى ميناء "تعز" ، ولقد كنا على بعد خمسين فرسخاً بالكاد من هرمز ، ولقد كانت هذه أخباراً سارة جداً ، فالبحر والرياح التي قابلتنا في هذا المكان كان من الممكن أن تحملنا بسهولة باتجاه "الهند الشرقية" ؛ حيث قد حل الشتاء هناك بالفعل ، ولم يكن لدينا أي أمل في وجود ملجأ .

عندما انطلقنا مرة أخرى في اليوم التالي ، رأينا قارباً صغيراً ، الذي كان يطوف بالمضايق ، ثم جاء للتجارة في هذا الساحل ، ولقد أشرنا إليه ؛ كي يقترب ، كشكل من أشكال الصداقة الحميمة ، ولقد جاء وصعدنا على متنه سفراً إلى هرمز ، ولقد دفعنا ثلاثين بارداوس "دي لاريس" ثمنا لعبورنا .

لقد فضلت ترك السفينة الصغيرة البطيئة جداً التي أحضرتنا ، على أمل الوصول بشكل أسرع ، ولكن السفينة الجديدة لم تكن مجهزة للطهي ، لذلك فقد تناولنا فقط خلال أربعة أيام الرحلة التمور ، التي أعطاها إيانا العرب ، فيما عدا مناسبتين عندما نزلنا لسبب واحد ، وهو تناول بعض الأرز المطبوخ .

في النهاية ، بفضل نعمة الله ، وصلنا إلى هرمز بعد نهاية أربعة أيام ، سعداء بانتهاء محنة هذه الرحلة الطويلة المرهقة ، وعندما رأى سكان المدينة أننا منغمرون في الحزن والفرح ، الحزن من تذكر المعاناة على متن السفينة ، والفرح ؛ لأن الله قد منحنا الهرب من هذه الأخطار ، بدأنا التعافي من هذا القلق في هذا المزيج من السعادة والألم .

الفصل الثامن : جزيرة هرمز وصفاتها المميزة .

إقامتي هناك ، إن جزيرة هرمز هذه هي أكثر الجزر المذهلة في العالم ، يصل طولها كليةً إلى أربعين فرسخاً فقط ، ولا ينمو أي نوع من أنواع الأشجار هناك .

توجـــد الميـــاه العذبــة فقــط فــي الصهاريج ، وتحتوي التربة على الملح والكبريت .

خلال شهور الصيف ، يجب أن تنام كل الكائنات الحية خارج الشرفات إذا لم ترد الموت ، ولقد رأيت بأم عيني عربة الجنازة تحمل رجلاً أسودَ إلى قبره ، وقد قالت أمه التي لحقت به وهي تبكي بأنه قد مات مختنقاً من الحرارة ، وإذا أراد شخصٌ مريضٌ بأن يخرج ما في أمعائه يجب عليه أن يقوم بذلك في الخارج ، في الشرفة ؛ حيث يوجد القليل من النسيم .

لقد كانت النساء أيضاً تلد هناك .

بتعبير آخر ، فالصيف هناك حار جداً ولا يحتمل بشكل كبير ، فهو يعطي إحساساً كأنه لهيب جهنم .

بالرغم من ذلك ، فالدولة صحية جداً بسبب ذلك ؛ حيث إن التعرق يخلص الجسم من الأضرار السامة ، ويوجد هناك أكبر ميناء في الشرق كله ، ويُرى هناك باستمرار ، أهالي "البندقية" واليونانيون والأرمن واليهود وغيرهم من المسافرين .

غالباً يكون كل يوم في الأسبوع عيداً أو إجازة ، نحن المسيحيون

نستريح يوم الأحد وأيام القديسين ، والوثنيون يبجلون الراما في يوم الثلاثاء ، والمسلمون يبجلون محمدهم يوم الجمعة ، واليهود حريصون على أن لا ينسوا يوم السبت .

يعيش أناس كثيرون من أمم مختلفة في هذه الدولة ، ففي يوم ذهبت إلى زيارة صديق رأيت أن البيت يسكنه مسحيون ، ويهود ، ووثنيون ، وكلهم بالتأكيد مستقلون باعتقاداتهم ، ومع ذلك فهم يتزاورون ويتحدثون بلا قيود .

يمتلك الملك ، سيدنا ، في منتصف مضيق البصرة ، أكثر قلعة منيعة في الهند كلها ، وهي تحتل موقعا مهماً في هذا المضيق الذي يصل طوله إلى مائتين وخمسين فرسخاً .

يوجد في الغرب المنطقة العربية ، وفي الشرق فارس ؛ حيث يأتي من هناك كل ما تحتاج إليه هرمز : كميات وفيرة من الذرة ، والماء ، والخشب ، وأنواع كثيرة من الفاكهة من البرتغال ، والمواصلات مضمونة من خلال أكثر من أربعمائة سفينة ، التي تنتشر بشكل متواصل ، ويطلق عليها اسم "تيراداس" .

يوجد في القلعة سبعون قطعة كبيرة من المدفعيات ، وكلها برونزية ، وهي محاطة بخندق مائي مما يجعلها قوية جداً ، وتمنع أي محاولة لإضعافها ، ويتم حراستها بشكل مستمر من قبل الحراس ، ويتم استخدام أكثر من خمسمائة جندي سنوياُ .

الميناء يكون دائما مليئاً بالسفن التي تأتي من كل المناطق في "الهند الشرقية" ، التي تجلب أكثر أنواع البضائع اختلافاً ، ومن بينها

المنسوجات والعقاقير ، التي يتم إرسالها جميعاً عبر فارس إلى المنطقة العربية ، وتركيا ، وحتى "أوروبا" .

بدأت الرحلة عبر اليابسة بواسطة القوافل ، بالتالي ، فإن مدينة هرمز مهمة جداً وتجلب عائدات ضخمة لجلالته .

يوجد على الجزيرة العديد من كنائس المسيحيين ، ومساجد المسلمين ، وكنيس اليهود ، ومعابد الوثنيين . بالقرب من كنيستنا كنيسة الرحمة يوجد للمغاربة مئذنة كبيرة بشكل لافت للأنظار ؛ حيث يعبدون محمدهم (صلى الله عليه وسلم) بشكل متواصل ، ويحتفلون بشعائرهم الدينية ، والقسيس الذي ينادي عليهم للصلاة لا يثق بأحد ، لدرجة أنه لا يفضل أن يخرج إلى الشرفة في المساء ؛ خوفاً من أن يطلق عليه النار ، وهو ما حدث بالفعل ذات مرة .

يعبر المسافرون باستمرار خلال اليابسة وخلال البحر ، في أثناء طريقهم إلى كافة مناطق العالم ، ويوجد خارج المدينة قطعة كبيرة من الأرض تسمى "لاكسديميرا" ، وهي مقبرة المسلمين ، ولقد رأيت العديد من القبور الكبيرة التي بنيت من الحجارة ، وهي مبيضة بماء الكلس ، وهي تشبه الكنائس الصغيرة الدائرية ، ومن ضمنها واحدة كبيرة ورائعة بشكل خاص ، وهي تخص ملك هرمز .

عندما يدخل أحد ما وينظر إلى الأناس الآخرين ، يرى بشرتهم شاحبة وكأنهم الجثث ، ولكن هذه الظاهرة متكررة في الجزيرة ، وهي متعلقة بوفرة الكبريت ، وعندما كنت أمشي هناك بدافع الفضول ، رأيت برهمياً ، الذي كان يتبعه العديد من الكلاب ، ولقد جمعهم

سوياً وأعطاهم بعض الطعام ، وهو ما لم يدهشني ، فقد رأيت أناساً من طبقته المنغلقة يقومون بالعديد من هذه الأشياء ، خاصة في أيام العيد .

إلا أنني قد سألته عن السبب ، وقد أجاب بأنه من الحق إعطاء هذه الصدقة لهذه الحيوانات ؛ لأن كون الإنسان قادراً على الكلام فهو مؤهل بشكل تام للتأكد بأن حاجاته قد تم إشباعها .

بعيداً إلى الامام كان يوجد جبل مرتفع ذو تربة جيرية ، تعلوها كنيسة صغيرة مهداة إلى سيدتنا سيدة "بينا" "Bena" ، وقد قال لي القسيس بأن هذا الجبل يخفض ويرفع نفسه كل عام ، وهي حقيقة يمكن إثبات صحتها .

لا زالوا يدرسون في هذه المدينة قصص "هوميروس" و"الأسكندر" و"داريوس" وغيرها من القصص القديمة البارزة ، وعندما قضيت يوماً أمام مقر الملك ، رأيت بالقرب من القصر المدارس والمعلمين الذين يدرسون بداخلها .

يباع كل شيء هناك بالوزن ، حتى الخشب والقش . تهب رياح ساخنة جداً وكأنها تهب من الجحيم تسمى "السري" ، وهي تتميز بصفة غريبة جداً ، فإذا وضع أحدهم الملابس التي يرتديها خارج المنزل ، واتخذ ملجأ أو ظلاً بالمنزل خلف الأبواب المغلقة ، سيكون بارداً ، ولكن الشخص غير المحمي لن يتحملها .

بالرغم من ذلك ، فإن هذه الرياح بحرارتها غير المحتملة يمكنها تدفئة المياه ، أينما كانت .

يتواجد في هذه الجزيرة نوع من الصخور يسمى : حجر السمكة ، ويقومون ببناء المنازل منها وهي تطفو على الماء كالفلّين .

هناك خشب يسمى "أويرا" وهو يسيل كالرصاص المصهور ، وينمو في الماء في البحر وهو المستخدم في هذه البلاد ، هي أرض غريبة ؛ حيث يمكن استخراج الملح من الجبل والخشب من البحر .

تغطى النساء المسلمات وجوههن بحجاب يغطى الوجه ، ليس فقط في هذه المدينة ولكن في فارس أيضاً ، وإثيوبيا وفي المنطقة العربية وتركيا .

تحتوي الجزيرة على العديد من منابع المياه المعطرة ، ونتيجة لذلك يكون هناك طلب إذا مر أحد في الشارع يقوم الرجال في الأسواق الخيرية برش المنازل ، والناس بها ، ويدفع الناس لهم مقابل ذلك ، حوالي ريال واحد من نقودنا .

لقد رأيت أيضاً شيئاً آخر ، الذي لا يجب أن أغفل عن ذكره ، فقد ذهبت في يوم ما لزيارة صديق لي عند سيدة النعمة ، وقد أشار إليّ قائلاً بأن رجلاً مسلماً كان يعمل في هذا المنزل بنّاءً ، ولقد توفيت زوجته وتركت له ابنة لا تزال طفلة ، ولأنه كان فقيراً لم يكن قادراً على الدفع لإحداهن لإرضاعها .

لقد خطرت له فكره إشباعها عن طريق وضعها بالقرب من صدره في أثناء نومها بالقرب منه في السرير ، وبعد لحظة كان يخرج اللبن ، وهو ما يكفي لإشباع طفل وكأنه أمه ، وفي يوم كان لديه فضول شديد ليفحص صدره ، ووجد أن لديه صدراً في حجم امرأة نحيفة إلى حد ما ، ولديها أطفال . الطفلة لا زالت على قيد الحياة ، وهي متزوجة وتؤكد القصة .

يوجد كل شيء في المدينة بوفرة ، اللحوم والأسماك والخبز وكل أنواع المعلبات ، مثل مربى الكمثرى ومختلف الفاكهة المجففة التي ترسل للهند بكميات كبيرة .

لا زلت أتذكر أشياء كثيرة ، ولكنها لن تكون مشوقة ، فهي معروفة جيداً في البرتغال .

الفصل التاسع : كيف غادرنا جزيرة هرمز ؛ كي نجد أرضاً صلبة في فارس في مكان يسمى "بانديل دي كوموراو" (ميناء كوموراو)(أ) .

في السابع من أغسطس عام ١٦٠٦م ، بعد عن حصلت على ما أحتاج إليه في رحلة العودة إلى البرتغال ، التي قررت القيام بها براً ، تركت جزيرة هرمز إلى "كاماراو" على الساحل الفارسي ، مسافة ثلاثة فراسخ .

ص ٢٦ في : "كوموراو" هي قلعة تخص جلالة الملك ، مبنية من طوب الطمي ، ومخصصة للاستخدام كمخزن للطعام والماء الذي يرسل كل يوم إلى الجزيرة ، وتوجد قرية على المحاذاة ، يسكنها السكان الأصليون الذين يعيشون في ظل القلعة .

لقد ظللت هناك لثمانية عشر أو تسعة عشر يوماً ، وهي المدة التي استغرقتها لإيجاد مطايا ؛ كي يمكننا المغادرة ، ولم يكن ينقصنا أي فاكهة طازجة أو أسماك أو لحوم أو أي من الأشياء التي تجعل الحياة مريحة .

(أ) كلمة (باندل) التي ترد كثيراً في النصوص البرتغالية حول تلك الفترة تعادل كلمة (بندر) وتعني الميناء .

لكننا بمجرد أن وجدنا خيولاً قررنا المغادرة مع بعض التجار الفارسيين ، الذين سنرافقهم حتى مدينة "لار" في فارس .

لقد غادرنا بسعادة شديدة في مساء الأحد السابع والعشرين من أغسطس ، ولقد ابتهجت عندما وجدت أننا في طريقنا إلى الديار ، إلى البرتغال ، وأكثر من ذلك أننا كنا ممتطين الخيول ، وهو ما استمتعت به كثيراً .

لقد ودعنا بعض البرتغاليين الذين كانوا هناك ، وتمنى لنا ضابط القلعة رحلة آمنة ، وحتى المسلمون وزوجاتهم جاؤوا ليغدقوا علينا بالكلمات وتنبؤوا لنا أننا سنحقق أهدافنا بدون أي حوادث مؤسفة .

لكن كل شيء في يد الله الذي يعطي دائماً نهاية سعيدة لكل الأحداث المبهمة وغير الأكيدة ، والذي يهدينا دائما إلى الطريق الصحيح ، مثل حبيبه "توبياس" "Topias" .

الفصل العاشر : كيف غادرنا "كوموراو" .

ماذا رأينا في الطريق إلى "لار" (لار) وفي المدينة .

في يوم الأحد السابع والعشرين من أغسطس ، بعد ثمانية عشر يوماً من الوصول إلى القلعة ، غادرنا ؛ كي نأخذ طريقنا إلى "لار" بقافلة مكونة من مائة وعشرين حماراً وبعض الجمال ، وبعد ثلاثة أيام ، وهو في يوم الثلاثين ، وصلنا إلى قرية تسمى "كاوريستاو" ، وهذا هو ما رأيته في طريق العودة للديار :

على بعد خمسة فراسخ من "كوموراو" وجدنا نبعاً صافياً وجيداً ،

يفور من عند سفح جبل ، ولكن المياه كانت في ملوحة مياه البحر ، وعلى بعد فرسخين من "كاوريستاو" يوجد جسر طويل ، وهو أطول جسر رأيته ، ولقد كان أكثر من نصفه مدمراً ، والجزء الذي لا زال صامداً لا يشكل أكثر من واحد وعشرين قوساً .

يجب أن يكون طول البنية نصف فرسخ كامل ، ويجري من تحته نهر ، الذي يهبط من جبل مرتفع ، والمياه مثل مياه النبع الذي تحدثت عنه ، ولقد تذوقت الماء في كل منهما ووجدتها مالحة مثل ما ذكرت .

في كل الطرق في فارس تجد بعد كل فرسخين أو ثلاثة نوعاً من الأبنية يسمى (كرافان سراي) / (النُّزُل) ، والذي ليس لديه وظيفة سوى أنه يعتبر ملجأً للمسافرين ، وعند الحافة يوجد اصطبلات للخيول ، وفي الوسط يوجد غرفة كبيرة على شكل صليب ؛ حيث يجمع الرجال أنفسهم . لا أحد يعيش هناك ، ولا يدفع المسافرون أي شيء مقابل إقامتهم هناك . يوجد بها جميعاً صهاريج لتجميع مياه الأمطار .

من عناية الله حقاً أن يجد المسافر السطح الذي يؤويه ، والماء له ولحيواناته في صحراء ، كل الماء الموجود بها ماء مالح .

تم بناء هذه النزل على نفقة مسلمين ، أثرياء من الذين استخدموا جزءاً من ثروتهم للأعمال الخيرية مثل هذه الأنواع أو غيرها ، البعض على حسابهم الخاص ، والبعض الآخر في ذكرى من توفي من عائلاتهم ، وقد طلب بعض منهم أيضاً أن تستخدم ممتلكاتهم عند موتهم في بناء مثل هذة الصهاريج والنزل .

إن المسلمين في هذا الإقليم يعملون بجد ، وينقصهم فقط الإيمان والمياه المعمودية .

في كل المملكة الفارسية يتمتع السكان بحرية شديدة ، لدرجة أن ملكهم الصفوي الأكبر لن يسمع أي حديث عن الجمارك أو الضرائب ، ولقد أعطاهم أيضاً مرافقين من الجنود ، الذين يحافظون على الفراسخ الثلاثة ، وقد انشغلوا باصطحاب القوافل من موقع استراحة إلى الأخرى ، والطرق أيضاً آمنة ، ولا يمكن لأي أحد أن يقابل في أي مكان في فارس لصاً أو من يمكن أن يتعرض لك بالضرر .

يوجد في قرية "كاوريستاو" بالكاد عشرة أو عشرون منزلاً وبعض الحدائق ، وحصن مبني من طوب الطمي ، لا يظهر به ولا قطعة مدفعية واحدة .

لقد وصلنا في التاسعة مساء وغادرنا أيضاً في الربع الأول من الليل ؛ كي نسافر حتى الثانية صباحاً ، ثم استرحنا حتى نهاية بعد ظهر اليوم التالي في أحد هذه النزل ؛ حيث تركت اسمي منقوشاً على الحائط ضمن أسماء أخرى ، للمسلمين ولأهل "البندقية" .

بعد ذلك توقفنا عند قرية تسمى "كرومو" ، وهي تعني بلغتنا "نخيل التمر" / نخيلوه؟! ؛ حيث يوجد الكثير من التمور هناك . أشجار النخيل كثيرة جداً ، لدرجة أننا كنا محاطين بها بالكامل حتى مقدار فرسخ واحد على الأقل . بعد هذه القرية توقفنا عند نزل يبعد أربعة فراسخ إلى الأمام ، وغادرناه في اليوم التالي في الرابعة بعد الظهر ؛ لتغطية الثلاثة فراسخ التي تفصلنا عن" لار" .

لم يكن من الممكن دخول المدينة في ذلك اليوم ، فقد حل الليل ، ويسمح فقط بالدخول والخروج منها خلال النهار ، والتعدي على هذا القانون يكون نتيجته عقوبة قصوى ، وقد تم تنصيب أربعين جندي

للحراسة ليلاً ، ولذلك لم ندخل "لار" حتى صباح اليوم التالي ، ووجدنا هنا أربعة مقيمين برتغاليين ، والذين كانوا منتظرين هناك مع بضائعهم منتظرين فرصة للعودة إلى هرمز .

في الحقيقة بالرغم من أنه يمكن السفر من هرمز إلى فارس ، فإن الطريق مقطوع في الجهة المقابلة ؛ نظراً للحرب بين "صبوفي" وملك هرمز .

قد قاموا بزيارتي ورحبوا بي كصديق أو ابن بلد ، وأروني المدينة ؛ حيث وجدت سوقاً خيرية ومتجراً ، وهو أفضل ما رأيت في فارس ، وبه فاكهة جيدة من البرتغال وأنسجة وكافة الأشياء التي لا غنى عنها للإنسان ، وكان هناك أيضاً حصن مبني من طوب الطمي ، ولكنه صلب ، وهو الأحسن بناء من نوعه ؛ حيث ترك به الصفوي الأكبر حامية ، وأخضع هذه المملكة لملكه قبل سنتين فقط .

قتل الملك الذي كان يحكم في هذه الفترة اثنين من أهالي "البندقية" ، كانا يعبران من أجل سرقتهما ، ولم يستطع الصفوي تحمل مثل هذه القسوة وهذه الجريمة ، وأرسل لواء قوياً جداً إلى الملك ، الذي دافع عنه ، وأخذ مملكته منه ، وأخذ سجيناً في أثناء تناول الطعام في خيمته ، وقتله بوحشية في أثناء ذلك .

نتيجة لذلك أصبح للصوفي الأكبر نائباً هناك الآن . المدينة محاطة بالعديد من الحدائق ، ويتم رشها جميعاً بالماء من الصهاريج ، فلا يوجد أي مورد آخر ، واحدة من هذه الحدائق ممتعة جداً ، فهي تتبع إلى الملك ، ولقد دفعني الفضول إلى الدخول إليها في يوم ما ، ووجدت هناك العديد من أشجار الزهور ، وبالنسبة للفاكهة ، كان هناك العديد من

الرمان ، وكان هناك أيضاً شجرة صنوبر ، وزيتون ، والذي كان يتم الاعتناء به جيداً ؛ حيث إنه يعد نوعاً غريباً على هذه الدولة .

في نفس اليوم أخذت طريقي إلى حديقة أخرى ، صغيرة ولكنها لافتة للنظر أكثر ، ولا تزال ظليلة في الأيام الأكثر حرارة ، مزينة ببركة جميلة ، ومحاطة بمقاعد تحتها كرمة ، وقد أكد مسلم -وهو مالكها- بأنها عمل برتغالي ولد في قلعة "مالابار" ، وهو من "كالديريا" ، وهو الذي ارتد عن ديننا الحنيف .

وجاء إلى هذا المكان مع آخر ملك ، والذي تزوج أخت زوجتة . كانت هذه السيدة لا زالت حية ، ومعها طفلان ، وقد كانت أكبر أمنية لها - كما أخبرتني -هي أن تتركهم في أرض مسيحية .

في هذة المدينة نجد لحم ضأن ممتاز ، وهو جيد جداً ، لدرجة أننا سنصفه بأنه من جودة أكثر خمسة مرات ، وكذلك ، فإنه رخيص جداً . يمكن أن يشتري أحد ما أربع دجاجات ذات جودة أولى مقابل تسعة ريالات ، وبالنسبة لطائر الحجل ، اشترى لي خادمي حوالي أربعة وعشرين أو خمسة وعشرين مقابل تسعين ريالاً ، وهو من النوع الذي يساوي "أشرفياً" في "غوا" .

بتعبير أدق ، فإنه لا يمكن مقارنة أي من الفاكهة الوفيرة والجيدة جداً ، بالتي في أوروبا ، كالخوخ ، والكمثرى ، والرمان ، والسفرجل ، والعنب الرائع ، ذات الأنواع الكثيرة ، ولن أبتعد كثيراً ؛ كي أقول إنها أفضل من التي توجد في البرتغال حتى لا يشك في وطنيتي .

الفصل الحادي عشر : مدينة "لار" وما يحيط بها .

"لار" هي أكبر وأغنى المدن في فارس ، وقد اشتق من اسمها كلمة "لارينز" ، وهي عملات وجدت بقدر كبير في الهند كما هي في فارس ، وليس العكس كما يعتقد البعض ، ولقد جاءت في الحقيقة أول كلمة "لارينز" من "لار" ، وقد كانت أول مدينة ضربت فيها ، وقيمة هذه العملات معروفة جداً ، والفضة التي تصنع منها ذات معايير جيدة جداً لدرجة أنها أصبحت تستخدم عبر الشرق .

كانت "لار" عاصمة المملكة لمدة تسعمائة عام ، حتى عام ١٦٠٢م ، عندما تم تدميرها من قبل "الفيرديكاو" ، أحد ضباط الصفوي الأكبر ، ولقد تم قتل ملكها "إبراهانيكون" ، ولم يكن ذلك أكثر من مجرد عقاب ؛ لأنه كان قاسياً دائماً ، خاصة بالنسبة للمسيحيين .

لقد كان يحصل على عقابه من الله في مناسبات كثيرة جداً ، ولكن ذلك لم يتسبب في تحسين أساليبه ، بل بالعكس . لذلك ، من أربع عشرة سنة أرسل الله إلى المدينة زلزالاً دمر جزءاً كبيراً منها ، وأدى إلى وجود العديد من الضحايا ، ولكن الملك تمكن من الهرب من الموت عندما هرب إلى أحد قصوره الثلاثة .

في مناسبة أخرى مرت سبع سنوات بدون مطر ، مما أدى إلى وجود مجاعة ، ومات العديد من الناس ، ولكن هذه الإنذارات من الله لم تكن كافية لتحسين الأمور ، ولقد رأيناه في أسوأ حالته في وقت كارثة نخيلوه عام ١٥٨٨م ، ولقد كانت هرمز تحت قيادة "ماثياس دي البوكويرك" في ذلك الوقت ، ولقد مات ثلاثمائة برتغالي في المعركة .

لم يكن الملك راضياً عن هذه المذبحة ، التي لم تكن كافية لتتغلب على كرهه ، وقد قام الملك بتجميع عظامهم وجماجمهم وأرسلها إلى "لار" ؛ كي يقدمها كقربانٍ إلى الإله ، وكان له مئذنة فخمة بنيت ؛ كي تعرض هذه البقايا الحزينة لإثارة المسلمين ضدنا .

لقد شاء الله سيدنا ، وهو من لا يستسلم ، حماية عظام المخلصين هذه من عار أن تعرض كشكل من أشكال الكره ، للذين لا يعرفون الإيمان الحقيقي ولا الحقيقة ذاتها ، وقد أرسل زلزالاً آخر دمر المدينة وكل السكان ، ولقد كانت المئذنة الكريهة منغمسة في الأرض ، واختفت تماماً ، ولذلك قام بدفن عظام أصدقائه وأتباعه المخلصين المصقولة في نفس الوقت الذي دمر فيه أعداءه الخائنين للدين الحنيف .

بعد سبع سنوات تم إعادة بناء المدينة ، وتمنى الملك إكمال مسيرته من الأعمال الشريرة ، ولكن الله لوح بسيف العقاب ؛ كي يقطع خيط حياته ، وهذا ما قد حدث :

لقد قتل ثلاثة تجار من "البندقية" ، الذين دخلوا مملكته من أجل الاستيلاء على بضائعهم ، ولقد تم إبلاغ هذا الظلم على الفور إلى الصفوي الأكبر من قبل رجل من "البندقية" كان ضمن حاشيته ، وقد أرسل أمام الملك ضابطاً أنيقاً جداً ، يسمى "الفيرديكاو" ، والذي قد قام بقتله .

لقد تم تدمير مدينة "لار" ، وعادت إلى مملكة فارس ، أبيدت القلعة وقتل خمسمائة مسلم بالسيف ، بدون أن يصارعوا أو يقاوموا .

بعد أربع سنوات تم إعادة بناء المدينة ، وتم بناء مبنيين مميزين للصوفي الأكبر هناك :

أحدهما قلعة كبيرة قوية ، تقع عند قمة هضبة وتسيطر على المدينة بأكملها . محيطها أكثر من نصف فرسخ ، وتتضمن ثمانية وعشرين معقلاً ؛ حيث يظل الجنود للمراقبة طوال الليل ، ويتبادلون الأدوار في واجب الحراسة ، وهم يصرخون وينادون من معقل إلى آخر ؛ كي يمنعوا أنفسهم عن النوم .

تتكون الحامية من مئات الجنود ، الذين لا يسمح لهم بمغادرة المدينة ، ولا حتى ترك ضابطهم ؛ بسبب خيانة حدثت من قبل سكان المدينة ، وحتى داخلها لا يمكنهم الذهاب إلى أي مكان ، ولا يحق لسكان المدينة حمل السلاح ، ولا يوجد متاريس في المدينة ، وهناك جبالان عاليان يحيطان بالمدينة يأخذان مكانهما (المتاريس) .

البناء الآخر المميز هو سوق خيري أو متجر جميل ، وهو مغطى كلياً ، ويتضمن رواقاً مقنطراً ، مبنياً من الطوب ، وبالتالي فهو محمي من المطر والشمس ، وهناك ثقب على شكل صليب ويوجد برج في الوسط ، على شكل مشكاة ، والسقف على شكل قبة ، مبني بشكل جيد جداً وممتع للغاية ، وفي الأسفل كان هناك ينبوع به العديد من النوافير ، وتسقط المياه من خلالها إلى حوض كبير دائري ومنه تنتشر في قنوات تحت الأرض وتذهب لتروي الحدائق المحيطة .

يوجد مسجد كبير بالقرب من هذا السوق ، وهو المسجد الوحيد في المدينة . يبجله المسلمون جداً ، فقد دفن فيه أحد علماء دينهم ، يرقد خارج المسجد في فناء جميل .

هناك مقبرة من الرخام تضاء بها العديد من المصابيح كل مساء ،

ويمكن رؤية بركة بجوارها ، مليئة بالماء ؛ حيث يأتي المسلمون الورعون إليها ؛ كي يغسلوا عيونهم ويأخذوا الماء للمرضى . يتواجد في هذا المسجد في كل الأوقات العديد من النساء والفقراء الذين يدعون لمن يقدمون لهم صدقات ، كما يقوم أكفّاء البصر بذلك في إسبانيا .

سيدة هذه المدينة مختلفة بشكل واضح عن غيرها ، رغم أنها ترتدي الطراز الإسلامي ، ولقد كانت زوجة مرتد ، وهو يؤدي الصدقات بدون تعب ، كما قيل لي ، ويمارس بعض الأعمال الدينية والروحية ، التي قد عرضت عليَّ ، من بينها كتاب الساعات الذي يقوم بالصلاة على أساسه .

لقد وهب روحه لله ، ولقد شجع زوجته أن تقوم بذلك مثله ، وتخلى عن قانون الله ، وقد كان لها طفلان ، صبي وفتاة ، وقد تركهم زوجها معها ، ويبدو أنه قد تم تعميدهم من قبل أبيهم أو أحد راهبي القديس "أوغسطين" الذي مر بهذا الطريق .

الفصل الثاني عشر : مغادرتنا لـ "لار" ومغامراتنا في الطريق إلى شيراز .

بعد أن أمضينا خمسة أيام في مدينة "لار" وودعنا التجار البرتغاليين الذين يعيشون هناك ، غادرنا مبكراً يوم السبت التاسع من سبتمبر إلى شيراز ، وهي معروفة في كل العالم ؛ بسبب مكتشفها "سيروس" .

في نفس اليوم نمنا في قرية تسمى "إتشو" ، التي غادرناها في اليوم التالي ، العاشر في الشهر ، قرب الفجر ؛ كي نصل إلى قرية إخرى ، وهي "بيكسيم" ؛ حيث استرحنا وأنعشنا أنفسنا .

"بيكسيم" "Bixim" كبيرة وبها منازل جميلة ، بالرغم من أنها مبنية

من الطمي ، وهنا يعطوننا خمسة وعشرين حجلاً مقابل لارين ؛ أي : تسعين ريالاً تقريباً ، ودجاجاً ممتازاً الخمسة مقابل لارين واحد ، وتلك هي الأسعار في فارس كلها .

في ساعة صلاة المساء ، غادرنا وتوقفنا بالقرب من نهر جميل مياهه رائعة ، بعد أن انطلقنا مرة أخرى إلى الأمام في الصباح الباكر ، سافرنا إلى قرية كبيرة وجميلة جداً ، بالقرب من نهر آخر يستخدم لإدارة طاحونتين مائيتين ، تقع هذه المنطقة المكتظة بالمباني على حافة سهل واسع عند سفح جبل شديد الانحدار .

وجدنا هناك الكثير من التمر ، وهناك حصن مبني من طوب الطمي ، وقد تم إنشاؤه جيداً ، وبه معقلان ، ومحاط بتحصينات خارجية ، وفي المنطقة الريفية المجاورة رأينا العديد من الغزلان الرائعة ، التي تزايد موسم صيدها والبحث عنها كثيراً في هذه المنطقة .

بعد أن انطلقنا مرة أخرى في اليوم التالي ، وجدنا أنفسنا عند وقت الطعام في مكان تم بناء (كرفان سراي)/ نُزُل فخم فيه ، على نظام أحدهم "قمبر بيك" ، وهو حاكم "لار" ، ويمكننا الشراء من هناك أفضل أنواع البطيخ التي رأيتها على الاطلاق ، سواء بالنسبة لحجمه أو جودته أو نكهته الحلوة ، لدرجة أنه قد خطرت لي فكرة الاحتفاظ بالبذور ؛ كي أزرعها في البرتغال .

قد غادرنا هذا المكان في الرابعة بعد الظهر ؛ كي نسافر حتى حلول الليل ، وبدا الطريق طويلاً جداً بالنسبة لنا ، وقد يقول أحدهم بأننا قد ابتلينا به تكفيراً لذنوبنا .

لقد كان من الصعب تسلق جبال شديدة الارتفاع ؛ لأنها شديدة الانحدار ، وقد يكون من الضروري في بعض الأحيان تسلقها ، أحياناً لاعتراش الجزء السفلي زحفاً على الأربع ، وفي لحظة واحدة أخذنا طريقاً ضيقاً بين جبلين ، وهو ما أدهشنا للغاية ، فبالرغم من أنه من صنع الطبيعة ، إلا أنه يبدو وكأنه محفور بمعول ، وقد كان هناك مكان لحيوان واحد فقط ليمر ، وإذا نظر أحد إلى قمته سيصيبه الارتفاع بالدوار ، وقد كانت صخور الجدران ملساء جداً ، كأنها غسلت بالكلس .

يتسبب صدى الأصوات في هذا الوادي بحدوث هذا الضجيج ، وكأنه قادم من الجحيم .

عندما خرجنا من هذه الجبال الوحشية كنا مرهقين جداً ، ومثبطي الهمة ، لدرجة أننا هجرنا فكرة السفر قدماً ؛ كي ننام في قرية على بعد فرسخ .

عندما غادرنا بحلول الصبح وصلنا هناك على الفور ، وقد كان الجو معتدل البرودة جداً ، وقد أعطت اسمها (جرم) إلى الجبل المجاور ، وبعد كل المشقة التي سببها لنا الطريق الصعب ، بدت لنا هذه وكأنها الأرض الموعودة للإسرائيلين ، وهي مكان معتدل الحرارة ؛ حيث إنه يظله العديد من شجر الفاكهة التي نعرفها ، وبالرغم من أنها لم تكن كبيرة ، فقد كان في القرية سوق أو متجر ، الذي لم يكن أقل من الذي كان في "لار" ، وهو محاط أيضاً برواق مقنطر ، مثل الآخر ، وبه مشكاة في الوسط ، وهو يتعداه في الكمية وتنوع المنتجات المعروضة .

يوجد هناك متجر للفواكه ، الذي يمكن أن ينافس متجر "ريبيرا"

"Rebeira" في "لشبونه" ، ومع ذلك فهو مجهز جيداً ؛ حيث يوجد العديد من الفاكهة وبأنواع مختلفة ، ولكنها أرخص من التي في الديار ، فبلارين واحد يمكن شراء اثنين وثلاثين رطلاً من العنب الممتاز .

قد سافرنا في الطريق مرة أخرى في ساعة صلاة المساء ، وتوقفنا عند حقل قطن ، بالقرب من نهر من الماء العذب ، وكان ذلك فقط حتى ظهور نجوم الصباح ، ثم سرنا حتى الثامنة مساء ، واسترحنا عندما اشتد الحر في قرية تسمى "صفرة" . المكان هناك معتدل الحرارة جداً ، وينمو هناك العديد من أشجار السرو .

يمكن رؤية أشجار البساتين والكرمات ، ولقد تمددت لأخذ قيلولة في ظل شجرة زيتون كثيفة الأغصان ، التي أعادت إلى ذاكرتي الكثير من الذكريات ، أكثر من أي شجرة أخرى في هذه الأراضي .

من الجدير بالذكر أن معظم العنب في فارس بلا بذور ، وعندما دهشت من ذلك ، قالوا لي بأنه عندما يهذبون جذع الكرمة ، فإنهم يزيلون القلب ، خاصة من التي خصصت لعمل الزبيب المجفف ، بالإضافة إلى كافة أنواع الخراف ذات الجودة الممتازة ، والقطط ذات الفراء الطويل ، وهي جميلة جدًا وقيمتها مرتفعة في كل مكان .

قد انطلقنا مرة أخرى مشياً على الأقدام بعد الظهر ، في طريقنا حتى أول ربع من الليل ، وتوقفنا منهكين ، عند هذه المرحلة من رحلتنا ، التي كانت أطول من العادة ، عند قرية صغيرة بها خمسة أو ستة منازل ، ولكن يبدو أن هذه التجربة الطويلة والمؤلمة لم تكن منهكة بالنسبة ليهودي عجوز ، قد تقدم به العمر بالفعل ، والذي كان بصحبتنا .

فضلاً عن الراحة مع القافلة ، وتخفيف التعب وممارسة ما يقوم به الرجال العجائز ، فقد تركنا ؛ كي يستعد للمشي طوال الليل ؛ كي يصل إلى نُزُل على بعد سبعة فراسخ ؛ كي يستريح فيه في اليوم التالي ، وهو يوم السبت ، وهو يوم مقدس لشعبه ، وغادر مرة أخرى يوم الأحد مع القافلة .

يمكنني أن أتذكر أيضاً أشياء أكثر غرابة في فصل آخر ، تتعلق بالصحراء وبفلسطين ، ويمكننا أن نرى بعد ذلك إلى أي مدى حرص اليهودي العنيد على اتباع القانون الموسوي .

انطلقنا مرة أخرى بعد مرور ربع الفجر ، وتوقفنا عند نبع ماء عذب بالقرب من نزل آخر قد تم بناؤه ، وقد أخذنا قيلولتنا مرة أخرى في ظل أشجار ، كانت كثيرة جداً في هذا المكان ، التي كانت تنبعث منها روائح طيبة ؛ وذلك كي نحمي أنفسنا من الحر .

لقد كانت قريبة جداً ؛ كي يحكم على فاكهتها وأوراقها ومقارنتها بشجر المصطكى أو "اللينتيسك" البرتغالي ؛ حيث إنها أطول وأكثر أغصانا ، يفوح منها بدون توقف روائح جميلة ، أو زيت "التربنتين" النقي في شكل قطرات مثل العسل .

لقد صنعت آبار "الراتبينج" هذه بين لحاء وجذع الشجرة في هذا الشرخ البليغ ، ومن أجل جعل تجميعه أسهل هناك أوعية صغيرة من الطمي على شكل عش السنونو ، وهي متصلة بالأشجار ؛ كي يتجمع السائل بداخلها .

قد غادرنا أيضاً في وقت صلاة المساء ، وتقدمنا ثلاثة فراسخ قبل أن ننام .

في الصباح الباكر من اليوم التالي اتجهت القافلة إلى نزل كبير وجميل ورائع جداً ؛ حيث كان المكان كافياً للناس والحيوانات ، وقد وجدنا هناك اليهودي الذي تركناه ؛ كي لا يسافر يوم السبت ، وقد كان راضياً بأنه اتبع قانونه ، وقد انضم إلينا مرة أخرى .

في ذلك اليوم نمنا بالقرب من بحيرة ممتدة جميلة وكبيرة جداً ، كانت مليئة بالأسماك ، وهي تسقي قرية تسمى "تيرو" ، وقد مكثنا هناك طوال الليل حتى صباح اليوم التالي - كان ذلك هو إقليم "مكروروس" - مالكي حيوان الزبار "وحش الأحمال" (beast of burden) ، وتوجد زوجاتهم وأطفالهم هناك .

قد كان هناك الكثير من السمك في المياه العذبة للنهر ، فقد أردنا أن نصطاد ، ولم يكن لدينا صنارة ، فقمنا باصطياد بعضها بالإبر ، وقد قمنا في المساء بعمل طبق من الكاري بما اصطدناه ، وأكلنا بسعادة شديدة ، وحمدنا الله على نعمة خلق السمك لنا ؛ كي نأكله .

في اليوم التالي ظل هناك فرسخان فقط للسفر ؛ كي نصل إلى شيراز ، وبالتالي كنا في حاجة إلى يومين .

الفصل الثالث عشر : إقامتنا في شيراز .

دخلنا مدينة شيراز يوم الاثنين التاسع عشر من سبتمبر في الصباح الباكر ، وقابلت مباشرة بعض الفرسان المغاربة الذين كانوا يعبرون ، وقد قاموا بتحيتي بلغتنا ، ولقد استنتجت من ذلك أنهم كانوا يعيشون في هرمز أو في الهند ؛ لأنه من الواضح أنهم لم يكونوا مسيحيين ، ومن

الحقيقي أن التجار المسيحين الذين يجوبون هذه البلاد يرتدون عادة ملابس مثل الفرس ، وربما هو كذلك في هذه الحالة .

عندما ذهبنا ؛ كي نقيم في نزل كبير وجميل ، وهو أحد الثلاثة الموجودة في المدينة كملجأ للمسافرين ، وهو يخص الخان الذي يحكم المدينة ، ولقد منحته غرفه الكبيرة والمبهجة جو منازل اللوردات أكثر من كونه حانة للغرباء ، وهو يضم مهجعاً كبيراً ، على شكل مربع ، مثل الذي في الدير ، ويحيط بفناء ويوجد في وسطه نافورة .

قد كان محمياً بجدار منخفض من الطوب ذي طراز من النقش المخرم ، وهو ما منع الحيوانات من الاقتراب منه .

كان حول كل هذه الباحة شرفة بها رواق مقنطر ، تفتح عليه غرف النوم التي تشبه الزنازين ، وفي كافة الطوابق العليا والسفلى كان هناك مائة وثلاثون منهما ، وقد وجدنا أجناساً كثيرة من البشر ، من العديد من الدول ، فـرس ، وعرب ، وأتراك ، و"برهميون" ، ومن أهل "البندقية" ، وإغريق ، وأرمن ، و"مجريون" ، ويهود ، ومن دون أن نتحدث عن أنفسنا ، كبرتغاليين .

لقد صمم هذا البناء ليس فقط للرجال ، بل للبضائع والحيوانات ، ويمكن وضع الذهب هناك ، والتأكد من أن كل شيء لن يسرق ، ولا حتى قشة ، فهو يحرس ليلاً ونهاراً ، وإذا اختفى أي شيء حتى ولو كان إبرة ، يجبر الحراس على دفع ثمنه ، بالإضافة إلى أنهم يعاقبون بشدة ويعرضون للتعذيب .

يجلب هذا النزل سنوياً مائتي تومانٍ ، وكل تومان واحد يساوي ستين باراداوس لارين .

قد قابلنا في هذا المكان ثلاثة تجار من "البندقية" ، كان اثنان منهم مسافرين من تركيا إلى هرمز ، وقد قاموا بدعوتنا للعشاء في ذلك اليوم ، ولقد حصلنا أيضاً على زيارة من بعض اليهود ، وقد تحدث معظمهم الإسبانية .

كان هناك أيضاً رجل عجوز يتحدث البرتغالية جيداً ، وكان سعيداً جداً لرؤيتنا ، فهو يحب البرتغال ؛ حيث إن أجداده جاءوا من هناك عندما طرد اليهود من هناك ، وفي اللحظة التي كان سيستأذننا فيها بالمغادرة وصل مرتد ، والذي كان أصله يعود إلى "غوا" "Goa" ، والذي سمع اليهودي يتحدث بالبرتغالية ، وهو مسلم منذ ثلاث سنوات . سأل الأخير السؤال التالي : "يا صديقي ، هل يتوافق دينك مع لغتك أو مع زيك ؟" .

أجاب المرتد : "سيدي اليهودي ، إذا كنت أرتدي هذه الملابس ، فإنني في قرارة قلبي أحمل دين المسيح" .

عندما سألته لماذا لم يرجع إلى الهند ، قال بأنه كان في انتظار الفرصة للقيام بذلك ، وإذا لم يكن قد غادرها فذلك يعود إلى نقص الأموال ، وقد فهمت في الحال ، وقد تبين لي ذلك في النهاية ، بأنه أراد صحبتنا فقط ؛ كي يحصل على بعض المال منا ؛ وليس لأنه أراد أن يكون مسيحياً .

عندما كان يتحدث معنا مر أحد الوثنيين من أبناء طبقة البرهمية ، والذي نشأ في الهند بين البرتغاليين ، وقد عرف هذا الهجين جيداً ، فقد تضايق عندما رآه يتصرف بهذه الطريقة ، ولذلك اقترب منه وربّت

علي كتفه ، وقال : "اسمع "فوم" ، أفهم أنك قد جئت ؛ كي ترى هؤلاء الرجال ، ولكنني لا أعلم إذا كان الله هو الذي أرسلك ، ويبدو لي أنه إذا كنت تعاني من الندم فستكون عيناك مليئة بالدموع ؛ حيث إنه لا يوجد وثني غيري ، وأستطيع أن أشعر بالقسوة التي تخفيها في قلبك" .

مع كلمات البرهمي تلك ، ارتبك المرتد وأسرع قائلاً له : "اسمع "بودو" "Budo" (وقد كان هذا اسمه) ، إن هذا ليس من شأنك ، فأنت أسوأ مني ، فأنت لا تملك لا قانوناً ولا معمودية" .

"وحتى لو يا "فوم" (قال الوثني) بالرغم من أن ما تقوله صحيح ، فلم أبتعد حتى أرتد عن ديني ، أنا أفضل حالاً ، فما قمت به أنت أكثر عاراً ، يا من كان أبواك المسيحيين ، وذلك عندما أصبحت مسلماً وبدلت قانوناً مقدساً وهو قانون المسيحيين بخدع القرود" .

بالتالي سمع من البرهمي ما لم نستطع جميعاً أن نقوله له ، والذي تحدث إليه مباشرة ، بصراحة وبدون مشاعر ، وكأنه يتحدث مع شخص لم يخف منه ، ولم يكن يدين له بشيء .

كان المرتد مرتبكاً ، وكان مهاناً جداً ، وغادر بسرعة ، ووعدنا بأنه سيعود مرة أخرى لاحقاً ليتحدث إلينا بشكل مطول ، وغادرا كلاهما ، وقد علمنا لاحقاً من الوثني بأنهما تقابلا مرة أخرى في اليوم التالي وقد هدد الرجل الآخر بقتله ، إذا تدخل مرة أخرى في شأنه .

لم تعد شيراز هي ذاتها المدينة في الوقت الذي كان يقال عنها : عندما كانت شيراز شيرازاً ، كانت "القاهرة" العظمى مجرد قرية مقارنة بالمدينة كثيفة السكان ، والتي بالكاد يبقى بها أي أثر للأقدام .

تقع المدينة الجديدة على بعد فرسخين . يقول البعض بأن "سيراس" ملك فارس هو الذي اكتشف المدينة ، ويقول البعض الآخر بأنها كانت غنية بالفعل من قبل عصره ، ولذلك السبب أنشأ بلاطه ومسكنه هناك وجعلها عاصمة المملكة .

كان الذين يأتون إلى البلاط يقولون "أنا ذاهب إلى سيراس" ومن هنا اشتق الاسم ، فقد كانت تعرف من قبل باسم : "بيرسيبوليس" ، وقد علمت كل ذلك من فارسي عجوز .

تنهض مدينة شيراز الجديدة عند سفح أربعة جبال ، كل منها يعد نقطة بداية طريق باتجاه هرمز ، وباتجاه "أفيزا" (أهواز) وباتجاه أصفهان ؛ حيث يوجد الآن بلاط الصفوي ، وباتجاه "جيست" (يزد) . هي إحدى أجمل المدن في فارس ، فهي محاطة بالعديد من بساتين الأشجار ، وبساتين زراعة الخضر وحدائق الزينة .

من بينها واحدة تسمى حديقة الملك ، وهي معتدلة الجو ، وبها الكثير من الفاكهة والماء ، وهي الأكثر شهرة في البرتغال ، ولقد تباهوا بها لدرجة أنني أردت أن أكتشف ذلك بنفسي ، وهي بالتأكيد إحدى أجمل الأشياء التي رأيتها في رحلتي .

أغرب شيء لم يكن نظام الري ، إلا أن ذلك كان غير عادي ؛ حيث إن الأرض كانت تسقى بواسطة جدولين جيدين ، ولكن الحوض الرخامي الدائري الذي يوجد في الوسط ، وهو كبير جداً لدرجة أنه يمكن أن يظنه أحد ما بركة .

يرسو هناك قارب تجديف ، والذي يستخدمه الخان لاصطياد البط ، وهو كثير جداً في هذا المكان .

طول الحديقة دائرياً حوالي فرسخ واحد ، وهي مقسمة بواسطة عدة ممرات محاطة بأشجار عملاقة ، هناك ممشى شجر جار فيه الماء ، أو ممشى شجر السرو ، وممشى الحور ، أو أحد الأشجار المعتدلة والمستوية . يمكن أن يسير أسفل كل منها من ثمانية إلى عشرة رجال جنباً إلى جنب .

يمكن مقارنة الشجرة المستوية بـ "نوتردام" ، فهي شجرة طويلة وكثيفة الأغصان ، وهي تعطي ظلاً بارداً جداً ، وهي تنمو طبيعياً هناك ؛ حيث يوجد الكثير من الماء ، وتشبه أوراقها أوراق الكرمة ، فهي صغيرة ، وشبيهة براحة اليد ، وبها ثلاث حواف .

يوجد باتجاه مدخل الحديقة مدرسة ركوب الخيل ، وهي موجودة في الهواء الطلق ، بها أربعة أعمدة ، اثنان في الوسط واثنان عند المدخل . يصل عرضها إلى المسافة التي يمكن أن يلقي عندها رجل قوي صخرة ، وطولها ربع فرسخ .

يأتي الخان إلى هناك مع بعض الفرسان من المدينة ؛ للعب في مدرج الألعاب الرياضية ولركوب الخيل .

يتم الدخول إلى هذة الحديقة عن طريق بوابات وغرف استقبال ، ويوجد في منتصف المنطقة قصر جميل .

لكوننا أجانب ، فكرنا في أن نسعد البستاني ، وذهبنا إلى الداخل وأبدينا اهتماماً بزهرة الربيع ، والياسمين ، والزنبق ، والمتيولا ، وصفوف السرو الصغيرة المتصلة بالكرمة المتسلقة وينابيعها ، وما بها من نوافير

مياه صافية ، وأكثر شيء أدهشني هو ما علمته من بولندي كان معنا ، بأنه كان في القصر العديد من الصور الملونة ، كانت إحداها لسيدتنا مع ابنها المقدس بين ذراعيها ، وكانت مبجلة تحت اسم مريم .

لكنني لم أدخل ؛ لأن الباب كان مغلقاً ، ولم يملك البستاني المفتاح .

لقد قابلت في هذه الحديقة الخان ، نائب ملك المدينة ، وكان بصحبة سبعة أو ثمانية رجال ، وقد ركبوا جميعهم على حمير صغيرة ، وقد كانت جميعها بدينة ، وسُرُجها مغطاة جيداً بغطاء مزركش ، ولقد سألت عن السبب وقيل لي بأنه بسبب الأشجار التي كان لها غالباً أفرعٌ منخفضة ، وأوراقٌ سميكة ، وليس بسبب قلة الركوبات الأخرى الجيدة والرخيصة في تلك الأرض .

لقد اشتريت بنفسي واحدة ، وقد كلفتني ستة عشر "بيزو" ؛ أي : حوالي ستة عشر "باتاكاز" بنقودنا ، وقد قمت ببيعها مرة أخرى ، بعد أن استخدمتها لمدة أربعة أشهر مقابل ثمانية وثلاثين في حلب في تركيا .

يوجد أنواع كثيرة من الفاكهة في هذه الحديقة ، بكميات كثيرة ، مقسمة إلى مجموعات لكل نوع ، ولكنه بما أنه الآن هو نهاية سبتمبر ، فقد بقي هناك السفرجل فقط ، ولقد تفاجأت عندما رأيت العديد منه ، ولم يكن هناك من أشجار فاكهة أخرى ، فهي كبيرة وغنية بالنكهة مثل الكوسا عندنا في البرتغال .

يوجد في المدينة سوقان كبيران ؛ حيث يتم بيع العديد من الأشياء ، ومن الممكن شراء كميات وفيرة من الأطعمة ذات الجودة العالية مرة واحدة وبسعر رخيص ، ولكن ليس الأسماك ، فالمسلمون في هذه

المنطقة لا يأكلونها ، أحد الأسباب هو البعد عن البحر ، والسبب الآخر ؛ لأنهم لا يحبونها .

قد رأيت هناك أنواعاً كثيرة من الخوخ ، والكمثرى ، ولكنها من نفس النوع ، والعنب ذا المذاق الرائع ، ولونه أكثر ذهبية مما رأيته في حياتي ، والعنب الأسود حلو جداً ؛ لدرجة أنه يمكن لأحد أن يقول بأنه سكر خالص ، وبعض القاوون ، والبطيخ ، والدجاج ، بالسعر الذي ذكرته من قبل ، والحجل ، وفوق كل ذلك لحم الضأن الأطيب نكهة على الإطلاق ، والذي أكلته ، فعندما يكون مشوياً لا يمكن أن تفرق بينه وبين لحم الخنزير الطازج .

كان هناك أيضاً الكثير من الخضراوات ، وبالتحديد هناك نوع من الملفوف ، الذي يؤكل قلبه فقط ، والذي ينمو على مستوى الأرض ، ويتم رمي الأوراق . بتعبير آخر ، فقد تمكنا من أن نأكل كما كنا في "لشبونه" ، وفي السوق الآخر يبيعون الأنسجة والبضائع الحريرية .

يوجد في شيراز خمسون مسجداً ، بمآذنها ، فضلاً عن المساجد الأخرى الصغيرة التي يوجد الكثير منها . جميع المآذن مزينة بشكل ثري ، وبها رقاقات مصقولة من الداخل والخارج . يمكن أن ترى مرة أخرى بعض المنازل الجميلة ، مبنية من الطوب ، وأحدها هو قصر الحاكم ، الذي يوجد فيه فناء مربع في وسطه توجد شجرة صنوبر ، وهي محاطة بجدران تفتح بداخلها أبواب .

يوجد في قنطرتها كوات عددها مائة واثنتان ، وهناك خمسة أبواب حفظت للخان ، ويشغل قصره أحد الجوانب ، ويوجد عند المدخل

بركة جميلة بها خمس نوافير ، وبجانبها أطار معدني يدعم أسلحة البرتغال ، ثم أخذ شعار النبالة هذا من سفينة غرقت على الساحل خلال حصار بندل .

هذا هو كل ما حصلوا عليه ؛ كي يعوضهم على خسارة ثلاثة آلاف مسلم ، ويقوم الخان بالمقابلات في الشرفة التي ذكرتها في أيام الاثنين والأربعاء والسبت ، وأنا أعلم ذلك ؛ لأنني أذهب عادة ؛ كي أرى ذلك من مكان مرتفع .

هناك أيضاً يقوم بالحكم على المجرمين ، وذلك يحدث بالطريقة التالية : يضع الخان نفسه في مكان منعزل ، محاطاً بطبقات من الدرجات الخشبية ، ويضعون ظلة فوق هذا السلم الترابي الذي يتم رشه بالماء وكنسه بعناية .

يجلس على وسادة مخملية ، وعلى سجادة ، ويقوم بدور الحاكم والقاضي الأعلى ، بالرغم من أنه صغير جداً ، فقد أخذ مكان أبيه "ألفيرديكاو" ، وهو أحد أصدقاء الصفوي الأكبر ، الذي ظل في بلاطه .

عندما يصل الخان في هذا المكان العام ، فإنه يحاط بحراسه من الرجال المسلحين بأسلحة نارية ، والذي يميزهم عن غيرهم من المسلمين أنهم يرتدون شارة حراس الملك وسيد الأرض ؛ وهي قبعة حمراء أو طوق معدني ، وتاج مدبب محاط بعمامة . هناك مئات منهم .

ثم يأتي عشرة أو اثنا عشر مسلما يحملون الرماح .

بمجرد أن يجلس الخان يتجمع المقربون منه حوله بشكل عشوائي ،

ويقف الرجال المسلحون مستندين على الجدار ، وبعد أن يصبح كل واحد في مكانه ، يأتي حاملو الرماح لتحيته ، وينحنون بشكل منخفض جداً ، وأذرعهم على صدورهم بشكل متعارض ، ثم يبتعدون ويتقدم أصحاب الشارة الحمراء في صفوف مكونة من أربعة أفراد ، ويحيون الخان بدورهم ، ثم يتبعهم غيرهم ، ولكن بنفس الانضباط دائماً ، وبدون ارتباك أو اضطراب .

في النهاية يقترب الناس ، وكل واحد يحمل التماسه ، ويعرضون أنفسهم أمام الخان ويكونون منفصلين عنه بواسطة الرجال الذين يحملون الرماح ، الذين تكون وظيفتهم هي تجميع الالتماسات وإرجاعها للملتمسين عندما يتم أخذ القرار .

إذا كان من الضروري إعدام رجل حكم عليه بالموت ، يكون الإجراء كالتالي :

يمتلك الخان كلبين مرقطين من "تارتاري" ، ليسا كبيرين جداً ، ولكن غليظي البنية ، ممسوكين بمقود من قبل مدربهما ، وفي الأمام يوجد نمران ، وهما أكبر ما رأيت في هذه المناطق .

بعد إصدار الحكم تقيد أيدي وأرجل الرجل ويترك لهذه الحيوانات المفترسة : وبعد أن يرمى للنمر يقطع في الحال إلى اشلاء ، وتقطع كلاب الدوراس اعضاءه التناسلية ثم يقفزون على الحنجرة ثم يقضون عليه .

تلك هي النهاية البائسة لمن حكم عليهم بالموت .

خلال الخمسة عشر يوماً التي بقينا فيها هناك ، لم يكن هناك من إعدام بذلك الشكل ، ولم يحظَ أحد بعقاب كهذا .

كل ما رأيته ، هو مغربي يجر عبر الشارع من قبل منادي البلدة ، قطع لسانه ويده اليمنى ؛ لأنه طعن شخصاً من نفس طينته ، ورأيت أيضاً بعض حراس النُّزُل يعذبون ، -وهو كما قلت مأوى للمسافرين ؛ وذلك فقط لأنهم أحدثوا قطعاً في قطعة بالية من القماش ، بدون أن يأخذوا أي شيء .

ليجدوا من الذي أحدث هذا القطع ، ألقي واحد تلو الآخر منهم على الغرض ، وتم ربط أرجلهم بخازوق ، وكذلك أيديهم بخازوق آخر ، حرقت أرجلهم بالنار لفترة طويلة .

حرم الخان شرب الخمر بين المسلمين ظاهرياً فقط ، فالمسيحون واليهود يشربونه على رؤوس الملأ ، بدون الخوف من أقل مجازفة ، بينما إذا أمسك بمسلم يقوم بذلك يتم مصادرة بضائعه ، ويعدم ، ولكن ذلك لا يوقف البيع .

لا يسمح للنساء بالعمل كعاهرات ، ولكن يمكن تشغيلهن قانونياً بعد الاتفاق على السعر ، وتكون العذارى أغلى سعراً . إن السبب وراء هذه المحرمات هي أن الجنود كانوا يقضون أوقاتهم وينفقون أموالهم على الخمور والنساء ، وكان ذلك يتم إبان خدمة الملك بشكل سيئ جداً .

رأيت خنازير أليفة بالقرب من قصر الخان ، وأُخبرت أنني أخطأت عندما اندهشت ، فالجميع يحبون لحم الخنازير ، وبوجه خاص الخان ، الذي تخصه هذه الخنازير .

هم يبيعون أيضاً الخنازير البرية بدون أن يعرضوا أنفسهم لأي عقوبة ، وقد بدأ الحاكم في أن يحب فيلاً صغيراً قد أرسل له من الهند .

قد رأيت أيضاً أبواقاً عملاقة ، كان الذين ينفخونها بالكاد يقدرون على حملها ، وهي الغنيمة التي عادت بعد النصر على التتار ، ويتم نفخها كل ليلة بصحبة ثمانية طبول . يقف العازفون عند إحدى شرفات القصر ، تلبس النساء عادة في هذه الأرض مثل الرجال ، فهم يلبسون نفس البرانس ، ونفس البناطيل ، ونفس الأحذية .

الاختلاف الوحيد هو أنهن يرتدين على رؤوسهن حجاباً ، مثبتاً في مكانه بشال صغير ، وشعرهن مربوط إلى وراء من تحته ، وعندما يخرجن يربطن أنفسهن بعباءة ، وهن يرقصن ويغنين أفضل من كل المسلمين ، وقد رأيت ذلك خلال سفري ، وكن في غاية الحسن والأناقة ، لدرجة أن المشهد لم يبدُ غريباً لي .

هناك الكثير من الماء في شيراز ، يأتي من سبعة عشر أو ثمانية عشر نبعاً ، عند سفح الجبل ، وهو يكفي حاجة المدينة ، وهي تشمل ثلاثة عشر ألف مأوى ، ويدفع كل واحد (ماديماً) سنوياً ، وهو ما يعادل عشرين "ريساً"/ "ريالاً" من عملتنا .

الفصل الرابع عشر : كيف غادرنا شيراز لنسافر إلى "أفيزا" (أهواز) .

ماذا حدث لنا حتى حدود "روموس" "Romos" .

بدأنا في طريقنا يوم الجمعة ، آخر يوم في سبتمبر ، في ساعة صلاة المساء ، بقافلة تضم خمسة ومائة حمار ، واسترحنا في قرية تسمى "أويشيك" ، وبدأنا الرحلة مرة أخرى بعد ربع ساعة من منتصف الليل .

توقفنا في العاشرة عند حقل للبطيخ ، وأقسم بأنه كان هناك فواكه طيبة وحلوة الرائحة أكثر ممّا كان هناك من أوراق ، وقد مكثنا بالقرب من

مياه عذبة ورائعة ، وخلال هذه المرحلة كلها سرنا بين بساتين خضراء وحدائق خضار ، وعبرنا العديد من الجداول التي كانت مصدر سقايتها .

قد تركنا هذا المكان مع حلول الليل ؛ كي ننام بجوار جدول مندفع ، والذي كان علينا أن نتبعه لمدة يومين ، وقد كان أول يوم في أكتوبر ، ولم تكن قد أمطرت بعد ، وقد رأيت العديد من طيور العقعق ، وبلبل الشعير ، وطائر الذعرة ، وندمت على أنني لم يكن لدي أي شراك لاصطيادها .

لقد ذكرني ذلك بألعاب الطفولة في البرتغال ، وقد كنت سعيداً جداً ، وفي الثاني من أكتوبر في الصباح الباكر انطلقنا مرة أخرى ، وكانت أول وقفة لنا عند سفح جبلين مرتفعين ، وكانا مغطيين جداً ببساتين الكرم ، لدرجة أنها ذكرتني بمنحدرات "هينهوس" "Henos"[(أ)] بالقرب من "لشبونه" .

لم يتم حصاد العنب بعد .

لقد جلسنا في ظل شجرة بلوط جميلة ، بينما ذهب الخدم لجمع العنب لنا .

في منتصف النهار انطلقنا مرة أخرى ؛ كي يكون أمامنا متسع الوقت لعبور هذه الجبال شديدة الانحدار ، وكنا قد واجهنا أوقاتاً عصيبة ، فقد اضطررنا في بعض الأوقات إلى الزحف على الأربع ، أو أحياناً كنا نربط أنفسنا بعضَنا ببعض ، وإذا كان قد شاء الله بأن نهلك ، فإن انزلاقة واحدة كانت ستكون كافية بأن تلقي بنا بقوة إلى الهاوية ، والتي سببت لنا دوخة عندما نظرنا إلى أسفلها .

(أ) أو (أنهول) .

ص ٥٠ في : وقد رأينا هناك امرأة معها طفل موثوق إلى ظهرها بمهد صغير ، كانت تدور في أثناء سيرها ، وكان عليها أن تتوقف غالباً بعد كل خطوة ؛ كي تهدئ الطفل الذي كان يبكي ؛ بسبب الحرارة . أشفقنا عليها ، وتحدث بعضنا مع بعض عنها وعن متاعبها ، وعندما لم تفهمنا سألتنا عمّا نقوله . شرح لها مترجمنا وعلقت قائلة : "أرأيت الآن المتاعب التي ألحقت أمك بها؟!" .

لقد كان في هذه الجبال العديد من أشجار البلوط ، كما توجد أشجار الزيتون في البرتغال ، ولقد استغرقنا يومين للوصول إلى الجانب الآخر ، وخلال ثانية رأينا هناك حشداً من البدو ، وهم يشبهون الغجر الموجودين في بلادنا قليلاً ، الذين يذهبون إلى هنا وهناك لتجميع جوز البلوط ، فقد كان موسم التقاطه .

قد انشغل أحدهم بضرب إحدى أشجار البلوط ، وكان أولاده عند أسفل الشجرة يأكلون الفواكه البرية كالتين ، وبمجرد سقوط أي جوزة بلوط كانوا يتشاجرون مع من قام بالتقاطها . كان المنظر غير عادي ، وقد ظللنا وقتاً طويلاً نراقبهم ، وكانت في عينهم نظرة جائعة ، وقد أخذنا بعض البسكويت من بين مؤننا ؛ كي نجعلهم يتشاركون فيه .

كانوا مندهشين ، ويرقصون بفرح ، بينما كانوا يأكلون ، وسألوا والدهم عمّا كان هذا الشيء الذي أعطاهم إياه الفرنجة ، والذي كان مذاقه لذيذاً جداً . كان هؤلاء الناس بائسين جداً وفقراء جداً ، لدرجة أنه لم يكن لديهم أي شيء يأكلونه طوال العام ، سوى هذه الفاكهة القاسية والمرة ، التي يجمعونها في موسمها .

ولم يكن لديهم منازل ، سوى الحصير المصنوع من القصب ، الذي يحمون أنفسهم به من الشمس والمطر ، عندما يتوقفون للراحة ، وهم لا يمتلكون أرضاً ، أو مسكناً ، أو أحذية ، أو أي شيء!

قد اتبعنا هذا الطريق ، كما ذكرت ، لمدة يومين وليليتين ، وفي اليوم الأخير ، اتخذنا طريق الهبوط عبر الصخور ، وهو ما أوحى لنا بفكرة كيف سيكون شكل الجحيم .

قد كان الطريق يسمح لشخص واحد فقط بالعبور ، وقد كان لدينا شبه انطباع بالذهاب إلى العمق الذي لن يمكننا الرجوع منه مرة أخرى .

في الحقيقة ، لقد تسلقت في فارس العديد من الجبال ، التي كادت أن تصل للسماء ، ونزلت إلى العديد من المنحدرات ، ووصلت إلى مناطق أبعد من الجحيم ، لدرجة أني شعرت أني تعلمت معنى الاثنين .

لقد استغرقنا أكثر من ثماني ساعات قبل أن نصل في النهاية إلى وادٍ معتدل الحرارة ومبهج ، والذي لم نجد مثله من قبل ، وقد كان كالجنة الحقيقية لنا في هذا الوقت ، وقد كان موجوداً خلف آخر جبل ، وجعلنا نتذكر "كولاريس" "Colaris" الموجودة بالقرب من "سينترا" "Centra" ، بكل بساتينها وحدائق الخضراوات ، والتي تسقى بشكل كافٍ من ينابيع الجبال .

قد اتخذنا طريقنا خلال ساعتين في هذه الأرض الخضراء غزيرة الإيراق ، وبالنسبة للفواكه فقد كان أكثرها الرمان ، وكان موجوداً بكميات كبيرة تكفي لملء العديد من السفن .

في كل مكان في فارس لاحظت شجيرات صغيرة تشبه الزعرور البري ، والتي يلتصق بها بعض قصاصات مواد معينة ، ولقد كان هناك واحدة مشابهة هنا ، وكان يوجد بجوارها أحد سائقي البغال لدينا ، الذي كان يحاول قطع جزء من عباءته ؛ كي يعلقه هناك .

قد سألته عن السبب ، وقال بأن المسافرين يتركون جزءاً من ملابسهم لجلب الحظ لهم ، وكي لا يجدوها مرة أخرى عند عودتهم ، وقد آمنوا بذلك وصدقوا أنهم سيحصلون على رحلة آمنه للديار ، وقد وضع بعضهم أحجاراً مستطيلة ، تمثل زوجاتهم وأبنائهم ، في وضع عمودي ، وإذا وجدو أنها لا تزال في مكانها عند العودة فسيعني ذلك أنهم لا زلوا على قيد الحياة .

إن المسلمين في هذه الأرض لديهم العديد من الخرافات من هذا النوع ، وسأعود إلى موضوعي مرة أخرى ، فبعد أن عبرنا هذه الجبال بصعوبة ، توقفنا ؛ كي ننام بالقرب من قرية تسمى "بونديجوم" ، في الرابع من أكتوبر ، وهي تقع على ضفة نهر . كان هناك العديد من طيور الحسون الذهبي ، وهي أول مرة نراه .

قد انطلقنا مرة أخرى في اليوم التالي في الخامس من أكتوبر ، وكان علينا عبور عشرة طرق مائية ، وكان من ضمنها اثنان كانا شديدي الاتساع ، وسريعي التدفق .

في الحادية عشرة توقفنا بالقرب من أحدها حتى ساعة صلاة المساء . توقفنا في الليل عند سفح جبل في مكان به نبع تنبع منه مياه لذيذة

وعذبة من تحت الصخور ، وفي اليوم التالي انطلقنا على الطريق ، في الصباح الباكر ، وكان علينا عبور أربعة مجارٍ مائية .

في أحدها كان هناك جسر مدمر ، وهو بلا شك أحد العجائب التي تحدث عنها الرجل الحكيم . كان هناك قوس واحد فقط ، وقد أدهشني كثيراً ، وهو نوع من أنواع الأروقة المقنطرة ، وبه صف من الأعمدة يصل إلى حوالي خمسة وأربعين عموداً متجهة حتى قمة الجسر الذي يوجد به بناء محصن ، يتحكم في عملية العبور .

يقولون بأن فارس كانت قديماً مقسمة هنا إلى مملكتين ، وهذا ما يفسر وجود هذه القطعة المعمارية البارعة .

في الصباح ذهبنا للاستراحة في قرية بالقرب من جدول يسمى (تقوى) ، ومكثنا حتى منتصف النهار ، ثم سرنا حتى اليوم التالي ، السابع من أكتوبر ، وكنا لا نزال بين الجبال ، وعندما توقفنا في النهاية على ضفة نهر وجدنا جثة رجل هناك ، وكان قد قتل من قبل أحد رفاقه ، الذي سرق منه حصانه وبعض النقود .

في مساء اليوم ذاته ذهبنا إلى كرفان سراي /نُزُل مدمر يبعد مسافة عن نهر كبير ، وفي اليوم التالي ، وهو اليوم الثامن ، واصلنا في طريقنا عبر ظهر الجبل الأخير في فارس ؛ كي نصل في تلك الليلة إلى سهل .

أمضينا الكثير من الليل بعد أن عبرنا جدولاً ، ثم سرنا طوال النهار ؛ كي نجد أنفسنا في ظهر اليوم في قرية تسمى "سيبام" .

كان علينا المكوث هناك يوماً ونصف اليوم ، وسقط أحد الحمير

مريضاً ، وتوجب علينا أن نجد واحداً آخر ؛ كي يحمل حمولته . لقد كان الحيوان المسكين مخبولاً جداً ، فقد كان يتبعنا وهو يعض ويركل ، وتوجب على سيده أن يتركه ، وأن يأخذ غيره .

قد رأيت قطعة من خشب البناء في القرية ، والتي كان من المؤكد أنها تستخدم كمضغط ، وكان يسحب باحتفال كبير وبصحبة الموسيقى ، وبأزواج متعددة من الثيران . كان المسلمون يقيمون هناك ، يلعبون بالدفوف ، والأجراس ، والطبول ، والمزامير ، وكان يسبقهم رجال ونساء يرتدون قبعات تربط بشريطة ، وكانوا يرقصون بانفعال شديد أدهشني إلى حد ما .

جدنا هناك كمية من الدجاج ، أسمن وأفضل ما رأيته في رحلتنا .

كان هناك الخمس دجاجات مقابل واحد لارين ، وثلاثة ديوك ثمينة مقابل نفس الثمن .

انطلقنا مرة أخرى في اليوم الحادي عشر حتى المساء ، وبعد أن مررنا بقرية تسمى "كورديستا" ، والتي كانت تسقى بواسطة نهر معتدل الحرارة في منطقة خصبة بالتمور ؛ حيث رأيت طاحونة مائية مثبتة بشكل منحرف ، وليس عمودياً ، كما هو الحال في الديار ، وقد نمنا في حقل سمسم عند ضفاف الجدول .

لكن ، بداية من الربع الأول من الليل كنا على الطريق مرة أخرى حتى العاشرة مساء ، وقد توقفنا بالقرب من نهر مياهه ممتازة ، مما أعطاني الفرصة ؛ كي أرى أشياء غير عادية . ففي الأماكن التي هناك وجدنا فيها القليل من الماء ، سبب التبخر بواسطة الشمس التي تكثفه ثم تحوله إلى ملح .

بعد أن غادرنا المكان في ساعة صلاة المساء ، ذهبنا للتخييم على سهل بعد أن عبرنا نهراً آخر .

في طريقنا مرة أخرى في الصباح الباكر ، عبرنا على الفور نهرين آخرين ، وكان أحدهما كبيراً ومعتدل الحرارة ، ومحاطاً بالأشجار الجميلة ، وهناك قمنا بتجميع القافلة مرة أخرى .

في ليلتنا الأخيرة تقدمنا في خلال فرسخين إلى "روموس" ، التي دخلناها اليوم التالي ، وهو اليوم الخامس عشر من الشهر ، في الثامنة صباحاً .

أحداث عام ١٦٠٦م

صدرت رسالة من الأسقف دوم "بيدرو دي كاستيلهو" "Pedro de Csstelho" ، نائب ملك البرتغال إلى "فيليب الثاني" ، الحادي عشر من أكتوبر ، عام ١٦٠٦م ، ويطلب بها بناء معهد للرهبان في مدينة أصفهان البلاط الفارسي : (٥)

سيدي ،

أبعث مع هذه الرسالة لجلالتكم قراراً من مجلس الهند يتعلق بطلب الرهبان من أخوية "أوغسطين" "Augustin" ، لبناء معهد في مدينة أصفهان ، البلاط الفارسي ؛ حيث يقيمون ، وعندهم كنيستهم ، وحتى يتمكنوا من إلقاء دروسهم بسهولة أكثر ، وتحويل وهداية الأطفال الأرمن ومن الأمم الأخرى الذين يتوافدون لتلقي التعميد ، إلى طاعة الكنيسة الرومانية .

(٥) رقم الوثيقة والهامش.

الأكثر من ذلك فقد فهم عبر رسائل نائب الملك بـالهند وكبير الأساقفة أن هذا التحول للدين في تزايد شديد ، ولأن رجال الدين أولئك يعملون بحماسة شديدة ، وهم يؤدون ذلك الالتزام ، ويبدو لي أن على جلالتكم أن يكتب ليعلم نائب الملك وكبير الأساقفة بأن عليهم رفع شأن المسيحية وتعزيزها بكل طريقة ممكنة ؛ حتى تتقدم في أعمالها العظيمة تجاه الرب .

بخلاف الأموال التي يتلقاها أولئك الرهبان في هرمز ، فإن واجب جلالتك أن تمنحهم خمسين "كروزادوسا" ، كنوع من الإعانة ، يدفع في نفس دائرة الجمارك ، وذلك كنفقات للشباب في الدير المذكور ، وعليهم أيضاً وبأمر من نائب الملك أن يستمروا في استلام ذلك ، طالما أنها (المبالغ) تنفق في أمور جيدة ومصالح يتوقع أن تنجم عن تلك الأعمال بصورة مستمرة .

كما أن على جلالتكم الكتابة للبابا مقدماً له بياناً عن المجتمع المسيحي ذاك ، عسى أن يرسل أسقفاً من هذا المعهد للأرمن لهدايتهم وتحويلهم إلى طاعة الكنيسة الرومانية ، عسى أن يحفظك الله ويرعاك لخدمته .

وفي العام نفسه (١٦٠٦م)
صدر تقرير عن مجلس الهند يتعلق بموضوع السفير "لويس بيريرا دي لا سيردا" "Luis Perriera de La Cerda" في فارس ، بتاريخ عام ١٦٠٦م ، وينتقد السفير شاه فارس بأنه لا يثق فيه ، وهو الذي احتل البحرين من البرتغاليين : [٦]

تقرير يتعلق بتصرف "لويس بيريرا دي لاسيردا" السفير الذي أرسلته جلالتك لملك فارس :

الرهبان الأوغسطينيون الذين رافقوا "لويس بيريرا دي لاسيردا" المذكور أعلاه يفيدون بأنهم وصلوا إلى فارس في العاشر من أكتوبر ، عام ١٦٠٤م ، وتسلم الملك في نفس اليوم رسالة جلالتك من يد السفير الذي تلقاه الملك ، بكل احترام وضيافة ، ثم أنصرف بعد ذلك . بعد يومين قدم السفير للملك الهدية التي أحضرها معه ، وقدم له الملك هدايا ،

(٦) رقم الوثيقة والهامش.

وأبدى له الكثير من الود والعطف في حضور اثنين من الباشوات الأتراك اللذين كانا أسيرين عنده .

دعاه بعدها لتناول الطعام معه . في اليوم التالي رفض قبول بعض الجمال من السفير . دعا السفير كل الذين كانوا في معيته إلى خيمته ، وشرح لهم الإساءة التي تلقاها من الملك ، برفضه هدية الجمال تلك ؛ بسبب الكلفة الباهظة والمشقة التي قد تتسبب فيها ، وطلب منهم النصيحة إن كان عليه أن يطلب الإذن من الشاه ليغادر ، أو إن رفض ذلك هل عليه أن يغادر دون إذن منه؟

كانوا جميعاً متفقين على أن يحاول الإصرار على الشاه ، حتى إن كان ذلك فيه مشقة وتكلفة ؛ لأن ذلك الأمر يتعلق بشرف السفارة والسفير ، بالرغم من ذلك طلب السفير التحدث والاستماع للشاه ، وطلب الإذن بالمغادرة . أجابه الشاه بأنه سيمنحه الإذن بعد أن يستقر في معسكره ، إلا أنه لم يوافق على مقابلته ، وعوضاً عن ذلك غادر إلى إحدى مدنه ، متذرعاً بعدم وجود أي سبب يجعله يصل اليوم ويغادر في اليوم التالي .

أجاب السفير أنه وطالما أن الملك لن يسمح له بالمغادرة ، فلا بأس من أن يرافقه مع جيشه ليشهد نهاية المعركة . لم يسمح له بذلك ، وبدلاً عن ذلك منح الإذن بأن يتم توفير كل المؤن التي يحتاج إليها في مدينة "كاسبن" . انطلق السفير إلى هناك بعد أحد عشر يوماً من وصوله . بعد ثلاثة أشهر كتب للشاه يطلب منه الإذن بالمغادرة .

الرد الذي تلقاه كان يقتضي الانتظار ، وعندما يتحسن الطقس ويصبح أكثر دفئاً فسيرسل له الشاه للحضور والتباحث معه ، عندما

تلقى تلك الإجابة قام السفير بإرسال أحد الرهبان للشاه ؛ ليرجوه السماح له بالعودة إلى وطنه ؛ لكبر سنه ، ولأنه بوجوده في فارس لم يكن له فائدة تذكر .

ظل طيلة أربعة أشهر يطلب ويرجو دون فائدة ، وأخيراً أعطاه الشاه الإذن ورسالة لجلالتك مع السفير الذي في طريقه الآن . يقول السفير المذكور في رسالة لجلالتك : إنه وصل إلى "غوا" عند عودته من فارس في مارس ، عام ١٦٠٥م ، برفقه بعثته ، وإن نائب الملك "مارتن ألفونسو دي كاسترو" شكره باسم جلالتك .

يفيد لاحقاً أنه وجد الشاه رجلاً لا يثق كلياً ، خاصة فيما يتعلق بالتعاطف والمساعدة التي كان يأمل أن يتلقاها من جلالتك ومن الأمراء المسيحيين . اتفق العديد من قادته بأن السفير وجد استقبالاً جيداً واحتراماً ، ولقي الكثير من الاعتبار والتقدير ، يقول السفير : إنه بينما كان مع جيش الشاه وجد بالصدفة رسائل من ملك بولندا ، وسفير الروس الذي توفي في مدينة جيلان . عند مروره ببحر "قزوين" وجد أن الأتراك ضعفاء ، وقد فقدوا العديد من المحافظات والمواقع الدفاعية .

قام بأداء الواجبات المنوط بها للشاه ، وهو على علم بأن تقارير تأتي من "أغالا" "Agala" تقيد بالبحث عن هدنة . لذلك طلب في الحال مرافقته في حروبه ، لكن بما أن الشاه كان في ذلك الوقت تنقصه القوة ، لم يكن يريده أن يراه يتقهقر ، بالرغم من أنه لم يكن يهرب من القتال ، لكنه كان ينسحب فوجاً بعد الآخر . كان سعيداً أن الشاه أخذ بنصيحته في العديد من الأمور التي تتعلق بالحرب .

كما يضيف أيضاً في أمور أخرى ، كان قد قالها قبل أن يحصل على الإذن من الشاه بالمغادرة ، وإنه كان عليه الإصرار على المغادرة حيث واجه مصاعب ؛ لأن الشاه لم يعطه أي شيئ لنفقاته ، ولم يبد أي جهد في عمل ذلك ، معتقداً أن ما يقوم به أكثر بكثير مما هو مطلوب من السفارة ، بالرغم من أن السفير استفاد من هرمز وأرسل بعض الأشخاص إلى هناك ، إلا أنه لم يتلق أي عون ولا حتى راتبه .

وعندما كتب للشاه يطلب الإذن لمقابلته ، لم يهتم الشاه لطلبه وأرسل سفيره برسالة لجلالتك .

كما يفيد أيضاً أنه لا يعتبر الشاه صديقاً جاداً ومخلصاً لجلالتك ، واضعاً في حساباته ما شاهده وما أوضحته له التجربة في أرض ملك هرمز وجزيرة "البحرين" التي أمر الشاه بالاستيلاء عليها عنوة ودون وجه حق ، بعد أن أرسل سفيره "أسينال" بك إلى جلالتك .

ليقول : إن الشاه يعتبرنا أعداء مثل الأتراك ؛ لأنه لا يملك الولاء الذي تتوقعه من ملك حتى مع شعبه ، ولذلك كان من رأيه أن على جلالتك عدم إرسال سفير للعمل في فارس ، ولا أي شخص له مكانة رفيعة نسبة للمخاطر التي يلاقونها بين المسلمين ، كما بينت لنا تجربة السفيرين السابقين .

أحداث عام ١٦٠٧م

بعث الملك رسالة إلـى نائبه في الهند دوم "مارتيم أفونسو دي كاسترو" ، بشأن قلعة هرمز ، بتاريخ الثالث من شهر يناير ، عام ١٦٠٧م ، وطلـب منـه العمل علـى اسـترداد جزيرة البحرين بدون حروب : (٧)

صديقي ونائبي دوم "مارتيم أفونسو دي كاسترو" ،

أرسل أنا الملك لك تحياتي .

مع البرقية التي استلمتها براً في عام ١٦٠٥م ، تلقيت خطاباً من دوم "بيدرو كوتينهو" "D . Pedro Coutinho" ، بتاريخ السادس من إبريل ، ينصحني فيه بالوصول إلى قلعة هرمز لتولي مسؤولية ضابطها ، وكيف أنه وجد الأمر مدمر تماماً ، سواء في عملية التحصينات أو دخول مصلحة الجمارك .

(٧) رقم الوثيقة والهامش.

وكان من رأيه أنه يجب أن يتم تحصين المدينة ، وهو ما قد يتم عن طريق وضع جدار ناحية البحر عند جهته الخلفية ، بدون أي نفقات من خزانتي ، عن طريق فرض رسم واحد أو نصف بالمائة على البضائع المرسلة من قبل مصلحة الجمارك .

إنه إن ذكر ذلك إلى "أيريس دي سالدانها" فلن يوافق على ذلك ، وقال أيضاً المطران رئيس الأساقفة ، الذي أرسل لي خطاباً براً ، قال : إن سكان تلك المدينة قد كتبوا له حول محاصرتها ، وإنه من خلال ذلك سوف يكون ذلك أماناً كبيراً لها ، وسيزيد من دخل مصلحة الجمارك ، ولولا ما يتعلق بإحاطة المدينة فكان سوف يظهر القليل من عدم الرضا ، والأهم في ذلك هو أنها جزيرة عقيمة جداً .

تفتقر للمياه ، لدرجة أنه سيصعب إحاطتها ، وبالتالي سيحدث فساد كبير ، ولن يكون هناك أي نفع من التحصينات ، ومع ذلك رأيت أنه من الصحيح أن آمرك ، وهو ما أقوم به من خلال ذلك ، بأن تأمر أن يتم فرض الضرائب المشار لها من قبل دوم "بيدرو كوتينهو" ، ومن ثم يتم تثبيتها ، وأنا أعلم أن السكان سوف يوافقون على ذلك بسهولة ؛ بسبب المميزات التي سوف تعود على المدينة من التحصينات والأمن السائد ، وسوف تأمر بعقد اجتماع لمعرفة إن كان من الأنسب فرض تلك الضرائب على تصدير البضائع .

حيث إنه قد تم إخباري أنه أمر اختياري في تلك المدينة ، ومن المعتاد أن يتم الدفع على الصادرات في مصالح جمارك أخرى في تلك الدولة ، وإن كان من الممكن تقديم ذلك بدون إحداث فضيحة ، وبأي

أحكام وشروط ، وبالنسبة لتحصينات المدينة ، فسوف تأمر بتأجيل ذلك حتى تصلكم مني نصيحة أخرى ، وسوف تنصحني حول رأيك بذلك الموضوع ، مع تجميع معلومات من شخص عملي وذي خبرة بتلك المناطق ، وسوف ترسل لي خارطة شاملة عن الجزيرة .

بالنسبة للقلعة ، وهي بالأهمية التي أنت على علم بها ؛ حيث إنها تعتبر حاجزاً أمام هؤلاء الأعداء ، لذلك يجب أن يتم حراستها والدفاع عنها ، لذلك يجب أن تؤمن الضابط جيداً في المقدمة ، وأن تثابر دائماً بإبقاء العدد الكامل من الرجال ، كما أمر من قبل ، وأن يتم تزويده بالكامل بالمواد الغذائية والذخائر اللازمة لمعقل بتلك الأهمية .

قد علمت أيضاً ، ليس فقط من خلال ما يكتبه لي دوم "بيدرو" ، ولكن من خلال معلومات أخرى أمرت بها ، علمت أنها في حالة مفككة ، وبها عيوب في تأسيس الجدار الذي كان من الممكن تصليحه ، ويسرني أن أعلم أنكم قمتم بالتصليحات ، وأنا أفرض عليك أن يتم فحص المبنى من قبل مهندس الدولة أو من قبل آخرين .

مع وضع خارطة عن أحوال المدينة الآن ، وأي شيء آخر يرى أنه من الضروري تعديله أو إضافته ، وسوف ترسل لي تقريراً واضحاً عن الأمر برمته ؛ كي يمكنني الاطلاع عليه ، ومناقشته هنا ، وكي أنصحك بأنسب ما يمكن القيام به في خدمتي .

من خلال خطابك بتاريخ الثالث والعشرين من ديسمبر ، عام ١٦٠٥م ، أخبرتني أن جزيرة "باريم" (البحرين) ظلت كما هي في حالتها السابقة ، وأنك سوف تقوم بكل ما يلزم ؛ كي تعود تلك

الجزيرة والأراضي الرئيسة ، التي تم احتلالها من قبل سلطان شيراز إلى الدولة بدون اندلاع حرب .

آمرك بكل إخلاص أن تتعامل مع الأمر بطريقتك ؛ كي لا يحدث ما هو متوقع ، ولو أنه لا يمكنني أن أطلب منك فعلاً أن يتم القيام بذلك ، مثلما حدث في الوساطة (vias) العام الماضي . لقد وجهت الأوامر ، بدون أن أعلم الحالة التي ستكون عليها عندما يصلك ذلك الخطاب ، بالرغم من ذلك .

وإذا كان هناك أي مناسبة للتعامل مع الأمر بأي طريقة ممكنة ، سوف أشكرك على القيام بذلك ، وفقاً للأهمية الكبيرة التي تقع عليها تلك الجزيرة ، من أجل الحفاظ على هرمز وقلعتها ، ومن أجل إبعاد رغبة الحصول عليها من ملك فارس .

كتب لي مير "فاروق" ، وهو ملك هرمز الآن ، أنه يجب عليَّ أن آمر بمساعدته ؛ بسبب ما هو عليه من دمار وديون ، وعدم مقدرته على توفير ضروريات مملكته ، وبخصوص الدفع لـ(Mocarranas) ، وهو ما يقول : إني ملزم بالقيام به من خلال عقد تم من قبل الملوك الذين سبقوه في تسليم مصلحة الجمارك ، متمنياً بذلك أن يتم تنفيذ ذلك العقد ، ولأنه لا يوجد أي ممانعه من قبله ، ولم يُبدِ أي شك ، أرجو أن ترسل لي بعض المعلومات حول ذلك الموضوع ؛ كي أرسل له ردي .

هو يشتكي أيضاً للملك من أن مراجعي الحسابات في المدينة يغتصبون سلطته ، ويتصرفون ضد المواد والعقود المبرمة مع الدولة ، وهو ما لا أجده يتوافق مع خدمتي ، وأفرض عليك بأن لا تسمح بأن يقع أي ضرر عليه ، أو تسمح له بأي فرصة للشكوى .

في العام الماضي أرسلت لك أوامري ؛ كي تطلع باجتهاد على الفتنة والنزاع بين ملك هرمز المذكور و"توروشا" أخيه ، بخصوص خلافة المملكة المذكورة ، وقبل أن يتم إصدار الحكم ؛ كي ترسل لي نسخة من (autos) مع أحكام القضاة مكتوبة ومغلقة من قبلهم ؛ كي لا يعلم أي أحد بمحتواها ، أو أن المسألة بتلك الوضوح أو الأهمية .

أتمنى أن تتحقق العدالة الكاملة حيال ذلك ، آمرك بأن يتم الحكم في تلك القضية في مدينة "غوا" ، من قبل قاضي محكمة القضاء ، وأن يتم الاستنطاق الذي سيتم في تلك القضية في المحكمة المذكورة ، وبعد أن يقوم القاضي المذكور بالحكم بإبرام القرار النهائي من أجل إصدار العقوبة ، وتدوينه في ورقة بالإضافة إلى الحكم ، موقعة ومغلقة بسرية ، بدون نقل ذلك لأي من القضاة الآخرين ، أو أي شخص آخر .

كذلك يجب على كل القضاة الآخرين أن يقوموا بتدوين أحكامهم ، مع تسليم الدعاوي القضائية لكل واحد منهم ؛ كي يطلعوا عليها ، من أجل التفكير ملياً في القضية ؛ ليتبين ما سيثبت بها ، ويجب عليهم جميعاً أن يقوموا بعمل ثلاث نسخ من أحكامهم المذكورة ، وتسليمها لك ؛ كي يمكنك أن ترسلها أنت مع النسخ الأصلية ، والقيام بكل ذلك بطريقة تمنع أي تأخير ؛ ولأن تحقيق العدالة سوف يساعد في تقليل مدتها ، ووفقاً لكل ما قلته فأنا أعتبر أنه من الصحيح أن يتم تنفيذه وتحقيقه وفقاً لخطابي .

بدون طلب أي شروط أخرى ، بالرغم من أي أوامر أخرى تم فرضها في تلك القضية ، أو أي قوانين ، أو أحكام أو أساليب قد تكون ضد

ذلك ، وأنا أوصيك وآمرك بشكل كبير أن تقوم بتنفيذ ذلك ، ويجب أن يكون القاضي الذي سوف تودع له تلك القضية ، أن يكون شخصاً تعرف جيداً أنه سوف يحكم بالعدل ، وأن الشخص الذي سوف يلتمس في القضية في جانب مير "فاروق" سوف يكون عادلاً جداً في هذا الالتماس .

أن تعهد بالـ(vias) التي سوف ترسلها لي مع الأوراق المذكورة إلى ضباط السفن التي سوف تحضرهم ، وأنهم سوف يقدمون شهادات عن كيفية تسليمها ، وسوف تقوم بإرسال تلك الصكوك من خلال نفس السفن .

حيث إني أمرتك في رسائل العام الماضي ١٦٥٠م أن ترسل لي نسخة من الشرط الذي من خلاله تم وضع مملكة هرمز في حيازة المذكور مير "فاروق" ، وسواء أكان هناك بعض الاضطراب جراء القيام بذلك ، وقد كتبت لي قائلاً إنك أرسلت الشرط المذكور ، وهو ما لم يحدث ، وأنا أفرض عليك أن ترسله لي ، وألا يكون هناك أي إهمال في إرسال الأوراق لي عبر الـ(vias) .

حيث إنه قد تم إخباري أنه أحياناً يتم إساءة معاملة ملوك هرمز من قبل تلك الجزيرة والقلعة ، والقبض عليهم وتعريضهم لمضايقات أخرى ، ويجب ألا تستمر تلك الفوضى أكثر من ذلك ، فأنا آمرك بأن يتم اتهام الضباط المذكورين في القرار الخاص بهم ، خاصة حيال تعاملهم مع الملوك ، وقد قال لهم : إنه في حالة حدوث أي شيء .

الذي سوف يجبرهم على الانسحاب إلى القلعة المذكورة ، أو القيام

بنفس التظاهرة معهم ، فعلى الضابط سحب (Autos) ؛ كي يرسلها لك ، وإلى نواب الملوك والحكام ، الذين يجب أن يكونوا على علم بكل الاعتبارات الواجبة ، وأن يوافقوا على كل ما هو الأفضل لمصلحتي ، وأن يتم إرسال تلك الـ(Autos) من خلال (vias) لإبلاغي عمّا قد تم اتخاذه من أوامر حيال موضوعهم ، وكي أفهمهم ، ويجب أن يتم محاكمة الضباط وفقاً لمحاضر الجلسات الخاصة بذلك .

حيث إنه قد تم إخباري أيضاً من عدة جهات أن ضباط هرمز المذكورين قد قاموا بتعيين ضباط السفن التي تستخدم المضيق من خادميهم ، وقد نتج من ذلك فرص كثيرة ، وبسبب الضغط والغضب الذي فرضوه على الفقراء الذين يسكنون على الساحل العربي وفارس ، وأنه من الضروري جداً الاحتياط ضد ذلك .

أرى أنه من الأفضل ، وآمر بأن لا يتم السماح بمنح مناصب الضباط لخادميهم ، بل فقط إلى الرجال المتزوجين والمقيمين في تلك الجزيرة ، والذين يجب أن يتم استدعاؤهم لتقديم تفسير عن الاضطراب المرتكب ، ويجب إضافة تلك المادة إلى الأوامر الخاصة بهؤلاء الضباط ، وأن يتم استجوابهم عند محاكمتهم إن قاموا بتحقيق ذلك .

أرسل المذكور مير فاروق الذي هو ملك هرمز الآن ؛ كي يطلب مني أن أمنح منصب حاجب المحكمة في الجمارك في تلك الجزيرة ، وذلك بالنيابة عن "دومينجوس دي فرانسا" "Domingos de Franca"

وهو أحد أهالي الجزيرة نفسها[أ] ، وأن يتم احترام ذلك الطلب ، وأنا مسرور لمنحه إلى المذكور "دومينجوس دي فرانسا" ؛ حيث إنه لم يتم شغل ذلك المنصب من خلال أي شروط تم توقيعها من قبلي .

وفقاً لشروط محددة ، سوف يخلف "دومينجوس دي فرانسا" الشخص المذكور وفقاً للطريقة التي تم تعيينها ، وبعد معرفة ذلك سوف تقوم بإرسال برقية من أجل شغل المنصب المذكور ، وبالنسبة للسيد مير "فاروق" أرسلت نصائح في خطاب ذهب في تلك السفن ، وآمرك بخصوص مسألة النزاع التي حدثت ؛ بسبب أخيه بخصوص مملكته .

كذلك أيضاً الخدمة التي منحت فيها المذكور "دومينجوس دي فرانسا" ، بناءً على طلبه ؛ كي يتصرف في كل شيء بالطريقة التي يفهم منها أن كل شى أمرت به قد تحقق . في السنوات السابقة أمرت بأن يتم إلغاء مناصب الشهبندر (xabandar) والقائد في الميناء (Alcaide) في بحر هرمز بناءً على المعلومات التي وصلتني من "أيريس دي سالدانها" .

نتيجة للتحقيقات التي تمت بخصوص "غونسالو دي كاسيرس" و"فرانسيسكو فيريرا" "Francisco Ferreira" ؛ بسبب الاضطرابات التي تم اتهامهم بها في أثناء أداء مهامهم ؛ وحيث إن "ديوجو مونيز باريتو" "Diogo Mones Bareito" ، عندما كان متولياً قيادة القلعة ،

(أ) توجد هذه الملاحظة في الهامش : "في الثامن من فبراير ، عام ١٦٠٨م ، تم إرسال خطابات إلى "دومينجوس دي فرانسا" وفقاً لتلك المادة ، وذلك من أجل شغل تلك المناصب الشاغرة التي تم تعيينها قبل الثالث من يناير ، عام ١٦٠٧م" ، وذلك طالما أن سموه كان مسروراً بذلك ، ولم يأمر بعكس ذلك . (فالكاو) .

كتب لي أن المناصب المذكورة كانت ضرورية جداً ، من أجل مصلحة خزانتي ، وكذلك من أجل حراسة الأرض ، لذلك آمرك بأن تطلب المعلومات المتعلقة بذلك .

التحقيق عما إذا كان من المناسب الاحتفاظ بتلك المناصب أو لا ، وعمَّن يقوم بحراسة البحر الآن ، وترسل البرقيات التي يستخدمونها ، وسوف ترسل لي معلومات عن كل ذلك من أجل الترتيب لكل ما هو مناسب لخدمتي .

لدي معلومات بأن ضباط القلعة المذكورة في هرمز قد ارتكبوا أشياء كثيرة ضد خزانتي ، ووضعوا البضائع الخاصة بهم ووكلائم التجاريين وخادميهم في محطاتهم التجارية ، بدون الذهاب إلى مصلحة الجمارك ، وقد قاموا بتقديرات لم تكن منصفة أبداً بخصوص المؤن الغذائية والذخيرة ، التي يقومون ببيعها في خزانتي بأسعار باهظة ، وهم لديهم عدد قليل من الرجال أقل مما أمروا به .

بالإضافة إلى ذلك كانوا يتقاضون رواتبهم كاملة ، وهو عكس خدمتي تماماً ، وبالتالي فهم بتسببون في مضايقات كبيرة للتجار ، مما يجعلهم لا يلجؤون إلى المدينة كما كانوا يقومون ، وأنا آمرك بأن تقوم بكل التحذيرات اللازمة ، وأن تأمرهم بأن يلتزموا بالأوامر الموجهة لهم ، وأن تأمر بأن يتم استجوابهم حول تلك الأمور في أثناء محاكمتهم من أجل معاقبتهم ، إذا كان من العدل القيام بذلك .

قد تم إخباري أيضاً أنه قد أُخِذ من القلعة المذكورة إلى البصرة كمية كبيرة من الخيزران ، الذي يصنعون منه الرماح ؛ وحيث إنه إلى جانب

التحامل الكبير الذي نتج عن تزويد الأعداء بالسهام ، فقد وجد هناك (a bulla de ceia) آمرك بأن تضع حظراً مشدداً على ذلك ؛ كي لا يتواصلوا من الآن فصاعداً مع الأعداء .

أنا أثق أنك سوف ترسل لي معلومات في تلك السفن بخصوص مطران "أرزينا" ، التي كتبتها لي ، مثل ما أمرتك أن ترسلها لي في سفن العام الماضي ، وكذلك نسخة من الامتياز الذي طلب ريس نور الدين مني أن أؤكده ، وهو ما أمرتك بكتابته ، وسوف تنصحني وفقاً لوضع ذلك الأمر .

إن التقرير الذي أمرتك بإرساله لي ، الذي يختص بعدد المسيحيين المتزوجين والمقيمين في هرمز ، والطريقة التي تم حكمهم بها وكذلك المسلمون ، والذي قلت فيه : إنك أمرت المجاز "جولياو دي كامبوس" "Joliao de Campos" بمعالجتها .

أنا أثق أيضاً أنك سوف ترسله عبر تلك السفن ، حتى يمكنني من خلاله أن آمر بأن يتم إرسال رد إلى "كامارا" في نفس المدينة ، ما أراه في خدمتي بخصوص منحها اسم مدينة ، وهو ما طلب مني القيام به ، وسوف ترسل لي ملاحظاتك أيضاً مع التقرير .

حيث إنه من المناسب جداً لخدمتي الحصول على نصائح براً ، حول تلك الدولة في كل عام ، فأنا آمرك بالقيام بذلك ، بدون حذف أي شيء ، مع الأمر بأن يتم إرسال برقيات إلى هرمز من الآن فصاعداً مرتين يومياً ، في نسختين طبق الأصل ، ومن خلال بريدين مختلفين ، في حين إذا فقدت واحدة يمكن للأخرى أن تصل ، وسوف يكونون في طريقين مختلفين :

أي إن واحدة ستكون من البصرة متجهة إلى السويس ، ومن هناك ستمر بـالإسكندرية ؛ حيث يوجد هناك غالباً قوارب متجهة إلى إيطاليا وفرنسا .

الطريق الآخر يمتد عبر أراضي "مبارك" بامتداد فارس ، متجهة إلى حلب و"الإسكندرية" ؛ حيث يوجد هناك شحن أيضاً إلى "البندقية" ومناطق أخرى من إيطاليا ، وإن كان هناك أيضاً فرص من التجار الفينيسين الذين لهم محطاتهم التجارية ومراسليهم في هرمز .

هم رجال مخلصون ومعروفون جداً بمواردهم المالية ، بالتالي يمكن إرسال بعض البرقيات ، وحول ذلك الموضوع أكتب إلى ضابط هرمز وأرسل له بعض الكتابات السرية له ، وكذلك أن تكتب لي عن أي أنباء قد تحدث ، ويجب أيضاً أن تأمره بالقيام بذلك ، بعيداً عن تلك الرسائل الرئيسة .

كتب في "لشبونه" في الثالث من يناير ، عام ١٦٠٧م .

الأسقف "دوم بيدرو" .

"كوند دي سانتا كروز" "Conde de Santa Cruz"

تحت عنوان الخطاب

من الملك

إلى دوم "مارتيم أفونسو دي كاسترو" ، في مجلسه ونائبه في الهند .

وفي العام نفسه (١٦٠٧م)
بعث الملك رسالة إلـى دوم "مارتيم أفونسو دي كاسترو" ، نائبه في الهند ، في السابع عشر من شهر يناير ، عام ١٦٠٧م ، يأمره بمساعدة مبارك المشعشع ، وكذلك استعادة البحرين : (٨)

أرسل لك أنا الملك تحياتي ،

كتب لي ملك هرمز الحالي ، مير "فاروق" أنه بسبب الحرب في فارس ، فقد أنفق الكثير في تلك المملكة ، إلى جانب أن والده قد ترك الكثير من الديون التي لا يمكنه سدادها ، قبل أن ينهي أولاً القضية التي بينه وبين أخيه ، قد طلب مني إصدار شرط بالتأجيل لمدة خمس سنوات ، وعند انتهاء تلك المدة سوف يبدأ في الدفع .

في غضون تلك المدة لن يقوموا باستدعائه أو يطلب أي طلبات ، آمرك أنا والمطـران ومستشار المحكمة القضائية ، بالبحث في الأسـباب التي ادعاها ، وإذا كان ذلك كافياً ، فسوف توافق على التماسه

(٨) رقم الوثيقة والهامش.

على الفور ، وسوف تقوم بتسليم الشرط المذكور ، ومنحه أقصى عدالة ممكنة .

قد كتب أيضاً المذكور مير "فاروق" أن دوم "بيدرو كوتينهو" ، ضابط تلك القلعة ، قد أخذ منهم الجزء الأكبر من إيجاره ، ونتيجة لذلك فقد عانى أتباعه الكثير من الفقر ، آمرك بأن تجمع معلومات عما تم في ذلك الأمر ، وأن تنصح بالحل الذي تراه ضرورياً ؛ كي تتوقف تلك الشكوى .

كتب "توروشا" ، وهو شقيق المذكور "فاروق" ؛ كي أسمح له بالقدوم إلى تلك المملكة كي يراني ، وطالب بالعدالة بخصوص القضية التي لديهم حول مملكة هرمز ، ومن هنا طالب بدفع نفقة له ، وبناءً على ذلك كتبت له في الخطاب الذي تم إرساله في تلك الـ(vias) في صيغة أطلب فيها إرسال تلك الدعوى القضائية ، أما بالنسبة للنفقة الخاصة به فسيطلب ذلك من القضاة ، لمعرفة من تخصه تلك النفقة ، ولذلك ولأسباب أخرى فلا ينبغي له أن يأتي إلى المملكة في الوقت الحالي ، وسوف تأمر أنت بذلك .

في خطاب آخر ، أكتب لك أني أفكر في الدعم المطلوب من تلك الدولة من قبل "مبارك" ، الذي تظاهر بأخذ البصرة ، وبما أن ذلك له تأثير قوي في التعامل مع استعادة "البحرين" ، وبناءً على ذلك أكتب لك أيضاً في خطاب آخر .

آمرك بأنه في حالة أن كان عليك تولي الدعم المطلوب إلى "مبارك" ، أن تراعي سواء أكان من الممكن مع نفس النفقات الخاصة بالسفن والرجال تنفيذ استعادة جزيرة "البحرين" المذكورة ، وأنا أكتب إلى

الضابط دوم "بيدرو كوتينهو" لرؤية إن كان هناك من طرق يمكن من خلالها استردادها بقليل من الخداع .

كتب في "لشبونه" في السابع عشر من يناير ، عام ١٦٠٧م .

الأسقف دوم "بيدرو" / بلاط "سانتا كروز" "Santa Cruz" .

تحت عنوان الخطاب :

من الملك

إلى دوم "مارتيم أفونسو دي كاسترو" ،

في مجلسه

نائبه في الهند .

وفي العام نفسه (١٦٠٧م)

بعث الملك رسالة إلـى نائبه في الهند ، بتاريخ السابع والعشرين من شهر يناير ، عام ١٦٠٧م ، يأمره بأن يقوم بتخليص مبارك المشعشع وتقديم المساعدة له : [٩]

نائبي وصديقي ، أرسل لك أنا الملك تحياتي .

في خطابات بتاريخ الثالث والعشرين والرابع والعشرين من ديسمبر ، عام ١٦٠٥م ، كتبت لي أن سيد العرب مبارك قد ثار ضد الأتراك ، ونوى أخذ مدينة البصرة ، وكي يمر رجاله بسلام ، طلب إغاثة من السفن من أجل تطهير البحر ، وقد وعد بتسليم قلعة ومصلحة الجمارك في تلك المدينة ، ولم توافق أنت على ذلك ؛ لأنك كنت تنتظر رسالة مني .

بسبب حالة الأوضاع في تلك المناطق ، وحيث إن تلك المسألة بالغة الأهمية كما كنت تعلم ، فأنا أطلب منك جدياً ، وإذا سنح الأمر ، وظل ذلك الأمر على نفس الحالة التي كتبت لي عنها ، أن تحاول قدر

(٩) رقم الوثيقة والهامش.

الإمكان على تخليص "مبارك" ، وتقديم ذلك العون له ، مع تدعيم نفسك بالأموال التي تم إبلاغي أنه قد عرض تقديمها من أجل معدات السفن المذكورة .

السفن التي تخدم قلعة هرمز عادةً ، ومن خلال ذلك سيتم تسهيل الأمور ، وستقل النفقات على الدولة ، وكذلك تقديم النصيحة لي عما يمكن القيام به في ذلك الأمر .

كتب في "مدريد" في السابع والعشرين من يناير ١٦٠٧م .

بأم الملك ،

"أنريك دي سوسا" "Enrique de Susa" .

تحت عنوان الخطاب

من الملك

إلى دوم "مارتيم أفونسو دي كاسترو" ، في مجلسه ونائبه في الهند .

وفي العام نفسه (١٦٠٧م)

صدر بيان بدخل ومصروفات كل دولة الهند ، مع ملاحظات أخرى على درجة كبيرة من الأهمية تتعلق بخدمة جلالة الملك ، وفيه بيان مفصل عن الإيصالات المستلمة والصادرة لـهرمز ، وتشمل النفقات على ملك المدينة ، والموظفين ومؤسسات عديدة : [١٠]

هرمز

البند

تم استئجار مبنى الجمارك بمبلغ مائه وخمسة وعشرين ألف "باردوس" ، تساوي كل منها :

أربعمائة وخمسين "ريساً" مائة وخمسة وعشرون ألف

بند ، عائدات الضأن خمسة آلاف

بند ، عائدات الفلفل ثلاثة آلاف

---

(١٠) رقم الوثيقة والهامش.

بند ، في مكتب الجمارك المذكور نسبة واحد بالمائة

تدفع عن كل البضائع ، وقد منحت تلك النسبة حتى تتواجد السفن الشراعية في المضيق ، ومع الوقت أصبح ذلك واضحاً بأنه كان عديم التأثير ، وصدرت الأوامر بتحويل نسبة إلى واحد بالمائة ١٪ إلى "غوا" ، وهي تجنى عشرين ألف "باردوس" من اللارينز ، والتي تسلمها الوسيط التجاري لجلالته ، وتم صرفها على مؤن وأشياء تافهة ، ولم يدخل شيء منها إلى الخزينة ، وعليه يجب استثمار المال في شراء .

نحاس من الصين عشرين ألف

مائة ثلاثة خمسون ألف

إجمالي مبلغ مائه وثلاثة وخمسون ألف "باردوس" من اللارينز تساوي مائتين وتسعة وعشرين ألف وخمسمائة "باردوس" من عملة "غوا" .

مائتين وتسعة وعشرين ألف وخمسمائة

منصرفات روتينية على القلعة :

بند : للقائد ستمائة ألف

بند : كبير موظفي الخزينة أربعمائة ألف

بند : الوسيط التجاري مائة ألف

بند : لقائد الحصن مائة ألف

بند : كبير قضاة التاج مائة ألف

بند : للموظف في الخزينة مائة وخمسون ألف

بند : لموظفين اثنين في المحطة التجارية مائة ألف

بند : لأمين المستودع ثلاثون ألف

بند : للموظف بالمستودع خمسة وعشرون ألف

بند : حاجب الخزينة أربعة وعشرون ألف

بند : راتب (alferes) خمسة وعشرون ألف

بند : لرؤساء آخرين في السرايا مائة وستون ألف

١،٨٣٩،٠٠٠

بند : منقول من الصفحة السابقة ١،٨٣٩،٠٠٠

بند : لأربعة من الرقباء العسكريين ١٢٠،٠٠٠

بند : للشرطي ٤٦،٠٠٠ "ريس" بالإضافة لنصف لارين في اليوم لعملة في مخزن البارود ٥٩،٠٠٠

بند : لكبير الحدادين ٢٠،٠٠٠

بند : ملاحظة العمال ومسؤول حوض بناء السفن ٤٠،٠٠٠

بند : مسؤول أعمال البناء بالقلعة ٦٠،٠٠٠

بند : صانع البراميل ٢٥،٠٠٠

بند : القائم بإصلاح البنادق ٧،٢٠٠

بند : لمترجم كبير قضاة التاج ٨،٧٠٠

بند : ملاحظ ومسؤول حوض بناء السفن معه صبي للمساعدة يتقاضى ثلاثمائة "ريس" وخمسة عشر ماعون من الأرز في الشهر بإجمالي قدرة ٥٢،٩٤٠

بند : القائم بإصلاح الأقفال ١٠،٨٠٠

بند : لثلاثين رجلاً من الحرس ٦٤٨،٠٠٠

بند : للقائد بناءً على القانون/ ١٠ من أقربائه وخمسون من الخدم بإجمالي ١،٣٥٦،٠٠٠

بند : ثمانية رجال مع الوسيط التجاري يستحقون ١٢٩،٧٦٠

بند : مع كل من كتبة المحطة التجارية رجل واحد ٣٠،٢٤٠

بند : في حوض بناء السفن بعمل نوخذة مع تسع بحارة ١٩٥،١١٣

بند : صانع الحبال في حوض بناء السفن يستحق ٩،٧٥٢

بند : ٥٠٠ من الجنود في القلعة يدفع لهم إجمالي ٧،٥١٢،٠٠٠

بند : لحاجب القلعة ٢٥،٠٠٠

بند : حاجب الخزينة مع ثمانية من الجنود المشاة وحاجب القلعة وثمانية آخرين بإجمالي ٥٩،٨٦٠

١٢،٢٠٧،٢٧٣

بند : نفقات ملك هرمز وموظفي مكتب الجمارك

بند : الملابس الخاصة بملك "أورمز" من عائدات

مكتب الجمارك أربعون ليك قيمة كل واحدة ١٤،٠٠٠

بإجمالي قدره ٥٧٦،٠٠٠

بند : لرئيس الوزراء ٣٦ ليك بمقتضى مرسوم من جلالته ٥٩٠،٠٠٠

بند : مترجم الملك ، يستحق ٩ ليك (٠٠٠)

بند : لكاتب برتغالي آخر يعمل في مكتب الجمارك خمسة ليك (٠٠٠)

بند : كاتب مغربي مسلم ، ٢ ليك (٠٠٠)

(٠٠٠)،١،٤٨٣

بند : الإجمالي بأعلى (٠٠٠) ١ .٤٨٣

بند : مفتش الأوزان ٥٠،٠٠٠

بند : لمحاسب مكتب الجمارك ٧٢،٠٠٠

بند : للمترجم ١٠،٥٠٠

بند : بواب مكتب الجمارك ٢٨،٨٠٠

بند : للكاتب العربي ، ٤ ليك ٥٧،٦٠٠

بند : لكاتب رصيف تحميل السفن وتفريغها ٣٠،٠٠٠

بند : يتسلم رئيس الوزراء مبلغاً إضافياً قدره ١٢ ليك .

مستحقات قوافل تدفع بناءً على أوامر سارية للشيوخ الذين تمر القوافل عبر بلادهم ، ويقوم الرئيس بتوزيعها بناءً على تلك الأوامر ١،٦٢٠،٨٠٠ .

(٠٠٠)،٣،٣٤٤

نفقات الكنيسة ، المستشفى والكرسي الكنسي :

بند : لمدير القلعة مائتا ألف

بند : للكاهن أربعة وثلاثون ألف

بند : لأربعة من رجال الدين على وقف الكنيسة أربعة وخمسون ألف

بند : لأمين خزينة الكنيسة سبعة آلاف

بند : لعازف الأورغ تسعة آلاف

بند : لغلامين في جوقة الكورال أربعة عشر ألف

بند : للكاهن ، ورجل دين على الوقف الكنسي ، أمين الخزينة وغلمان الكورال وثمن ثمانية أردية كهنوتيه لعيد الفصح ستين ألف

بند : لنبيذ يوم القداس ، زيت وشمع لكل السنة ، ماء ، غسيل الملابس ، أغصان الأشجار وسيقان النباتات مع زهور لأيام الوليمة الرئيسة ستين ألف

بند : مبلغ إضافي للكاهن من أجل القداس الذي سيؤديه عن روح ابن الملك د . "هنريكو" ثلاثة آلاف ومائة وتسعين

بند : لدار الكرسي المقدس لصدقات الفقراء

بند : لنفقات مستشفى جلالته تسعمائة ألف

بند : لقساوسة سيدتنا العذراء ستة وأربعون ألف

بند : لكاهن السلطات القضائية مائتا ألف

١،٧٤٢،٣٤٠

إجمالي نفقات هرمز : سبعة عشر مليون ومائتان وأربعة وتسعون ألف وخمسمائة وثلاثة عشر "ريساً" ، والتي تعادل سبعة وخمسين ألف وستمائة وثمانية وأربعين ٥٧،٦٤٨ "باردوسا" ، وتنقا واحدة وثلاثة وخمسين "ريساً" .

مبالغ من "غوا" ، خصمت من مائتين وتسعة وعشرين ألف وخمسمائة "باردوس" من حساب الخزينة المذكورة أو قلعة هرمز

بالأحرى ، وأبعث على مائة اثنين وسبعين ألف وثمانمائة وواحد وخمسين "باردوس" ، ثلاثة تانقاس وسبعة "ريس" ذهبت للخزينة في شكل لارينز بعمله هرمز ، وهو ربح يعادل عشرين بالمائة يضاف إلى المبلغ المكتسب بإجمالي قدرة ٢٠١،٢٢١ "باردوس" .

بالإضافة لتلك النفقات وطبقاً للأوامر السارية هناك نفقات مبهمة ، وتكون في الغالب غير ضرورية ، وضعت من باب حماسة وطمع القادة الضابط .

قاضي المحكمة العليا "فرانسيسكو دي جوفيا" "Francisco de Govia" ، عندما قام كبير موظفي الخزينة بالقلعة بعمل اتفاق وتعاقد مع التجار الهندوس والعرب المسلمين ؛ حيث تم منح النصف في المائة على الواردات ، ونصف آخر على تصدير بضائعهم حتى تتم التسويات معهم ، التي كانت ستوفر عشرين ألف "باردوس" من عملة "غوا" في السنة .

نفقات :

("ريس") ٥٣ (تانقا) ١ ٥٧٦٤٨

العائد :

٢٢٩٥٠٠

يبقى للملك :

؟ وأربعة "ريسات" وثلاثة "تانجات" ١٨٥٢ (٠٠٠)

وفي العام نفسه (١٦٠٧م)

دوّنت ملاحظات حول قلعة هرمز ، بتاريخ عام ١٦٠٧م : [11]

حاشية وردت في تلك المذكرة :

بالرغم من أن القلعة من خلال الأوامر الثابتة تحتوي على خمسمائة جندي ، لا يوجد مائتا رجل قادرون منهم ؛ بسبب الأرواح الميتة والمحطات التجارية الخيالية التي يتم الدفع لها ، وآخرون من خادمين وأشخاص أخذهم الضباط من هناك من أجل أعمال مشاريعهم ومكاتبهم التجارية ، التي تعود بالربح على الضباط ، بينما تضر مصلحة جلالته ، ويجب وضع ذلك في الاعتبار .

السبب هو نقص المدفعيات ، كما يقال ، ويأخذ الضباط ما يستفيدونه في سفنهم ، نتيجة لذلك فقدت سفن القرقور ، أو أنهم يضلون عن أسباب أخرى ، والنتيجة هي النقص الحالي ، وهو ما يهدد سلامة الحصن ، وهو ما يتضح . هناك دليل أن الضباط لديهم

---

(١١) رقم الوثيقة والهامش.

أعمال في كل أو معظم الموانئ في مضيق البصرة ، نتيجة لذلك عندما يكون هناك قتال مع الدول المجاورة ، من أجل حماية بضائعهم ، فهم يتعرضون لمصلحة وثقة وسمعة جلالته .

بالرغم من أنهم يجب أن يؤيدوا التجار الذين يذهبون إلى هرمز لتشجيعهم على الذهاب إلى هناك ، فذلك يزيد من دخل مصلحة الجمارك ، فهم يقومون بعكس ذلك ، ويتعقبون مصالحهم الخاصة ويقومون بالانتهاكات والابتزازات عليهم ، ويمنعوهم من البيع لأي أحد غيرهم ، ومن شراء البضائع من الآخرين ؛ حتى يقوم الضباط ببيع بضائعهم ، وبالتالي يمكنهم فرض الأسعار التي يريدونها في البيع والشراء .

يتحمل التجار كل ذلك بيأس ، وكيلا يعرضوا أنفسهم للفقر من الانتظار ، ولكنهم يشتكون بوضوح وباستمرار في كل مكان ، وكذلك ملك هرمز ؛ بسبب الإغاظة والإهانة التي يعاني منها من الضباط ، عندما لا يعطيهم ما يريدون . كل ذلك لا يمكنه سوى أن يثير الاشمئزاز ، وله تأثير مضر على مصلحة جلالتك .

معظم بضائع هؤلاء الضباط -وهي كثيرة- لا يتم إرسالها من قبل مصلحة الجمارك ، حتى وإن تم ذلك فيتم بطريقة يحصل جلالته من خلالها على القليل من الربح ، ومن المتوقع أن يتحول عنهم بالمثل أفراد أو أشخاص ممن يتم إجبارهم .

إن أسعار البنود التي يوفرونها في المخازن في القلعة -المعنيين بها- باهظة الثمن ، ويتم إنفاق قدر كبير من دخول محطة الجمارك بتلك

الطريقة هناك ، إلا أن هناك شكاوى من أن المؤن غير كافية ، وأنه ليست فقط خزانة جلالته من يعاني من تلك المشكلة بل ومصالحه أيضاً .

هذا غير مطمئن ؛ حيث إن الضباط يتاجرون ويستمرون في تجارة الأشياء التافهة التي تأتي إلى تلك القلعة ، ويقومون باحتكارها ، وهو ما يضر بشدة بالأشخاص الذين يتم استبدادهم بتلك الطريقة .

إذا كان من المتوقع أن ملك فارس يجب أن يرسل حريره إلى هرمز ، فمن اللازم أن يتم التعامل معه من قبل الضباط ، وسوف يتسبب ذلك في الكثير من المشاكل ، وسوف يزيد ذلك من غضب الفرس ؛ حيث إنه أكثر اهتماماً بالأمر إلى الآن ؛ لأن ذلك سوف يؤثر في ممتلكاته الخاصة ، وسوف يسبب الأمر متاعب كما هو واضح .

بالرغم من أن كل المحاولات كانت بهدف إنهاء الشكاوى الخاصة بالضباط ، وقد تم إرسال العديد من الأوامر المحددة للتعامل مع ذلك ، ولم يكن ذلك مجدياً ، بل زادت الانتهاكات ، حتى الآن اعتدوا على حقوق الجمارك بشكل كبير ، لدرجة أن كل ضابط جديد يصل إليَّ يكون على علم أن ما قام به سابقوه مباح .

حيث إن كل ضابط يحصل على حوالي مائتَي ألف أشرفي ، ويتولى المنصب في القلعة وهو مدرك لذلك ، فلن يكون هناك أي أمر يكفي لتوفير طريقة لمنع ذلك ، وقد أوضحت التجارب السابقة ذلك ، ومن المعروف أن كل ضابط يمكنه أن يحلل راتبه بشكل شرعي ، وما يمكن القيام به بخصوص التسهيلات التي يمنحها لهم النواب .

وفقاً للقانون يمكن ويجب على جلالته أن يتعامل مع المصلحة العامة ، حتى وإن تمت المخاطرة بمصالح الأفراد وضياعها .

من الواضح الحالة المؤسفة لقلعة هرمز مع الضباط الذين يقومون بالتجارة ، خاصةً الآن والحالة التي تدهورت إليها الآن ، ومع النظام الحالي للحكومة لا يمكن لمصلحة الجمارك أن تحصل على الدخول الكبيرة التي تعد بها ، أو أن تبلي بلاء حسناً أمام ما هو متوقع منها ، ولكل تلك الأسباب ، يجب أن يتم إرسال شخص له مقدرة بارزة وخبرة إلى هناك من البرتغال ، ويكون هدفه الوحيد التعامل مع الدفاع وحماية القلعة ، وتحصينها وترتيب عملية الدفاع عنها .

يجب أن يمنع ذلك الضابط من كل أنواع تجارة البضائع ، وأن يتم إعطاؤه راتباً يعول به نفسه بشكل مناسب .

سوف يحتشد التجار بعد ذلك هناك ، ولن تمنح فقط مصلحة الجمارك ما هو ضروري للرواتب وأعمال البناء الأساسية ، بل سيكون هناك فائض لدعم الهند . كل شيء متوقع من المسابقة هناك سيكون بناءً على عقود ، خاصة عندما لا يتسابق الضباط بعد ذلك ، ويكون من المستحيل تقدير ثروة جلالته هناك .

وفي العام نفسه (١٦٠٧م)
دوّن ما كان عليه مظهر دولة الهند في بداية القرن السابع عشر ، وذكر ما يلي : حالة دولة الهند ومحور "لشبونه" ، "غوا" لها أهمية تاريخية كبرى ، ليس فقط لأنها تتعلق بفترة عظمة البرتغال ؛ لكن لأن دراستها أيضاً يمكن أن تضيء الحاضر ، وقد توفر الأمل للمستقبل .(١٢)

في مكان آخر أوضحت أن التاج البرتغالي كان عليه أن يخصص من منصرفاته على بناء السفن والرحلات البحرية ؛ لأن مثل هذه النفقات مع القرصنة والحرب والتمرد تعني أن بعض الرحلات هي خسائر في أوقات حيث تصبح عديدة وكثيرة ، وقد تأتي فقط بأرباح وفوائد قليلة وأحياناً ذات تنافس متبادل(أ) .

(أ) "La creation et le maintien des reseaux d, escales portugaises," .
رسالة بعثت إلى المؤتمر عن Les grandes escales (بروكسل – انتويرب ١٩٦٨م) نظمته اللجنة الدولية للتاريخ الملاحي the Societe Jean Bodin للصحافة .

(١٢) رقم الوثيقة والهامش.

التخالفات التي اعتبرها البرتغاليون ذات ضمانة مع "برستر جون" أو امبراطور الصين (أو أي موظف كبير قد يأخذ مكانه) قد خذلتهم ، وتبخرت قواهم في حروب محلية هددت بتفككها كلياً ، وما كان عليهم عمله هو مغادرة مواقع ساخنة وتعزيز أماكن رئيسة ، كان المعيار القدرة والإمكانية التي تحكمها الطرق لإقليم أن عليه أن يسدد كلفة دفاعه .

في الربع الأخير من القرن السادس عشر كان العائد المالي من دولة الهند قد زاد ، بينما ظل الإنفاق يسوده الانضباط ، وألقي بعض الضوء المهم على تلك التطورات بناء على التقديرات التي تمت في العام ١٦٠٧م ، بمقتضى أوامر كبير موظفي الخزينة : "جيرونيمو دي بريتو بيدروسو" "Jeronimo de Breito Pedroso"[أ] ، بواسطة المحاسب "بالتاسار مارينهو" "Balthasar Marinho" ، الكاتب "دومينجوس رودريجز" "Domingos Roderigues" .

بالرغم من أن بعض النشاطات التجارية أفضت إلى فائض كبير ، إلا أن هذا لم يكن يعني بالضرورة أن المناطق موضوع السؤال يمكن أن تحقق أي أرباح .

إن حماية الرحلات البحرية كان التزاماً مكلفاً ، والأرقام المقترحة أن عائداً مالياً صغيراً جداً هو فقط ما يمكن الحصول عليه للدولة ، وزيادة على ذلك فمن الصعوبة رصد مبالغ دقيقة للإنفاق العسكري الكبير الذي يتطلبه الوضع بلا شك ، وتقديراً ، فإن ثلث العائدات

(أ) العائدات والنفقات لدولة "الهند" لسنة واحدة (١٦٠٧م) لشبونه – في :
Biblioteca Nacional da Ajuda, ms . 51 . vi - 554, fols .271 - 293 .

يمكن أن يبقى كفائدة ، بناءً على الأرقام أدناه ، التي استخلصناها من هذه الوثيقة :

حسابات الدولة (بملايين الريس)

السنة	الإيصالات	النفقات	الفائض
١٥٧٤	٢٧٥	٢٣٣	+ ٤٢
١٦٠٧	٣٥٥	٢٣٥	+ ١٢٠
١٦٣٤	٢١٧	٢٠٠	+ ١٧

تقف هذه الأرقام كشاهد على توازن معقول ، خاصة للسنة ١٥٧٤م ، وفي العام ١٦٠٧م كان الخطر أن تنتج هذه السياسة الزيادة الضخمة للعائدات كونها تبددت على نفقات غير عادية . سجلت العائدات والنفقات بطريقة منفصلة لكل منطقة في ١٦٣٤م ، وقد أضفناها معاً لتصل للإجمالي .

في القرن السابع عشر كانت طرق اليابان و"مانيلا" لا تزال عظيمة الأهمية[أ] ، لم تكن لشرق إفريقيا إدارة منفصلة مستقلة عن "غوا" .

على أي حال ، فإن طريق "موزمبيق" كان من أكثر الطرق ربحاً في المحيط الهندي ، وحقق مكاسب للقبطان أكثر مما يحقق للتاج . كان لا يزال هناك موقعٌ هنا وهناك للمشاريع الشخصية ، طالما أنها تلقى

(أ) وليام ليتل شكورز ، سفينة مانيلا ، ١٩٣٩م ، طبعة جديدة نيويورك ١٩٥٩م ، صفحات 130 ff وC .R .Boxer : السفينة الكبيرة من أماكون . سجلات ماكاو وتجارة اليابان القديمة ١٥٥٥م – ١٦٤٠م . لشبونه ١٩٥٩م .

دعـــم التـــاج ، لكـــن لـــم يكن هناك بحث أو مسألة بتعهد جديد يمكن تطويره(أ) .

سياسة البرتغال كان عليها أن تكون من أجل تحقيق دعم مالي ذاتي لكل مجال جغرافي واقتصادي ، وكان هذا هو الناتج لرد فعل الاعتداءات من الأعداء الأوروبيين ؛ بسبب المعتقدات الخاصة التي سادت إمبراطورية "هابسبيرج" (الذين طوروا أنفسهم عبر احتجاجات وعطف) كانت "غوا" قادرة بالرغم من المشقة التي تجدها في دعم "ديو" "Diu" ، و"هوناوار" "Honawar" ، و"اجاشي" ، و"كانانور" "Cananor" ، و"كرانجانور" ، و"كوتشين" ، و"كولام" "Colam" .

إن صعوبة تعريف العلاقة السابقة والمعقدة جداً في الاتكالية بين مناطق الإنتاج والأسواق التي في آسيا ، إفريقيا ، أوروبا ، وحتى أمريكا ، تبين أهمية القرار بتخفيض المناطق التي كانت تحت السيطرة البرتغالية(ب) ، لأي مدى كانت الأسباب لهذا التغيير الفني الكبير والاقتصادي؟ عندما أسس البرتغاليون في البداية علاقات مع العالم الآسيوي كانت نظرتهم ومحاولتهم في الأساس متعلقة بالقرون الوسطى ،

(أ) عمود صحفي يظهر على :

(Anuario de Historia economica y social, 11, Madrid 1971).

(ب) فيما يتعلق بالوعي لهذا الاعتماد على غير خاصة "دوارتي جوميز سولس" –

(Discuros Sobre los comercios de las dos India, Madrid 1622).

ونفس المؤلف له :

(Alegacion en favor da la Compania de la India oriental7 comercios ultramarinos que de nuevo se instituyo en el Reyno de Portugal (Madrid 1628) .

"إيطالية" وبحر "أوسطية" . بقـيت تلك الأمـور مطروحة ولم تتغير بعـد الربع الأول من القرن السادس عشر ، وبدأ النشاط البرتغالي يفقد أطرافه .

فقد البرتغاليون مواضع للإنجليز والهولنديين في الشرق الأقصى ؛ لأن قاعدتهم السياسية كانت ضعيفة (نتيجة لفشل الدبلوماسية) والحاجة إلى تحالف شرقي قوي . كانت البرتغال معزولة ومنطوية على نفسها ، وأكثر العناصر ديناميكية بين السكان كانت غير قادرة على خلق بنية اقتصادية واجتماعية جديدة ، كانت الحاجة ماسة لها لتنمية صحيحة ومتناسقة لبناء تجارة قارية شاملة .

أظهر "بيري شونو" "Peri Chuno" أن التجارة مع الإمبراطورية الصينية كانت العامل المسيطر في الشرق الباسفيكي[أ] . فشل الإنجليز في أمريكا الشمالية ، فاتخذوا جذوراً قوية في آسيا . لعل اتفاقية بين "برستر جون" "Prester John" وملك البرتغال قد تغير من مجرى التاريخ .

الوثيقة التي نشرت هنا قد تقترح اتجاهاً جديداً للبحث عن توسع البرتغاليين وإمبراطوريتهم ، وربما أيضاً لدراسة العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي قد تتغاضى عما كانوا عليه ، رغم ما عكسته من عنصر الطموح ، وقد يتضمن التاريخ مع كل ذلك إمكانات متضاربة كانت حاضرة في ظروف سابقة ، وأيضاً مثل حلول اختيرت ، وهنا أخرى لم تكن سائدة ، وتلك أيضاً جزء من حقيقة الماضي .

(أ) Les Philppines et le Pacifique des iberiques cit ., pp . 266 ff . .

آمل ان تستخلصوا من هذه الوثيقة الثروة من المعلومات التي يمكن أن توفرها .

*** الدخل والنفقات لدولة الهند لسنة واحدة .**

"مارينهو" :

حساب البنود التي أنفقت بموجبها عليها عائدات دولة الهند المالية :

* المنصرفات على كبير الأساقفة "بريماتي" وجماعته من الكهنة (ثلاثة عشر ألف ومائتين وأربعين "أشرفياً" .	١٣,٢٤٠ – ٠ –٠٠
* كاهن كاثدرائية "غوا" كلف خمسة آلاف وثمانمائة وعشرة "أشرفيات" .	٥,٨١٠ –٠ – ٠٠
* كنائس أبرشية المدينة وجزيرة "غوا" كلف خمسة آلاف وثمانمائة وواحداً وثمانين "أشرفياً" وثلاثة "تانجاسات" وأربعين "ريساً" .	٥,٨٨١ – ٣ – ٤٠
* أساقفة "كوتشين" و"أنجامال" و"ماليابور" دير "الدومينكان" في "غوا" وكلية "أوغسطين" الجديدة كانت تكلفتها ستة عشر ألفاً ومائتي أشرفي .	١٦,٢٠٠ – ٠ – ٠٠
* مخصصات المنصرفات للمستشفى بـ "غوا" هي اثنا عشر ألف أشرفي .	١٢,٠٠٠ – ٠ – ٠٠

* الآباء اليسوعيون في "غوا" تلقوا ثمانية آلاف وثمانمائة وأربعة وخمسين "أشرفياً" وتانجاسَين وستة عشر "ريساً" .	٠٨,٦٥٤- ٢ - ١٦
* الخضروات ، الخمور ، الزيت والأقمشة القطنية التي توزع للكهنة ، تبلغ عشرين ألفاً ومائتين وتسعة وسبعين "أشرفياً" وأربعة "تانجاساتٍ" وعشرة "ريساتٍ" .	٢٠,٢٧٩-٤-١١٠
* موظفو لجنة المكتب المقدس يتلقون سبعة آلاف وأربعمائة وأربعة وأربعين "أشرفياً" وأربعة "تانجاساتٍ" وعشرين "ريساً" .	٧,٤٤٤ -٤ -٢٠
* من مخصص لنائب الملك من مبلغ الثلاثين ألف "ريس" للمنح والهبات أنفق ستاً وسبعين ألفاً وخمسمائة وتسعة عشر "أشرفياً" وثلاثة "تانجاساتٍ" وعشرين "ريساً" . (٢٧٩v .)	٧٦,٥١٩ -٣ -٢٠ ١٦٦,٠٣٠ -٢ -٤٦
نفقات منقولة	١٦٦٠٣٠ -٥ -٤٦
*يحصل وزير الخارجية على ألفين ومائتين وأربعة وستين ألف "أشرفي" و"تانجاسَين" وأربعين "ريساً" .	٢,٢٦٤ - ٢ -٤٠

* قضاة المحكمة العليا يتقاضون ستة عشر ألفاً ومائتي "أشرفي" و"أشرفيَّين" و"تانجاسَين" وعشرين "ريساً" .	٢٠-٢-١٦,٢٠٢
* قاضي التاج لمدينة "غوا" ومنصب مفتش التنفيذ تكلف ألفاً وستمائة وأربعة وتسعين "أشرفياً" و"تانجاسَين" واحداً وعشرين "ريساً" .	٢٠-١-١,٦٩٤
* كاتب السجل العام والمحاسبون معه تبلغ تكلفتهم ثلاثة آلاف وأربعمائة وسبعة وثلاثين "أشرفياً" وثلاثة "تانجاسات" .	٠٠-٣-٣,٤٣٧
* مكتب المحاسبة يكلف ستة عشر ألفاً ومائتين وسبعة "أشرفيات" وأربعة "تانجاساتٍ" وعشرين "ريساً" .	٢٠-٤- ١٦,٢٠٧
* الأرشيف يكلف ستمائة وثمانية وتسعين "أشرفياً" و"تانجاساً" واحداً فقط .	٠٠- ٢- ٠٠,٦٩٨
* كبير موظفي الخزينة والموظفون الآخرون بالخزينة في "غوا" تبلغ تكلفتهم أربعة عشر ألفاً ومائة وأربعة "أشرفيات" وثلاثة "تانجاساتٍ" وعشرين "ريساً" .	٢٠-٣-٢٤,٢٠٤

* معاشات الأرامل والسادة المتقاعدين في "غوا" تكلفتهم سبعة آلاف وأربعة وثمانين "أشرفياً" .	٧,٠٨٤-٠-٠٠
* قائد "غوا" وضباط المواقع في الجزيرة يؤدي لهم مبلغ ستة آلاف ومائتين وخمسة وثمانين "أشرفياً" و"تانجاسَين" وأربعين "ريساً" .	٢٠٦,٢٨٥-٤٠
* رئيس (tanadar) والـ(tanadars) الآخرون في جزيرة "غوا" يتلقون ألفاً ومائتين واثنين وستين "أشرفياً" ، و"تانجاسَين" وأربعين "ريساً" .	١,٢٦٢-٢-٤٠
"مارينهو" نقلاً عما قبله	٢٣٥,٢٧٢-١-٠٦ ٢٣٥,٢٧٢-١-٠٦
* لجنة مكتب جمارك "غوا" تكلف سنوياً مائتين وواحداً وثمانين "أشرفياً" وأربعة "تانجاساتٍ" .	٢٨١,٠٠٠-٤-٠٠
* مصروفات مخزن البارود في "غوا" تبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة وتسعة وعشرين "أشرفياً" وثلاثة "تانجاساتٍ" .	٣,٥٢٩-٣-٠٠
* نفقات عادية على منطقة "بارديس" ، ثلاثة آلاف ومائة وواحد وعشرون "أشرفياً" و"تانجاس" واحد وأربعون "ريساً" .	٠٠٣,١٢١,١,٤٠

* النفقات العادية على قلعة "راشول" ومنطقة "سالسيتي" ألفان وأربعمائة وثلاثة وثمانون "أشرفياً" و"تانجاس" وأربعون "ريساً" . (٧٠,٢٨١,٧٠)	٢,٤٨٣,١,٤٠
* النفقات على حوض السفن الكبير بمدينة "غوا" كما هو معروف ، متغاضين عن غير المعروف ، يكون واحداً وعشرين ألفاً وثلاثمائة وستة وعشرين "أشرفياً" وثلاثة "تانجاساتٍ"وعشرين "ريساً" .	٠٢١,٣٢٦,٣,٢٠
* مصروفات حوض سفن "الغليون" في المدينة يكلف تسعة آلاف وثمانمائة وستة وأربعين "أشرفياً" وثلاثة "تانجاساتٍ" وعشرين "ريساً" .	٠٠٩,٨٤٦,٣,٢٠
* منصرفات الموظفين الاثنين بالمستودعين للمواد والمدفعية يكلفان ألفاً ومائتين وتسعة وسبعين "أشرفياً" ، و"تانجاسين" ونصفاً .	١,٢٧٩-٢-٣٠
نفقات الحاميات التي تغادر لقضاء الشتاء في القلاع الحدودية ، تكلف خمسة آلاف واثنين وثلاثين "أشرفياً" .	٠٠٥,٠٣٢-٠-٠٠

* منصرفات أسطول "مالبار" تسعة وأربعين ألفاً وتسعمائة وثلاثين "أشرفياً" و"تانجاساً" واحداً فقط وخمسين "ريساً" .	٥٠-١-٤٩,٩٣٠
نقلاً عما قبله * نفقات الأسطول الشمالي ستة عشر ألفاً وستة وسبعون "أشرفياً" وثلاثة تانجاسات . مصروفات حوض سفن "الغليون" في المدينة يكلف تسعة آلاف وثمانمائة وستة وأربعين "أشرفياً" وثلاثة "تانجاساتٍ" وعشرين "ريساً" .	٣٣٦,٣٧٩,٢-٢٦ ٣٣٦,٣٧٩,٢-٢٦ ١٦,٠٧٦-٣-٠٠ ١٦,٠٧٦,٣,٠٠
* نفقات أسطول مطاردة القراصنة في الشمال و"ملبار" يكلف سبعة آلاف وسبعمائة وخمسة وستين "أشرفياً" وتانجاساً واحداً .	٠٠٧,٧٦٥,١,٠٠
* نفقات عادية على الأوراق المستخدمة في المحاكم ومكاتب هذه المدينة ، ثمانمائة أشرفي .	٠٠-٠-٠٠٠,٨٠٠
* إجمالي النفقات العادية على قلعة "موزمبيق" سبعة عشر ألفاً وثمانمائة وتسعة وعشرون "أشرفياً" .	٠٠-٠-١٧,٨٢٩
* إجمالي النفقات العادية على قلعة "ممباسا" أحد عشر ألفاً ومائتان وأربعة وستون "أشرفياً" ، وثلاثة "تانجاساتٍ" وأربعون "ريساً" .	٤٠-٣-١١,٢٦٤

* إجمالي النفقات العادية عن قلعة هرمز ستة وسبعون ألفاً وثمانية وتسعون "أشرفياً" وأربعة "تانجاساتٍ" .	٧٦,٠٩٨-٤-٠٠
* إجمالي المنصرفات العادية على قلعة مسقط خمسة آلاف وسبعمائة وأربعون "أشرفياً" وثلاثة "تانجاساتٍ" وعشرون "ريساً" .	٠٠٥,٧٤٠-٣-٢٠
* إجمالي المنصرفات العادية على قلعة "ديو" خمسة وأربعون ألفاً وخمسمائة وواحد وأربعون "أشرفياً" وثلاثة "تانجاساتٍ" وأربعون "ريساً" .	٤٥,٥٤١-٣-٤٠
* إجمالي النفقات العادية لقلعة "دامان" "Da-man" خمسة وخمسون ألفاً وتسعمائة وخمسة "أشرفيات" و"تانجاسانِ" .	٥٥,٩٠٥-٢-٠٠
* إجمالي النفقات العادية على قلعة "باسين" سبعة وخمسون ألفاً وتسعمائة وأربعة وثلاثون "أشرفياً" وثلاثة "تانجاساتٍ" .	٥٧,٩٣٤-٣-٠٠
	٦٣١,٣٣٦,١,٠٦
"مارينهو" تابع ما قبله .	٦٣١,٣٣٦-١-٠٦

* إجمالي المنصرفات العادية على قلعة "شول" ، عشرون ألفاً وثلاثمائة وتسعة وخمسون "أشرفياً" و"تانجاسانِ" ونصف .	٣٠-٢-٢٠,٣٥٩
* إجمالي النفقات العادية على قلعة "باسرور "Basrour" التي أرسلت من "غوا" أربعة آلاف ومائتان وتسعة وعشرون "أشرفياً" و"تانجاس" واحد وأربعون "ريساً" .	٤٠-١-٠٠,٤٢٩
* إجمالي النفقات العادية عن قلعة "هونوار" التي على لائحة "غوا" ، ثلاثة آلاف وثلاثمائة أشرفي .	٠٠-٠-٠٠٣,٣٠٠
* إجمالي النفقات العادية لقلعة "مانجالور" ثلاثة آلاف وثمانمائة واثنان وخمسون "أشرفياً" .	٠٠-٠-٠٠٣,٨٥٢
* إجمالي النفقات العادية لقلعة "كانانور" ثلاثة آلاف وتسعمائة وثمانية وعشرون "أشرفياً" وأربعة "تانجاساتٍ" وعشرون "ريساً" .	٢٠-٤-٠٠٣,٩٢٨
* إجمالي النفقات العادية على قلعة "كرانجانور" ثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وعشرون "أشرفياً" وثلاثة "تانجاساتٍ" وعشرون "ريساً" .	٢٠-٣-٠٠٣,٤٢٤

* إجمالي النفقات العادية لقلعة "كوتشين" اثنان وعشرون ألفاً وأربعمائة وثمانية وتسعون "أشرفياً" و"تانجاس" واحد وأربعون "ريساً" .	٢٢,٤٩٨-١-٤٠
* إجمالي المنصرفات العادية لقلعة "كولام" ألف وتسعمائة وسبعة "أشرفيات" ترسل من "غوا" ، تصحيح : "كوتشين" .	١,٩٠٧-٠-٠٠
* إجمالي النفقات العادية لقلعة "مانار" تسعة آلاف وأربعمائة وثلاثة "أشرفيات" ، و"تانجاس" واحد فقط وعشرون "ريساً" .	٩,٤٠٣-٠-٠٠
* إجمالي النفقات العادية لقلعة "سيلان" عشرة آلاف ومائتان وستة وعشرون "أشرفياً" (٢٩١v/٧ .)	١٠,٢٦٦-٠-٠٠
تابع ما قبله .	٧١٤,٥٢٥-٠-٥٦
* إجمالي النفقات العادية لقلعة مدينة "مالاكا" خمسة وأربعون ألفاً وثلاثة وستون "أشرفياً" ، "تانجاسٌ" واحدٌ وعشرون "ريساً" ، والتي تحول إلى "أشرفي" "غوا" وتساوي أربعة وخمسين ألفاً وخمسة وسبعين "أشرفياً" وأربعة "تانجاساتٍ" وعشرين "ريساً" .	٥٤,٠٧٥-٤-٢٠

* خمسة وعشرون ألف "أشرفي" ترسل من "غوا" إلى "ســيلان" التي صرفت منها القلعة ١٠ .٢٢٦ بمقتضى الملف ٢٩١/٧ وأربعة عشر ألفاً وسبعمائة وأربعة وسبعون "أشرفياً" أنفقت على إخضاع الجزيرة بأمر من القائد ، ولوجود إدراج بنفقات من قبل القلعة فيوجد فقط ١٤٧٧٤ "أشرفياً" مدرجة هنا .	١٤,٧٧٤-٠-٠٠
* ألف ومائتان وسبعة عشر "أشرفياً" وثلاثة "تانجاساتٍ" أرسلت إلى قلعة "كالكتا" سنوياً بأمر من نائب الملك ؛ لحفظ السلام مع سامورين .	١,١٢٧-٣-٠٠
	٧٨٤,٥٩٢-٣-١٦

وبناءً على هذا التقدير تم إنفاق سبعمائة وأربعة وثمانين ألفاً وخمسمائة واثنين وتسعين "أشرفياً" وثلاثة "تانجاساتٍ" وستة عشر "ريساً" على البنود الموضحة .

في كل سنة ترسل ذخائر ومواد ضرورية أخرى إلى "موزمبيق" و"ممباسا" لتحفظ في مستودعاتهما على سفن خاصة ، دفعت لها أجرة شحن ، لكن أحياناً ترسل كميات كبيرة وأحياناً أخرى كميات قليلة .

بالإضافة للنفقات أعلاه ترسل أيضاً أقمشة من "غوا" لتزويد القلاع

في "مولوكاس" و"أمبويانا" "Amboyana" والتي تكلف بين اثني عشر وثلاثة عشر "أشرفياً" ، والمصروفات الضرورية وتكلفة السفن الشراعية (غاليوت) التي تذهب كل سنة لتسليمها .

إن عادت بسلام ، فإنها تأتي بالقرنقل الذي تكفي أرباحه لتغطية تلك المبالغ ، مع القليل الذي يبقى ، والذي لسبب ما لا يدرج في الحسابات .

"مارينهو" :

العائدات المالية لكل دولة الهند كما هو مبين في ملف ٢٧٦ تصل إلى مليون ومائة وخمسة وثمانين ألفاً ومائة "أشرفي" واثنين .

* بذلك تجني دولة الهند كما ذكر أعلاه مليوناً ومائة وخمسة وثمانين ألفاً ومائة "أشرفي" واثنين.	١,١٨٥,١٠٢
* وتنفق سبعمائة وأربعة وثمانين ألفاً وخمسمائة واثنين وتسعين "أشرفياً" ، وبذلك يصبح الفائض أربعمائة ألف وخمسمائة وعشرة "أشرفيات" .	٧٨٤,٥٩٢ ٤٠٠,٥١٠

* على الملف ٢٨٢ يمكن رؤية أن حوض السفن الملكي الكبير وحوض السفن الشراعية الكبيرة (القاوس) في "غوا" له نفقات كبيرة غير مستحقة دون أي تمييز بينها .

* على الملف ٢٨٥ هناك في قلعة هرمز كمية كبيرة أنفقت على الأقمشة الخاصة بحوض السفن والمستودعات .

* على الملف ٧/٢٨٦ يبين أن في قلعة "ديو" بعض مواد تم شراؤها ؛ لأنها مطلوبة للأسطول هناك .

* على الملف ٢٨٨ يبين أن في قلعة "دامان" ، كونها في موقع حدودي ، كانت تتم نفقات عادية من حين لآخر .

* في الملف v /٢٩١ النفقات التي صرفت على إخضاع "سيلان" .

* في الملف ٢٩٢ يبين أن النفقات الإضافية صرفت في "مالاكا" .

وفي الملف ٢٨٣ يبين أن مبلغاً كبيراً قد أنفق على الذخيرة والمدفعية والإمدادات .

إضافة لتلك الأساطيل التي تم جمعها في السنوات الحالية ، فإن أساطيل السفن الكبيرة تم جمعها من أجل الجنوب ، مثل تلك التي تحت قيادة "لورنزو دي بريتو" "Lorenco de Breito" ، و"جوتيري دي مونروي" "Gotheri de Monroe" ، و"اندريه فورتادو" "Andre Fortado" ، وقد أرسلت التعزيزات والأسطول الكبير الذي حمل نائب الملك دوم "مارتيم أفونسو" والذي يخص "نونو دا كونها" "Nuno da Cunha" ، وقد أُنفق عليهما مليونا أشرفي ، التي ساهم فيها سكان مدن هذه الدولة بكل مساعدة تمكنوا من تقديمها .

لإظهار تكلفة رواتب ومخصصات مدينة "غوا" هذه بعيداً عن النفقات العادية ، فإنها تصل لمبلغ أربعمائة وستة آلاف ومائتين وتسعة وتسعين "أشرفياً" .	٤٠٦,٢٩٩ "أشرفياً"
* تُنفق ثلاثمائة وواحد وستون ألفاً وعشرون "أشرفياً" على المصروفات العادية للمدينة ، وثلاثة وأربعون ألفاً ومائتان وسبعة "أشرفيات" وتونجا واحدة ترسل للقلاع الأربعة : "مالبار" ، و"ممباسا" ، و"كلكتا" ، و"سيلان" ، وتصبح في جملتها أربعمائة ألف ومائتين وثمانية وعشرين "أشرفياً" .	٤٠٤,٢٢٨ "أشرفياً"
مما يترك فائضاً مما يعني أن العائدات المالية أكثر عن المصروفات بمقدار ألفين وواحد وسبعين "أشرفياً" .	٢,٠٧١ "أشرفياً"

ويجب ملاحظة عدم وجود أي حساب في هذه الميزانية عن العائدات من معابد جزيرة "غوا" هذه ، ومناطق "سالسيتي" "Salsete" و"باردس" ؛ لأنها تستخدم لنفقات المجمعات والكنائس في تلك المناطق ، انظر : ٤٢٩٤ "أشرفياً" في أربع عشرة أبرشية ، والتي تشتمل على مجمع ومستشفى تدار بواسطة القساوسة اليسوعين في مقاطعة سالسيتي ، وعليه ، فإن العائد من المعابد قد استبعد من الخزينة الملكية .

كما أن **٣١٤٢** "أشرفياً" أحضرت من ثلاث عشرة كنيسة في منطقة "باردس" التي تشمل مجمعَ وهيئةَ الملوك التي يديرها القساوسة الفرانسيسكان ، وتدفع المصروفات من عائدات تلك الهياكل والمعابد .

"مارينهو" :

*** جدول العائدات المالية لدولة الهند :**

تدور جزيرة ومدينة "غوا" سنوياً	٤٠٦,٢٩٩ "أشرفياً"
عائدات مراكز الجمارك في "غوا" وكوتشين للعام المقبل	٢٢٢,٦٦٦ "أشرفياً"
عائدات من نبات الفلفل والمؤن بهذه المدينة	٢١,٥٠٠ أشرفي

"داسيلفا" : ١٦٠٧ – ميزانية دولة الهند :

عائدات المحكمة العليا	١٠,٣٠٠
عائدات البهارات	٧,٦٠٠
عائدات مبيعات الحرير	١٤,٠٠٠
من الـ(سيرجاريا) نسيج صوفي متين	١,٨٠٥
عائدات من مبيعات الكبريت والعملات الذهبية	٩,٥٤٥

استيراد الخيول (تقريباً) في كل سنة	٢٠,٠٠٠
خمور النخيل	٣,٠٠٠
مكتب الـ (catualia)	٢,٠٠٠
عائدات حصن أجاشي (Agashi)	١,٠٠٠
حصن "بيناستيرم"	١,٥٠٠
حصن "الدوجيم"	١,١٦٠
ضريبة أرض من قرى الجزيرة حصيلتها	٧,٩٨٣
حصن "البانجيم"	٣٩٨.
ضريبة أرض من جزيرة "ديفار"	١,٦٥٦
ضريبة أراضٍ من جزيرة "شوراو" "Chorao"	٢,١٨٦
منطقة سالسيتي وإنتاجها من خمور النخيل ومراكز الجمارك	٥٠,٠٠٠
منطقة "باردس"	٢٣,٠٠٠ ٤٠٦,٢٩٩
مكتب جمارك هرمز عن الإيجارات الحالية	١٩٢,٠٠٠
مكتب جمارك "ديو" يجمع	١٨٣,٠٠٠أشرفي
وإيجارات صغيرة تصل لمبلغ ٣٢,٥٥٠ بإجمالي قدره	٢١٥,٠٠٠
ضريبة أراضٍ ومقاطعة قلعة "دامان"	٦٠,٠٠٠
ضريبة أراضٍ ومقاطعة قلعة "باسين" "Bassin"	١٢٣,٦٠٠

عائد إيجارات وجزية من "شول"	٣١,٠٠٠
قلعة "مانجالور"	٣,٠٠٠
قلعة "مانار" التي لها مصائد أسماك في سنوات مختلفة	٢٥,٠٠٠
مكتب جمارك "جزر الملوك" وإيجارات لسنوات سابقة	٨٨,٨٠٠
تؤدي قلعة "موزمبيق" رواتب لضباطها	٣٣,٣٣٣
عائد مكتب جمارك ممباسا	٩١٨٠"أشرفياً" يحتفظ
منها ملك "ميلندي" بالثلث والباقي يودع في الخزينة الملكية	٦,١٢٠ ١,١٨٤,٧٠٢
نقلاً عمّا قبله شعلة (The Candel) لقلعة مسقط وهو مبنى	١,١٨٤,٧٠٢
الجمارك حصيلة دخله أربعمائة "زيرافين"	٠,٠٠٠,٤٠٠ ١,١٨٥,١٠٢-٠-٠٠

إذاً ، بناءً على هذه الميزانية التي أعدت طبقاً للبيانات الواردة من مكاتب الجمارك للسنوات السابقة وسجلات البلاد والمناطق ؛ حيث تبلغ عائدات ضريبة الأراضي التي تحصل عليها دولة الهند مليوناً ومائة وخمسة وثمانين ألفاً ومائة "أشرفي" واثنين كما هو مبين على هذه الصفحة .

"مارينهو" :

*** إجمالـي نفقات مدينة "غوا"**

راتب كبير الأساقفة والمخصصات سنوياً	١٢,٠٠٠-٠-٠٠
للقس التابع له والكاهن العام	٠٠,٢٦٦-٣-٢٠
للقس التابع له والكاهن العام	٠٤٠٠-٠-٠٠
للحارس الذي يقوم بحراسة السجناء	٠٣٣-١-٤٠
للعشرين رجلاً الذين معه بأمر كتابي عندما يقومون بأعمالهم	٩٠٠-٠-٠٠ ١٣,٢٤٠-٠-٠٠

*** إجمالـي النفقات السنوية على الكاتدرائية :**

لجماعة الرهبان عند الذهاب في الموكب (سان مارتن)	٥٠-٠-٠٠
لأربعة من العمداء الكهنة لكل منهم ٥٠ ألف "ريس"	٦٦٦-٣-٢٠
لعشرة من الكهنة	١,٦٦٦-٣-٢٠
لأربعة من صغار الكهنة بواقع ٤٠ ألف "ريس" لكل منهم	٥٣٣-١-٤٠
لمساعدة أمين الصندوق	١٠٠-٠-٠٠

لمساعد رئيس جوقة المنشدين	٣٣-١-٤٠
لاثني عشر قسيساً بواقع ثلاثين ألف "ريس" لكل منهم	١,٢٠٠-٠-٠٠
لستة من جوقة المنشدين بواقع ستنة آلاف "ريس" للواحد	١٢٠-٠-٠٠
لراعي الكنيسة	١٠٠-٠-٠٠
لاثنين من قادة جوقة المنشدين بواقع تسعة آلاف "ريس"	٠٦٠-٠-٠٠
لسبعة من قادة جوقة الترتيل ، لكل منهم اثنا عشر ألف "ريس"	٢٨٠-٠-٠٠
لعازف الأورغ ثماني وعشرون ألف "ريس"	٠٩٠-١-٤٠
لأستاذ اللغة اللاتينية	٦٦-٣-٢٠
لحامل الصولجان ثمانية عشر ألف "ريس"	٦٠-٠-٠٠
لراعي الكاتدرائية عشرون ألف "ريس"	٦٦-٣-٢٠
قارع الأجراس يتلقى اثني عشر ألف "ريس"	٤٠-٠-٤٠
نفقات أقمشة الكاتدرائية	٣٣٣-١-٤٠
للخمور والدقيق للقربان المقدس	٣٤٠-٠-٠٠ ٥,٨١٠-٠-٤٠

* إجمالـي نفقات كنائس أبرشية "غوا" ومناطقها وكهنة آخرين :

رواتب ومخصصات أبرشيات (Ns da Luz) و"روزاريو" "Rozario"	٤٠-٢-٩٨٤
ثماني عشرة كنيسة أخرى في هذه الجزيرة ، "كوراو" "Corao" و"ديفار" ١٥٤ "زيرافيناً" لكل	٠٠-١-٢٠٧٧٩
سبع كنائس أخرى في تلك المناطق	٠٠-٤-١,٠٨٠
لكنيستين أخريين يديرها قساوسة "دومينيكان"	٠٠-٤-٣٠٨
لكنيسة أخرى تم بناؤها مقابل الحاجز يديرها كهنة أوغسطينيون	٠٠-٢-١٥٤
لراعي أبرشية شانجاس التي في حوض السفن لإدارة القرابين المقدسة لعبيد السفينة الشراعية	٠٠-٠-١٥٠
لاثنين من كهنة الاعترافات لجنود في الجزيرة	٠٠-٠-٢٠٠
لشخص يقوم بتدريس العقيدة	٠٠-٠-٢٤
لقس المسيحيين بهذه المدينة والجزيرة	٠٠-٠-٢٠٠ ٤٠-٣-٥,٨٨١

*** إجمالـي تكلفة أجور أساقفة ورهبان وأخويات "ميندكانت" وغيرها في "غوا" :**

لأسقف مدينة "كوتشين" كراتب ولراتب مساعده	٤٠-١-٤,٣٣١
لأسقف مدينة "أنجامال"	٢٠-٣-٢,٦٦٦
لأسقف "ميليابور"	٤٠-١-٣,٣٣٣
يأمر جلالته بناءً على طلب أسقف "أنجامال" بأن ترسل ألفي "أشرفي" لمسيحيي "ساو تومي" وبرميلاً من الخمر	
لرجال الدين المسيحيين في "ساو تومي" والتي تبلغ تكلفتها	٠٠-٠-٢,٢٠٠
للدير الدومينيكاني في هذه المدينة	٢٠-٣-٢,٦٦٦
للمجمع الأوغسطيني الجديد	٠٠-٠-١,٠٠٠ ٠٠-٠-١٦,٢٠
النفقات العادية لمستشفى "غوا" بالاتفاق مع الكونت الأميرال عندما سلمت للقساوسة اليسوعين ، ألف أشرفي في الشهر ، وإجمالي هذا البند	٠٠-٠-١٢,٠٠٠

"مارينهو" :

*** إجمالـــي التكلفـة عمّا سدد في "غـوا" للقساوسـة اليسوعين كمخصصـات عاديـة ، بخلاف مـا دفع في "ملقـا" ، "كوتشين" والشمال :**

لمجمع القديس "باولو" في "غوا" ويشمل الخمور التي تؤدى دائماً نقداً ؛ لأنهم لا يريدون ما اشتُري لهم	٣,٢٧٥-٠-٠٠
لمجمع القديس "باولو" في "غوا" ويشمل الخمور التي تؤدى دائماً نقداً ؛ لأنهم لا يريدون ما اشتُري لهم	٠٢٤-١-٢٦
لأربعة من قساوسة يقومون بتدريس ثلاثين صبياً في المعهد	٩١٢-٠-٠٠
لمجمع القديس "باولو" والمعروف بأم الرب في "كوتشين" ؛ حيث يتواجد أولئك القساوسة	١,٦٥٦-٢-٣٠
للكهنة في مجمع "كولام" والطلاب	٦٦٦-٣-٢٠
لستة من الكهنة الجيزوت ، والقساوسة على ساحل "ترافانكور"	٦٦٦-٣-٢٠
للقس كاهن القديس "أندريه" في "موتيرتي" "Moterti"	١٢٠-٠-٠٠

للقساوسة المسافرين في اليابان	١,٣٣٣-١-٤٠ ٨,٦٥٤-٢-١٦

*** إجمالـي تكاليف الخمور ، والزيت ، والخضروات ، والأقمشة التي توزع للرهبان :**

٧٢ من براميل خمور برتغالية أحضرت لكل الكهنة باستثناء الذين في القديس "باولو" في هذه المدينة ؛ لأنهم يتلقون قيمتها نقداً ، ويكلف البرميل مائتي أشرفي كمخصصات عادية ، تؤدى لقائد السفن الشراعية .	١٤,٥٠٠-٠-٠٠
مائة وأربع وثلاثون جرة من الزيت يتم شراؤها بواقع عشر "أشرفيات" للجرة بإجمالي	١,٣٤٠-٠-٠٠
تسع وأربعون لفة من القماش القطني بسعر عشرين "أشرفياً" للفة الواحدة	٩٨٠-٠-٠٠
مائة وست عبوة من القمح بسعر عشر "أشرفيات" للعبوة بإجمالي	١,٠٦٠-٠-٠٠

اثنتان وسبعون ونصف عبوة من الأرز بسعر سبعة "أشرفيات" للعبوة	٥٠٧-٢-٣٠
مائتان وتسعة وثلاثون كيس أرز بسعر تسعة "تانجاساتٍ" للكيس ، بإجمالي	٤٣٠-٠-٠٠
ثلاث صفائح زبدة بسعر ثماني وأربعين "كروزادوساً" للعلبة	١٣٤-٠-٠٠
خمس علب ونصف من زيت جوز الهند بنفس القيمة أعلاه	٢٦٨-٠-٠٠
مائة عبوة من أصابع الشمع بسعر ستة "أشرفيات" للعبوة	٦٠٠-٠-٠٠
خمسة أكياس من السكر بسعر ثلاثين "أشرفياً" للكيس	١٥٠-٠-٠٠
تكلفة اللوز والزيت والمربى والسمك	٣١٠-٠-٠٠
إجمالي مخصصات تلك الأطعمة عشرون ألفاً ومائتان وتسعة وسبعون "أشرفياً" وأربعة "تانجاساتٍ" وعشرة "ريسات"	٢٠,٢٧٩-٤-١٠

* إجمالي منصرفات محكمة المكتب المقدس *

لعدد محققين ألفا كروزادوس" لكل منهما والتي يساوي بـ "الأشرفي" :	٢,٦٦٦-٣-٢٠

مخصصات السكن للمحقق الذي يعيش خارج المدينة	١٤٤-٠-٠٠
لممثل الادعاء خمسمائة "كروزادوس" وثلاثون "كروزادوساً" للمقر بإجمالي	٧٠٦-٣-٢٠
السكرتيران الاثنان يتلقيان مائتي "كروزادوس" لكل تساوي بـ"الأشرفي"	٥٣٣-١-٤٠
لثمانية رجال من المحققين تدفع كل ربع سنة تقدر بـ	٣٢٠,٠,٠٠
لاثنين من رجال التحقيق نفس المبلغ	٠٨٠-٠-٠٠
لأربعة وكلاء للجنة	٤٠٠-٠-٠٠
للحاجب كراتب	٣٣٣-١-٤٠
لأربعة يرافقونه	١٤٤-٠-٠٠
إلى مأمور الإصلاحية	٢٣٣-١-٤٠
لبواب المجلس	١٦٦-٣-٢٠
للسجان	١٥٠-٠-٠٠
لمحامي المكتب	١٦٦-٣-٢٠
للفقراء بالسجن	١٠٠-٠-٠٠ ٦,٤٧٨-٠-٠٠
الزيادة السنوية لهذه المحكمة	٩٦٦-٣-٢٠

إجمالي تلك المخصصات العادية سبعة آلاف وأربعمائة وأربعة وأربعون "أشرفياً" وثلاثة "ناجاسات" وعشرون "ريساً"	٧,٤٤٤,٣,٢٠
إذا يتقاضى كبير الأساقفة كما موضح	١٣,٢٤٠-٠-٠٠
تكاليف الكاتدرائية كما مبين	٥,٨١٠-٠-٤٠
الأبرشيات ورجال الدين الآخرون كما مبين	٥,٨٨١-٣-٤٠
مدفوعات للأساقفة والرهبان كما موضح	١٦,٢٠٠-٠-٠٠
للقساوسة الجيزوت	٨,٦٥٤-٢-١٦
للخمور والزيت والخضروات للرهبان	٢٠,٢٧٩-٤-١٠
محكمة المكتب المقدس	٧,٤٤٤-٣-٢٠
مستشفى "غوا" كما موضح	١٢,٢٠٠-٠- ٨٩,٥١١-٠-٠٦

"مارينهو" :

*** إجمالـــي مخصصـات نائب الملك وخدمه ومـا يمكن أن يمنحه باسم الملك ***

يمكنه منح أبناء النبلاء والفرسان وقيمته ثلاثون ألف كروزادوس في السنة تساوي بالـ "أشرفي"	٤٠,٠٠٠-٠-٠٠
يتلقى كراتب كل سنة	٢٤,٠٠٠-٠-٠٠

كأجور وإعاشة لستين رجلاً من حرسه	٠٠-٠-٢,٨٨٠
قيمة الزي للرجال المذكورين حوالي	٠٠-٠-٢,٥٠٠
لستين من خدم الملك كرواتب ربع سنوية حوالي	٠٠-٠-٢,٤٠٠
سبعة وعشرون من الخدم (naiks) وحاملي المشاعل والمياه ، الغسال وصبيان الإسطبل	٢٠-٣-٠٠,٤٦٥
لأربعة من المشاة والبواب بواقع عشرة "أشرفيات" لكل	٠٠-٠-٠٠,٢٠٠
لزيت المصابيح في السنة	٤٠-١-٠٠,٢٣٣
لحامل الشعار الملكي	٤٠-١-٠٠,١٣٣
لضباط الحرس	٠٠-٠-٠٠,٢٨٠
لقبطان "القادس" السفينة الشراعية	٤٠-١-٠٠,٣٣٣
لقسيس نائب الملك	٠٠-٠-٠٠,٨٠
لكبير الاطباء	٤٠-١-٠٠,١٤٩
لكبير الجراحين	٠٠-٠-٠٠,١٠٠
للصيدلي	٠٠-٠-٠٠,٨٠
للحلاق	٢٠-٣-٠٠,٠٦٦
لحاجب المحكمة	٠٠-٠-٠٠,١٠٠
لقائد رجال المانشوي	٠٠-٠-٠٠,١٠٠
لآلات البوق وآلة موسيقى الشوم وقارعي الطبول	٠٠-٠-٠٠,١٨٨
أجور لقوات مساعد مفتش التنفيذ	٠٠-٠-٠٠,٢٣٠

تكلفة السجاد ومظلات النوافذ وأغطية الموائد وأشياء أخرى لاستخدامات نائب الملك سنوياً	٢,٠٠٠-٠- ٧٦,٥١٩-٣-٢٠

*** منصرفات وزير الخارجية ***

راتبه ومخصصات السكن	١,٤٣٣-١-٤٠
للخدم الذين معه رواتب ربع سنوية حوالي	٠٠,٤٠٠-٠-٠٠
لستة كتبة ومراسلة واحد	٠٠,٤٣١-١-٠٠ ٢,٢٦٤-٢-٤٠

*** إجمالـي منصرفات المحكمة العليا ***

عشرة قضاة للمحكمة العليا لكل منهم ألف "كورزادوس"/ "أشرفي"	١٣,٣٣٣-١-٤٠
لقاضي قضايا وكيل التاج الذي يعمل أيضاً في الخزينة	٠٠,٣٣٣-١-٤٠
مخصصات سكن للجميع	٠٠,٨٠٠-٠-٠٠
لعشر خزائن كبيرة قيمة الواحدة	١,٠٠٠-٠-٠٠
لكاتب المحكمة العليا للسكن الخاص به غير المشمول في الراتب	٠٠,٢٢٠-٠-٠٠
للحمال وكتبة سجل المحكمة	٠٠,٢٦٤-٠-٠٠

للعاملين مع الموظفين الستة في المحكمة العليا	٠٠-٠-٢٥٢,٠٠ ٢٠-٣-٢٠٢,١٦

*** تكاليف قاضي التاج لمدينة "غوا" ووظائف الحاجب والسجان ***

راتب قاضي التاج وأجور اثنين من الخدم	٢٠-٣-٧٤٦,٠٠
لثلاثة من رؤساء المدينة	٠٠-٣-٥٤٥,٠٠
لمساعد مأمور تنفيذي ليتفقد الجزيرة	٠٠-٠-١٢٤,٠٠
للكاتب المرافق لمساعد مأمور التنفيذ	٠٠-٠-٤٢,٠٠
للسجان والقوات التي تساعده	٠٠-٠-٢٣٦,٠٠ ٢٠-١-٨٦٦,١

*** إجمالـي منصرفات السجل العام ***

لكاتب السجل وسكنه	٤٠-١-٩٣٣,٠٠
أربعة محاسبين للسجل بواقع مائة وأربعين ألف "ريساً" لكل منهم	٢٠-٣-٨٦٦,١
عن خمس خزائن	٠٠-٠-٥٠٠,٠٠
للعاملين الذين يخدمون في السجل وفي المكتب	٠٠-٣-١٣٧,٠٠ ٠٠-٣-٤٣٧,٣

* إجمالـي كلفة مكتب المحاسبة *

راتب كبير موظفي الخزينة (يحسب حالياً من الحسابات) ألف كروزادوس / أشرفي	٤٠-١-١,٣٣٣
لمراقب المكتب راتب قدره خمسمائة كروزادوس / أشرفي	٢٠-٣-٠٠,٦٦٦
سكن المراقب الذي ليس له مكان للإقامة خاص به	٠٠-٠-٠٠,١٠٠
ثلاث خزائن للمراقب	٠٠-٠-٠٠,٣٠٠
ست خزائن لكبير موظفي الخزينة	٠٠-٠-٠٠,٦٠٠
كلفة اثنين من متعهدي المؤن ومندوبيهم في اللجنة الرئيسة	٠٠-٠-٠١,٠٠٠
خزانتان لهم	٠٠-٠-٠٠,٢٠٠
عشرة محاسبين بواقع مائة وأربعين ألف "ريس" معظمهم زائدون على الحاجة قدموا من البرتغال هذه السنة ١٦٠٧م	٢٠-٣-٠٥,٢٦٦
عشر خزائن لأولئك المحاسبين	٠٠-٠-٠١,٠٠٠
ثلاثة عشر من الكتبة بواقع سبعين ألف "ريس" معظمهم إضافيون جاؤوا من البرتغال هذه السنة	٢٠-٣-٣,٥٦٦

لحارس مكتب المحاسبة	٤٠-١-٠٠,٣٣٣
قيمة حبر وأقلام للمحاسبين	٠٠-٠-٠٠,٠٧٨
إداري الديون المطلوبة لخزينة جلالته وعماله	٤٠-١-٠٠,٩٠١
للكاتب المرافق للإداري	٤٠-١-٠٠,٢٣٣
لمحامي القضايا الخاص بالخزينة الملكية	٠٠-٠-٠٠,١٠٠
لمساعد مأمور التنفيذ لهذا المكتب	٠٠-٠-٠٠,١٠٠
أجور جنود مساعد مأمور التنفيذ	٤٠-١-٠٠,١١٥
لثمانية من عمال المكتب	٤٠-١-٠٠,٣١٣ ٢٠-٤-١٦,٢٠٧

* إجمالي كلفة أرشيف "توري دو تومبو" *

راتب مؤرخ الدولة والوصي على السجل	٠٠-٠-٠٠,٤٠٠
راتب كاتب المؤرخ للأحداث	٢٠-٣-٠٠,١٦٦
للكاتبين الاثنين المرافقين للكاتب العمولي	٤٠-٣-٠٠,١٣١ ٠٠-٢-٠٠,٦٩٨

* إجمالي كلفة كبير موظفي خزينة "غوا" وموظفيه وأشخاصٍ آخرين *

راتب كبير الموظفين ألفا كروزادوس" تساوي بـ "الأشرفي"	٢٠-٣-٠٢,٦٦٦
الرواتب الربع سنوية لعشرين رجلاً حوالي	٠٠-٠-٠٠,١٠٠

خمسة خدم معه بناءً على أوامر محلية	٠٠,١٠٠-٠-٠٠
علبتان ونصف زيت لمصابيحه	٠٠,١٠٠-٠-٠٠
ستة عمال معه	٠٠,٢١٦-١-٢٠
راتب كاتب الخزينة وأجور اثنين من العمال	٠٠,٩٦٦-٢-٣٠
مساعد مأمور التنفيذ وجنوده	٠٠,٢١٥-١-٠٠
كاتب مساعد مأمور التنفيذ	٠٠,٠٣٦-٠-٠٠
حارس بوابة الخزينة الملكية وملحقاتها	٠٠,٢١٦-٠-٠٠
لوكيل "غوا" التجاري ورجاله وخدمه	٠٠,٩٨٥-٢-٣٠
أمين الصندوق ورجاله وخدمه	٠٠,٤٨٥-١-٤٠
ثلاثة من الكتبة بمحطة "غوا" التجارية	٠٠,٥٤٠-٠-٠٠
رئيس المدفعجية (أربعون ألف "ريس")	٠٠,١٣٣-١-٤٠
لرئيس السباكين	٠٠,٢٦٦-٣-٢٠
مسؤول السباكة	٠٠,١٣٣-١-٤٠
كبير المهندسين خمسمائة كروزادوس" (بترخيص ملكي)	٠٠,٦٦٦-٣-٢٠
مترجم الدولة	٠٠,٢٣٣-١-٢٠
إجمالي قيمة عشرين حصانا وستة آلاف "باردوس" من الذهب يمكن لعلي خان أخذها كحق على هذه المدينة	٢,١٥١-٠-٠٠

تسدد لـ(gancares) هذه الجزيرة إجمالي تقريبي للتغذية والسكن للسفراء الذين يأتون للدولة كل سنة	٠٠,١٩٢-٠-٠٠
راتب عمدة هذه المدينة	٠٢,٠٠٠-٠-٠٠
راتب كبير سماسرة الخيول ورجاله	٠٠,٣٣٣-١-٤٠
إجمالي الرواتب السنوية التي يتلقاها البعض مدى الحياة	٠٠ - ٣ - ٣٥٧ ٢٠ - ٣ - ١٤,١٠٤
رواتب الأرامل ، زوجات المتوفين من النبلاء والفرسان والبعض الذي ما زال على قيد الحياة ، وتؤدى من عائدات هذه المدينة تبلغ سبعة الآف وأربعة وثمانين "أشرفياً"	٧,٠٨٤

مارينهو

*** إجمالي تكلفـة قائد هذه المدينة وقادة الحصـون الأخرى بهذه الجزيرة ***

الراتب السنوي لقائد هذه المدينة	٠٠-٠-٠٠٠، ٢
أجور عشرين رجلاً معه ، خدمة	٠٠-٠-٨٠٠
كلفة سكنه وجنوده وعماله وزيت المصابيح	٠٠-٠-٥١٩
لقائد حصن "سيكو" "Cico" ، راتبه وجنوده	٤٠-٣-٦٤٣

لقائد حصن "بيناستيرم" "Benasterm" ، راتب وأجور ستة رجال واثنين وثلاثين جندياً وأربعة عمال	٠٠-٤-٧٨٤
لقائد حصن "دوغم" راتب وأجور الجنود	٠٠-٤-٤٣٩
لقائد حصن "ناربي" "Narbi" راتب وأجور الجنود	٠٠-٠-٥٤٩ ——— ٤٠-٢-٢٨٥، ٦

*** إجمالــي تكلفــة الــ (lanadar – mor) و(tanadars) هذه الجزيرة ***

الـ (tanadar – mor) يتلقى راتباً قدره مائة ألف "ريس"	٤٠-١-٣٣٣
أجور عشرين من الجنود وعشرة من العمال وستة من الأنفار معه حسب الأوامر المحلية	٠٠-٠-٣٧٦
للمترجم الذي معه	٠٠-٠-٤٢
لـ (tanadars) من "بانجيم"	٠٠-٠-١٨٥
لـ (tanadars) من "رباندار"	٠٠-٠-٧٠
لـ (tanadars) في حصن "كارامبوليم" "Carambolim"	٠٠-٠-٢٨٣ ——— ٤٠-٢-٢٦٢، ١

* إجمالـي كلفة لجنة مبنى الجمارك *

لمساعد مأمور التنفيذ وأجور لجنوده	١٨١-٤-٠٠
أجور حارس البوابة	١٠٠-٠-٠٠ ——————— ٢٨١-٤-٠٠

* إجمالـي تكلفة البارود *

لمراقب المستودع ، كروزادوس" واحد يومياً	٤٨٦-٣-٢
لصانع البارود واثنين من قاذفي المدفع	٣٦٥-١-٤٠
للطبيب البيطري الذي يعالج البغال مع زيوت لاستخداماتها	٤٥-٠-٠٠
مائة وعشرون عبوة من الأرز لـثمانين من عبيد السفينة الشراعية بواقع ٢/١ : ستة "أشرفيات" للعبوة	٧٨٠-٠-٠٠
قيمة أسماك للعبيد	٢٣٠-٠-٠٠
ثمانمائة وأربعون أوقية من الـ(amfio) للعبيد	٨٤-٠-٠٠
مائة واثنتان وستون عبوة من الذرة لأربعة وعشرين بغلاً في ذلك المنزل بقيمة تسعة "أشرفيات" للعبوة	١،٤٥٨-٠-٠٠

قيمة علف للبغال بحوالي	٩-٠-٠٠ ——— ٣،٢٥٩-٣-٠٠

* إجمالـي تكاليف قلعة بارديز *

لقائد المنطقة كراتب	٣٣٣-١-٤٠
أربعة رجال معه ، مائة وستون "كروزادوسا" وأربعة وثمانون "كروزادوسا" لعماله	٢٠٨-٠-٠٠
لمحصل المنطقة والجنود الذين معه	٣٤٤-٠-٠٠
لكاتب المنطقة الذي يعمل أحياناً كمحصل للضرائب	١٠٠-٠-٠٠
رئيس قاذف في المدافع	٦٤-٠-٠٠
لمساعد مأمور التنفيذ والجنود الذين معه	١٠٨-٠-٠٠
لقائد قلعة "أجودا" الجديدة كراتب	٦٠٠-٠-٠٠
مسؤول المدفعية	٦٤-٠-٠٠
لجنود هذه القلعة	٣٠٠-٠-٠٠
لدوم "فرانسيسكو دي سا" "Francisco de Sa" ، إذا تم تعيينه للقلعة التي شيدت على موقع "جاسبار دياس" "Gaspar Dias" مقابل الحاجز	١،٠٠٠-٠-٠٠ ——— ٣،١٢١-١-٤٠

* إجمالـي نفقات قلعة "راشول" في سالسيت *

للقائد كراتب ثلاثمائة وثلاثة خمسون "أشرفياً" وتونجا واحد وأرعون "ريساً" وأربعمائة ريزافين لعشرة رجال	٤٠-١-٧٣٣
أربعة عشر من الجنود وقائد أفراد المانشوي	٠٠-٠-٥٠٦
راتب المحصل	٢٠-٣-٢٦٦
ثلاثة من العمال وخمسون من الجنود الذين يجمعون الإيجارات	٠٠-٠-٦٧٢
الكاتب الذي مع المحصل	٤٠-١-١٣٣
مسؤول مدفعية واحد	٠٠-٠-٦٤
مساعد مأمور التنفيذ بالمنطقة والجنود الذين معه	٠٠-٠-١٠٨ ——— ٤٠-١-٢،٤٨٣

"مارينهو" :

إجمالـــي النفقـات المعلومة لحوض السفن الكبـير خصماً من الحسابات غير المعروفة

راتب أمين المستودع وستة من الجنود الذين معه	٤٠-٣-٤١٩

اثنان من الرجال مع أمين المستودع	٨٠-٠-٠٠
كاتب واحد مع أمين المستودع	١٠٠-٠-٠٠
عامل واحد آخر معه	٤٠-٠-٠٠
راتب كبير الحراس بحوض السفن	٣٣٣-١-٤٠
راتب رئيس قباطنة السفينة	٣٣٣-١-٤٠
راتب القبطان الأول	٢٦٦-٣-٢٠
المسؤول الأول عن سد الثغرات التي بالسفينة	١٢٠-٠-٠٠
مسؤول أول من صانعي الحبال	١٣٣-٠-٠٠
مسؤول أول من صانعي البراميل	٨٠-٠-٠٠
أربعون من حراس حوض السفن ليلاً	٦٠٠-٠-٠٠
اثنا عشر من الحراس الذين يقومون بذلك نهاراً	٣٤٥-٣-٠٠
راتب مسؤول البحارة مقدم ورجلين وسبعة من العمال معه	٥٣٩-١-٤٠
مسؤول الحدادة	٢٠٠-٠-٠٠
مسؤول حبال الأشرعة والصواري	٧٢-٠-٠٠
الـ(catual)	٣٧-٠-٠٠
أجرة (roboao) البحارة	٥٤-٠-٠٠
اثنان من حراس البوابات في حوض السفن	١٠٨-٠-٠٠
حاجب غرفة الأصفاد والقيود	٤٠-٠-٠٠
أجرة كاتب وملاحظ العمل في حوض السفن	٢٠٠-٠-٠٠

لمنظف السفن في الحوض الخاص بالسفن	٠٠-٠-١٨٠
مسؤول توفير علف الفيلين الاثنين المستخدمين في حوض السفن	٠٠-٠-١٧٥
أجرة المسؤول عن الفيلين	٠٠-٠-٣٦
الكلفة التقريبية لأربعة من أفراد المانشوي الذين مع نائب الملك وكبير موظفي الخزينة وكبير الحرس ومراقب مبنى الجمارك وعن الإصلاحات والضريبة	٠٠-٠-٤٥٠٠
الكلفة التقديرية للأجور العادية للعمال في حوض السفن في السنة	٠٠-٠-١٢٠٠ ______ ٢٠-٣-٣٢٦ ، ٢١

تكلفة العديد من السفن الشراعية التجارية والسفن الصغيرة و"الغليون" والسفن التي تعمل بالمجاديف وسفن أخرى لم تضمن ؛ لأنها عديدة ولها أهمية كبرى ، نفقاتها وكلفة إصلاحها لا يمكن معرفتها بالتحديد ، (٢٨٢r) ، ومن غير الممكن تحديد تقدير بالتقريب .

كلفة المسامير الكثيرة ... إلخ التي استخدمت في حوض السفن من أجل إصلاحات المراسي والخطافات الحديدية لم يتم حسابها .

كلفة الحديد الذي تم العمل عليه في ورشة الحدادة لكل الضروريات لم يتم أدراجها في الحساب .

كلفة النحاس ومواد أخرى استخدمت في سبك المدافع لم تدرج أيضاً .

أنفق الكثير من الأموال على تلك البنود الأربعة خاصة في الوقت الحالي ، ونفس الأمر ينطبق على اللافت والزيوت والأقمشة .

* إجمالـي نفقات حوض سفن "القادس" (السفن الشراعية)

راتب المراقب في حوض السفن الشراعية في السنة	٢٠-٣-٦٦٦
أجور رجلين معه	٠٠-٠-٨٠
أمين المستودع لهذا الحوض يتقاضى راتباً قدره	٤٠-١-٣٣٣
لكاتب أمين المستودع ومراقب العمل لحوض السفن	٠٠-٠-١٠٠
راتب ربان سفن "القادس"	٠٠-٠-٣٦٠
رئيس صانعي المجاديف يتلقى راتباً قدره	٠٠-٠-١٤١
عريف الملاحين للسفن الشراعية الصغيرة "القادس"	٠٠-٠-١٤٤
للحارس الذي يقوم بحراسة حوض بناء السفن	٠٠-٠-١٠٠
ثلاثة من مساعدي مأمور التنفيذ في ثلاث من السفن الصغيرة	٠٠-٠-٣٤٣
التكلفة التقريبية لأجور العمال الذين يعملون في هذا الحوض	٠٠-٠-٣٠٠٠

نفقات الطعام لثلاث سفن "القادس" مع البحارة ، عبوة من الأرز	٣٠-٤-٥٧٧ ، ٤
لخمسمائة من عبيد السفن بواقع ٢/١ : ستة "زيرافينات" للعبوة ، وستمائة سمكة بألف "زيرافين" بواقع ستة "زيرافينات" للواحدة وأربعمائة وستة وعشرين لشراء (ambiao) بإجمالي قدره	٣٠-٣-٨٤٦ ، ٩

كلفة سفن "القادس" والإصلاحات حذفت ؛ حيث لا يعرف قيمتها بالتحديد ومن غير الممكن عمل تقدير تقريبي .

"مارينهو" :

إجمالي كلفة رواتب موظفي المستودعين الخاص بالمؤن والخاص بسلاح المدفعية ؛ حيث يحفظ فيه البارود وذخيرة أخرى .

راتب أمين مستودع المؤن وأجور العاملين الذين يساعدونه	٤٠-٣-٤١٩
أجرة رجلين معه	٠٠-٠-٨٠
لكاتب أمين المستودع	٠٠-٠-١٠٠
للرجل المرافق للكاتب	٠٠-٠-٤٠
لأمين مستودع مخازن المدفعية	٤٠-٣-٤١٩

راتب رجلين معه	٨٠-٠-٠٠
أجور لكاتب أمين المستودع والرجل الذي معه	١٤٠-٠-٠٠ ـــــــــــ ١،٢٧٩-٢-٢٠

لهذين المكتبين مبالغ كبيرة من النفقات ، خاصة مخازن السلاح ؛ حيث كمية كبيرة من الرصاص وقنابل المفرقعات والحراب وبنادق المسكيت والملح الصخري والكبريت التي يتسلمها ، والتي تبلغ قيمة مالية تتكبدها الخزينة الملكية .

أما بالنسبة للمؤن ، وبالرغم من أن الكثير منها قد أدرج في الحسابات وتم سداد قيمتها نقداً ، إلا أن الكثير أنفق على أمور ضرورية لخدمة جلالته بالإضافة لتلك التي أدرجت في هذه الميزانية .

إجمالـي كلفة الحاميات وقضاء الشتاء في القلاع الحدودية

مائة رجل أرسلوا إلى "دامان" بكلفة تقريبية تبلغ عشرة "كروزادوسات" في ربع سنة	١،٠٠٠-٠-٠٠
مؤن لثلاثة أشهر بواقع ثلاثة عشر "تانجاسا" في الشهر	٧٨٠-٠-٠٠
مخصصات التغذية لقائد أولئك الجنود	٢٠٠-٠-٠٠
ثلاثون جندياً أرسلوا إلى "هوناوار" التكلفة التقريبية من حدود	٣٠٠-٠-٠٠
مؤن لهم بواقع ثلاثة عشر "تانجاساً" في الشهر لكل واحد	٣١٢-٠-٠٠

مخصصات الطعام لقائد الجنود	١٠٠-٠-٠٠
أربعون جندياً أرسلوا إلى "كانانور" بتكلفة قدرها	٤٠٠-٠-٠٠
مؤن لأربعة أشهر ومخصصات للقائد	٥١٦-٠-٠٠
ما تم إرساله إلى قلاع "بارسيلور" و"مانجالور" يكلف	١،٤٢٤-٠-٠٠ ٥،٠٣٢-٠-٠٠

إجمالـي نفقات أسطول مالابار في ربع سنة

ستمائة جندي على ظهر عشرين سفينة بواقع عشرة "أشرفيات" عن رُبع سنة	٦،٠٠٠-٠-٠٠
عشرون (catus) للسفن بواقع ثمانية عشر "أشرفياً" و"تانجاس" عن ربع سنة	٣٧٢-٠-٠٠
عشرون مدفعجياً بأجر يومي أحد عشر "أشرفياً" وثلاثة "تانجاسات"	٢٣٢-٠-٠٠
أجرة البحارة الذين يجدفون في تلك السفن	١٠،٥٦٠-٠-٠٠
ستمائة وأربعين عبوة أرز لعدد ثمانمائة وثمانين بحاراً بسعر ٢/١ ٦ "أشرفيات" للعبوة	٤،١٦٠-٠-٠٠
مائة وثمانون جندياً على ظهر ثلاث "قادسات" شراعية ستين لكل	١،٨٠٠-٠-٠٠

ثلاثة ربابنة لتلك السفن بواقع خمسة وثلاثين "أشرفياً" و"تانجاسَين" لكل واحد	١٠٦٠٠٠
ثلاثة من مساعدي ملاحظين عن بحارة التجديف	٦٠٠٠٠
ثلاثة من مساعدي تنفيذ من البرتغاليين واحد لكل سفينة	٥٠٠٠٠
اثنا عشر بحاراً برتغالياً أربعة في كل سفينة	١٦٣٠٠٠
ثلاثة ربابنة مدفعيين واحد في كل سفينة	٤٦٠٠٠
ستة مدفعجيين ، اثنان في كل سفينة	٧٢٠٠٠
ستمائة وثماني عشرة عبوة وثلاثة من الـ (ماغون) ومائتان وواحد وعشرون من أرز من أجل ثمانمائة وخمسين جنديا وضباطا بسعر سبعة "أشرفيات" للعبوة الواحدة	٤،٣٢٧ـ٠٠٠
ألف واثنان وستون صندوقاً من البسكويت لأولئك الرجال صنع من أربعمائة وست وثلاثين عبوة من دقيق القمح بسعر اثني عشر "أشرفياً" للعبوة مع الأجرة للعمل	٥،٢٣٠٠٠٠
للزبدة وأي شيء يؤكل مع الخبز للرجال	٥،١٠٠٠٠٠

ثلاثمائة وستون عبوة من الأرز لخمسمائة من العبيد	٢٢،٣٦٣ ٠ ٠٠
أربع آلاف سمكة لعبيد السفن	٦٦٦ ٣ ٢٠
٣٢٠٠ ثلاث آلاف ومائتا أوقية من (ambiao) لعبيد السفن	٣٢٠ ٠ ٠٠
مخصصات طعام للقائد (كوماندر)	٢،٠٠٠ ٠ ٠٠
يوزع على الجنود بناء على قرار من القائد	١،٠٠٠ ٠ ٠٠
مخصصات طعام لاثنين من الربابنة لسفينتين	١،٢٠٠ ٠ ٠٠
مخصصات طعام لعشرين قبطاناً على عشرين سفينة	٤ ، ٠٠٠ ٠ ٠٠
لقبطان سفينة القائد الآمر	١٠٠ ٠ ٠٠ ——— ٤٩،٩٣٠ ١ ٥٠
ترافق أيضاً أسطول "مالابار" أربعة من المراكب الشراعية التي تحمل ثمانين من الخدم اللسكريين[(أ)] ومائة وستين بحاراً مع ضباطهم ، وتبلغ كلفتهم لستة شهور أربعة آلاف ومائتين وستة وسبعين "أشرفياً" ، تفاصيلها مائتا "أشرفي" مخصصات طعام للقباطنة الأربعة وأربعمائة وثمانون "أشرفياً" للخدم العسكريين عن ربع سنة بواقع ستة "زيرافينات" لكل وستمائة وعشرين لمؤنهم والتي تبلغ في مجملها أربعة آلآف ومائتين وستة وسبعين "أشرفياً" .	٤،٢٧٦ ٠ ٠٠

(أ) اللسكر : "Lascar" وتعني الجندي أو المحارب ، وأصلها في اللغة العربية : العسكر .

"مارينهو" :

* إجمالـي نفقات الأسطول الشمالـي *

مائتان وأربعون جندياً تحملهم ثمان سفن ، ثلاثون في كل سفينة بواقع عشرة "زيرافينات" لكل واحد عن ربع سنة	٢،٤٠٠ ٠ ٠٠
أجور الـ(caturs) والمدفعجية المرافقين لها	٠٠- ٣ - ٢٧٤
قيمة أرز لثمانية أشهر لكل أولئك الرجال	٠٠ - ٠ - ١،٣٠٣
ثلاثمائة وعشرون قنطار من البسكويت	٠٠ - ٠ - ١،٥٧٦
قيمة طعام يؤكل مع الخبز وزبدة وسمك	٠٠ - ٠ - ١،٥٣٦
علاوات وسمك لـثلاثمائة واثنين وخمسين بحاراً مع المقدم الذي معهم	٠٠ - ٠ - ٤،٢٢٤
٢٥٦ مائتان وست وخمسون عبوة من الأرز للبحارة	٠٠ - ٠ - ١،٦٦٤
مخصصات للطعام للقائد	٠٠ - ٠ - ١،٠٠٠
مخصصات الطعام لسبعة من الضباط	٠٠ - ٠ - ٢،٠٠٠ ______ ٠٠ - ٣ - ١٦،٠٧٦

إجمالـي كلفة القوارب التي تجوب سواحل الشمال و"مالبار"

تسعون جندياً على ظهر تسعة قوارب في كل منها خمسة عشر جندياً	٠٠ – ٠ – ٩٠٠
ستة مدفعجيين وستة (caturs) كما ذكر أعلاه	٠٠ – ٢ – ١٩١
أرز لأولئك الرجال	٠٠ – ١ – ٥١٩
قيمة مائة وسبعة وعشرين قنطاراً من البسكويت	٠٠ – ٢ – ٦٢٧
طعام يؤكل مع الخبز وزبد وسمك	٠٠ – ٠ – ٦١٢
قيمة أرز لمائتين وخمسين بحاراً والمقدم الذي معهم	٠٠ – ١ – ١،١٩١
أجور إضافية لأولئك البحار	٠٠ – ٠ – ٣،٠٢٤
مخصصات إعاشة للقائد	٠٠ – ٠ – ٢٠٠
مخصصات إعاشة لخمسة من الضباط	٠٠ – ٠ – ٥٠٠ ______ ٠٠ – ٠ – ٧،٧٦٥
قيمة مائة وعشرين من اللفائف الورقية لكبير موظفي الخزينة وكاتبه ووزير الخارجية ومكتب المحاسبة والسجل العام وسكرتير نائب الملك وقاضي القضايا ووكيل التاج وأمناء المستودعات وآخرين تمنح لهم بناء على مخصصات عادية تقدر بثمانمائة أشرفي	٨٠٠ أشرفي

(٢٨٤٧) "مارينهو" ميزانية النفقات العادية لقلعة "موزمبيق" التي أمر نائب الملك "ماتياس دي البوكيرك" بعملها بحساب كروزادوس" بقيمة أربعمائة "ريس"	كروزادوس
لقائد تلك القلعة راتب قدره ألف وخمسة وأربعون "كروزادوسا"	٠٠– ٠ – ١،٠٤٥
مائة جندي متمركزون في تلك القلعة كرواتب وإعاشة	٠٠ – ٠ – ٦،٠٠٠
راتب الوكيل التجاري ومخصصات إعاشة	٠٠ – ٠ – ٤٧٧
لكاتب المحطة التجارية	٠٠ – ٠ – ٢٠٥
لقاضي التاج إذا كان مؤهلاً كراتب ومخصصات إعالة	٠٠ – ٠ – ٥١٨
لحاجته وجنوده	٠٠ – ٠ – ١١٢
للمستشفى ، (ألف) للإعاشة ومائتان وثلاث "كروزادوسات" و"تانجاسانِ" للطبيب والجراح	٠٠ – ٢ – ١،٢٠٣
كراتب للقس وأقمشة للكنيسة	٠٠ – ٢ – ٣٤١
أجر القبطان الذي يقوم بمساعدته	٠٠ – ٠ – ٩٠
للقس الزائر كراتب	٠٠ – ٠ – ٤٠٠
للقساوسة الدومينيكان كإعاشة	٠٠ – ٠ – ٢٥٠
المدفعجي الأول وستة من قاذفي القنابل المدافع	٠٠ – ١ – ٥١٢

ستة برساسات من الأقمشة كمؤن لقلعة "سوفالا"(bracas) ٦ ١/٢	٩١٠ – ٠ – ٠٠
ولقلعة "ساو مارسيل" "Sao Marcel" و"سينا" كمخصصات	١،٠٠٠ – ٠ – ٠٠
للقس الذي يعيش في قلعة "تيني" واثنين من القساوسة الدومينكان اللذين ينتظران في أسواق "ماسابا" و"القانيز" ؛ حيث لا توجد كنائس .	٢٤٥ – ٠ – ٠٠ ١٣،٣١٧ – ٠ – ٠٠
عند تحويل تلك الـ "كروزادوسات" بقيمة أربعمائة "ريس" إلى "أشرفي" تبلغ قيمتها سبعة عشر ألفاً وثمانمائة وتسعة وعشرين "أشرفياً"	

* إجمالـي التكلفة العادية لقلعة "ممباسا" * "كروزادوس"

راتب لقائد القلعة	١،٠٠٠ – ٠ – ٠٠
أجور مائة رجل برفقته في الحامية بناءً على أوامر محلية	٣،١٠٠ – ٠ – ٠٠
لبحارة السفينة التي تبحث عن الأتراك ، كلفتها	١،٦٩٩ – ١ – ٠٠
لإعاشة الجنود الذين على ظهرها	١،١٨٥ – ١ – ٠٠
للمستشفى في السنة بالتقريب	١،٢٠٠ – ٠ – ٠٠

لإصلاح سقف القلعة في السنة	٠٠ – ٠ – ٤٠٠
لقساوسة "لامو" "Lamo" و"باتي" "Pate" و"امبازا" "Ambasa"	٠٠ – ٠ – ٣٠٠
لقس القلعة ونفقات عادية للكنيسة	٢٠ – ٣ – ١٦٦
للكهنة الأوغسطيين الذين يعيشون في القلعة	٤٠ – ١ – ١٣٣
راتب الوكيل التجاري	٢٠ – ٣ – ٢٢٦
لكاتب المحطة التجارية	٢٠ – ٣ – ١٦٦
لقاضي التاج في هذه القلعة (٤٠ ـ١ـ ٣٣٣) ومأمور التنفيذ الذي معه ومائتين وثمانية من الجنود	٤٠ – ١ – ٥٤١
مسؤول أول المدافع ورفقائه	٠٠ – ٠ – ٢٠٠
لمراقب مكتب الجمارك وأربعة من العمال المساعدين	٢٠ – ١ – ٣٢٦
لحارس البوابة وأربعة من حراس القلعة	٠٠ – ٠ – ٢٧٦
مبالغ لإعاشة موظفي هذه القلعة	٠٠ – ٠ – ٣٤٣ ——— ٤٠ – ٣ – ١١،٢٦٤

* إجمالي نفقات قلعة هرمز* كروزادوس

بمقتضى أوامر محلية ، فإن بهذه القلعة أربعمائة رجل تؤدى لهم أجور ربع سنوية والتي تبلغ سنوياً حوالي :	٠٠ – ٠ – ٠٠٠، ٢٤
راتب قائد القلعة	٠٠ – ٠ – ٠٠٠، ٢
كلفة ثلاثين رجلاً من حراسة	٠٠ – ٠ – ٥٠٠، ٢
لضابط الحرس	٠٠ – ٠ – ٢٠٠٤٠
لخادم وعشرة من أقربائه بموجب أوامر محلية ، تقريباً	٠٠ – ٠ – ٦٠٠، ٤
لعمدة المدينة كراتب	٤٠ – ١ – ٣٣٣
لقاضي التاج	٢٠ – ٣ – ٦٦٦
للمترجم الذي يرافق قاضي التاج	٠٠ – ٠ – ٢٤
أجور كل ربع سنة لأربعة رجال تابعين لقاضي التاج	٠٠ – ٠ – ٢٤٠
راتب الوكيل التجاري	٤٠ – ١ – ٣٣٣
ثمانية رجال مع الوكيل التجاري الذين يبلغ سنوياً أجرهم الربع .	٠٠ – ٠ – ٤٨٠
اثنان من الكتبة في المحطة التجارية وأربعة رجال تبلغ تكلفتهما الاثنين	٤٠ – ١ – ٤٩٣، ٠
لحارس المستودعات كراتب بالرغم من عدم تخويل ذلك	٠٠ – ٠ – ١٠٠

لاثنين من الخدم لنظافة	٠٠ - ٠ -٢٤
للحداد الذي يقوم بإصلاحها	٠٠ - ٠ - ٣٦
لكاتب المستودعات	٢٢ - ٣ - ٦٦
المدفعجي المسؤول في القلعة	٤٠ - ١ - ١٥٣
خمسة عشر من قاذفي القنابل كراتب وإعاشة	٠٠ - ٠ - ٦٩٦
للحداد المسؤول	٠٠ - ٠ - ٩٠
لملاحظ حراس القلعة	٤٠ - ١ - ٨٣
لمساعد مأمور القلعة وعلاوات لثمانية من جنوده	٠٠ - ٠ - ٢٥٥
لمساعد التنفيذ بالقلعة وجنوده	٠٠ - ٠ - ٢٥٥
راتب رئيس حوض بناء السفن	٤٠ - ١ - ١٣٣
إعاشة لمساعد واحد معه	٠٠ - ١ - ٣١
مخصصات لثمانية بحارة والمقدم والذين يقومون بحراسة حوض بناء السفن	٠٠ - ٤ - ٣٠٤ ______ ٤٠ -١ - ٣٨،١٥٩
توزيع المخصصات لبعض الحكام المجاورين على أساس إقرارهم بالسماح للقوافل بعبور حدودهم وإحضار البضائع لمكتب الجمارك بهذه القلعة يؤدى لرئيس الوزراء	٠٠ - ٠ - ٥،١٩٤

يتلقى كبير الوزراء ستة وثلاثين "ليكوساً" لملابسه ونفقاته	٠٠ – ٠ – ١،٦٧٤
يتلقى ملك هرمز لمخصصات لملابسه	٠٠ – ٠ – ١،٨٦٠
لمترجم الملك	٠٠ – ٠ – ٤١٥ ——— ٠٠ – ٠ – ٩،١٤٤
الإجمالي بأعلاه يتبع لما قبله	٤٠ – ١ – ٣٨،١٥٩ ——— ٤٠ – ١ – ٤٧،٣٠٣
تابع ما قبله	٤٠ – ١ – ٤٧،٣٠٣
متوسط ما يؤدى للمستشفى	٠٠ – ٠ – ٢،٠٠٠
للكرسي المقدس كصدقات لفقراء والمساجين	٠٠ – ٠ – ٦٠٠
نفقات غير عادية للمستشفى	٠٠ – ٠ – ٥٠٠
لكاهن أوغستيني يدير المستشفى	٤٠ – ١ – ٣٣٣
لقس هذه القلعة	٤٠ – ١ – ١١٣
لأربعة من رجال الدين يساعدونه	٠٠ – ٠ – ٢٨٠
لأمين الصندوق ، جوقة المنشدين وعازف الأورغ وألبسة الكهنوت البيضاء	٠٠ – ٠ – ١١٨
صدقات لصلاة القداس لروح المتوفى دوم "هنريك"	٠٠ – ٠ –٥٠

لاثنين من الكتبة البرتغاليين بمكتب الجمارك	٠٠ – ٠ – ٥٥٨
للكاتب المسلم الذي يعمل في مكتب الجمارك	٠٠ – ٠ – ٢٣٢
لمراقب مكتب الجمارك	٠٠ – ٠ – ١٦٦
لحارس بوابة مكتب الجمارك	٠٠ – ٠ – ٩٣
لحارس بوابة القلعة	٠٠ – ٠ – ٦٠
لصانع الحبال الذي يصنع ما تحتاج إليه السفن ، يتم إحضار ألف عبوة من الأرز لهذه القلعة وأربعة (Fardos) من الأرز بسعر ثمانية "باردوسات" تساوي خمسا (larins) للعبوة ، والتي تساوي اثني عشر "أشرفياً" ، ويساوي الـ(Fardos) ثماني لاينزات ، يتم شراء تلك المؤن وتخزن في القلعة كل سنة ، بالإضافة للاحتياجات الأخرى في حالة الطوارئ ، وبتلك الأسعار تكون التكلفة ٦٠٠، ٢١ واحد وعشرين ألفا وستمائة أشرفي ، لكن بنهاية السنة تباع تلك المؤن مرة أخرى ويستخدم بعض الأموال لشراء أرز طازج ، مما يتعرض للتلف واختلاف السعر الذي يعاد بيعه ، فإن الخزينة الملكية تخسر حوالي عشرة آلاف أشرفي	٠٠ – ٠ – ٠٢٤ ٠٠ – ٠ – ١٠، ٠٠ ـــــــــــــــ ٠٠ – ٤ – ٦٢، ٤٣١

* نفقات إعداد الأسطول في هذه القلعة*

لقائد أسطول المضيق كراتب	٠٠ – ٠ – ٤٠٠
إعاشة لـخمسمائة وخمسين جنديا في عشر سفن بواقع خمس وثلاثين في كل منها لمدة ثلاثة أشهر بقيمة ثلاثة "باردوسات"	٠٠ – ٠ – ٣،٨٢٥
مخصصات طعام لعشرة من الضباط	٠٠ – ٠ – ١،٥٠٠
مخصصات لأربعة وأربعين بحاراً في تلك السفن بواقع أربعة لارينزات لكل	٠٠ – ٠ – ١،٥٨٤
أسماك للبحارة بقيمة خمسة وأربعين "ريساً" للواحدة	٠٠ – ٠ – ١٩٩
مائتان وثماني عبوة من الأرز بسعر عشرة "أشرفيات" للعبوة للبحارة	٠٠ – ٠ – ٢،٠٨٠ ٠٠ – ٠ – ٩،٥٨٨
إضافة للإجمالي أعلاه	٠٠ – ٤ – ٦٢،٤٣١ ——— ٠٠ – ٤ – ٧٢،٠١٩

نفقات بصفحة أخرى

"مارينهو"

نفقات لـهرمز منقولة ومتواصلة	٠ – ٤ – ٧٢،٠١٩
بالإضافة لعشرة قوارب تم إعدادها مع أحد عشر جندياً في كل منها تبلغ إعاشتهم مبلغَ :	٠ – ٠ – ١،١٨٨

مخصصات إعاشة لعشرة ضباط بواقع خمس وسبعون "أشرفياً" لكل وعلاوة لـمائتين واثنين وعشرين بحاراً في كل قارب اثنان وعشرون بحاراً يؤدى لهم أربعة لارينزات	٠٠ – ٠ – ٧٥٠ – ٠ ٠ – ٠ – ٧٩٢ – ٠
قيمة أرز وأسماك لأولئك البحارة	٠٠ – ٠ – ١،٣٤٩ ——— ٠٠ – ٤ – ٧٦،٠٩٨

لم يتم حساب مدفوعات ربع سنوية للجنود في هذا الأسطول ؛ لأنهم أدرجوا في النفقات العامة ، ولم يحسب تكلفة شراء السفن ، والأخشاب ، وألياف جوز الهند ، والزفت ، وزيت السمك ، والأقمشة ، والكبريت ، وحجر الملح ، والذخيرة ، وإصلاحات للقلعة والسفن ، لا يمكن تقدير تلك الأشياء بالتقريب ؛ لأنها مكلفة وأحياناً بأسعار أغلى وأحياناً أرخص .

* إجمالـي تكاليف قلعة "مسقط"*

بناء على الأوامر المحلية فللقلعة حامية من خمسين من الجنود الذين تبلغ كلفتهم الربع سنوية	٠٠ – ٠ – ٢،٠٠٠
للقائد راتب سنوي قدره	٠٠ – ٠ – ١،٠٠٠
لرجاله وأقربائه	٠٠ – ٠ – ١،٢٠٠

للوكيل التجاري راتب سنوي قدره	٤٠ - ١- ٣٣٣
أجر ثلاثة رجال معه ومبلغ للسكن	٠٠ - ٠ - ٢٤٦
راتب القس ونفقات عادية للكنيسة	٠٠ - ٠ - ٤٠٠
المدفعجي الأول وأجور ستة من قاذفي القنابل	٤٠ - ١ - ٤٢١
لمراقب الحراس	٠٠ - ٠ - ٨٠
لحارس البوابة	٠٠ - ٠ - ٦٠ ـــــــــــــــ ٢٠ - ٣ - ٥،٧٤٠

إجمالي المبلغ هذا وقدره خمسة آلاف وسبعمائة وأربعون "أشرفياً" وثلاثة "تانجاساتٍ" وعشرون "ريساً" عن المصروفات العادية أرسل من قلعة هرمز .

* إجمالـي نفقات قلعة "ديو" *

بمقتضى أوامر محلية هناك حامية من ثلاثمائة وخمسين رجلاً تبلغ إجمالي كلفتهم مبلغَ :	٠٠ - ٠ - ١٧،٠٠٠
إعاشة الذين أخذوا منهم للذهاب إلى أسطول خليج "كامبي" لستة شهور تبلغ	٠٠ - ٠ - ٢،٢٧٢
مخصصات للبحارة الذين على ظهر سبع سفن من ذلك الأسطول	٠٠ - ٠ - ١،٠٠٤
تكلفة إعاشة لأولئك البحارة	٠٠ - ٠ - ١،٧٠٠
تكلفة سبعة (caturs) من تلك السفن	٠٠ - ٠ - ١٢٦

لإعاشة عادية للقائد والربابنة	٠٠ – ٠ – ١،٦٠٠
راتب قائد القلعة	٠٠ – ٠ – ٢،٠٠٠
أجور ربع سنوية للخدم وأقربائه الذين معه بناء على أوامر محلية	٠٠ – ٠ – ٤،٠٠٠
كلفة عشرين جندياً من حرس القائد	٠٠ – ٠ – ١،٢٠٠
أجور أربعة خدم معه حرس وزيت المصابيح	٠٠ – ٠ – ٥٢٣
للقس والكهنة ونفقات أخرى للكنيسة	٠٠ – ٠ – ٧٢٨
للقساوسة الدومينكان	٠٠ – ٠ – ٣٩٠
للقساوسة الجيزويت الذين يذهبون إلى "برستر جون"	٠٠ – ٠ – ٥٠٠
أجور أخوة "الميسركورديا" "Nisericordia" (الكرسي الكنسي)	٠٠ – ٠ – ٧٤٨
متوسط التكلفة السنوية لمستشفى القلعة	٠٠ – ٠ – ٣،٠٠٠
للوكيل التجاري بالقلعة وستة من الرجال الذين معه بمقتضى الأوامر المحلية	٠٠ – ٠ – ٥٩٣
أجور الخدم وقيمة زيت المصابيح	٠٠ – ٠ – ٢٥٠
رواتب اثنين من كتبة المحطة التجارية وأجور اثنين من الرجال معهم	٠٠ – ٠ – ٤١٣
لضابط منطقة الحصن الموجه للبحر ورجاله ورجل من المانشوي	٠٠ – ٠ – ٨٨٠
لمراقب الحراس	٠٠ – ٠ – ٥٠

لحرس السور	٠٠ – ٠ – ٥٩١
أجور خمسة عشر من المدفعجية وستة من حراس البوابات	٠٠ – ٠ – ٢،٤٧٨
راتب قاضي التاج والرجال الذين معه	٢٠ – ٣ – ٨٦٦
أجور اثنين من مساعدي المأمور	٠٠ – ٠ – ١٢٠
لنائب العمدة	٠٠ – ٠ – ١٠٠
لمساعد مأمور التنفيذ لمكتب الجمارك	٠٠ – ٠ – ١٠٠
لجنود مساعد مأمور التنفيذ	٠٠ – ٠ – ٣٩٢
لسجان السجين	٠٠ – ٠ – ٥٢
كلفة مسؤول الحراس من الماتشوي	٣٠ – ٢ – ٤٣٦
أجور أربعة رجال مع مراقب مكتب الجمارك	٠٠ – ٠ – ٢٠٠
راتب حارس بوابة مكتب الجمارك	٠٠ – ٠ – ٦٦
لمراقب الأوزان	٣٠ – ٢ – ١٠٨
للكاتب الموجود في "ماندوقي"	٤٠ – ١– ١٣٣ ــــــــــــــــ ٤٠ – ٣ – ٤٤،٦٢٢

"مارينهو" :

إجمالي نفقات قلعة ديو المنقولة من أعلاه	٤٠ – ٣ – ٤٤،٦٢٢
ملاحظ الأشغال	٠٠ – ٠ – ١٢٩

تبلغ تكلفة أجور حوض بناء السفن بالتقريب	٧٩٠ – ٠ – ٠٠ ——— ٤٥،٥٤١ – ٣ – ٤٠

لا يشمل هذا قيمة شراء السفن والذخيرة وأشياء إضافية أخرى لا يمكن تقدير قيمتها بالتقريب .

*** نفقات قلعة "دامان" ***

الراتب السنوي لقائد القلعة	٢،٠٠٠ – ٠ – ٠٠
للخدم الذين معه بناء على الأوامر المحلية	٥٢٠ – ٠ – ٠٠
لثلاثين من الحرس الشخصي لمرافقته	١،٨٨٦ – ٣ – ٢٠
للقائد أربعين من الخدم وعشرة من أقربائه	٤،٠٠٠ – ٠ – ٠٠
تكلفة علف ستة من خيول القائد	٤٤٠ – ٠ – ٠٠
لمترجم القائد	٦٦ – ٣ – ٢٠
يتلقى القائد ألفي "أشرفي" للوجبات التي يوفرها في ميدان المعركة وفي القلعة	٢،٠٠٠ – ٠ – ٠٠
كمدفوعات للسفراء والجواسيس ونفقات أخرى تتعلق بالحرب ينفقها القائد	٢،٠٠٠ – ٠ – ٠٠
للوكيل التجاري بالقلعة كراتب سنوي	٦٦٦ – ٣ – ٢٠
مع الوكيل التجاري ستة رجال وعلاوات أخرى بمقتضى أوامر محلية تكلف	٧١٥ – ١ – ٠٠
رواتب الكتبة الاثنين بالمحطة التجارية	٣٣٣ – ١ – ٤٠

مع كل كاتب رجل واحد تبلغ تكلفتهم معاً	٠٠ – ٠ – ١٠٠
لإعالة اثنين من الخيول الخاصة بالكتبة	٠٠ – ٠ – ٠٩٦
لعمدة واحد مع مساعد مأمور والجنود الذين معهم	٠٠ – ٠ – ٢٩٢
لرئيس الميناء وجنوده ورجل من المانشوي	٤٠ – ١ – ٣٧١
مخصصات الجنود وأربعة من القوارب التي تقوم بحراسة منطقة "بواري" و"كالاموكويل" و"سولسومبا" و"جيرولي"	٠٠ – ٠ – ١٧،٠٧٠
راتب كبير المدفعجية	٠٠ – ٠ – ٦٦
اثنا عشر من الذين يطلقون المدافع بواقع خمسين "أشرفياً" لكل منهم	٠٠ – ٠ – ٦٠٠
لحارس بوابة القلعة	٠٠ – ٠ – ٢
للحداد والطبيب البيطري	٢٠ – ٣ – ٦٦
مسؤول حوض بناء السفن الذي يقوم أيضاً بمهمة الربان	٠٠ – ٠ – ١٠٠
لمترجم المحطة التجارية	٠٠ – ٠ – ٤٠
للسجان وزيت للسجين	٠٠ – ٠ – ٥٠
لقس الكنيسة وأربعة من رجال الدين وقادة جوقة الترتيل وأمين الصندوق والمنشدين ونفقات عادية للكنيسة	٤٠ – ٢ – ٦٨٨ ـــــــــــــــ ٤٠ – ٤ – ٣٤،٧٥٩

نفقات متواصلة على صفحة أخرى :

من نفقات "دامان" المنقولة عمّا سبق	٤٠ – ٤ – ٧٥٩، ٣٤
للقساوسة الأوغسطينيين	٠٠ – ٠ – ٢٠٠
للقساوسة الدومينيكان	٠٠ – ٠ – ٩٦٠
للقساوسة الجيزويت	٠٠ – ٠ – ٣٢٠
للمستشفى التابع للكرسي الكنسي	٠٠ – ٠ – ٧١٢، ٢
حفظ وتغطية البنادق	٠٠ – ٠ – ١٠٧
للشخص الذي يقوم بتحصيل ضريبة الأراضي في المنطقة	٠٠ – ٠ – ١٤٠
أربعة من الشرطة والجنود التابعين لقلعة "دانو"	٠٠ – ٠ – ١٠٠٦
أجرال (dail) وضابط الميدان وجنوده	٠٠ – ٠ – ٦٢٤
أربعة رجال مع الضابط	٠٠ – ٠ – ١٨٠
لحراس القلعة	٠٠ – ٠ – ١٧٢
إيجارات مباني مكتب الجمارك والمترجم	٠٠ – ٠ – ١٠٥
جنود المانشوي الذين يقومون بحراسة مكتب الجمارك	٠٠ – ٢ – ٢٤٦
نفقات قلعة "تارا" ، للقائد والقس وآخرين	٤٠ – ١– ٢٣٣، ١
مصروفات قلعة "ساو جينز" "Sao Jean" ، القس والقائد وآخرين يتلقون رواتبَ قدرها	٠٠ – ٠ – ٨٤٥، ١
لقلعة "ماحيم" ، القس والقائد وآخرين	٤٠ – ١ – ٢٣٣، ١

من عائدات ضريبة الأراضي تسعة آلاف وستمائة "أشرفي" استخدمت لتقوية أسوار قلعة "دامان" ، لكن من العام ١٦٠٥م اعتقد نائب الملك "مارتيم أفونسو دي كاسترو" أنها قوية بما فيه الكفاية ، واستخدم هذا المبلغ في السفن الشراعية (غاليوت) التي بنيت هناك بمقتضى عقد أبرم معه .	٩،٦٠٠ – ٠ – ٠٠
لمساعد مأمور التنفيذ بالقلعة جنوده	١٢٠ – ٠ – ٠٠ ــــــــــــــــ ٥٥،٩٠٥ – ٢ – ٠٠

هذا لا يشمل النفقات غير العادية ؛ لأن القلعة تقع في الحدود ولا يمكن إجراء أي تقدير للكلفة .

"مارينهو" :

*** نفقات قلعة باسين ***

الراتب السنوي للقائد	٢،٠٠٠ – ٠ – ٠٠
أجور أربعين من الخدم وعشرة من أقربائه بالتقريب	٢،٨٠٠ – ٠ – ٠٠
أربعة وعشرون من الخدم وزيت المصابيح	٤٠٠ – ٠ – ٠٠
حارس بوابة القلعة	٠٥٢ – ٠ – ٠٠

للمشرف على الحراس	٠٠ – ٠ – ٠٨٣
لمترجم القلعة	٢٠ – ٣ – ٦٦
راتب الوكيل التجاري ويشمل ألفا وخمسمائة "ريس" كأمين مخزن	٢٠ – ٣ – ٧١٦
أجور ستة رجال معه بناء على أوامر محلية	٠٠ – ٠ – ٣٠٠
لموظفي المحطة التجارية والمستودعات	٢٠ – ١ – ٤٦٤
لاثنين من الكتبة في المحطة التجارية	٤٠ – ١ – ٣٣٣
لكل منهما عاملان تبلغ كلفتهما	٠٠ – ٠ – ١٠٠
قاضي التاج يتلقى خمسمائة كروزادوس" إذا كان مؤهلاً ومائتين وخمسين "كروزادوسا" إذا لم يكن كذلك	٠٠ – ٠ – ٦٦٦
معه أربعة رجال وخمسة من الجنود	٢٠ – ٣ – ٢٦٢
مساعدا مأمور تنفيذ وجنودهما	٠٠ – ٠ – ٣٥٠
للسجان وزيت للسجين	٠٠ – ٠ – ٦٤
صدقات للكرسي الكنسي	٠٠ – ٠ – ١،٠٠٠
متوسط نفقات المستشفى في السنة	٠٠ – ٠ – ٢،٣٤٠
أرز يقدم لجماعة الكرسي الكنس والمستشفى	٠٠ – ٠ – ٢،٢٥٢
للقس وأربعة من رجال الدين ، وفرقة المنشدين والكنيسة	٠٠ – ٠ – ٤٠٠
للقس التابع لـ (NS dos Remedios)	٤٠ – ١ – ١٣٣

للقساوسة الجيزوت المقيمين في القلعة وأماكن أخرى تشمل المجمع في "فيابيكوتا"	٣،٠٠٠ – ٠ – ٠٠
ويؤدى في هذه القلعة أيضاً للقساوسة ألفين وستمائة "أشرفي" من عائدات ضريبة الأراضي كتعويض عن الـ (sagoates) الذين يأتون للدولة ؛ لأنهم ينتمون لهم بمقتضى تصريح ملكي	٢،٦٠٠ – ٠ – ٠٠
للقساوسة الفرانسيسكان الذين يسافرون ويقدمون العون للجاليات المسيحية	١،٨٠٠ – ٠ – ٠٠
نفقات عادية لأولئك الذين بالدير	٧٦٦ – ٢ – ٣٠
المصروفات السنوية على التحصينات وحراس الإقليم وجبال "إسيريم"	٢٨،٢٠٠ – ٠ – ٠٠
تؤدى لقائد حصن "ثانا"	١،٢٠٠ – ٠ – ٠٠
تؤدى لكنيسة "انونسيادا" "Enunciada" في "ثانا"	٢٤٤ – ٠ – ٠٠
تؤدى لـ(tanadar) والرجال والعاملين في (tanadaria of karanja)	٤٨٠ – ٠ – ٠٠
عن راتب ومخصصات إعاشة لـ (tanadar) أجاشي	٦٠٠ – ٠ – ٠٠
للكاتب في أجاشي	٦٦ – ٣ – ٢٠

راتب (tanadar) "ماهيم باندورا" والكاتب الذي معه	١٨٠-٠-٠٠ ٣٠ - ٠ - ٥٢٢، ٥٤
يستمر في صفحة تالية : "مارينهو"	
أيضاً نفقات قلعة باسين المنقول ممّا قبله	٣٠ - ٠ - ٥٢٢، ٥٤
لـ(tanadar) جزيرة "سالسيت" والكاتب الذي معه	٠٠ - ٠ - ١٨٠
للجنود التابعين لكل (tanadars)	٠٠ - ٠ - ٢٠٠
أجور أربعة رجال يعملون في المستشفى ، المنادي وقارع الجرس والممرضة والكاتب	٠٠ - ٠ - ٢٠٠
للقساوسة الدومينيكان	٢٠ - ٣ - ٣٦٦
لعازف الأورغ بالكاتدرائية	٠٠ - ٠ - ١٠٠
لمساعد مأمور "ثانا"	٠٠- ٠ - ٤٠
لقاضي التاج الذي تعين حديثاً في "ثانا"	٠٠ - ٠ - ٢٠٠
المشرف المسؤول عن مدافع قلعة باسين	٣٠ - ٢ - ١٩٢
أجور اثني عشر من جنود إطلاق القذائف	٠٠ - ٠ - ٥٦٠
المكافآت التي تؤدى مدى الحياة في قلعة باسين بمقتضى أوامر كتابية أرسلت إلى هناك	٤٠ - ١- ٣٧٣، ١ ٠٠ - ٣ - ٩٣٤، ٥٧

* إجمالـي نفقات قلعة "شول" *

لقائد القلعة كراتب ، ألف كروزادوس" تساوي بـ "الأشرفي" :	٤٠ – ١ – ١،٣٣٣
أجور ربع سنوية لأربعين من العاملين والأقرباء الذين معهم بناء على أوامر محلية	٠٠ – ٠ – ٣،٤٠٠
للخدم وزيوت للمصابيح	٠٠ – ٠ – ١٦٠
لمشرف الحرس	٠٠ – ٠ – ٦٠
المشرف المسؤول عن المدافع وستة من قاذفي القذائف المدفعية	٠٠ – ٠ – ٣٤٠
أجور ربع سنوية لإعاشة خمسة وعشرين رجلاً يسكنون في "مورو"	٠٠ – ٠ – ١،٣٨٠
قيمة (balao) للعبور من وإلى "مورو"	٠٠ – ٠ – ٢٣٦
للجواسيس والمراسلين	٠٠ – ٠ – ٢٠٠
لعمل أسطح للقلعة والحصون التي في "مورو"	٠٠ – ٠ – ٣٦٠
لقاضي التاج واثنين من الرجال الذين معه	٤٠ – ١ – ٤٣٣
لاثنين من مساعدي التنفيذ ومخصصات لاثني عشر جندي	٠٠ – ٠ – ٢٦٤
للسجان وكلفة زيت المصابيح للسجن	٠٠ – ٠ – ١٢٤
راتب الوكيل التجاري	٤٠ – ١ – ٣٣٣
أجور لرجاله ولرجل يعمل مع الكاتب	٠٠ – ٠ – ٨٠٠

للعاملين بالمحطة التجارية والوكيل التجاري	٠٠ – ٠ – ٢١٨
إيجار مباني المحطة التجارية	٠٠ – ٠ – ١٨٠
لكاتب المحطة التجارية	٠٠ – ٠ – ١٠٠
معاش مدى الحياة لدوم "جيرونيمو دي مينسيس" "Jeronimo de Meneses" و"جورجي دي سيلفا" "George da Silva" مع أخوة المسيح	٠٠ – ٠ – ٢٠٠
للقس ورجل الدين بالكاتدرائية	٠٠ – ٠ – ٢٨٦ ——— ٣٠ – ٢ – ١٠،٤٠٨

يتبع في الصفحة التالية :

"مارينهو" :

تابع منصرفات قلعة "شول" منقول عمّا قبله	٣٠ – ٢ – ١٠،٤٠٨
إعالة حافظ غرفة المقدسات بالكنيسة وجوقة المنشدين	٠٠ – ٠ – ٢٤٠
نفقات عادية للشموع والقمح للكاتدرائية	٠٠ – ٠ – ٨٧
للكرسي الكنسي بواقع أربعين "أشرفياً" في الشهر	٠٠ – ٠ – ٤،٨٠٠
للكرسي الكنسي قيمة عبوة من الأرز	٠٠ – ٠– ١،٥٨٤
للقساوسة الدومينكان نفس الأمر	٠٠ – ٠ – ٨٠٠

للقساوسة الفرانسيسكان كإعاشة وأدوية	٠٠ - ٠ - ٥٠٠
لتسعة من القساوسة الجيزوت الذين يعيشون هناك بواقع لارين واحد يومياً	٠٠ - ٠ - ٩٧٠
لتعليم المتنصرين المبتدئين من قبل المعمودية	٠٠ - ٠ - ١٠٠
للقساوسة الأوغسطينين	٠٠ - ٠ - ٥٠٠
لعمدة المدينة	٠٠ - ٠ - ٠٥٠ ـــــــــــــــ ٣٠ - ٢- ٣٥٩، ٢٠

*** إجمالـي نفقات قلعة "باسرور" التي تدار من "غوا" ***

راتب القائد ألف كروزادوس" في السنة تساوي بـ"الأشرفي" :	٤٠ - ١ - ١،٣٣٣
لرواتب ربع سنوية لعشرين رجلاً معه ومخصصات للريت وثلاثة رجال مع الوكيل التجاري بالمحطة التجارية	٠٠ - ٠ - ١،١٧٠
راتب الوكيل التجاري	٤٠ - ١ - ٣٣٣٣
لكاتب المحطة كراتب له	٤٠ - ١ - ١٦٦
لمساعد مأمور التنفيذ وأربعة من الجنود الذين معه	٢٠ - ٣ - ١١٢
لكاتب مساعد مأمور التنفيذ	٤٠ - ١- ٣٣

لقس الكنيسة ورجل الدين	٤٠ – ١ – ٢٩٣
لرئيس المدفعجية	٤٠ – ١ – ١٥٣
لثمانية من قاذفي المدافع	٤٠ – ١ – ٣٧٣
للجراح	٠٠ – ٠ – ١٠٠
لحارس بوابة القلعة	٠٠ – ٠ – ٥٢
لعامل واحد واثني عشر من الجنود الذين يحرسون القلعة	٠٠ – ٠ – ١٦٨
"هوناواري"	٤٠ – ١ – ٤،٢٨٩

لا يوجد وكيل تجاري في قلعة "هوناوار" ، من قائمة كبير موظفي الخزينة أرسلت ثلاثة آلاف وثلاثمائة "أشرفي" إلى هناك كل سنة من أجل النفقات العادية .

"مارينهو" :

*** إجمالـي نفقات قلعة مانجالور***

راتب قائد القلعة وللعاملين	٤٠ – ١ – ١،٦٣٣
أجور عشرين رجلاً معه ومخصصات لزيت	٠٠ – ٠ – ١،٠٧٠
لكاتب المحطة التجارية	٤٠ – ١ – ١٣٣
لمساعد مأمور التنفيذ والكاتب والجنود الذين معه	٠٠ – ١ – ١٤٠
لمشرف الحراس	٠٠ – ٠ – ٩٠

مسؤول المدفعجية وستة جنود إطلاق القنابل وحارس البوابة	٠٠ – ٠ – ٤٤٤
لمترجم القلعة	٠٠ – ٠ – ٤٨
للقس ومصروفات أخرى خاصة بالكنيسة	٤٠ – ١ – ٢٩٣ ـــــــــــــــ ٠٠ – ٠ – ٣،٨٥٢

* إجمالـي نفقات قلعة "كانانور" *

راتب قائد القلعة	٤٠ – ١ – ١،٣٣٣
للقس ومخصصات للكنيسة	٤٠ – ٢ – ٢٨٧
عشرون رجلاً مع القائد	٠٠ – ٢ – ١،٠٠٠
إعاشة وأجور خدم وزيت للقائد	٤٠ – ١ – ٨٣
ثلاثون من العاملين في حرس القلعة	٠٠ – ٠ – ٤٣٦
ستة من العاملين في خدمة القلعة	٤٠ – ١ – ١٠٥
لمترجم القلعة	٠٠ – ٠ – ٤٨
لمسؤول جنود المدفعية وثلاثة من الذين يطلقون القذائف	٠٠ – ٠ – ٢٣٠
لملاحظ الحراس	٠٠ – ٠ – ٦٠
لكاتب المحطة التجارية	٤٠ – ١ – ١٣٣
لرجل واحد برفقته	٠٠ – ٠ – ٥٠

لمساعد مأمور التنفيذ وكاتبه وجنوده	٠٠ – ٠ – ١٣٨
للطبيب الجراح بعثت هذه المخصصات من "غوا"	٠٠ – ٠ – ٢٤ ــــــــــــــــ ٢٠ – ٤ – ٣،٩٢٨

* إجمالـي نفقات قلعة كرانجانور *

راتب قائد القلعة	٠٠ – ٠ – ٣٠٠
مائة "أشرفي" للكاتب بالمحطة التجارية وأربعة وسبعون لمساعد مأمور التنفيذ والجنود الذين معه تبلغ :	٠٠ – ٠ – ١٧٤
لمترجم وطوف خشبي	٠٠ – ٠ – ٦٠
لمسؤول جنود المدفعية واثنين من قاذفي القنابل وثلاثة بنادق	٠٠ – ٠ – ١٨٨
للقس ومصروفات غرفة ملابس الكهنة والمقدسات مائة وثلاثة وثلاثون "أشرفياً" وتونجا واحد وثلاثمائة وثلاث وثلاثون لمجمع "ساو فرانسيسكو" "Sao Francisco" تبلغ :	٠٠ – ٠ – ٤٦٦
لإعاشة الطلاب الذين يدرسون في المجمع	٠٠ – ٠ – ٧٠٠
أجور ربع سنوية لعشرين رجلاً في القلعة (بموجب أوامر محلية)	٠٠ – ٠ – ٩٠٠

نفقات لإعاشتهم أموال تم دفعها من قلعة "كوتشين"	٠٠ – ٠ – ٦٣٦ ——— ٢٠ – ٣ – ٣،٤٣٤

"مارينهو" :

* إجمالـي ما أنفق في "كوشن"*

راتب قائد القلعة	٤٠ – ١ – ١،٣٣٣
للعاملين معه والزيت وأجور ربع سنوية لعشرين رجل معه	٠٠ – ٠ – ١،٠٠٠
أجور عشرين رجل من حراسه	٠٠ – ٠ – ٤٦٠
أجور اثنين من (bragas) يقومان بتنظيف القلعة	٠٠ – ٠ – ٤٨
لرئيس الكاتدرائية في كوتشين	٢٠ – ٣ – ١٦٦
أجرة الـ (داياو)	٤٠ – ١ – ١٣٣
لأربعة من الكهنة المسؤولين عن الكاتدرائية	٠٠ – ٠ – ٤٠٠
قيمة اثني عشر مدفعاً	٠٠ – ٠ – ٨٠٠
لمساعد أمين الصندوق	٤٠ – ١ – ٣٣
لراعي أبرشية الكاتدرائية	٠٠ – ٠ – ٥٠
أجور أربعة من فرقة المنشدين	٤٠ – ١ – ٥٣
لجوقتين من المنشدين ومعلمي اللغة اللاتينية	٤٠ – ١ – ١١٣
لحارس بوابة القداس	٠٠ – ٠ – ٥٨

منصرفات أقمشة للكاتدرائية	٤٠ – ١ – ٣٣٣
لنفقات غرفة المقدسات وملابس الكهنة في الكنيسة	٠٠ –١– ٢٠٠
لكنيسة القديس وصدقات للفقراء	٠٠ – ٠ – ٤٠٠
نفقات المستشفى بالتقريب	٠٠ – ٠ – ٢٠٠٠

توجد لأمين الخزينة بمقتضى أوامر محلية ألف كروزادوس" وألف أخرى بناء على أمر كتابي ، وعند ذهابه إلى "غوا" يطلب من نائب الملك فيمنح ألف "أشرفي" كنفقات إبحار

وتبلغ ألفا كروزادوس" بـ "الأشرفي" :	٢٠ – ٣ – ٢،٦٦٦
يعمل معه خمسة عشر من العاملين وخمسة من أقربائه	٠٠ – ٠ – ١،٠٠٠
يتلقى الوكيل التجاري راتباً سنوياً قدره	٢٠ – ٣ – ٦٦٦
تكلفة سكنه تبلغ	٤٠ – ١ – ١٣٣
معه عشرة رجال تبلغ كلفتهم	٠٠ – ٠ – ٥٠٠
لاثنين من الكتبة بالمحطة التجارية	٤٠ – ١ – ٣٣٣
برفقتهما رجلين يستحقان	٠٠ – ١ – ١٠٠
لقاضي التاج المؤهل ويستحق	٢٠ – ٣ – ٦٦٦
لستة رجال برفقته	٠٠ – ٠ – ٣٠٠

لكاتب الخزينة إضافة لمخصصات إعاشته	٢٠ – ٣ – ٥٦٦
برفقته رجلان بمقتضى أوامر محلية	٠٠ – ٠ – ١٠٠
راتب ضابط الحرس مائتا كروزادوس" يدفع ملك "كوتشين" نصفها تقريباً ؛ لالتزامه فيما يتعلق بتكلفة مبنى الجمارك	٤٠ – ١– ١٣٣ ـــــــــــــــــ ٤٠ – ١ – ١٤،٨٢٩
تابع منصرفات "كوتشين" المنقولة بأعلاه	٤٠ – ١– ١٤،٨٢٩
يتلقى رئيس البلدية مائتا كروزادوس" تساوي بـ "الأشرفي" :	٢٠ – ٣ – ٢٦٦
مخصصات لاثنين من رجال المانشوي ، أحدهما مع كبير موظفي الخزينة والآخر مع ضابط الحرس ، باستثناء أن نصف كلفة ضابط الحرس يؤديها ملك كوتشين	٠٠ – ٠ – ١،٦٠٠
مخصصات للقساوسة الدومينكان	٠٠ – ٠ – ٩٠٠
للقساوسة الفرانسيسكان في الكنيسة في "فايبيم" ولكنيسة في "كولام" (dos Reis)	٠٠ – ٠ – ٤٠٣
الكنيسة الجديدة للقساوسة الجيزوت في "باليبورت"	٠٠ – ٠ – ١٢٠
مخصصات عادية لكأس القربان المقدس الذي أمر جلالته بإعطائه لملك "كوتشين" كل عام	٤٠ – ١ – ٨٥٣

يعطي للملك لتوزيعه على جيرانه الذين يسهلون تجارة الفلفل	٠٠ – ١ – ١٢٠
أسقف "آبخمال" أعطى مبالغ لستة رجال برفقته بأمر كتابي	٠٠ – ٠ – ٣٠٠
لقس المسيحيين وهو قس من "الجيزوت"	٠٠ – ٠ – ١٠٠
لمراقب الفلفل كراتب	٤٠ – ١ – ١٣٣
أجرال (panical) الذي يقوم بوزن الفلفل ويعمل في المحل	٠٠ – ٠ – ٥٠
للمسؤول عن وزن الفلفل	٠٠ – ٠ – ٢٤
لمترجم ملك "كوتشين" في محل الفلفل	٠٠ – ٠ – ٢٨
لمترجم المحطة التجارية	٠٠ – ٠ – ٣٠
لمساعد مأمور تنفيذ الخزينة واثنين آخرين بواقع خمسين "كروزادوسا" لكل	٠٠ – ٠ ١٥٠
مخصصات لجنودهم	٠٠ – ٠ – ٢١٦
للسجن واثنين من حراس السجن	٠٠ – ٠ – ١١٢
لمراقب حوض بناء السفن	٢٠ – ٣ – ١٦٦
المسؤول عن صانعي البراميل	٠٠ – ٠ – ٧٢
معاشات طول الحياة تؤدى في هذه المدينة	٠٠ – ٠ – ٥٨٤

لحارس بوابة مبنى مكتب الجمارك والحراس ، باستثناء النصف الذي سيدفعه ملك "كوتشين"	٤٠ – ١ – ٣٣٣
لخبير العملة الذي يعرف عن النقود المعدنية في مكتب الجمارك	٠٠ – ٠ – ٦٠
لمحاسب مكتب الجمارك بواقع خمسة "أشرفيات" في الشهر	٠٠ – ٠ – ٦٠
تكلفة من يقومون بإيصال الرسائل من وإلى "غوا" وآخرين يعملون في خدمة جلالته	٠٠ – ٠ – ٣٠٠
راتب قائد الحصن	٤٠ – ١ – ٣٣٣
نفقات لتصليح سقف هذه القلعة القديمة	٠٠ – ٠ – ٥٠
لكنيسة "كالي كولام" التي يديرها القساوسة الفرنسيسكان	٠٠ – ٠ – ١٠٠
مخصصات ملابس للرهبان في "كوتشين"	٠٠ – ٠ – ٥٠
لمسؤول حوض بناء السفن	٤٠ – ١ – ١٥٣
تلك النفقات العادية تصل لاثنين وعشرين ألفاً وأربعمائة وثمانية وتسعين "أشرفياً" و"تانجاً" واحد وأربعين "ريساً" .	٤٠ – ١ – ٢٢،٤٩٨

"مارينهو" :

* إجمالـي نفقات كولام*

للقائد والكاتب التجاري كرواتب	٥٠٠ – ٠ – ٠٠
لكاتب المحطة التجارية ورجل واحد	١٥٠ –٠ – ٠٠
عشرة رجال مع الكابتن حوالي خمسمائة أشرفي	٥٠٠ – ٠ – ٠٠
لقس الكنيسة ونفقات غرفة المقدسات في الكنيسة	١٨٣ – ٠ – ٠٠
زيت لكنيسة الكرسي الكنسي	٤٠ – ٠ – ٠٠
للممرضة التي في المستشفى	٢٤ – ٠ – ٠٠
لمسؤول جنود المدفعية في القلعة	٨٠ – ٠ – ٠٠
إلى اثنين من قاذفي القنابل	٨٣ – ٠ – ٠٠
لمساعد مأمور التنفيذ وجنوده	٧٨ – ٣ – ٢٠
لمشرف الحراس	٦٠ – ٠ – ٠٠
لقاضي الفلفل	٨٠ – ٠ – ٠٠
لمترجمَين اثنين لمبيعات الفلفل	٧٢ – ٠ – ٠٠
أجرال (cancapole) والكاتب المالبياري لمبيعات الفلفل	١٦ – ٠ – ٠٠
لحارس بوابة القلعة	٤٠ – ٠ – ٠٠
تم تسديد المبالغ من "كوتشين"	١،٩٠٧ – ٠ – ٠٠

*** إجمالـي نفقات قلعة مانار***

راتب قائد القلعة	٤٠ – ١ – ١،٣٣٣
مخصصات للعاملين معه وزيوت	٠٠ – ٠ – ٣٦٠
مائتا رجل برفقته بناء على أوامر محلية والذين يتلقون أجوراً ربع سنوية	٠٠ – ٠ – ٤،٤٠٠
لمائة خادم من العسكر بواقع باردو واحد في الشهر	٠٠ – ٠ – ١،٤٤٠
للقس ومخصصات للكنيسة	٢٠ – ٣ – ١٦٧
للقساوسة "الجيزويت" من أجل طعامهم	٠٠ – ٠ – ٣٤٥
لقاضي التاج	٢٠ – ٣ – ١٦٦
للوكيل التجاري	٤٠ – ١ – ٣٣٣
لكاتب المحطة التجارية	٢٠ – ٣ – ١٦٦
لمساعد مأمور التنفيذ مع الجنود الذين معه	٠٠ – ٠ – ١٠٠
لمسؤول واحد عن جنود المدفعية	٠٠ – ٠ – ٨٠
لثلاثة من الرجال يطلقون القذائف في القلعة	٠٠ – ٠ – ١٥٠ ——— ٢٠ – ١ – ٩،٤٠٣

"مارينهو" :

*** إجمالـي نفقـات قلعة "سيلان" ، مع خصـم النفقات الكثيرة التي نتجت عن إخضاعها ***

متوسط ما أنفق على المستشفى ألفان ومائتا "أشرفي" في السنة وتشمل الأرز والقمح	٢،٢٠٠ – ٠ – ٠٠
راتب قائد قلعة "كولومبو" "Colombo"	٢،٠٠٠ – ٠ – ٠٠
تكلفة إعاشة عسكر الحراسة	٣٦٠ – ٠ – ٠٠
لعشرة رجال مع القائد كحق متاح له تبلغ	٤٠٠ – ٠ – ٠٠
راتب الوكيل التجاري وأجور لأربعة رجال معه	٥٢٨ – ٠ – ٠٠
لاثنين من الكتبة بالمحطة التجارية وتكلفة إعاشتهم	٤٠٠ – ٠ – ٠٠
لقاضي التاج كراتب وتكلفة إعاشة	٤٠٠ – ٠ – ٠٠
كلفة ستة رجال مع قاضي التاج كأجور ربع سنوية وإعاشة	٢٥٠ – ٠ – ٠٠
راتب مساعد مأمور التنفيذ ثمانية وأربعون "أشرفياً" ومخصصات وإعاشة لجنوده والآخرين الذين مع قاضي التاج	٢٦٠ – ٠ – ٠٠
للسجان وحراس المسجونين	٤٨ – ٠ – ٠٠
لمسؤول جنود المدفعية وربان السفينة ، مائة "أشرفي" لكل	٢٠٠ – ٠ – ٠٠

للقس ورجال الدين بأبرشية الكنيسة	٠٠ – ٠ – ٢٨٠
للطبيب الجراح بالقلعة	٠٠ – ٠ – ١٢٠
لحرس ميناء "نيجومبو" ، "Nijombo arache" واحد وعشرون من الخدم العسكر ومساعد مأمور تنفيذ مع خمسة من الجنود تبلغ إجمالي كلفتهم	٠٠ – ٠ – ٥٠٠
لقائد قلعة "جالي" كراتب قدره ألفا "أشرفي" وكاتب بالمحطة التجارية ومساعد مأمور التنفيذ مع جنوده يؤدى لهم مائتين وثمانين "أشرفياً"	٠٠ – ٠ – ٢،٨٠٠
إجمالي النفقات قدره عشرة الآف ومائتان وست وعشرون "أشرفياً"	٠٠ – ٠ – ١٠،٢٢٦

بأمر من قائد الفتح الذي تم على هـــذه الجزيرة ، فـــإن ضريبـــة الأراضي والإيـــجارات التـــي كانت تحـــصل من قـــبل ربع (Rayu) لخزينة يتم تحصيلها ، ويقوم القائد بسداد قيمة المواد الحربية ومتطلباته من تلك العائدات ، ويرسل من "غوا" مبلغ خمسة وعشرين ألف "زيرافين" ، ينفق منها مبلغ عشرة آلاف ومائتين وست وعشرين ، كما هو موضح بأعلاه ، ومبلغ أربعة عشر ألف وسبعمائة وأربعة وسبعون "أشرفياً" عن هذا الإخضاع الذي تم .

لهذا السبب يؤدي القائد قروضاً للخزينة الملكية ، والذي يتلقى

عنها إيصالات بالاستحقاق من موظفي الخزينة الذين يتسلمونها ؛ لأنه لا يعرف بالتحديد كم من المبالغ ستجنى من الجزيرة ، ولم يدرج هنا مقدار ما ينفقه القائد ، ولا تحديد نفقات الجنود الذين أرسلوا كتعزيزات ، ولا حتى مقدار ما أنفق على السفن التي تأتي بالمؤن لهذه القلعة ، وتأخذ محصول القرفة الخاص بجلالته ؛ لأن كلفة كل تلك الأشياء لا يمكن تقديرها من سنة لأخرى .

"مارينهو" :

*** إجمالي نفقات قلعة "ملقا"***

لأسقف "ملقا" كراتب وللوقف	٠٠ - ٠ - ٢،٦١١
أجور عشرة رجال معه كحق مكفول له	٠٠ - ٠ - ٣٠٠
رواتب جماعة الرهبان الذين بالكاتدرائية	٠٠ - ٠ - ٤،٤١٤
تكلفة ستة من إبرشيات الكنائس في المدينة بواقع مائة وستة عشر "كروزادوسا" وأربعة "تانجاسات" لكل قس يبلغ إجمالها	٠٠ - ٠ - ٧٠٠
للخمور والقمح والزيت والأقمشة لفرقة القساوسة بالكنيسة بأمر محلي أربعمائة وتسعة وثمانين ونصف كروزادوس ، لكن بسبب التغيير في الأسعار ، فإن المرات الثلاث تكلف :	٠٠ - ٠ - ١،٠٦٩
حفلة وليمة تطهير سيدتنا العذراء	٠٠ - ٠ - ٢٥٠

للقساوسة الدومينكان في المدينة يتسلمونها بمقتضى أوامر محلية	٣٥٠ – ٠ – ٠٠
للقساوسة الأوغسطينيين بالمدينة	٣٥٠ – ٠ – ٠٠
للقساوسة الجيزويت بالمدينة	٥٠٠ – ٠ – ٠٠
لقس المسيحيين وهو قس من الجيزوت	١١٠ – ٠ – ٠٠
للقساوسة الكبوشيين في المدينة ثلاثمائة وأربعون "كروزادوسا" لـ(conduto) وعشر عبوات من القمح قيمتها مائتي كروزادوس" وستمائة كروزادوس" للخمور كلفتها جميعاً تبلغ :	٦٠٠ – ٠ – ٠٠
متوسط كلفة المستشفى في السنة	٤،٨٥٠ – ٠ – ٠٠
الإيجار السنوي للمباني التي تستخدم كمستشفى	٣٨٠ – ٠ – ٠٠
راتب قائد القلعة	١،٦٦٦ – ٤ – ٠٠
أجور خمسة وعشرين من الرجال التابعين لحرسه	١،٤١٦ – ٠ – ٠٠
أجور ربع سنوية لأقربائه وخدمه	٢،٨٤١ – ٠ – ٠٠
لمترجم القائد	٣٦ – ٠ – ٠٠
راتب الوكيل التجاري	٥٥٥ – ٣ – ٢٠
أجور أربعة من الرجال الذين معه	١٦٠ – ٠ – ٠٠

لكاتب المحطة التجارية كراتب وأجر رجل واحد معه	٠٠ - ٥ - ١٨٨
لقاضي التاج إذا كان مؤهلاً	٠٠ - ٥ - ٥٥٥
أجور اثنين من الرجال الذين معه	٠٠ - ٠ - ٨٠
راتب قائد الثكنات	٠٠ - ٠ - ٢٢٢
لقائد حصن سانتياجو والحراس	٠٠ - ٠ - ١٥٠
لمراقب مكتب الجمارك كراتب	٢٠ - ٣ - ٥٥٥
لكاتب مكتب الجمارك والمستودعات	٠٠ - ٥ - ١٣٨
لمحاسب مكتب الجمارك	٠٠ - ٠ - ١١١
لمراقب الأوزان في مكتب الجمارك	٠٠ - ٣ - ٨٣
لحارس البوابة وحارس مكتب الجمارك	٠٠ - ٠ - ١٩٧ ——— ٤٠ - ٣ - ٢٥،٣٦٨
من نفقات قلعة "ملقا" نقلاً عمّا قبله	٤٠ - ٣ - ٢٥،٤٦٨
راتب عمدة القلعة	٠٠ - ٥ - ١٣٨
أجور ثمانية من الجنود الذين معه	٠٠ - ٠ - ٢٧٢
لمشرف الحراس	٠٠ - ٠ - ٥٠
ثلاثة وثمانون "كروزادوسا" لمسؤول جنود المدفعية وأربعمائة وثمانون كروزادوس" لعشرة من قاذفي القنابل ، تبلغ جميعها	٠٠ - ٢ - ٥٦٣

لكبير الحدادين	٧٦ – ٠ – ٠٠
اثنان من مساعدي التنفيذ ، أحدهما مع قاضي التاج والآخر للقائد والذي يقوم بعمل السجان ومخصصات لجنوده	٢٣١ – ٤ – ٠٠
حراس البوابات بالقلعة وأربعة من الحرس في "تورو دو تيرادو" "Toro do terado"	١٦٤ – ٠ – ٠٠
مخصصات ومؤن للبحارة والجنود الذين يبحرون في قوارب على بحر "مالاكا" ، كلفة إصلاحات لها وسفن أخرى ، عندما لا يوجد أي هولنديين ، تبلغ :	٤،٧٠٠ – ٠ – ٠٠
مخصصات عادية لربابنه تلك السفن في سنة واحدة حوالي	١،٤٣٠ – ٠ – ٠٠
للقس في مستوطنة "ساو تومي" "Sao Tome" ، "مليابور" في "مالاكا" مع مخصصات للكنيسة تبلغ :	٣٣٣ – ٠ – ٠٠
بأمر كتابي من أجل أعمال تتم في هذه الكنيسة تبلغ سنوياً :	١٢٥ – ٠ – ٠٠
راتب قاضي التاج بمدينة "مليابور"	٢٧٧ – ٤ – ٠٠

نفقات القساوسة الدومينيكان الذين يسافرون بين الجاليات المسيحية في "سولور" ، و"تيمور" ، و"كامبويا" "Campoya" ، و"إندي"	٠٠ – ٠ – ٢،٥٥٥
للقساوسة الكبوشيين الذين يذهبون إلى "بيجو" "Pegu" ، و"كامبويا" وأماكن أخرى	٠٠ – ٠ – ٧٥٠
للكهنة الأوغسطينين الذين يذهبون إلى الصين ويعودون إلى الهند	٠٠ – ٠ – ٣٨٠
نفس نفقات القساوسة الدومينيكان الذين يذهبو إلى الصين ويعودون إلى الهند	٠٠ – ٠ – ٣٨٠
قيمة الأدوية التي يشتريها أولئك القساوسة	٠٠ – ٠ – ١٠٤
نفقات القساوسة الجيزوت الذين يذهبون إلى "المولوكاس" و"آمبويانا"	٠٠ – ٠ – ٩٤٤
قيمة الخمور والشموع والزيت في "مولوكاس"	٠٠ – ٠ – ٣٧٥
كلفة مؤن الأغذية للقساوسة الذين يذهبون ثم يعودون من "مولوكاس" و"آمبويانا"	٠٠ – ٠ – ٣٢٠
نفقات الكهنة الجيزويت الذين يذهبون إلى اليابان ثم يعودون للهند	٠٠ – ٠ – ٩٨٠
لأسقف الصين كراتب ووقف	٢٠ – ١ – ٢،٢٢٢

لأسقف اليابان كراتب ووقف	٢٠ - ١ - ٢،٢٢٢ ـــــــــــ ٢٠ - ١ - ٤٥،٠٦٣

"مارينهو" :

بالإضافة لتلك المخصصات العادية ، فإن المستحقات المالية تؤدى عادة لقادة "مولوكاس" و"آمبويانا" عندما يكونون على وشك تولي مهامهم كقادة ، وتبلغ ثلاثة آلاف "أشرفي" لكل منهم ، وهو راتب لسنة ونصف ، والذي يقدمون إيصالاً بموجبه عند تلقيه ، وتساوي ستة آلاف أشرفي ، التي يكون الراتب منها يساوي ألفي "أشرفي" من السنة .

كما تقوم أيضاً نفس القلعة بتزويد السفينة الشراعية كل سنة ، التي تنقل المؤن لتلك القلاع ، ويبلغ متوسط كلفتها أربعة آلاف "أشرفي" في السنة ، غير النفقات التي تمت في "غوا" .

كتبت هذه الميزانية في اثنتين وعشرين ورقة موقعاً باسمي عليها في الأعلى "بالتاسار مارينهو" محاسب جلالته في قسم الحسابات بهذه الدولة ، والذي قام بذلك خدمة لملك ، وقد كلفت بعمل ذلك لنفس السبب من قبل "جيرونيمو دي بريتو بيدروسو" كبير موظفي الخزينة لمثل هذه الحسابات ، طبقاً للأوامر المحلية التي يتم التقييد بها في هذا المكتب .

بمقتضى الحسابات التي توفرت لي ، والمعلومات التي تلقيتها من الموظفين والدفاتر التي بالخزينة ، والتي تشمل السجلات الخاصة

بالنفقات الكنسية العادية واتفاقيات المعاشات مدى الحياة ، ودراسات أخرى قمت بها ، حتى أصل لتفاصيل جيدة ، وتجعل من هذه الميزانية أكثر مصداقية ، وتأكيداً لذلك قمت بما هو مقيد هنا ، والذي وقعته مع "دومينجوس رويز" "Domingos Rueis" كاتب خزينة الحسابات ، والذي ساعدني في كل تلك الأعمال .

وكتب هذا في "غوا" في الثالث والعشرين من ديسمبر ، عام ١٦٠٧م .

* بالتاسار مارينهو . * "دومينجوس رويز" .

أحداث عام ١٦٠٨م

قدّمت نصيحة مجلس البرتغال في بلاط "مدريد" فيما يتعلق بسفير شاه فارس ، "مدريد" في العاشر من شهر يناير ، عام ١٦٠٨م ، بأن يقوم السفير البرتغالـي بالتهنئة لملك فارس على انتصاره على الأتراك وفتح موضوع إعادة جزيرة البحرين وحصون أخرى تابعة لملك البرتغال : (١٣)

سيدي ،

البيان المرفق ، الذي يتعلق بالسفير الذي يبعثه لكم حالياً ملك فارس ، تمت مناقشته في المجلس . هناك تقرير آخر أرسل من قبل مجلس الهند ، وهو مرفق في طيه أيضاً ، يخص السفير "لويس بيريرا دي لاسيردا" الذي أرسلته جلالتك لذلك الملك ، ونتائج ذلك ، ويشمل أيضاً نسخة من رسالة بأن نفس الملك كان قد أرسلها لجلالتك عبر المذكور "لويس بيريرا" كرد للرسالة التي تسلمها .

---

(١٣) رقم الوثيقة والهامش.

كما اتخذ ذلك المجلس قراره في تلك المسائل ، بما فيها اتصالك بذلك الملك مهنئاً له على انتصاراته على الأتراك ، وفتح موضوع إعادة جزيرة "البحرين" مع سفيره وحصون أخرى تابعه لملك هرمز (التابع لجلالتكم) التي احتلها الفرس بغير وجه حق ، والتي كتبت أنت عنها السنة الماضية .

أما بخصوص تصرف "لويس بيريرا" فلا عليك التصرف حياله في الوقت الحالي حتى يتم تسلم تقريرٍ مناسبٍ من الهند عن كيفية تصرفه وسلوكه . صدر أمر وأرسل في هذا الخصوص العام الماضي مع الأسطول .

لنائب الملك نفس الرأي ، وعلى أي حال فهو يرى أن تعبر عن امتنانك لذلك الملك للترحيب والاستقبال الرائع الذي استقبل به الرهبان الأوغسطينيون . كان على اثنين منهما مرافقة السفير ، وهؤلاء سيحاولون جعله على وفاق وعلاقات ودية مع جلالتك ، وعلى علاقات سيئة مع الأتراك ، كما سيتم إخطارك بكل الأحداث .

من المهم لجلالتك أن ترسل سفيراً جديراً بالثقة ليعين في فارس ، كما عليك إفادة الملك بأنك صدرت أمر الحرب لتشتعل ضد الأتراك عبر البحر الأبيض المتوسط .

بما أنه تمت المناقشة وتم الأخذ بكل شيء في المجلس ، خاصة كيف أنه مفيد وضروري للحفاظ على العلاقات الطيبة مع الملك ، فإنه من الأفضل لجلالتك ومن المستحسن أن تكتب له موضحاً كيف أنك سعيد بوصول سفيره مع الأخبار الطيبة التي جاء بها عن انتصاراته على الأتراك .

عليك تهنئته على ذلك ، وعلى النجاح الذي حققه حتى الآن ، وتشجيعه على استمرار الحرب ، وأن تخطره بأن سفن جلالتك لن تتوقف عن حرب الأتراك في كل أنحاء البحر الأبيض ، وأنه وبهذه الطريقة وبكل السبل المتاحة ، فإن أكبر ضرر يجب أن يستمر ليصيب هذا العدو المشترك .

كما يوصي المجلس أيضاً أن يرسل الراهبان الأوغسطينيان الاثنان من الهند مع هذا السفير ، وأن عليك إخطار الملك بأن تلك كانت رغبتك لمرافقته ، حتى يعلما ماذا كان سيقول الملك عن الآخرين الذين ذهبوا إلى هناك ، وما تأمله أنت فيما سيبديه لهما من نفس المودة ومظاهر الصداقة .

أما بخصوص إعادة جزيرة "البحرين" فعليك الكتابة له بنفس الأسلوب الذي اتبعته في العام الماضي ، دون أي محاولة لبذل أي ضغوط ؛ بسبب الأوضاع الحالية في الهند ، ومن المستحسن أن يتم إخطار نائب الملك (الذي سيغادر في القريب) وتكليفه أن يرى إن كان ممكناً عن طريق اتفاقية سرية أو بطريقة أخرى استعادة الجزيرة المذكورة ، وكيف يتم تحقيق ذلك .

من رأي كونت "ساليناس" أنه طالما أن جزيرة "البحرين" تكون تحت سلطة ملك هرمز ، فإن أحد رعايا جلالتك ، بما أن الشاه تظاهر بعدم ملاحظة أن أحد رعاياه استحق الجزيرة بناءً على معاهدة ، وحيث لم يرد على اتصال جلالتك بخصوص هذا الموضوع ، فقد وضح عدم ضرورة كتابتك له مرة أخرى ، أو القيام بأي ترتيبات معه تتعلق بهذا الأمر ، لكن عليك أن تأمر بإعادة الجزيرة بناءً على المعاهدة باسم ملك

هرمز المذكور سابقاً ، وأنه ولهذا الغرض يقدم له العون والمساعدة بطريقة سرية .

لهذه الرؤية يجب وضع "كوند دي فييرا" "Conde de Vierra" مسؤولاً عن القيام بإعادة الجزيرة المذكورة ، دون أن يكون هناك داع لشنّ حرب في الوقت الحاضر ، وبهذه الطريقة لن يكون للشاه أي سبب للشكوى أو العذر لتحويل انتباهه في الحروب ضد الأتراك ، وهذا أمر يجب الاهتمام به واعتباره ، وستقوم جلالتك بعمل ما يرضيه .

"مدريد" ، في العاشر من يناير ، عام ١٦٠٨م .

توقيعات بالأحرف الأولى لـ : قضاة ومستشاري البرتغال في المحكمة

قرار الملك على الهامش :

ما تم الاتفاق عليه جيد ، فيما يخص سعادتنا بانتصاراته وإنجازات أسطولنا والأعمال التي يقوم بها الرهبان ، وفيما يتعلق بعدم الكتابة له بخصوص جزيرة "البحرين" ، بما أن ذلك تم لمرة واحدة ، فعلى المرء أن يضع في اعتباره ما تم وضع خط أسفله في المذكرة الأولى (... ...) حتى يوجه السؤال بطريقة صحيحة .

حتى تكون السرعة التي أرسل بها هذا السفير قد أسيء فهمها ، ويجب أن ينظر إليها على أنها تمت بحسن نية . من الواضح أن الأسطـول سيغادر الهند بسرعة ، وواضح أيضاً ضرورة مغادرته هو فيه ... ، أنا ، الملك .

وفي العام نفسه (١٦٠٨م)

وردت أخبار عن سفينتين مسلحتين في طريقهما إلى الهند الشرقية قادمتين من إنجلترا ، "مدريد" في السادس من شهر فبراير ، عام ١٦٠٨م ، ومخاطبة الملك البرتغالي بأن يحذر قائد مسقط بأن يراقب رأس الحد ويتصالح مع الشيوخ في ذلك الساحل : (١٤)

سيدي ،

في فقرة من رسالة بتاريخ الثامن والعشرين من مارس الماضي (والتي أمرت جلالتك بإرسالها لهذا المجلس) كتب السفير دوم "بيدرو دي زوتنجا" "Pedro de Zotinga" أنه من إنجلترا على وشك أن تتحرك سفينتان مسلحتان في طريقها إلى "الهند الشرقية" ، وعليهما حمولة من الحديد والقماش وعشرة آلاف من الدوكات (عملة ذهبية أوربية) ، أنهم ذاهبون إلى مدخل البحر الأحمر إلى مدينة تسمى "عدن" ، ومن هناك إلى مملكة "كامباي" "Campay" ، بين هرمز و"غوا" .

(١٤) رقم الوثيقة والهامش.

أرسلت هذه المعلومة إلى الماركيز نائب الملك ، في رسالة من جلالتك ، مع الأمر له بأن يطلع مجلس الهند عليها ، وأن يفيد بما يراه المجلس بخصوصها .

رداً على ذلك أرسل الماركيز مداولات مجلس الهند الذي من رأيه إن كانت أخبار تلك السفن الذاهبة إلى "عدن" حقيقية ، فيجب أن يكون لسبب أو لسببين : إما أن تأخذ حمولتها من المخدرات التي يأتي بها المسلمون من "أشين" إلى تلك المدينة ، والعودة بها إلى هناك حتى يتجنبوا أسطول جلالته ، بالرغم من الأضرار بسبب ارتفاع التكلفة ؛ لأن العرب المسلمين يأتون بها من مناطق بعيدة ، وهم حالياً في منطقة يسهل فيها الإبحار إلى البحر الأحمر .

قد اعتقد أنه من الممكن بعد أخذ حمولة المخدرات أنهم سيذهبون إلى "كامباي" ؛ لإنهاء تحميل الأقمشة وأخذها إلى هرمز . تتوقف الرحلة إلى هرمز على المباحثات مع ملك فارس ، عبر "جوان دي ميدينيل" "Joan de Medinel" والسير "روبرت" . هما إنجليزيان يعيشان في بلاط الشاه ، ويجهدان في إقناعه لاحتلال هرمز ، وعرضا عليه سفناً إنجليزية تأخذ جنوده من الأراضي الداخلية إلى الجزيرة .

يأتي هذا التحذير من رسالة من الأب "ديوجو دي سانتا آنا" ، رئيس دير "سانت أوغسطين" "Sant Augustin" في فارس ، كتبت في الثالث من سبتمبر من السنة الماضية ، ومن معلومات أخرى منذ الوقت الذي كان فيه الكوندي "أدميرال" حاكماً للهند ، وكان قائد هرمز هو دوم "لويس دا جاما" "Luis da Gama" .

ذهب السير "روبرت" إلى فارس في ١٥٩٩م برفقة "أنطوني شيرلي" "Antoni Cherley" للقيام بنفس العمل ، ويقولان بما أنهما كاثوليكيان فإنهما هاربان من ملكة إنجلترا .

الغرض الثاني المحتمل هو أنها تأخذ ذلك الطريق حتى تتجنب أساطيل جلالتك ، وأنها ترغب في استطلاع مضيق البحر الأحمر ، وأن تأخذ حمولة الأقمشة من "كامباي" ، ومن ثم تبحر للجنوب كما فعلوا في مناسبات أخرى .

إذا كان الأمر كذلك ، فإن على جلالتك الكتابة لقائد هرمز ؛ ليكون أكثر حذراً ويقظة في الحراسة والدفاع عن تلك القلعة ، بينما الاستمرار في إبداء كل تفهم ممكن للشاه بحيث لا يقع تصوره مخالفاً لهذا التحفظ ، والاهتمام لإيجاد كل شيء يرغب فيه الشاه عن طريق رجال الدين الذين يعيشون في فارس . كما عليه أن يبقي الأسطول في حالة استعداد لاعتراض تلك السفن إذا جاءت عبر تلك الطريق ومواجهة "النخيلو" و"النوضاكي" (Nikhili & Nadhaki) إذا أشهروا السلاح .

يجب تحذير قائد مسقط حتى يستعد ويقوم بالمراقبة الجيدة على الرأس (الكيب) ، وأن يتصالح مع الشيوخ في ذلك الساحل ؛ حتى يقفوا بجانبنا . عليه التعامل في سرية تامة مع اللورد "مومباريك" "Mombareque" ؛ لمضايقة الشاه وتغيير ما يرمي إليه . إذا ما رغب بعض الرجال الإنجليز ، أو "هنري مونتفورت" "Henri Montforte" (فرنسي كتب عنه رئيس دير سانت أوغسطين من فارس) الذهاب

إلى تلك القلعة ، فعليه التأكد منهم بعدم القيام بأي مخاطر أو تهديد لخدمة جلالتك .

كما عليه الكتابة أيضاً لنائب ملك الهند ليحاول عبر اليسوعيين الذين مع المغول ؛ لجعلهم يتحرشون بالشاه والدخول في حرب مع الفرس ؛ حتى يجلعه ذلك الإزعاج ينسى أمر هرمز . كما عليه جعل الأساطيل التي في الشمال و"ديو" جاهزة وعلى استعداد ، حتى إذا ذهبت تلك السفن إلى "كامباي" يقومون بالتحرش بها أو تدميرها .

أبدى الماركيز نائب الملك موافقته على تلك الآراء التي قدمها مجلس الهند . المجلس عندما رأى ما قيل هنا ، اعتبر أن ذلك تم تدبيره بطريقة جيدة ، وأن على جلالتك بناءً على ذلك إصدار أمر بإرسال أوامر إلزامية لـالهند ، مع رياح المونسون شهر سبتمبر .

بالإضافة لذلك ، على نائب الملك الذي على وشك الذهاب ، إصدار أمر له لمحاولة التسبب في أكبر قدر من الأضرار الممكنة لتلك السفن ، ومعاقبة أولئك الذين يبحرون عليها . كما يقترح المجلس أيضاً أنه على جلالتك التفكير فيما إذا كان يعتبر أنه من الأفضل تقديم احتجاج لملك إنجلترا .

وسيأمر جلالتك بما يراه الأفضل لمصالحك .

"مدريد" في السادس من فبراير ، عام ١٦٠٨م ، مجلس البرتغال .

وفي العام نفسه (١٦٠٨م)

بعث الملك رسالة إلى نائبه ، بتاريخ الخامس عشر من شهر مارس ، عام ١٦٠٨م ، ويذكر فيها قضية مبارك المشعشع واحتلال البصرة : (١٥)

نائب الملك والصديق ،

كتب لي الأسقف والحاكم في رسالته بتاريخ الرابع والعشرين من شهر ديسمبر ١٦٠٦م عن الثورة التي قام بها في ذلك العام أهالي بلاد موغوستان المحليون ضد التركستانيين (التركويماس) وقادة الشاه (xa) ، وأنه مع لجوء السلطان إلى هناك ، شرع في وضع مخططات ضد هرمز ، طالباً بدفع معاش محدد له كانت تدفعه في السابق دار الجمرك إلى ملوك "لار" ؛ للسماح للقوافل بالمرور .

قد أطلقوا عليه اسم موكراريا (Mocrrarias) ، ولم يتوقف دفع ذلك المعاش إلا مؤخراً بوفاة آخر ملوك "لار" الذي قتله الشاه (xa) ، وإن كل

(١٥) رقم الوثيقة والهامش.

البضائع الداخلة إلى أو الخارجة من دار الجمرك باسم الشاه يجب ألا تدفع أي رسوم ، وأن الأطفال الذين يواصلون في السفن - أي : أطفال المسيحيين - الذين يتم شراؤهم لنقلهم إلى فارس ؛ حيث جرت العادة أن يجـدهم المرء ويتم تعميدهم طبقاً للمراسيم المجازة في مجالس تلك المقاطعة .

ينبغي السماح لهم بالمرور بحرية ، مهدداً بذلك بشن حرب على هرمز ، وقد كبح الكثير من القوافل الكبيرة ؛ ونظراً إلى أنه (مع المحافظة على سمعة وسلطة تلك الدولة) يتعين الاحتفاظ بعلاقة حسنة مع هؤلاء الملوك بطريقة لا تؤدي إلى حدوث قطيعة في العلاقات ، فإنني آمرك بأنه فيما يتعلق بهذه "الموكاراريا" .

عليك عرض هذا الأمر في المجلس مع الأسقف المذكور ، وأن تدرس جيداً المبدأ الذي تم على أساسه تطبيق هذا الرسم الجمركي والأوضاع الحالية في تلك الأماكن ، وأن يتقرر ما إذا كان يتعين الدفع لهم كما كان يحدث في السابق ، وما إذا كان ينبغي إتمام الدفع بالطريقة ذاتها أو بأي طريقة أخرى .

أياً كان القرار الذي يتم اتخاذه ، يجب عليك أن تأمر بتنفيذه بانضباط من الآن فصاعداً ، مع الأخذ في الاعتبار أن مير فيروخا - وهو ملك هرمز حالياً - يطلب مني دفعة للموكاراريا ، والتي يقول عنها بأنني ملزم بدفعها بمقتضى العقد الذي أبرمه الملوك من أسلافه في تسليم دار الجمرك .

قد أمرت بناء على ذلك بموجب رسالة في الثالث من يناير ١٦٠٧م ، بإرسال معلومات لي ، وعليك إفادتي بكل شيء حتى أكون على

إطلاع حسن ، وفيما يتعلق بالأطفال الذين يتم أخذهم لتحويلهم إلى النصرانية ، عليك أن تفعل ما يأمر به المجلس الإقليمي في "غوا" ، وأن تعمل على أن يتم الوفاء بذلك ، وأن تأمر الوزراء الذين يخصهم الأمر لتنفيذه ، وأن يفعلوا ذلك بكل الرفق والاعتدال الممكن ، وبطريقة لا تسبب عاراً أو شكاوى .

أما فيما يتعلق بالرسوم الجمركية التي يطالب بها الشاه (xa) ، عليك أن تأمر بمعرفة ما إذا كان هناك قانون أو تعليمات تنص على الإفراج بموجبها عن البضائع المذكورة له ، وفي حال وجود تلك القوانين أو التعليمات ، بذلك الشكل ، ضرورة العمل بمقتضاها وتحذير الموظفين الذين يتولون هذه المهمة لإجراء كل الفحوصات الممكنة من أجل التحقيق مما إذا كانت البضائع خاصة به .

وفي حال عدم العثور على قانون يتعلق بهذا الأمر ، عليك تذكير الموظفين المذكورين بأن يتعاملوا -في كل الشؤون الخاصة بالشاه- برفق ولين ، وعلى نحو لا يؤدي إلى تقديم شكاوى أو ينشأ سبب يؤدي لظهور مثل تلك الشكاوى .

يكتب الحاكم ذاته لي موضحاً أنه ونظراً إلى أن قلعة (بندل) هي قلعة بالاسم فقط ، يصعب العناية بالدفاع عنها ، إلا بمخاطر ومشقة عظيمة ؛ إذ إنها مشيدة بطوب غير محروق فقط ، وجرى بناؤها فقط ؛ لكي تجد فيها القوافل العابرة مرفأ قبل مواصلة الرحلة إلى هرمز ، ويبدو له أن هدمها ضروري ، أو أن تتحول على الأقل إلى وضع تكون مفيدة

فيه ، وأن يتم إنشاء معاقل حصينة في مكانها ، مثل وكالة تجارية مع كل الأشياء الأخرى التي تملكها لإيواء القوافل .

لا يتلائم مع خدمتي إجراء أي تغييرات على هذه القلعة ، لتتحول عن الوضع الذي ظلت عليه دائماً ، وبدلاً من ذلك يجب المحافظة عليها ، ويجب زيادة ارتفاع جدار أو آخر فيها ، في حال كان أحد جدرانها منخفضاً أو بحاجة لتصليح ، وآمرك بإصدار أوامرك بتنفيذ تلك الإصلاحات ، وأن تجبر القائد المقيم فيها بالبقاء دائماً فيها كما أمرت في رسالتي بتاريخ الثامن عشر من يناير ، عام ١٦٠٧م .

كتب لي نائب الملك دوم "مارتيم أفونسو دي كاسترو" في رسالته المؤرخة في الثالث والعشرين من يناير عام ١٦٠٥م ، أن جزيرة "باريم" (البحرين) ظلت في الحالة السابقة ذاتها ، وأنه سيبذل كل المساعي الضرورية حتى تتم استعادة الجزيرة والبر الرئيس -الذي احتله سلطان شيراز- إلى الدولة دون اندلاع حرب .

في رسالة بتاريخ الثالث من شهر يناير ١٦٠٦م عملت على كتابتها له ، وددت أن أعرف عن هذا الأمر بالطريقة الموضحة ، وفي حال لم يتحقق النجاح بتلك الوسائل ، وإن كان لم يلزمه فعلياً ، ولكن الأحداث التي تهيئ لاستردادها تأثرت بطرق أخرى ، الأمر الذي يجعل من الممكن القيام بذلك ، وفي حين نعرف أن الجزيرة والقلعة هامتان كما تعلم ، وللمحافظة على قلعة هرمز ، ولنمنع عن ملك فارس فرصة أن يميل قلبه لها ، فإنني آمرك بقوة ؛ لكي تجتهد كثيراً لاستعادتها .

قـد تلقـيت اقــتراحاً مفاده أنني يجب أن آمر بتحرير الشوفالين (Chofalines) الأرمن ، الذين يتاجرون بالحرير والراوند ، من النص الذي يطالب به ملك هرمز ، وباسمه وزرائي الذين دمروا بواسطته تلك التجارة ، وهم يتمتعون بالامتيازات التي يتمتع بها التجار البرتغاليون ؛ بسبب عقد الحرير الجديد هذا من فارس ، الذي يحقق لهم فائدة عظيمة .

ألا يكونوا بذلك مجبرين على دفع رسوم جمركية أكثر من الرسوم الملكية ، ويجب ألا يكون قائد هرمز قادراً على إرغامهم على شراء بضاعتهم ، أو أن يصادر منهم البضائع التي يجلبونها إلا بسعر معقول ، وأن نائب الملك في الهند يمنع حركة البضائع التي تمر منها إلى هرمز ومن ثم إلى تركيا .

يحوّل بالتالي كل البضاعة بهذا العقد إلى هذه المملكة ، ويجلب لها العقاقير والحرير الذي جاء حديثاً من فارس إلى هرمز ، وذلك علاوة على الأرباح العظيمة التي ستحصل عليها هذه المملكة ، فإن تجارة الهند برمتها سيجري سحبها من الأعداء ، وستتحرر تلك المياه من الهولنديين ، وسننزع من التركي الامتيازات العظيمة التي يتمتع بها - من خلال هذه التجارة - في ممالكه .

التي يؤدي السماح بها إلى إلحاق الخسارة بخزانتي ، وتضيع منها هذه الرسوم الملكية ، وتزداد قوة الأعداء ؛ حيث تشتري جميع الدول من موانئه كل البضائع التي يمكن بيعها لهم في ممالكي ، ويتم نقل الريالات (Redes) إلى تركيا ؛ حيث تكون قيمتها عالية ، وأن يتم

السماح لقادة وتجار هرمز بالاتجار في ملابس "كامبايا" وبعض التجارة القليلة في التوابل لـفارس .

أيضا أن تمنع تحت طائلة العقوبات تجارة الأتراك ، وأن تكون ذات فائدة عظيمة ليس فقط للدولة الدنيوية ، بل للديانة النصرانية ، ومن خلال جلبها إلى هذه المملكة وأجزائها ستتراكم فوائد ومصالح كبيرة ، وعلى الرغم من أن لدي معلومات استناداً إلى هذه النقطة ، فقد رأيت أن من الحكمة ألا أقرر ما سأفعله دون الحصول أولاً على معلومات منكم ، وإنني آمرك بإرسال رأيك لي بأول سفينة .

كتب لي نائب الملك دوم "مارتيم أفونسو دي كاسترو" في رسالته المؤرخة بالثالث والعشرين والرابع والعشرين من ديسمبر ، عام ١٦٠٥م أن القائد "مبارك" تمرد ضد التركي الذي تظاهر بالاستيلاء على البصرة ، وطلب لذلك نجدة تضم خمس عشرة أو عشرين سفينة لتطهير ممر نهر الفرات .

تأمين البحر له دون أن ينزل الرجال إلى البر ، وعرض أن يدفع لهم عشرين ألف وثمانمائة "أشرفياً" ، وأن يعطي الموقع لبناء قلعة في أي مكان رغبت من أجل البقاء سيداً لمضيق البصرة ، ومستولياً على مدخلها من التركي ، وبما أن نائب الملك المذكور لم يوافق على النجدة المذكورة ، وأن هذا الأمر له أهمية واضحة .

في ضوء عشرين ألف وثمانمائة "أشرفي" التي يعرضها والسفن الخمس أو الست هناك في هرمز ، ولن تكون هناك حاجة إلا للقليل لأعمال ذلك المشروع ، فإنني آمرك بأنه ما دام الوقت والظروف تسمح

بالعناية بهذا ، يتعين عليك الاجتهاد للقيام بذلك ، وعندما تنشأ ظروف هائلة فعليك أن تجتهد لتتولى الأمر بنفسك ، بما أنني كتبت أيضاً لدوم "مارتيم أفونسو" برسالة مؤرخة بالثامن عشر من يناير ، عام ١٦٠٧م .

كتبت في "لشبونه" بتاريخ الخامس عشر من مارس ، عام ١٦٠٨م .

"ماركيز كاستيلو رودريجو" "Marques Castello Roderiguo"

دوم "فرانسيسكو دي الميدا" "D . Francisco de Almeida"

"سيباستياو باربوسا" "Sebastiao Barbosa"

وفي العام نفسه (١٦٠٨م)
صدرت توجيهات ملكية لنائب الملك ، تخصّ ملك فارس ، في السادس والعشرين من شهر مارس ، عام ١٦٠٨م : [16]

نائب الملك والصديق ، أرسل لك أنا الملك عظيم تحياتي . في إحدى الرسائل المرسلة عبر تلك السفن في الثاني من يناير الماضي ، أخبرتك بأن تأمر اثنين من رجال الدين في دير "سانت أوغسطين" بأن يظلا مع ملك فارس (كما سترى في الرسالة) ، بالرغم من أنني أمرت مؤخراً بأن يعتبر ذلك ، سواء كان في هذه المناسبة ، فمن الأفضل أن يذهب سفير إلى الملك ، وقد اشترطت بعدم ذهابه الآن ، وأن يذهب الراهبان بدلاً عنه .

عليه فإننـــي آمرك بالتحدث إلى رئيس أساقفة "غوا" بهذا الخصوص عند وصولك مباشرة إلى الهند . كلاكما ومعكما رئيس الدير ستختارون أولئك الرهبان بالنظر إلى المسؤوليات والصفات

(١٦) رقم الوثيقة والهامش.

المطلوبة . كما ستخطره بفهم ما كتبه الأب "بيلشيور دوس أنجوس" "Belchior dos Angos" الـذي ذهب إلى السفير "لويس بيريرا دي لا سيردا" "Luis Perriera de La Cerda" ، وأيضاً من مصادر أخرى .

إن هذا الراهب يملك خبرة كبيرة في فارس ، وإنه ملم بكثير من المعرفة ، ذكي ومقبول عند الشاه ، وعليه فيبدو من المناسب أن يكون أحد الرهبان عندما يتم ايصال ذلك إلى رئيس ديره ، فستقوم بالتأكيد على أن يتم تعيينه ، وستقوم بإصدار التعليمات لكليهما عن المواقع التي سأرسلهما إليها وما الذي سيقومان بعمله . سترسل للشاه الهدية التي سآمر بإرسالها له مع أولئك الرهبان (اثنين) .

أمرت بأن ترسل الترتيبات للرحلة إلى قباطنة السفن والمراكب الشراعية التي في طريقها الآن إلى الهند . رحلة العودة إلى هذه المملكة ستأخذ وقتاً طويلاً ، بحيث إن القادة يخططون لطريقهم ؛ بحيث يستطيعون التوقف خارج جزيرة "أسانسيون" ، و"فيرناو دي نورونها" "Fernao de Noronha" ، في حالة عدم تمكنهم من شق طريقهم في العودة في نحو متواصل .

يخشى أن يكون الأعداء في انتظارهم في تلك الأنحاء من العالم الذي يعرفون عنه الكثير حالياً ، ولن يستطيعوا التوقف خارج جزيرة "سانتا هيلينا" "Santa Helena" ؛ لأنها لا تقع تحت سلطاتي القضائية ، وآمرك بترتيب ذلك عند رحلة العودة ، وأن تغادر السفن في وقت مبكر بقدر الإمكان ، وأن تكون بكامل تجهيزاتها ومؤنها من المياه ؛ حتى

لا تطول الرحلة وتستدعي المزيد من المؤن الإضافية . ستقوم بكل الاحتياطات والعناية اللازمة التي تتعلق بهذا الأمر .

لعله بعد كل هذا ألا تصبح الحاجة للمياه سبباً في عدم عودتهم في إبحار متواصل ، ودون التوقف في أي ميناء آخر ، وعليه فإنني أود هذا الوضع ، وأثق فيك في أمر بهذه الأهمية ، وأنك ستقوم بخدمتي بطريقة سليمة ؛ حتى لا تكون النتائج بخلاف ما نوده ونرجوه .

قد أمرت لقباطنة السفن والمراكب الشراعية الذين يتقدمون في طريقهم إلى الهند بمخطوط كتابي ، يسلم لهم بالطريقة التي تتم بها هذه الرحلة ... إلخ .

في أكياس البريد بتلك السفن ستحمل وثائق بابوية كنت قد التمستها من قداسته تعطى لـ "دومنيقوس تورادو" ، الأسقف الرئيس وحامل اللقب الكنسي في أبرشية "غوا" ... إلخ .

كتب في "لشبونه" في السادس والعشرين من مارس ، ١٦٠٨م .

"ماركيز كاستيلو رودريجو"

"بيدرو دي ميندونسا فورتادو" "Pedro de Mendonca Fortado"

دوم "فرانسيسكو دي الميدا"

وفي العام نفسه (١٦٠٨م)

صدرت رسالة إلى "أنتوني شيرلي" من "دوم رودريجيس كالديرتون" "D . Roderigues Calderton" ، تتعلق بالحرير الذي يبيعه الفرس في هرمز ، بتاريخ عام ١٦٠٨م : [١٧]

إلى المحترم والشخصية اللامعة الأمير "أنتوني شيرلي" ،

تسلمت بكثير من السرور الرسالة التي كتبتها لي من الشخص الذي أرسل لي من قبل نائب ملك نابلس ، وعلمت ما جاء فيها . بما أنك لم تقصر يوماً في خدمتي ، وأصبحت عدواً تعادي أعدائي ، وقد اجتهدت كثيراً لتزيد من أواصر المحبة والصداقة التي بيني وبين ملوك الفرنكيين ، وجعلت من ملك المغرب صديقاً لي ، أنا على ثقة في أنك لن تخذلني أبداً ، وكما تقول فإنك في خدمة أكثر الملوك المسيحيين قوة ، وإنه قد عينك قائداً وآمراً في البحار ، لقد أسعدني ذلك كثيراً .

إن الحب والصداقة والعطف الذي يكنه لي أعظم وأقوى الملوك ،

---

(١٧) رقم الوثيقة والهامش.

أقول بأنني أيضاً أبادله ذلك الشعور بنفس القدر . تغمرني السعادة كلما سمعت بنجاحاتك ، وأنه لن يكون هنالك سلامٌ بين الملوك الفرنكيين والأتراك . يسرني اطلاعك لي بعدم حقيقة أن الإمبراطور قد أقام سلاماً مع الأتراك .

لقد سمع الأمراء المسيحيون بما قمت به أنا مع الأتراك ، وكيف أن الكثير من المعارك والأراضي قد كسبتها منهم ، دون أن يكون لي علم بأن الملوك الفرنكيين قد قاموا بأي تحرك أو حملة ضده ، لكنني لن أقدم على أي تحرك لقتالهم ، وعلى جلالته والملوك الفرنكيين الاستعداد لشن حرب ضد الأتراك .

أما بخصوص تغيير طريق نقل الحرير من هذه البلاد ، ليذهب عن طريق هرمز ، وليس عبر حلب (اليبو) ، فقد أسعدني كثيراً حتى يستطيع الفرس بيع الحرير في هرمز ، وعلى التجار الفرنكيين إحضار بضائعهم إلى هناك وبيعها واستبدالها بالحرير ، وإن شاء الله سآمر التجار الفرس بأن يرحب بهم ، وألا تؤخذ منهم الكثير من الرسوم ، حتى تنساب التجارة بطريقة أفضل ، وسيسمع التجار بأن الرسوم أقل مما كانت عليه مما سيكون له ميزة كبيرة لـهرمز .

كتب في شهر جمادى الثانية من سنة ١٠١٧هـ (الموافق ١٦٠٨م)

وفي العام نفسه (١٦٠٨م)

صدرت رسالة ملكية إلى نائب ملك البرتغال ، الماركيز "دي كاستيلو رودريجو" ، نائب ملك البرتغال ، "مدريد" ، بتاريخ عام ١٦٠٨م ، ويذكر فيها أن "أنتوني شيرلي" ليس لديه اتفاقية مع البرتغاليين : (١٨)

(بلاغ آخر بالرقم ٢١ ، بتاريخ الثامن عشر من نوفمبر ، عام ١٦٠٨م)

السير "أنتوني شيرلي" ،

المحترم الماركيز ، نائب الملك ... إلخ . بما أنني قد علمت بعدم وجود اتفاقية بينك وبين مجلس تاج البرتغال الموجود في البلاط هناك ، والأشخاص الذين تم الاتفاق معهم بخصوص الإحسان والفضل الذي منحته للسير "أنتوني شيرلي" لرئاسة قلاع "سوفالا" وهرمز والمكتب التجاري في "بيرنامبوكو" ، فقد عزمت ألا يصبح ذلك الفضل سارياً .

مكافأة على ما يمكن أن يكون قد كسبه من تلك الأوضاع ، فإنني

---

(١٨) رقم الوثيقة والهامش.

أرغب أن يدفع له خمسة عشر ألف دوكات (تحسب قيمة كل منها بأحد عشر "ريساً") وأن تدفع له في البرتغال في مكان مناسب وآمن ؛ حيث يتمكن من أن ينعم بفائدتها بقدر الإمكان ، وحتى يتمكن السير "أنتوني" من القيام بصورة منتظمة في أداء الأمور التي تتعلق بخدمتي الملكية التي كلفته بها .

أرجو منك أن تصدر أوامرك للقيام بذلك دون تأخير ، وأن تصدر الأوامر الكتابية الضرورية له ، التي سترسل لطرفي للتوقيع عليها . المرسوم الذي صدر عن "فرانسيسكو دي ألميدا دي فاسكو نسيلوس" ، الموظف عندي في الثالث والعشرين من يونيو من هذه السنة ، للسير "أنتوني" بخصوص مناصب الرئاسة تلك والمحطة التجارية ، سيتم استعادتها والتخلص منها .

"مدريد" (... .) عام ١٦٠٨م .

.... طلبت نسخها في الحال ؛ حيث لم تكن عندي فرصه ، بالرغم من إدراكي أنه يرسلها لسيادتك القساوسة الذين هناك ، وبالإضافة للخدمات التي يقدمونها للرب الجليل أيضاً ، قاموا بالكثير إزاء تلك الكارثة ، وقاموا بافتداء الكثير من الأولاد والفتيات الأرمن ، الذين أخذهم الفرس كأسرى ، وبعد أن حرروهم من الأسر قاموا بتعليمهم العقيدة ، حتى يصبحوا مسيحيين .

الكاهن الذي جاء من هناك أحضر أيضاً العديد من الفتيات الأرمن والأتراك الذين قام بافتدائهم ، والذين سنقوم بتعميدهم ، وهذا ما قام به السفير مثل ولده أيضاً .

لن أشق على سيادتك بأكثر من ذلك ، لكن أقدم هذه الشكوى بخصوص المعرفين ، ووجدت أنهم عندما كانوا في دار الأخوية التي تخصنا في هرمز ، وكنا نحن فقط هناك ، والسبب الرئيس لذلك هو خدمة الرب . أكدت أنا وطلبت بشدة أن يقوموا بتزويدنا باحتياجاتنا ، لكنهم لم يتذكروا أي شخص ، وأعتقد أنهم جميعاً يستحقون التأنيب والتوبيخ . الشيء الأكثر أهمية هو توفير الوعاظ وآخرين للاعتراف . فليباركني الرب ، وأن يحمي سيادتك الرب .

من "غوا" ، في التاسع والعشرين من ديسمبر ، عام ١٦٠٥م .

الخادم المطيع لسيادتك

الأب "جواو دا روكا" "Joao da Roca"

(في الخلف) : إلى رئيس الأساقفة في مدينة "براجا" "Braga" التي هي له .

من الأب "جواو دا روكا" (يوجد رسم يبدو أنه مخطط للدير)

ملاحظة :

أصفهان – في السابع والعشرين من ديسمبر ، عام ١٦٠٨م .

رسالة من الأب "أنطونيو دي جوفيا" "Antonio de Govia" ،

إلى "فيليب الثالث" ،

"نسخة لرساله لجلالتك من الأب "أنطونيو دي جوفيا" كتبت في أصفهان في السابع والعشرين من ديسمبر الماضي .[أ]

بأمر من جلالتك قام كبير الأساقفة الحاكم بإرسالي للانضمام إلى بلاط ملك فارس مع ...

(أ) مذكـرة المترجـم : الرسالة مكتوبة باللغة الإسبانية نص غير كامل (صفحة مفقودة بعد هذا النص مباشرة) .

وفي العام نفسه (١٦٠٨م)
صدرت رسالة إلـى الملك من الأب "أنطونيو دي جوفيا" ، أصفهان في السابع والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٦٠٨م ، وفيها بيان لوضع "لار" بين الفرس وهرمز : (١٩)

بناءً على أوامر جلالتك أرسلت إلى هنا من قبل رئيس الأساقفة الحاكم للحضور إلى بلاط ملك فارس ، ومعي كاهن آخر من نفس الأخـوية ، هـو الأب "جـيلهيرم دي سـان أوغـستينهو" "Guilherm de San Augustinho" الذي عين مرافقاً لي .

عند وصولنا إلى بلاط الملك وجدنا أن الملك لم يكن مسروراً منا ، وغاضباً جداً من كل الأمراء المسيحيين ، وكان السبب الوحيد لذلك هو الإشاعة بأن الإمبراطور "رودولف" "Rodoph" قد أقام سلاماً مع الأتراك ، وقد غضب ؛ بسبب ذلك غضباً لا أستطيع أن أصفه لجلالتك .

أحد الأمور التي أزعجته أكثر من غيرها هو الافتراض بأن جلالتك

---

(١٩) رقم الوثيقة والهامش.

على صلة وثيقة بالإمبراطور ، وأنك لا بد أن تكون جزءاً من ذلك السلام الذي أقامه مع الأتراك ، أو على الأقل قمت بالموافقة عليه ، ولهذا السبب مرت أيام كثيرة بعد وصولي دون أن يطلب مقابلتي ، لكنه عندما رآني وأدرك حقيقة بعد جلالتك عن القيام بأي سلام في أي وقت مع الأتراك ، أصبح أكثر هدوءاً .

عندما علم بأنني جئت بناء على أوامر جلالتك لأكون حاضراً بصورة دائمة في بلاطه ، ظهر سعيداً جداً بذلك ، وحتى عندما مرضت لم يقبل بعلاجي خارج الجيش ، وكل مدة الصيف كان يأخذني معه مبالغاً في إكرامي لدرجة كبيرة ، حتى عند قدوم أي أجنبي كان يشير نحوي قائلاً : (ذلك الكاهن سفير ملك إسبانيا) .

والآن بحضوري في معية جلالتك فإنني أترك في مكاني الأب "برناردو دي أزيفيدو" "Bernardo de Azevido" ومعه رفيقي الأب "جيلهيرم دي سان أوغسطينهو" للمكوث في بلاط الملك الفارسي ، والذي عرّفته عليه ، والذي بدأ الملك متحمساً له بشدة ، وسيقومان بإرسال كل المعلومات لجلالتك ، التي يرونها ضرورية بناء على تعليمات كبير الأساقفة الحاكم الذي تركته معهما .

كنت أتحدث في يوم من الأيام مع الملك في خيمته ، في نهاية فصل الصيف ، عندما بدأ يشكو من الحكام المسيحيين ، وأنهم دفعوه لشن الحرب مع الأتراك ، وعندما رأوه قد تورط فيها انسحبوا ، ومنهم من كانوا أكثر إصراراً على إرساء السلام مع الأتراك ، عندما أخبرته بالمبالغ

الكبيرة التي أنفقها جلالتك على الأساطيل كل سنة ، أجابني : (أظن أن تلك الأساطيل لا تقوم بأي عمل سوى ضياع أموال جلالته .

لماذا لا تذهب إلى الشاطئ في بعض الأحيان؟ لماذا لا تقوم بالاستيلاء على القلعة؟ أليست هناك "قبرص" ، "كانديا" ، "كيوس" ، وأماكن أخرى كثيرة كان يمكن لجلالته الاستيلاء عليها؟ أنا اغتنمت مائة وخمسة وعشرين موقعاً حصيناً من الأتراك بأقل تكلفة تقريباً من هذا ، ودمرت جيشين وأرسلت للعالم الآخر سنان باشا الذي كان ألد أعداء المسيحيين .

لم أستجم لسبع سنوات ، لكنكم ترتاحون كثيراً لعدم قيامكم بأي شيء ، وأنت الذي قمت بإرسالك مع سفيري ، بقيت في "غوا" ولم تذهب . الأمل الأكبر الذي كان لي هو في قوة ملك إسبانيا ، وأنت ستسعدني كثيراً إن كنت ترغب في العودة إلى إسبانيا مع سفيري لحث ودفع ملكك للقيام بما دفعتني وأغريتني للقيام به .

أجبت بأنني جئت إلى بلاطه بأمر من جلالتك ؛ للقيام فقط بكل ما أمرني به ، وذلك أنني لم أذهب في المرة الأولى إلى إسبانيا ، فلم يكن ذلك خطأ مني ، إنما من حاكم الهند ، وإنه متى ما أمرني فإنني على الاستعداد للمغادرة) . أجاب بحماس شديد (اليوم ، إذن) ، وعندما أخبرته بأنني سأذهب في الحال ، أمر بكتابة رسائل وأمر بمرافق لي ، كان أحد المسلمين المهمين في بلاطه .

عندما أصبحت الرسائل والهدايا لجلالتك جاهزة قام بتسليمها لي وغادر إلى مدينة أصفهان بأسرع ما يمكن . تبعته في سرعة أقل ،

وعندما ذهبت لتقبيل يده سألني عما أفعله ولماذا لست في طريقي للمغادرة؟ أجبته بأنه قد تم اعتراضي عن طريق اعتداء ، وإن إحدى سفنه هاجمت قلعة هرمز مما تعذر معه ذهابي دون تعويض . قد يسمع جلالتك عن هذا الفعل ، ووجدت أنه من المستحسن أن أقدم بياناً مفصلاً عن ذلك حتى تأمر بما يجب عمله .

كان من عادة ملك هرمز أن يدفع كل سنة جزية معينة لملك "لار" ، وذلك نظير التزامه بحماية القوافل التي كانت تأتي وتذهب من هرمز عبر صحاري هذه المملكة ، وكانت تلك الجزية تعرف بالضريبة . حدث ذلك قبل سبع سنوات حينما قام ملك الفرس بهزيمة مملكة "لار" ، وبسبب الحرب أو لعدم معرفة هذه العادة التي كانت سارية بخصوص أمر المنحة أو الجزية ، فإن أحداً لم يسأل عنها أو يقوم بمتابعة الإيفاء بها لست سنوات .

قام بتأجير قصور وعائدات مكتب جمارك "لار" تابع له يدعى "قمبر بيك" . علم "قمبر بيك" بأمر تلك الجزية التي كانت تدفع بانتظام ، وأرسل يطلب سدادها له . في هذا الوقت كانت جمارك هرمز مؤجرة ، وكان القائد في ذلك الوقت غير قادر على اتخاذ قرار دون إخطار نائب الملك . استغرق وصول الرد وقتاً طويلاً حتى يصل من "غوا" ، كان هناك خوف من قيام اضطرابات جديدة .

رأى المستأجرون لمكتب الجمارك أن "قمبر بيك" قد يقوم بإعاقة القوافل طالما أنه كان يهدد بذلك (أما أن تكون فكرته أو نصيحة من شخص ما) وقررت أنه قد يخاطر في القيام بذلك ، فدفعت الجزية لتلك

السنة من جيبه . أصبحت قلعة هرمز آمنة بعد ذلك ، إلا أنها كانت ملزمة بدفع الجزية كل سنة تحت تهديد أنها إن لم تدفع ، فإنه سيثير غضب الفرس الذين لم يكونوا يعرفون من المتورط في ذلك .

دفعت الجزية ، لكن حدث في تلك السنة أن أرسلوا في طلب الجزية وادعو أنها ملكهم وليست مجرد حق فقط ، عندما لم تصل أي رسالة من "غوا" تتعلق بالأمر ، لم لا يكون للمستأجر أي رغبة في الدفع دون طلب بذلك من الموظفين المسؤولين عن الخزينة؟ لكن لم يكن منهم من يريد التورط في الموضوع ؛ خشية أن يلزموا بالسداد شخصياً .

تسارع الأمر وقام "قمبر بيك" بسرعة مع بعض جنود مملكة "لار" بالتوجه إلى "باندل" ، عازماً على بناء قلعة أخرى بالقرب من قلعتنا هناك ، في مكان يسمى (تيسجو) ، المكان الذي تزود منه قلعة هرمز بالماء ، عندما رأى أهالي هرمز ذلك التحرك قرروا أن يفتدوا أنفسهم مما سيحيق بهم من أموالهم الخاصة ، وكما علمت فقد سددوا ليس فقط الجزية لتلك السنة ، وإنما لكل السنوات السابقة التي لم تدفع مستحقاتها .

كان جيش الفرس في ذلك الوقت بالقرب من مدينة تبريز في مملكة "ميديا" "Media" ، ولم تكن مع الشاه ولا موظفيه أي أخبار عما كان يحدث في هرمز ، وذلك لطول المسافة بين المكانين . كان ذلك جلياً ؛ لأن حاكم "لار" كان شخصاً مُهماً ، لم يسددوا له الجزية بالرغم من حمايته للقوافل بطريقة أفضل مما كان يقوم به ملوك "لار" السابقين ، ورجاني فوق ذلك أن أكتب عنه لنائب ملك الهند وقائد هرمز ، وأطلب منه سداد الضريبة ؛ حتى لا تكون سبباً في الخلاف بيننا .

وافقت على طلبه ووضعت بعض الشروط التي فيها مكتسبات لنا ومشرفة أيضاً ، أحدها كان أن السنوات التي لم تدفع فيها الضريبة يجب حذفها ؛ وذلك لعدم وجود من طالب بها ، وافق على كل الشروط ، وعليه ، ودون معرفة أي شيء عما كان يحدث هناك كما قلت ، قمنا بإرسال رسائل ، واحدة منه وأخرى من طرفي إلى هرمز .

لم تكن غلطة بسيطة أن يتركني الموظفون بـهرمز دون علم بما كان يحدث هناك ؛ لأنه كان واضحاً لي أنهم إن فعلوا ذلك لكان قد تم تصحيح ذلك الخطأ بأقل تكلفة لشرف وخزينة جلالتك ، ودون ترك إمكانية في أي وقت لتكون هناك أي ضريبة تستحق الدفع ، فليس عليه سوى القيام برحلة إلى "باندل" وسيقومون في الحال بإعطائه كل ما يطلب .

وصلت رسائلنا إلى "لار" ، رسالتي وكذلك رسالة الحاكم ، وعندما وصلت أخبار تلك الرسائل إلى "قمبر بيك" الذي كان يقوم ببناء القلعة بالقرب من قلعتنا ، أسرع في القيام بعمل اتفاقية مع هرمز ، عندما وصلت الرسائل إلى هناك كانت الاتفاقية قد تمت بالفعل ، ولذلك لم يكن للرسائل أي نفع ، بالرغم من كونها ستكون لها فائدة جمة قَبْلُ .

بعد أيام قليلة وصل الملك إلى مدينة أصفهان ، ووصلت أنا من بعده . أفادني رئيس الدير في الحال بما حدث ، وكان قد علم به قبل عدة أيام من أحد التجار ، وذلك لعدم تسلمنا لرسالة من هرمز . ذهبت مباشرة للملك ، وقدمت شكوى نيابة عن جلالتك بخصوص التعديات التي كان يرتكبها أتباعه كل يوم ضدنا ؛ طالباً من سموه أن يغفر لي عدم

تمكني من أخذ أي من سفرائه معي ، ولم أرغب حتى في أي معروف منه ؛ لأن جلالتك لم يكن ملكاً ترتكب ضد رعاياه أي اعتداءات ، وطلبت منه إعطائي الإذن بالمغادرة ؛ لأنني لم أستطع البقاء في مملكته .

كان مستغرباً للجرأة والحرية التي تحدثت بها إليه ، وليس بأقل من الأخبار التي ذكرت فيها ما حدث . قال إنه كان بريئاً مثلي ؛ لأنه لم يكن على علم بها في ذلك اليوم ، وإنما علم بها فقط من شخصي . كان مستعداً لإعطائي كل ما يرضيني ، وقال : ليس عليَّ التخلي عن أهمية المباحثات التي كلفتني بها ، ولا التخلي عن اصطحاب سفيره لمثل هذا السبب التافه .

قال إنه إن كان يقضي وقته بالنزهة في أصفهان فقد كان خطأ منه بعدم معرفة ما كان يحدث في مملكته ، لكن عندما أصبح الأمر على حدود مملكته ومنغمسة في حرب خطيرة ، فليس من الضروري أن تنسب ضده إن كان شيءٌ ما قد حدث دون علمه .

هناك الكثير من الاعتبارات لقبولي بالعرض الذي يعرضه الملك الفارسي . كما كنت سأقوم باطلاع جلالتك إن كان الرب يرضى أن أكون حاضراً في معية جلالتك . لذلك أجبت سموه بسروري عن كل ما قام بترتيبه ، إلا أنني لا أملك المعلومات الدقيقة عن رضا قائد هرمز ، وأرجو أن يأذن لي سموه بالتشاور معه .

أرجو منه حالياً أن يطلب في الحال هدم القلعة التي بدأ في بنائها ، وقد وافق على منح ذلك الأمر ، وأخبرني أن أعتبر أن ذلك قد تم ، مضيفاً أن "قمبر بيك" سيعاقب عن كل ما قام به ، ولكل الاعتداءات

المشابهة التي قام بارتكابها ، أو قد يقوم على ارتكابها في المستقبل . أتوقع أن يصل رد من قائد هرمز في أي يوم ، وعندها سأقرر التعويض الذي سأقبله من ذلك الملك . إن حدث الأمر كما آمل فسأغادر إلى هرمز مع سفيره .

حالة الحرب التي أشعلها الملك ضد الأتراك في هذه السنة ١٦٠٨م كانت أن الشاه قد قام باستعدادات ، وذهب مع جيشه ليعسكر بين تبريز وبابل ؛ ليرى في أي جانب سينزل الجيش التركي ، وبينما هو هناك حدث خلاف كبير بين باشا بابل وسكان تلك المدينة ، كان نتيجته أن قام السكان باختيار سفرائهم وأرسلوهم إلى الملك الفارسي مع مفاتيح المدينة ، طالبين منه الحضور والاستيلاء عليها .

لم يذهب الشاه في الحال ؛ لأن القلعة كانت في الجهة التي فيها الباشا ، وكان هنا أربعة آلاف جندي تركي . في أثناء تأخيره وصل ابن سنان باشا إلى بابل ومعه جيش كبير ، وكان مراد باشا يقترب مع جيش آخر عن طريق "أذربيجان" أو "إسيبريا" ، لكنهما وصلا متأخرين ؛ لأن فصل الشتاء كان قد بدأ ولم يحدث أي شيء في تلك السنة ، لكن كان متوقعاً في السنة القادمة (١٦٠٩م) أن تحدث معركة .

وفي العام نفسه (١٦٠٨م)

صدرت رسالة من "ديوجو دو كوتو" "Diogo do Couto" إلى الكونت أدميرال دوم "فرانسيسكو دا جاما" "D . Francisco da Gama" ، "غوا" في السابع والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٦٠٨م ، وفيها ذكر أن ملك "لار" احتل منطقة ماغستان كلها حتى بندر "غمبرون" ، وكذلك جزيرة قشم : [٢٠]

كانت العدالة الإلهية غاضبة علينا ، فأسطول من أربع عشرة سفينة أرسلها جلالته لإنقاذنا ، سفينة واحدة فقط هي "أوليفيرا" "Oliviera" وصلت إلى مدينة "غوا" ، وضع الأسطول خطايا كل شخص خلف جزيرة "كيمادوس" في الثاني عشر من سبتمبر ؛ حيث ظلت حتى الثالث عشر ، وصلت السفن الهولندية ، كان الرائد القائد للأسطول هو "بيرو جيرنادلس" "Pero Jernaldes" الذي عبرت سفينته حاجز هذا الميناء .

(٢٠) رقم الوثيقة والهامش.

عندما قررت السفينة "أوليفيرا" الدخول إلى حاجز "غوا" ؛ حيث لم يكن هناك ما تستطيع فعله ، اقتحمته ووصلت بالقرب من الشاطئ ؛ حيث ذهبت بعض من قوارب التجديف ، أخذوا منها البضائع التي تخص الملك والأشخاص الآخرين ، والكثير من الأشياء الأخرى التي تستطيع القوارب حملها .

أدرك كبير الأساقفة الحاكم أنه من غير الممكن الاحتفاظ بالسفينة بعيداً عن متناول الهولنديين ، فأرسل بعض الضباط في قوارب تجديف أفضل ما يمكن ؛ لإنقاذ بما يمكن إنقاذه ، ثم إشعال النيران فيها ، حتى لا يستفيد الهولنديون من القرميد والأقمشة التي على ظهرها .

لا أعلم بمَ قام به الضباط ، من المحتمل أنهم تصرفوا بسرعة أكثر من اللازم ، وأضرموا النيران في أعظم وأكبر سفينة غادرت بالكثير مما يكفيها ، ويوجد هنا نقصٌ في الخمور من أجل القداس ، وأيضاً نقصٌ في الورق فيما عدا الذي قد نكتب عليه لـلبرتغال ، ولا يوجد في كل الهند ، ونسأل الله ألا يتواجد من الأوراق ، ولذلك وجدنا أنفسنا في موقف يمكن لسموك أن يتصوره .

إننا نندب ونتألم على كل تلك المصائب التي بهذا البلد الهند ، وحتى الآن لم تصلنا أي أخبار من نائب الملك ، ولا حتى عن أي سفينة قادمة . بالإضافة لوجود ثلاثمائة من الأمور التي نشأت ضدنا ، والتي سأكتب بها بياناً لسيادتك .

ترك أولئك الثوار "هولندا" في بداية يناير ، ووصلوا إلى "موزمبيق" في يونيو ، أشعلوا النيران في السفينة "نوسا سينهورا دا كونسولازاو"

"Nosa Senhora da Consolazao" التي كان قائدها "ديوجو دي سوزا" "Diogo de Susa" الذي كان يقضي فترة الشتاء هناك" برفقة "جواو كوريا دي سوزا" "Joao Correia de Susa" ، وهي سفينة تجارية ، حاصروا قلعتنا براً ، واحتجزوا قومنا بطريقة شديدة ، ولست أدري ما يحدث إن ظل الأمر لمدة طويلة .

أصيب الناس بالضجر وصعدوا إلى ظهر السفينة ، غادروا "موزمبيق" ، والتقوا بسفينة شراعية بقيادة "جواو سودر" التابعة لشركة الكونت نائب الملك الذي استسلم لهم في الحال ، جاؤوا بها إلى حاجز الميناء ، قاومهم الذين كانوا على ظهر السفينة ، لكنهم قاموا بخرقها ، قال الذين على ظهرها : إنهم توقفوا في "تيتانجون" أو في إحدى تلك الجزر .

بعد أن غادرونا ذهبوا إلى ساحل "مالابار" وحتى "كلكتا" ؛ حيث تسببوا في الكثير من الاضطرابات وارتكبوا الكثير من الأعمال القذرة ، التي تجعلني أخجل من أن يرى الملباريون حضارة وتفاهة أولئك الناس الذين أرعبونا . سترى سيادتك كل ذلك في تقرير أرسله لك الأب اليسوعي الذي يعيش في "كلكتا" بكل تفاصيله . أبعث بهذا إلى الأب "أديوداتو" لتطلع سيادتك عليه ، ولكل السادة الذين بالمجلس حتى يعلموا بتلك الإساءات والإهانات .

إذا تحدث ، فلأنني ... مقتنع جداً ....

ستعذرني سيادتك لعدم إطلاعك على شؤون الدولة ؛ لأنها أقضت مضجعي وكادت تقتلني ... (برأس كوريا) موجود بـالبرتغال ، وقد تحدث عن نفسه ونيابة عني عن المشاكل التي تحدث ؛ حتى تكون

سيادتك على علم كيف ستتصرف مع هذه الأمور ؛ لأنه متورط في هذا الأمر المعقد ، وعليه التزامات كثيرة لهذه الدولة ؛ أولاً في السادس عشر من نوفمبر وصلتنا أنباء من هرمز بأن سلطان "لار" قام بمهاجمة "موغستان" "Mogustan" بقوة كبيرة واحتلها كلها .

لم يتبقَّ شيء سوى قلعتنا في "باندل" ، كما استولوا أيضاً على جزيرة قشم وأشياء أخرى قيمة هناك (F0 .2) ، وأعظم شيء كانت المياه التي يعتمد عليها الناس في قلعتنا للشرب ؛ ونتيجة لذلك لم يبقَ معهم سوى آبار قليلة فتحها واستخدمها في قرية "تورم باغ" "Turum Bag" ، فإن استولوا على تلك أيضاً ، فإنهم سيضعون القلعة في خطر شديد .

لكن نواب الملك من موظفي الخزينة وضعوها في وضع أكثر خطورة بالكثير من التعليمات والاستقطاعات من مالية صاحب الجلالة ، بالرغم من عدم رغبة جلالته في إنفاقها ، إلا في مثل تلك الظروف .

تلك الأوضاع السيئة تولدت نتيجة للأوامر التي تقول بعدم سداد المستحقات التي جرت العادة على دفعها لأولئك السلاطين ، حتى يسمحوا للقوافل بالعبور حتى قلعتنا . عند هذه المرحلة أخطرت بأن السفينة القادمة من هرمز قد وصلت عند الحاجز . لهذا السبب وحالما تصلني الأخبار فسأقوم بكتابتها في نهاية هذه الرسالة .

المشكلة الأخرى التي كانت لدينا والتي ستصبح أكثر إزعاجاً عن موضوع الهولنديين ، هي أن المغول يهاجمون كل مناطق الديكان

بجيش ضخم جداً ، ويقال : إن (المانكسنجا) والد زوجته قد وصل فعلاً إلى هناك ، ومعه ستون ألف حصان .

أنا لا أشك بأنه سيقوم بكل شيء قبله ؛ لأن ملك (أحمد نجار) ضعيف ومملكة "بيرار" "Perar" وقعت حالياً تحت سيطرة المغول ، وكما تعلم سيادتك (الأيدلشان) سني ، مجتهد ، وموسيقي ، وهو متخنث كالمرأة ، لهذا السبب ليس هناك ما يمكن عمله معه .

أرسلت إلى رئيس الأساقفة الحاكم عارضاً عليه الذهاب إلى هناك متخفياً ، كتاجر أقمشة ومعي أربعة خيول للبيع ؛ لمزيد من التمويه ، حتى أقنعه ، عندما وجد نفسه في موقف يائس وأراد أن يسلم قلعة "دبهول" إلى الملك حتى يتمكن من اللجوء إلى هناك مع زوجته وأمواله عند الضرورة ، ويقنع أمامه سلطان "بهادور" كمثال ، وقد أعطانا الجزيرة وقلعة "ديو" عندما هاجمه جد هذا المغولي .

قد استولت عليهم البرتغال ، ومن تلك اللحظة وبدعم البرتغاليين استعاد "ديو" ، وهذا ما يمكن لملك "فيسابور" أن يفعله أن سلمنا "دابهول" "Dabhol" ؛ لأنها ميناء صغير مفيد ومهم . نتيجة لذلك سيكسب جلالته موضع قدم ويستطيع أن يصبح سيداً لكل أراضي الكونكاني .

لست أدري إن كان عرضي هذا قد عرض على رئيس الأساقفة ، ولم أسأل أنا حتى عن ذلك ؛ لأنهم لا يرغبون في البحث عن الشخص المناسب لحل مشكلتهم ، وليس من حقي أن أختبر ضميري طالما أنني أعلم بأنني قد يطلب مني القيام بذلك ، ويمكن مما أقوله الآن أن تطلع

جلالتك أولئك السادة الذين بالمجلس أن ينقلوا لجلالته عن أهمية أن أقدم نفسي لخدمته .

إذا هوجمت جزيرة "غوا" تلك ، فإن "سالسيت" و"بارديس" لن يفرا ، ولا أدري ما قد يحدث لنا في "غوا" . حتى وإن لم يحدث ذلك فليس علينا الانتظار طويلاً هنا ؛ لأن الجوع سيجعلنا نستسلم ، ولهذا السبب فنحن في حاجة إلى أسطول ضخم على طول الساحل بما فيهم القباطنة ، أرجو أن تفهمني وكل من يستطيع ؛ لأن يفعل ...

أصبح ميناء "ماسولباتنام" مركز اتصال وسوقاً للهولنديين ، وهناك يصنعون الأقمشة لـسومطرة و"جافا" . في تلك الميناء التي قائدها جندي قديم يدعى "تومي جريجو" "Tome Grego" اعتقله المسلمون في تلك البلاد ، وأساؤوا معاملته ، ووصل إلى بلاط "جولكوندا" ؛ حيث قدم نفسه للمك .

قد كرمه الله بحيث تحصل على وسائل مكنت كهنته من طرد الهولنديين والمسيحيين المسجونين في تلك الموانئ ، ومن ثم ومن نفس المحكمة أرسل بياناً للحاكم لكل بكل الأخبار ، كتب لي رسالة طويلة جداً عن كل تلك الأحداث التي تمت في رحلته التي كانت شيئاً استثنائياً ، ومن المؤكد أن هذا الرجل يستحق أن يمنحه جلالته الأوسمة والتكريم والعطايا ، وعلى الوزراء أن يلتمسوا منه القيام بذلك ، من الضروري ولزاماً على جلالته أن يكتب لهذا الملك شاكراً ومقدراً له لكل ما قام به .

مع السفينة "أوليفيرا" التي احترقت وتم تدميرها ، تسملت من

البرتغال رسالة واحدة من سيادتك ، واعتبرت ما كان صحيحاً ، إن عليّ أن أدرك مما جاء فيها رغبات سيادتك بمنحي الأوسمة والمكرمات ، وبناء على الثقة التي وضعتها في شخصي لخدمتك ، والتي عملت كثيراً لنيلها ، فإنني لن أستطيع تحقيق رغبتي ، والعزاء الوحيد هو أن سيادتك كتب لي بأن الأب الأخ "أديوداتو" لم يشاهدك بعد وصول السفينة ، بالرغم من تكليفي له بالإسراع بالانخراط في خدمة سيادتك .

لم تصلني أي أخبار عن شؤوني الجديدة من سيادتك ، ولا أدري ما تم بخصوصها ، وقد أزعجني ذلك ، فأنا لست في عمر أنتظر فيه من سنة إلى أخرى لبعض الإشارات ولو حتى الصغيرة منها (F٠ .٣) بالرضا عن خدماتي . لا أعرف كيف فشل الكاهن بالكتابة لي مع تلك السفينة ؛ لهذا السبب أطلب من سيادتك أن تقدم لي معروفاً ، وذلك بإخباره أن تبعث لي رسائلي ومعها رسالته ؛ لأنها تبعث كل سنة عن طريق التسليم باليد ، مما يبعث على الشك وعدم الثقة لاحقاً .

لست أدري إن كنت أنا عديم الثقة لإحساسي بالقلق ، وإن شقيق زوجتي قليل الاهتمام بشؤوني عما كان عليه في السابق ؛ لأن عليَّ تذكيره أن كل الذي أطلبه لمصلحة شقيقته وأبناء وبنات شقيقته ، طالما أنه ليس لي أنا أي أطفال .

في أسطول العام الماضي (١٦٠٧م) وصلت السفينة "سانتياجو" "Santiago" التي كان قائدها "لويس دي بريتو دي ميلو" "Luis de Breito de Milo" متأخرة إلى "موزمبيق" ، وقد وصلت إلى هذه المدينة في العشرينات من شهر مايو . لم يكن عليها قبطان يعرف

"مارماجاو" ، فإنها لم تذهب إلى هناك للاحتماء ، فكان يمكنها ذلك ، بل ولم تعبر الحاجز إلى "غوا" ؛ بسبب أنها كانت مغلقة .

في النهاية لجأت لمنطقة منخفضة عند نهر "بارديس" ، وكان الخطأ الذي ارتكبه أن الناس الذين هناك سيعرفون ذلك . بدا واضحاً أن الرب يريد أن يرينا بوضوح أنه غير راضٍ عن هذه الدولة ، ولسنوات عديدة كانت السفن التي تأتي إلى هنا تعاني وتتعرض للكثير من التحطم . من ضمن أربع أو خمس سفن وصلت إلى "براس تيليس" واحدة فقط عادت إلى البرتغال .

من ثمانية جاء بها دوم "جيرونيمو كوتنهو" "D . Jeronimo Coutinho" و"جواو كوريا دي سوزا" ، ثلاث فقط وصلت إلى هذه المدينة ، وكل الأسطول الذي تركه نائب الملك دوم "مارتبم أفونسو" بقي هناك ، والآن من أسطول "كوند دي فييرا" سفينة واحدة فقط وصلت إلى "غوا" ، وهذا معنى أن هناك مقصداً ومكاناً آخر لـ "موزمبيق" دمرته النيران ، كما قلت في السابق .

لا أدري ما سبب كل ذلك ، ولا إلى أين سينتهي كل ذلك ، لكنني أرى القليل من التحسن في العظيم من الأشياء ؛ لأن الرب لم يهتم بخطايا الرجل الفقير الذي مثلي ، ولا بذلك الشرير كرجل آخر غيري ، ولكن ليعاقب عموماً كل شخص بحسب ما ارتكبوا . في النهاية ولاختصار كل ذلك فإنني أقول : إنه من الضروري إعادة تنظيم كل هذه الدولة والرجال الذين فيها ، وحتى توجد قوة عظيمة ، لن يكون هناك أي تحسن .

أنا أتابع سردي التاريخي على مهل ، وأبحث في زمن "ماتياس" وما بعده في الأيام التسعة التي جاء فيها كل واحد إلى هنا ، بداية من دوم "أنتاو دي نورونها" "D . Antao de Noronha" . يمكن إنهاء ذلك بسهولة ؛ لأن كل شيء معي بالمنزل إن كان هناك عدم رضا حدث هناك أو هنا فسيدهشني ذلك .

لا يوجد شخص نبيل في البرتغال يستطيع حث أو إقناع الوزراء أو توبيخهم على منحي بعض الشرف والأوسمة ، ولا أحد سيتابع ويراجع أوراقي ؛ لأنه قبل ساعة موتي سأطلب إحراقها بحضوري ، كما كتبت لسيادتك في مناسبة أخرى . أؤكد لك بأنه لن يكون هناك "ديوغو دو كوتو" آخر يأتي من بعدي ليعيد كتابة التاريخ . لعل براعتي وسرعتي جعلت مني شخصاً مكروهاً .

في أثناء حياة "ديوغو دو كوتو" كان جلالته يطلب منه دائماً الكتابة لي والرد على رسائلي ، والآن بعد موته لم أعد أتلقى أياً منها . كنت على وشك عدم كتابة المذكرة التي أبعثها لك ، وسأفعل ذلك إذا نسيني الناس . أرجو من سيادتك تذكير السكرتير وأولئك السادة المحترمين بذلك ؛ حتى أعلم إن كان صاحب الجلالة راضياً عما أقوم به ، إن كان لا فسأفكر في اتجاه آخر مختلف ، إن قام بالكتابة لي هنا فلنضع اعتباراً إذاً لكل شيء .

عن طريق السفينة "براس تيليس" "Bras Teles" أرسلت لشقيق زوجتي الكاهن قائمة بالأسطول الذي أخذه نائب الملك دوم "مارتيم أفونسو دي كاسترو" إلى جزر الملوك ، ومعه كل التكاليف والمبالغ

التي حدودها ، بالإضافة للملخصات عن تحقيق قام به الأسقف في "كوتشين" ، وبناء على طلبي بالحصول عليه من "بنجال" يتعلق برجل هناك يبلغ عمره أكثر من أربعمائة سنة ، والذي يحكي قصصاً وأشياءَ غريبة .

هذا الأمر بالذات رويته لنائب الملك دوم "مارتيم أفونسو" ، وطلبت إليه أن يسلم نسخاً من هذا إلى سيادتك ، لكن فيما يتعلق بهذا ، فإن سيادتك لم يجب إطلاقاً . لست أدري إن كان الكاهن مهملاً ، ولكن هذا أثارني جداً ، ولا حتى إن كانت طباعة كتبي تحت التنفيذ .

هذا الأمر يهمني أكثر من أي شيء آخر ؛ لأن نسيان هذا الأمر أو إلقائه بعيداً في ... ، لا أجد سبباً أرهق به نفسي ولا حتى بإرسال كتبي إلى هناك ، ولهذا فإنك سوف تقدم لي خدمة كبرى لو ناقشت هذا الأمر مع شقيق زوجتي القس ، وتشجيع المسائل من أجل ما يتعلق بالجزء الذي لسيادتك فيها .

(F0 .4) أظنني على حق في تصديق أن سيادتك يجب أن يكون على ذلك المنبر وكرسي القضاء ، الذي تستطيع أن تمارس منه ميلك الذي تبديه دائماً ، في منح المعروف والجميل لي ، وأثق في أن ذلك لن يقل الآن ؛ لأن بداخلي الرغبة لمتابعة الأمور التي طلبتها في الالتماسات التي قدمتها ، والتي تتزايد في كل وقت .

كنت آمل في أن يصلني الرد مع هذا الأسطول بقيادة "كوندي دا فييرا" والالتماسات التي قدمتها كالتالي : راتب معاش لزوجتي بعد موتي ، قدرة ثلاثمائة "باردالس" ، وطلب أن أورث منصب كاتب

مكتب الجمارك في "ديو" الذي أحتله الآن ، وإن الشخص الذي سأورثه له عليه تولية مباشرة عن منح ذلك المعروف لي دون تغاضٍ عن كل تلك المناصب التي خدمت فيها ؛ لأن شرط المنح الذي قدم لي ليس استثناءً . رخصة تمكن الجنود من شراء كتبي من أجورهم .

أقترح أن يتم السداد لي في مكتب الجمارك ؛ لأنه بهذه الطريقة ستنتشر الكتب في كل الأسطول ، وسيتحول الرجال للتعامل بما جاء فيها ، وحتى أتمكن من الادخار (....) من أجل طباعة الكتب ؛ لأنها إن لم تُبَع فإنني لن أتمكن من طباعة غيرها . أعترف لسيادتك أن الثلاثمائة مجلد التي أرسلت لي مع الكاهن لم أتمكن من بيع سوى ثلاثمائة منها ، ووهبت أكثر من أربعين .

الشيء المبهج حقاً أنني أرسلت واحداً لكل ضابط من قادة القلاع كهدية ، ولكبير الأساقفة وللملك ، ولم يرسل لي أي منهم ، ولا حتى علبة لحفظ السفرجل . أقول هذا لنرى سوء هذا المنصب في هذه الأيام . يبدو أنهم يظنون أنني لن أستطيع أخذ أي شيء منهم ، لكنهم لم يضعوا ذلك حتى الآن موضع الاختيار .

لفت انتباه صاحب الجلالة كثيراً لأهمية "توري دو تومبو" "Tore do Tombo" في البرتغال ؛ لأنه إن لم يتحمل فسيضيع كل شيء مرة أخرى ، كما حدث في المرة الأخيرة ؛ لأنه لم يكن ما طلبه جلالته ، ولم توضع فيه الأوراق والكتب الضرورية ، والمبنى الذي شيد لم يكن صالحاً لأي شيء ، فقد شيد بطريقة سيئة لا تناسب .

والغرض الذي لم يكن صالحاً لأي شيء ، لهذا طلبت منه وضع

شرط لشراء بعض المباني المناسبة لهذا الغرض في ميدان القصر أو بالقرب منه ، ويمكنني الإقامة فيها ؛ لأنني كبير في السن ، وليس عليَّ الذهاب إلى "توري دو تومبو" . أرجو من سيادتك أن تمنحني هذا المصروف ؛ لأنه سيكون الملجأ لي ويريحني .

وصلتني رسالة من المشرفين على "توري دو تومبو" في البرتغال ، أخبرني فيها أن جلالته قد عينه في مجلسه ؛ لأن كل الذين يخدمون في هذا المنصب يتم تعينهم في المجلس . بما أن جلالته في الشرط الذي وافق عليه يقول إن عليه الخدمة طبقاً لنفس الأوامر والأحكام تالياً ، فمن حقي ولقربي من جلالته أن يتم تعييني في المجلس معهم ، خاصة أنني المؤرخ الذي يعمل لديه ، بينما رؤساء الأشراف ليسوا كذلك .

ألتمس من سيادتك أن تهتم بهذا الأمر وتعمل جهدك حتى يتم تكريمي ، وحتى تصبح مؤلفاتي أكثر احتراماً ؛ لأنها تحمل عنوان مجلس جلالتك ؛ لأن بعض من يحملون هذا اللقب ومن الذين أرسلوا إلى هنا ليسوا أحسن مولداً ولا أفضل خدماً للملك ، وليسوا من الأهمية في مجالات أخرى بأكثر مني .

وصلت بالأمس أخبار من هرمز أن أهلنا قد توصلوا إلى اتفاقية مع سلطان "لار" ، وقاموا بتسليمه ألف باردالس عبارة عن مستحقات له . الأمر واضح لسيادتك أنه من الأرخص والمشرف أن تدفع له ما تدينون به لهم كل سنة ، وذلك أفضل من أن يتم ذلك فيما بعد عن طريق القوة والخوف ، والتي لن تأتي سوى بعدم الثقة في الحياة .

بجانب ذلك ، فإن الاسم المحترم لـلبرتغال قد انتهى ، وأولئك

الهمج قد أعطونا اسماً ، وبدلاً عن تسميتهم لنا بالفرنجة ، وهو الاسم الذي ننادى به في السابق ، فإنهم الآن يسموننا الوثنيين . لذلك نحن حزينون جداً ومتأثرون ؛ لأن الجميع يحقرنا ويعاملنا بدونية ، ولا أعرف إلى أين أفرّ وإلى أين أذهب ؛ لأخفي خجلي وعاري ، ولست أدري كيف لا يقتلني العار وكيف لم يمت أولئك الأكثر شرفاً ومكانة مني .

هذا أمر يحس به الجميع ، أرجو أن يتذكرني سموك وأيضاً زوجتي ، أبعث لك عبر هذه الرسالة وداعي هذا العالم . نسأل الرب أن يمنح سيادتك كل شيء كان قادراً على إعطائي إياه . في اليوم الأخير من أيام الكريسماس الثمانية .

"ديوجو دو كوتو" .

(F0 .5) ليس معي الوقت ولا الأوراق لأنسخ لك فيها الكتاب الذي أبعثه لسيادتك ، لذلك أبعثه لك في مسودته الأصلية . لا أدري إن كنت سأقوم بجمع الأوراق أو ترتيب أي منها من أجل تصحيح الأخرى ، وهذا سيجعلني أقوم بعمل أكثر ؛ لأنني خاطرت بذلك من أجل خدمة سيادتك .

(F0 .6) إلى الكونت أدميرال دوم "فرانسيسكو دا جاما" ... . إلخ .

في اليوم الأخير من أيام الكريسماس الثمانية .

دوم "ديوجو دي كوتو" .

وفي العام نفسه (١٦٠٨م)

دوّنت أحداث بين فارس وهرمز ، بتاريخ عام ١٦٠٨م ، كما جاء في كتاب : وصف وقائع الحرب والانتصارات العظيمة التي تمّ تحقيقها من قبل ملك بلاد فارس ، العظيم شاه عباس على السلطان التركي ، لمؤلفه "أنطونيو دي جوفيا" "António de Gouveia" ، ويذكر فيه أنه إذا طلب من الشاه الفارسي توقيع اتفاقية مع الحكام المسيحيين سيكونون حلفاً ضد الأتراك ، وشاه فارس سينتهك معاهدة السلام التي أقامها مع الأتراك : [٢١]

كيف ذهبت إلى بلاد فارس للمرة الثالثة بناء على أمر جلالته ورئيس أساقفة "غوا"؟

تقريبا في نفس الوقت بينما كانت هذه الأشياء في بلاد فارس في

(٢١) رقم الوثيقة والهامش.

بعض الأيام من شهر سبتمبر ، عام ١٦٠٧م ، وصل أمر ملكي من إسبانيا ، بموجبه أمر جلالته أنه بالإضافة إلى رجال الدين الذين عادة ما يعيشون في الدير الأوغسطيني في أصفهان ، يجب على اثنين من الرجال زيادة عليهم أن يذهبا إلى هناك ؛ لكي يرافقا الشاه أينما ذهب ، ويتبعانه في أوقات الحرب والسلم .

في ذلك الوقت كانت دولة الهند محكومة من قبل رئيس الأساقفة الأب "أليكسو دي ميزيس" ، خلفاً لنائب الملك "مارتيم أفونسو دي كاسترو" ، الذي قد توفي في "مالاقا" (جزر الملوك) ، والذي تم البكاء والحزن عليه بشكل عام في جميع أنحاء الهند ، كما لو أن زهرة النبالة والفروسية قد دفنت معه ، وخلفه رئيس الأساقفة الذي تم اختياره أولاً ، وتسلم منصبه في يناير ، عام ١٦٠٨م .

على الرغم من أن رئيس الأساقفة الحاكم لديه عدد كبير من المشاغل المهمة ، فبمجرد أن تسلم هذا الأمر من جلالته ، استدعى القس الأسقفي في النظام الأوغسطيني ، وأخبره أن اثنين من رجال الدين يجب عليهما أن يرحلا إلى بلاد فارس مع الريح الموسمية التالية في شهر فبراير .

أجاب القس الأسقفي أن جميع إخوانه الرهبان كانوا راغبين جداً أن يفعلوا هذا ، كما أمر جلالته ، وبخاصة في مسألة مثل هذه الخدمة للإله ، وأنهم كانوا على وشك أن يعقدوا اجتماعاً كنسياً ، ومن خلاله يمكنهم أن يعينوا هذين اللذين يجب أن يذهبا في هذه المهمة ، وافق رئيس الأساقفة الحاكم ، وانتظر الاجتماع الذي يجب أن يأتي إليه

الأب "ديوجو دي سانتا أنّا" مسؤول الدير في أصفهان ، أو يرسل شخصا ما ، وبمعلوماته يمكن أن يتم إعطاء تقدير كثير للمسألة .

بعد مرور عدد قليل من الأيام وصلت سفن "الكاراك" من هرمز برسائل من الآباء الرهبان في بلاد فارس ، وتقرير عن معاملاتهم مع الشاه ، مؤكدين على المخاطرة التي تحملوها من إرسالهم خارج المملكة . شعروا بالندم على هذا أكثر من أي شيء آخر يمكن أن يحدث لهم ؛ لأنهم تمنوا أن لو كانوا هناك ؛ حيث يمكن أن يحسِّن حضورهم موقف الأرمن ، على الرغم من أنه لم يكن ليتم ذلك بشكل سريع جداً كما اعتقدوا في وقت ما سابقاً .

كنت أحد هؤلاء الذين تم اختيارهم من قبل رئيس الأساقفة والقس الأسقفي ، حتى لو لم يكن هناك من سبب فيما عدا خبرتي بتلك المناطق ، وكان رفيقي الأب "جيلهيرم دي جيسوس" "Guilherm de San Jesus" ، الذي كان هناك أيضاً ، بصحبة السفير "لويس بيريرا دي لاسيردا" .

عندما تم إعداد البعثة وكل شيء ضروري للرحلة ، غادرنا رصيف "غوا" في يوم العشرين من فبراير ، عام ١٦٠٨م ، وبعد وقفة قصيرة في هرمز وصلنا إلى مدينة أصفهان في نهاية شهر يونيو من ذلك العام .

عندما علم الآباء الرهبان بقرب وصولنا جاؤوا لمسافة "فرسخ" واحد خارج المدينة لمقابلتنا . كان معهم الأب "جواو تادو" "Joao Tado" والأب "فيسنتي دي سان فرانسيسكو" "Vicente de San Francisco" من طائفة "الكراملة" الحفاة ، الذين وصلوا منذ عهد قريب بأمر قداسته .

لقد أتوا على طريق "مسكوفي" ، مجابهين عدداً كبيراً من الصعوبات ؛ لأن تلك المقاطعة كانت مصابة بطاعون الحرب الأهلية ، متخذاً بعضهم جانب "ديمتريس" "Demetris" ، مدعياً أن المملكة تخصه طبقاً للعدل والإنصاف ، والآخرين إلى جانب "بوريس" "Boris" ، طاغية مغتصب كان ملكه غير شرعي .

نتيجة لذلك فقد قضوا عاماً بالقرب من مدينة "استراخان" (ميناء على البحر القزويني ؛ كان من المعتاد السفر عبرها بحراً إلى بلاد فارس) ، محتجزين هناك دون إذن مرور أو أية وسيلة لمواصلة رحلتهم ، ولكن بعد محاولات عديدة وأخطار وصلوا إلى بلاط الشاه .

قبل أن يغادر الآباء الرهبان المدينة ، أخبروا (رئيس المراسم) الذي عادة ما يرافق السفراء ، أنه يجب عليه أن يعلم الشاه ، مثلما يفعل في المناسبات المشابهة ، ولكن عندما طلب الآباء رداً أخبرهم أنه قد كان غير قادر على مخاطبة الشاه ، مثلما يفعل في المناسبات المشابهة ، ولكن عندما طلب لمقابلته (الشاه) ، وأنهم لا يجب عليهم أن يذهبوا بدون إذنه ، أدرك الآباء أن هذا كان مراوغة .

أسفوا على أننا لم نتلقَ الترحاب المعتاد ، وأن المراسيم العادية والاستقبال الحافل غير مناسب لوظيفتنا ، لكن لأنه كشف أن الشاه لا يزال سيئ النية تجاه أمورنا ، ولذلك جاؤوا مصحوبين فقط بالآباء الحفاة وبعض البرتغاليين والبنادقة (أهل البندقية) ، الذين تصادف وجودهم في أصفهان .

رجعنا إلى المدينة متبادلين الأخبار التي أراد كثيرٌ منا أن يسمعها ،

وأخبرنا الآباء الرهبان عن محادثتهم مع مسؤول المراسم ، وكان من الواضح لنا أن مشاعر غضب الشاه التي قد أظهرها نحونا ما زالت مستمرة ، والسبب في كل هذا هو السلام الذي لم يحدث في الوقت المناسب الذي أقامه الإمبراطور مع سلطان الأتراك .

عندما وصلنا إلى المدينة ، وتم إخبار مسؤول المراسم عن وصولي ، جاء لمقابلتي متظاهراً بأنه آسف جداً على أنه لم يكن قادراً على أن يتكلم مع الشاه ، ولذلك لم يكن قادراً على الترحيب بي بالطريقة العادية .

تصرفت كما لو كانت مسألة عدم اهتمام بالنسبة لي ، مثلما هي في الحقيقة ، سألت بعد ذلك عن صحة الشاه ، وابتهجت أن أسمع بأنه كان في صحة جيدة ، أخبرني عن جسامة انتصاراته ، وعدد المدن والقلاع التي فاز بها من سلطان الأتراك .

أخبرته أنني كنت مبتهجاً أن أسمع عن نجاحه ، وقال إن جلالته قد أرسلني ؛ لكي أهنئ بانتصاراته ، ولأعبر عن السرور العظيم والرضا الذي تلقاه منهم ، وإنني قد قطعت مسافة طويلة لكي أحمل هذا . من ناحيته اضطر إلى أن يقول إنني قد وصلت إلى بلاطه ، وتمنيت لو استطاع أن يحدد وقتاً مناسباً له ، يمكنني أن أذهب فيه إليه ؛ لكي أقبل يديه وأعطيه رسالة من جلالته ، بالإضافة إلى التهاني على انتصاراته التي قد أمرني أن أنقلها .

خرج مسؤول المراسم بهذه الرسالة ، وعلى الرغم من أنه أتى لمرافقتي في كل يوم ، فهو دائماً يقول بأنه لم يتحدث بعد إلى الشاه . لم يكن هذا حقيقياً ؛ لأنه قد تم إعطاؤه المعلومات ، ولكن لأنه ما زال تحت تأثير مشاعر

الغضب ، لم يتحدث إليّ ، ولم يكن هذا عادة كيفية تصرفه تجاه السفراء ، فعادته الدائمة هي أن يراهم في اليوم التالي بعد وصولهم .

كان الشاه في المدينة فقط لمدة أربعة أو خمسة أيام بعد أن وصلنا إليها ، وكان مسؤول المراسم متظاهراً كل الوقت بأنه كان غير قادر على أن يتحدث إلى الشاه ، ولكن في النهاية رحل إلى "همدان" (واحدة من المدن القريبة من بابل) دون الرغبة في رؤيتي .

عندما غادر الشاه جاء مسؤول المراسم إلى بيتنا وأخبرني أن الشاه قد ذهب ، وأنه ليس لديه من وقت لمقابلتي في المدينة ، ولكن إذا أردت أن أسير في صحبته مثل السفراء الآخرين في البلاط ، فإنه كان مستعداً أن يصطحبني ويرافقني .

في ذلك الوقت كنت متوعك الصحة ، وأكثر من ذلك ، كنت متضايقاً من أن الشاه لم يقدم إذناً لمقابلته قبل أن يذهب ، ولذلك أجبت بأنني عانيت كثيراً في الرحلة ، لدرجة أنني لن أستطيع أن أقوم برحلة أخرى في وقت قريب ، وأنني كنت حزيناً جداً ؛ لأنني تمنيت كثيراً جداً أن أرى الشاه ، ولكنني دعوت الله أن يعيده إلى أصفهان في الحال ، أو يعطيني القوة ؛ لكي أذهب لأبحث عنه أينما كان .

رحل مسؤول المراسم بهذه الرسالة ؛ لكي يجد موقع معسكر الجيش ، وعندما وصل إلى هناك سأله الشاه عما إذا كان هو قد أحضرني معه ، قال : لا ، وعندما سأله لماذا؟ أخبره مسؤول المراسم بكل الذي قد دار بيننا ، مضيفاً بأنه يشك في أن مرضي كان إلى حد ما ؛ بسبب إحباطي

من أن سموه لم يرغب في أن أزوره ، بدلاً من أي علة أخرى ، "إنه ليس من العدل أن يتحمل الأب الراهب خطأ لم يرتكبه" .

قال الشاه . "اذهب الآن واعثر عليه ، وأخبره مني أنني حزين جداً أن أسمع بمرضه ، وإن هذا المكان حيث أكون أكثر صحة في فصل الصيف من مدينة أصفهان ، ولذلك فإنني سأكون مسروراً جداً إذا أمكنه أن يأتي ويقابلني في الحال .

عليك ألا ترجع بدونه ..." . لقد استغرق مسؤول المراسم أربعة أيام ؛ لكي يصل إلى الشاه ، واستغرق يومين لكي يعود إلى أصفهان ، ودون الرجوع إلى بيته الخاص جاء على الفور إلى بيتنا ؛ لكي يعطيني رسالة الشاه ، متوسلاً إليّ أن أبدأ رحلتي في الحال ، وإلا سوف يكون الشاه غاضباً جداً .

تظاهرت بأنني كنت معترضاً ، زاعماً بأنني في صحة سيئة ، ولكن فقط لكي أكتشف ردود أفعال مسؤول المراسم ، فيما إذا كانت الرسالة رسمية أو فيما إذا كان الشاه يريد في الحقيقة أن يقابلني .

نظراً للأمر المستعجل الذي كان المسلم يلح علي به ، أخبرته بأنني كنت مستعداً أن أفعل مثلما أمرني سموه ، ولذلك كان يجب عليه أن يذهب في الحال ، وأن يجد مطايا من أجل رفاقي ، وأن أحمل الهدية التي كان رئيس الأساقفة الحاكم مرسلها إليه معنا .

**

الفصـل الحادي عشر : لماذا غادر الشاه أصفهان؟ ، وكيف تسنى لنا أن نكون في مجلسه؟ !

لم يسمح خوف الشاه المستمر من أن الجيش التركي ربما يهاجم بعض أقاليمه المحتلة حديثاً ، أو أقاليم أخرى له ، بأن يشعر بالراحة كثيراً ، وبعد أن حقق انتصاراته ، فقد أخبر كل الحكام وقباطنة الممالك بأنه يجب عليهم مقابلته في فصل الربيع ، في أي مكان يرى أنه أكثر ملاءمة ؛ لكي يقدموا مساعدة للقلعة أو المدينة التي من المحتمل أن يهاجمها العدو ، وأنه يجب عليهم أن يكونوا على استعداد في كل الأوقات لما هو ضروري .

حينما علم بأنه كان هناك شقاق بين الباشا ومواطني بابل ، قرر أن يذهب ؛ لكي يضع جيشه في مكان ما ليس بعيداً عن تلك المدينة ، التي كانت على مسافة رحلة يومين من "همدان" (إحدى مدن بلاد فارس الأكثر تزويداً بكل أنواع الامدادات) ، وأراد الشاه أن يقضي بقية الصيف هناك ، لينتظر فرصة ؛ لكي يحتل مدينة بابل ، التي كان على اتصال سري بمواطنيها ، ولكي يحبط خطط العدو الذي يخاف منه .

كان تعليله صحيحاً ؛ لأنه على الرغم من أن أولئك الأتراك ، الذين قد قضوا فصل الشتاء في القلعة التي تقع على الحدود في مناطق نفوذ الشاه ، كانوا يستعدون للقيام بهجوم ، فإنهم قد تخلوا عن نيتهم عندما رأوا الجد الذي كان يحشد به الشاه جيشاً كبيراً .

أقنع أحمد باشا ، ابن "سيجالا"-الذي قد تم الإعلان بتعيينه قائداً للجيش عند وفاة والده-نفسه بمحاولة الحفاظ على ما يملكه ، دون

محاولة القيام بأي شيء آخر في ذلك العام ، وحينما عرف بالشقاق بين الباشا وأهالي بابل ؛ ذهب لكي يقيم هناك في القلعة ، وبحكمة ودأب قد ورثهما عن والده ، أنهى جميع خلافاتهم وحاول بما فيه الكفاية ؛ لكي يحتفظ بالمدينة خاضعة لسلطان الأتراك .

بمجرد أن أبصروا الشاه وجيشه قريباً جداً ، قرر الأهالي تحرير أنفسهم من سلطان الأتراك وبشواته ، واختاروا عشرة من المواطنين الأكثر أهمية ، وأرسلوهم إلى الشاه بمفاتيح المدينة ، طالبين منه أن يأتي ويستولي عليها ، ويحررهم من أسرهم القاسي والطويل . فقد وصلوا إلى المعسكر منذ يوم قبل وصولنا ، وقاموا بمهمة سفارتهم لدى الشاه ، مقدمين إليه المفاتيح التي قد أحضروها .

أظهر الشاه لهم احتراماً كثيرا وأعطاهم مكافآت ، وقرر أن ينتهز الفرصة التي أعطوها له ، وكان راغباً جداً .

لكن تم إخباره أن أحمد باشا قد دخل القلعة مع أربعة آلاف من جنود الإنكشارية ، وعند سماعه بهذا ، أجل المهمة في الوقت الحاضر ، عاد السفراء العشرة إلى مدينتهم بقدر كبير من التمويه والإخفاء ، غير مسافرين في جماعة ، بل كل فرد بشكل منفصل ، وفي مرات مختلفة ومن خلال طرق مختلفة . يثق الشاه بأنه سوف يحتلها في أول فرصة تأتي في طريقه .

في هذا الوقت التحق اثنان وعشرون رجلاً بالقوات مع الشاه ، بعض الأتراك وبعض العرب ، معظمهم من رجال الخيالة الذين غادروا الأرض التركية ، إما من أجل أجر أحسن تحت إمرة الشاه ، أو لأنهم كانوا يستحقون

بعض العقوبة ، مما هو جدير بالملاحظة كيف كان الآسيويون ذوي ولاء قليل تجاه أمرائهم ، وكيف كانوا جميعاً مستعدين ؛ لكي يتبعوا الراية المنتصرة .

استفاد منهم الشاه كثيراً ، آمراً "الأتابك" أكبر القادة وزيره ؛ لكي يرحب بهم في مدينة تبريز ، وألا يسمح لهم بالتجمع في مكان واحد ، وأن يوزعهم على أماكن مختلفة عديدة ، دافعاً لكل فرد منهم مبالغ كبيرة من المال ، ولذلك فهم مقتنعون والشاه آمن من أي خوف ربما يسببه له عدد كبير جداً من الرجال المقاتلين .

عندما وصلنا إلى معسكر الجيش ، حصل مسؤول المراسم على خيمة رائعة منصوبة من أجلنا على ضفة مجرى من الماء البارد ، هذه التي كانت ضرورية جداً ؛ بسبب الحرارة المتزايدة للغاية . كان من غير الممكن بالنسبة لنا أن نقترب من هذا الموقع دون المرور قريباً جداً من خيمة الشاه ، والتي صادف أنه كان خارجاً منها ، وبمجرد أن شاهدنا وتوقفنا ؛ لكي ننزل من على مطايانا ، نادى على مسؤول المراسم وأخبره أن يأتي بنا في الحال إلى حضرته في مكان جلوسه ، الأمر الذي تم تنفيذه ، ودخلنا خيمته ؛ لكي نقبل يده في ثياب السفر ، مثلما كنا .

استقبلنا بوجه بشوش كما تعود أن يفعل ، وبمودة شديدة كانت حقاً كثيرة . يجب علينا أن نشكر الله ربنا على اعطائنا لباقة كثيرة جداً عند رؤية ملك كافر ، ولذلك ، فإن كل رعاياه يفهمون هذا ويعترفون بأنه أولاً وقبل كل شيء لم ينس فقط السفراء والأجانب الآخرين ، ولكن حتى المألوفين لديه كثيراً . رمى بذراعه حول رقبتي (بينما جعلت ركبتي على الأرض ؛ لكي أقبل يده) وقال لي :

"هل أنت غاضب مني ؛ لأنني لم أقابلك في أصفهان؟

أجبت : "لا أستطيع أن أغضب من سموكم ، ولكن كنت آسفاً ألا أقابلك ، ليس لأنني تخيلت أن سموكم يهينني ؛ لأن جلالة ملك إسبانيا لا يستحق هذا منكم ، وإذا هو فعل ، فإنني لست الشخص الذي يستطيع جلالتكم أن يحصل منه على الرضا من أجل ذلك ، ولكنني حيث جئت هكذا بتلك السرعة ؛ لكي ألقي بنفسي تحت قدميك وأهنئك بجميع الانتصارات التي فزت بها على سلطان الأتراك ، وإن أي سبب يؤجل هذا السرور يمكن أن يسبب لي ألماً شديداً ، وبخاصة عندما يكون سموكم هو الذي أحدث التأخير" .

أجلسني الشاه ، وسألني عن صحة جلالته ، وأخبرته بأنباء حسنة عنها ، وعن البقية التي أخبرني جلالته أن أقولها ، وأنني قد أحضرت رسالة منه . طلب مني أن أحضرها في الحال ، وبينما كان ينتظرها ، قلت إن جلالته كان يحتفظ بصداقة حسنة له أكثر منه .

سألني : لماذا؟ وأخبرته أن جلالته دائماُ ما قال إنه هو صديقه الحقيقي ، وكان كذلك ، وكان دائماً متلهفاً ؛ لكي ينتهز أي فرصة ليرضيه ، ولا شيء يمكن أن يكون أكثر صعوبة بالنسبة له ؛ لكي يحاول ، فهو ذو أهمية بالنسبة له .

"أستطيع بالتأكيد أن أقول نفس الشيء عن نفسي" ، قال الملك ، " كما أنكم تعرفون جيداً أنني ألا أنكره" .

رددت عليه : "لكن الميزة التي لدى جلالته هي أنه لن يدخل في عقله أبداً أن سموكم يمكن أن يعجز في الوفاء والصداقة التي

وعدته بها ، غلطة تخيلها سموكم ، لا أعرف على أي أساس ؛ لأنك قد أقنعت نفسك بأنه يستطيع أن يمتلك أي شيء ، وعلاقة بالسلام الذي تم بين الإمبراطور وسلطان الأتراك بدلاً من أن يشعر بعدم الرضا والألم عند رؤيته وهو يحدث" .

"لا تدعنا نتحدث عن هذا" ، قال الشاه ، "كلانا لأنني أعتبر هذا يوم سرور ؛ ولأنني أفضل أن أكون في صراع مع سلطان الأتراك أكثر منكم" .

استمرت محادثتنا من الساعة الثامنة صباحاً حتى الرابعة بعد الظهر ، دون إعطائي إذناً ؛ لكي أذهب إلى خيمتنا ، على الرغم من أنني تظاهرت بأنني أريد أن أذهب ؛ وليس لأنني أردت سوى أن أرى فيما إذا أنه وجد مقابلة متعبة لفترة طويلة من الزمن ، ولأن الشاه بدا يستمتع بوجودي هناك ، فإنني بقيت طوال الوقت الذي قد قلته ، الذي في أثنائه كان لدي فرصة ؛ لكي أثير كل المسائل التي رأيت أنها ضرورية .

كان أحد هذه المسائل هو أن أقول له : "كيف يرد سموكم المعروف لجلالته ، ليس فقط من أجل السرور الذي يحصل عليه في الانتصارات التي قد فزتم بها على سلطان الأتراك ، ولكن لأنه هو سبب رئيس لتحقيقكم إياها ، محرضاً ومشجعاً لكم على شن الحرب على سلطان الأتراك . إنكم تعرفون كيف .

أجاب "بوضع نفسي في تلك المخاطرة من أجله ؛ لأن هذه الانتصارات كانت في أيدي السماء ، وإذا منعت كثيراً مثلما منحت كثيراً ، فإن ملك إسبانيا لا يستطيع أن يحصل على صديق اليوم ولا ملك بلاد الفرس ؛ لأن أول شيء خاطرت به كان شخصي أنا ، والذي

فعل كثيراً مثل ذلك من أجله يستحق شيئاً ما منه ، ولو لم نوافق على أنه في يـوم ذلك السرور يجب ألا تكون هناك شكاوى ، لأمكنني أيضاً أن أحـدثهم لكم ؛ لأنكم لم تذهبوا إلى إسبانيا عندما أرسلتكم في المرة الأولى" .

أخبرته أنني كنت هناك تحت تصرفه ، ويستطيع أن يعاقبني كما اعتقد بطريقة أفضل إذا حكم بأنها كانت غلطتي أنني لم أذهب إلى إسبانيا ؛ ليس لأنني لا أريد ، ولكن لأن نائب الملك في الهند لم يدعني أذهب ، قائلاً إن لديه أوامر مختلفة من جلالته .

عند هذه النقطة وصلت الرسالة التي قد طلبت إحضارها . أخذها ، وقبلها ، ولأنه كان يوجد عدد قليل منا طلب مني أن أقرأها ؛ حيث فعلت :

رسالة من "فيليب الثالث" ، ملك إسبانيا ، إلى الأمير الأكثر فخامة وقوة شاه عباس ، ملك بلاد فارس . أيها الأمير الأكثر قوة وفخامة إلخ ... ، أنا الدون "فيليب" إلخ ... ، لم أتسلم بعد رسالة من فخامة سموكم منذ مغادرة "لويس بيريرا لاسيردا" ، وهو شخص نبيل من إدارة بلاطي الملكي وعضو مجلسي ، أرسلته إليكم كسفير لي .

إنني الآن أتمنى الحصول على أخبار تفصيلية عنكم وعن شؤونكم ؛ لكي أبتهج بهما ، لكن لا هو ولا السفير الذي أرسلتموه إليَّ استطاع أن يأتي في الوقت المحدد ؛ لكي يسافر على ظهر السفن التي جاءت من الهند في ذلك العام الماضي ، مثلما أخبرني نائبي .

لقد كتب ؛ لكي يخبرني أن فخامتكم قد ربح انتصارات كبيرة

على سلطان الأتراك ، عدونا المشترك ، الأمر الذي سرني كثيراً ، وأنكم تقومون بإرسال سفير من أجل الحفاظ على صداقتنا ، والعلاقات الحسنة التي توجد بيننا . أتمنى أن يدوم هذا لسنوات عديدة ؛ لكي نعاقب وقاحة سلطان الأتراك ؛ لأنه بالإضافة إلى الانتصارات التي يقوم فخامتكم بتحقيقها ، وتلك التي أنا متأكد أنه سوف يتم مواصلة تحقيقها (بقوة) .

إن أساطيلي التي تجوب مياه البحر المتوسط قد أنزلت وما زالت مستمرة في إنزال خسارة فادحة به ، وأذكر لكم أن هذه الأساطيل مستمرة بقوة أعظم لإتمام الخدمات التي قد قدمتها في وقت سابق إلى فخامتكم .

إنني كاتب إلى نائبي بأنه يجب أن يعامل سفير فخامتكم (إذا لم يكن الآن في طريقه إلى هذه المملكة) بطريقة مناسبة ، هذه التي يجب عليه أن ينفذها ، وأن يقدم إليه كل شيء ضروري من أجل سفره بالسفينة ورحلته البحرية .

سوف أكون سعيداً جداً إذا استفاد فخامتكم من كل شيء تستطيع أن تقدمه دولتي إليكم ، كما لو كانت دولتكم ، ولأنه توجد تلك الصداقة بيننا ، فإنه يجب أن تسود نفسها بين رعايانا ، ولكنني أفهم أن سلطان شيراز لم يرجع بعد جزيرة "البحرين" (التي احتلها) إلى ملك هرمز ، تابعي ، الذي لا يزال يشكو إليّ بأنه لم يتم بعد إعادتها إليه ، وفي الحقيقة ، فإنه قد أخذ منه قلاعاً أخرى على البر الرئيس لذلك الساحل ، ولأننا نمتلك مثل ذلك السلام والاتفاقية بيننا ، فإن فخامتكم يجب ألا يسمح بهذا ، وسوف تأمره بأن يعيدها .

إنني واثق أنكم سوف تستمرون في التفكير بشكل إيجابي في رجال الدين الذين يعيشون في بلاطكم ، وتأمرون بأنه يجب أن يتم معاملتهم بالطريقة المتوقعة من عظمتكم ، والمستحقة من قبل الأشخاص الذين يقومون بمثل هذه الأعمال في خدمة الإله ، ويزهدون عن منافع العالم الدنيوية . لهذه الأسباب فإنني أزكيهم لكم مرة ثانية .

أنار الإله ربنا فخامتكم بفضله وحفظ به شخصكم وملككم .

حررت في "مدريد" ، في يوم السابع عشر من يناير ، عام ١٦٠٧م

**

الفصل الثاني عشر : كيف أعطينا الشاه الهدية المرسلة إليه من قبل رئيس الأساقفة الحاكم ، ومسائل أخرى .

عندما حان الوقت لكي نأخذ إذناً لنا بالانصراف ، وذهبت لكي أقبل يده ، جعلني أجلس بجانبه وقال :

يوجد الآن شيء واحد إضافي بالنسبة لكم ؛ لكي يلزمني بشكل تام ، وذلك هو أنني أريدكم أن ترجعوا الآن بصحبة سفير سوف أعطيه لكم ، هذا الذي سوف يرافقكم إلى إسبانيا وإلى روما ، وإنكم سوف تقنعا هذين الأميرين الاثنين بشن الحرب على سلطان الأتراك مثلما أردت ومثلما قد وعدا .

إنني متأكد أنكم سوف ترغبون في أن تقوموا بهذه المهمة من أجلي ، وأنكم لن تحققوا معهم ليس أقل مما فعلتموه معي ؛ لأنكم تعرفون عظمة الدور الذي لعبتموه في ذهابي إلى الحرب ضد سلطان الأتراك" .

أجبت بأن قبلت يده على الثقة التي وضعها فيَّ ، وأنه من أجل ذلك ألزمني أن أفعل أشياء في خدمته أكثر مما كان يأمر بها ، لكن الأوامر التي تسلمتها من ملك إسبانيا كانت على العكس تماماً من أوامر سموه ؛ لأنه أرادني أن أبقى في ذلك البلاط لمدة طويلة ، بينما كان سموه يأمرني بالمغادرة في الحال ، والتي كانت كما استطاع أن يرى يعاكس بعضُها بعضاً .

لم يكن حضوري ضرورياً لأولئك الأمراء ؛ كي يذهبوا إلى الحرب مثلما أراد سموه ؛ لأنهم رغبوا فيها كثيراً كما فعل سموه . بل وحتى أكثر ، ولكنه كان من الضروري جداً أن أرضيه لدرجة أن رحلتي يمكن أن تكون ضرورية لهذا السبب وحده .

إرضاء لي سأكون مسروراً إذا تمكن سموه من إعطائي إذنا بالمغادرة ؛ لكي أعلم حاكم الهند بما أمرني به سموه ، وبموافقته التي لا يستطيع أن ينكرها ، يجب أن أذهب بسعادة غامرة ، ولو حتى بعدد قليل من الأشهر ، الأمر الذي لا يهم كثيراً ؛ لأنه لا يوجد خطر في التأخير .

أهم من هذا ، يجب على سموه أن يحصل على وقت طويل ؛ لكي ينظر فيما يرغب فيه بشكل أكثر من أي شيء آخر ؛ لأنه دائماً ما يجدني مستعداً ، مدركاً أن هذه هي رغبة ملك إسبانيا ، حتى لو بدا لي أمره على العكس من ذلك .

ولهذا قبلت يده وحصلت على إذني بالانصراف والمغادرة .

عندما رجعت إلى خيمتي أصبحت مريضاً بشكل خطر ، إما نتيجة لمشقة الأعمال الجديدة التي واجهتني ، أو ربما مما قد قاسيته في الرحلات الطويلة .

أرسلت لأطلب من الشاه إذنا بالذهاب ؛ لكي أعالج في أصفهان . لم يسمح الشاه بهذا لأي سبب قائلاً إن الهواء (هنا في أصفهان) كان أحسن للمرضى ، مرسلاً أطباءه ؛ لكي يعتنوا بي ، وآمراً بأنه يجب أن يتم إعطائي كل شيء ضروري من أجل مرضي .

سافر الشاه بعيداً عن الجيش لعدة أيام ، عندما أصبح مرضي أكثر خطورة ، كنت مجبراً على أن أذهب إلى أصفهان ؛ لكي تتم معالجتي ، كنت سعيداً بهذا ، إلى حد ما في حينه ؛ لكي أهرب بجسدي من مطالب الشاه ، ولكي أقدم أيضاً للآباء تقريراً عن ذلك الذي فعلته .

بمجرد أن وصلت إلى أصفهان ، قررنا أنه إذا أصر الشاه على ارسالي فإنني لن أرفض ولكنني يجب أن أنظر فيما إذا كنت أستطيع أن أنتهز الفرصة ؛ لكي أصطحب البطريرك الأرميني معي إلى روما ؛ لأقدم فروض الطاعة للبابا الأعظم بالشكل المناسب ، ونتلقى التوجيه منه فيما يجب أن يفعله من أجل مصلحة كنيسته .

بعد ذلك ، أبلغت أن الشاه قد رجع إلى الجيش ، وكان غير مسرور من غيابي عنه ، ولكن حينما علم بأنني قد غادرت خيامنا مع بعض رجالنا ، كان أقل ضيقاً ، وكان ذلك فقط قبل أن أعود بعدة أيام .

طلبني بمجرد أن وصلت ، وعندما رآني في صحة حسنة ، قال : إنه لو لم يكن مرضي متظاهراً به لكان الأمر أكثر خطورة .

أجبت أن المسيحيين ، وبخاصة رجال مهمتي ، ليس من عادتهم التظاهر ، ولكن مساعدة سموه والأماني الحسنة قد أكدت أن المرض لم يكن مرضاً خطيراً ، وكان تماثلي للشفاء سريعاً للغاية .

ضحك من هذا وقال : "سامحني ، أعتقد أن خوف العودة إلى إسبانيا قد جعلك مريضاً ، ولكن حيث إنك لم تكن ، فلا يوجد سبب لكي أعفيك من الرحلة" .

هناك أسباب عديدة يمكن أن تمنعك منها ، أجبته ، أولاً : هو الأمر الذي تسلمته من ملك إسبانيا ، الذي يبدو أنه على العكس مما أمرتني به . السبب الآخر هو أن "باهيذا أمان كيلو" بيك الذي أرسله سموكم إلى هناك كسفير لكم مع "لويس بيريرا دي لاسيردا" ، لم يصل بعد .

كذلك منذ فترة قصيرة أرسلتم السير "روبرت شيرلي" "Robert Cherley" عن طريق "مسكوفي" "Moscovi" ... ، ولأن الغرض من ذهابنا هو واحد وحول نفس الشيء ، يجب أن يوجد كثير من سفرائنا ... ، لكن علاوة على ذلك ، تفوق رغبة سموكم وسروره جميع الأسباب التي أستطيع أن أقدمها .

"إن الغلطة التي تخيلت أنكم ارتكبتموها فيما يتعلق بالأمر الصادر من ملككم ، التي تعتقدون أنها ضد هذا ، قد تحملتها بنفسي" ، قال الشاه "لأنني واثق أنه سوف يوافق على كل شيء أقرره . أما فيما يتعلق بتعود السفراء الذين ذكرتهم ، فليس من المدهش أنه يوجد كثير منهم ، وأنني أبدو ملحاحاً في إرسالهم ؛ لأنني لا أمتلك عدداً قليلاً ؛ كي أعرضه للخطر .

لو أنني كنت بمفردي في مواجهة قوات سلطان الأتراك لما عرفت فيما إذا كانت قواتي كافية ؛ وبخاصة لأنني على الجانب الآخر كنت محاصراً بأمراء التتار ، كما تعرفون ، دون أي تأكيد من السماء عما

تتمخض عنه الحرب ، على أنها سوف تبقى مدة طويلة في صالحي ، ولذلك فإنني أحاول إرسال عدد كبير من السفراء ، وعدد كبير من البعثات إلى الحكام المسيحيين ؛ لكي أجبرهم على الأقل بإلحاحي أن يفعلوا ما لم يفعلوه بطريقة أخرى .

في الحقيقة أنه حتى لو أنني قد أرسلت كثيراً ، فإنني ما زلت أرسل إليكم أنفسكم ؛ لأنكم كنتم مرتبطين بالتزام أكبر ، ولذلك فإنني أثق فيكم أن تفعلوا في هذه المسالة أكثر من المسائل الأخرى ، إنكم سوف تقنعون الأب المقدس ليعبر عن الخوف الشديد بأن الإمبراطور بإمكانه أن يقيم سلاماً مع سلطان الأتراك ، وكزعيم لجميع المسيحيين ، يأمره بأن يعلن الحرب عليه مرة ثانية" .

لأنه كان أكثر إصراراً لدرجة أنني يجب أن أفعل هذا . فلا الإله ولا الرجال يستطيعون أن يوافقوا على أنه هو والحكام المسيحيون الآخرون يمكن أن يضعوني في خطر شديد ، ويتركوني أتعامل مع سلطان الأتراك .

الآن تستطيع أن تفهم ما هو الدور الذي يجب عليكم أن تلعبوه في هذا المشروع ؛ لأنكم أحد الوسائل التي بواسطتها أخوض فيه" .

أنهى حديثه باكياً ، لا أعرف فيما إذا كان من الغضب أو الحزن . تمنيت أن لو كان في استطاعتي أن أبدأ في تنفيذ الحرب الأكثر قسوة ودموية ، التي تجعل سلطان الأتراك معانياً منها طوال حياته ، وأخبرته أنني يمكن أن أكون مبتهجاً إذا كانت إرادات كل الأمراء في العالم خاضعة لي ؛ لكي أجبرهم على شن الحرب ضد سلطان الأتراك ، مثلما أراد سموه .

لكن حيث إنهم لم يكونوا ، وأنا لدي فقط إرادتي الخاصة ، كان عليه أن يتخلص منها كما رغب ؛ حيث كنت مستعداً ؛ لكي أبدأ في أي وقت يأمر به سموه ، متغلباً على كل عقبة يمكن أن تنشأ في طريقي .

ظهر الشاه مقتنعاً جداً بردي ، قائلاً إنه كان مسروراً من قراري ؛ لكي أخدمه ، ولكن ليتم إكماله يجب أن أغادر في ذلك اليوم .

أجبت أن سموه عليه أن يأمر بكتابة الرسائل وإعطائها لي ، ولا يوجد شيء آخر لكي يؤخرني ، ومع ذلك ، إذا رغب في أن يبعدني راضياً ، فيجب عليه أن يرسل معي البطريرك الأرميني ؛ لكي يقبل قدم البابا الروماني (الكاثوليكي) ويقر بطاعته كما يفعل جميع الأساقفة المسيحيون بالنسبة للدين الذي يعترف به كل رجل .

رد الشاه : "إنكم تعرفون الحرية التي أعطيتها لكل فرد في مناطق مملكتي ، ولا يبدو لي أنه من العدل أن أجبر البطريرك ، ولكن إذا رغب في الذهاب ، واستطعتم أن تقنعوه بذلك ، فإنني سوف أكون سعيداً جداً ، وبخاصة لأنني أريد أن يرسل إلي البابا بطريركاً آخر ؛ لكي يكون أسقفاً لجميع المسيحيين الذين سوف يرضون بي أكثر من هذا البطريرك" .

اعتقدت أن هذا كان كافياً لإقناع البطريرك ؛ لكي يفعل كما ينبغي ، ولذلك لم أتابع هذا الموضوع بشكل أكثر من الشاه ، ثم طلب السكرتير ، وفي حضوري ، ركز انتباهه بدقة على الرسائل المحررة إلى قداسته وإلى جلالته . طلبت منه أن يأمر السكرتير أن يعطيني نسخة من هذه الرسالة ، ومن تلك الخاصة بجلالته ، التي كتبها .

الرسالة إلى جلالته هي كما يلي :

رسالة محررة من قبل عباس ، ملك بلاد فارس ، إلى ملك إسبانيا ، "فيليب الثالث" اللورد العظيم ، صاحب السلطة ، الذي مكانه هو الأعلى ، وسموه هو الأرفع في العالم ، سيد الممالك الواسعة والدول ، الذي أعتبره والدي وأخي ، أعظم كل الملوك ، الذي تاجه الشمس ، وجنوده كثيرون مثل النجوم في السماء ، دامت عظمته ودام ملكه على طول السنين ، وحفظه الله فيه جلالتكم دائماً ؛ لكي تمارسوا العدالة فيه بين شعوبكم وأتباعكم ، اللورد الأكثر يمناً ، الدون "فيليب" ، ملك إسبانيا .

سوف يعرف جلالتكم أن الحب والصداقة التي توجد بيننا توحدنا في رغبة واحدة وإرادة واحدة ، كما لو كنا شخصاً واحداً .

أخبر جلالتكم بأنني في صحة جيدة ، وأنني برحمة الله أحقق في كل يوم أكثر وأعظم انتصارات على سلطان الأتراك عدونا ، وحتى الآن ، فإن كل شيء قد نجح كما أريد .

لقد استقبلت منذ وقت قريب من عند جلالتكم أحد الآباء الرهبان الأفضل والأكثر ثقافة بين أولئك الذين يعتنقون دين المسيح ، الأب "أنطونيو" الذي جاء إلى مجلسي حاملاً الرسالة التي بعثها إليَّ جلالتكم ، مملوءة بالحب والنية الحسنة التي تحتفظون بها من أجلي ، والتي سرني عبرها كثيراً جداً أن أعرف أنكم في صحة جيدة .

أجبرني الحب والمودة التي لدي تجاه جلالتكم على أن أطلب منكم أن ترسلوا إلى هذه المملكة قنصلاً يفهم شؤون المسيحيين الذين يعيشون فيها أو يمرون من خلالها ؛ لكي يحكم فيما بينهم ويعاقبهم طبقاً لقوانينها ، وأن أطلب من جلالتكم أن تحثوا حكام قلعة هرمز

على حماية التجار الفرس ، مؤكدين بأنهم يتلقون العدالة في أي وقت يحتاجون إليها .

منذ سبعة أعوام أرسل جلالتكم نفس الأب "أنطونيو" إلى بلاطي في مهمة سفير مشابهة أخرى ؛ لكي يشجعني على بدء الحرب ضد سلطان الأتراك ، سوف يسمع جلالتكم عن الحرب التي قد قمت بشنها ، بعد أن تم إقناعي من خلال رسالة جلالتكم وكلمات الأب الراهب نفسه ، ويجب أيضاً أن تسمعوا عن القلاع والمدن التي قد استوليت عليها .

إن الحب والصداقة بيننا يجب أن تحتاج الآن إلى ذلك ؛ ولأنني قد قمت بدوري ، فإن جلالتكم يجب أن يأمر الآن قباطنتكم وأصدقاءكم وأتباعكم أن يحاربوا نفس سلطان الأتراك هذا .

يجب أن يكون جلالتكم على معرفة جيدة بالحب والمودة التي أكنها من أجل المسيحيين ، وبسبب هذا أتمنى أن يرسل جلالتكم قساً أسقفياً ؛ لكي يكون رئيساً لجميع المسيحيين في ممالكي ، وأن يقيم في مدينة الكنائس الثلاثة عاصمة أرمينيا المكان الأكثر تقديساً وتكريماً في كل ممالكي ، التي تم فيها رؤية جلالة المسيح ، وروح الإله .

إن الأب "أنطونيو" شاهد على حبي لجلالتكم ، ومن أجلكم فإنني أحب وأقدر الأب نفسه ، وإنني أوصي به لجلالتكم ؛ كي تمنحوه المناصب الرفيعة والمكافآت التي يستحقها ، ويوجد أيضاً آباء من نظامه الديني في بلاطي ، هؤلاء الذين رحبت بهم وأكرمتهم من أجل جلالتكم ، وقد أعطيتهم البيوت التي يعيشون فيها ، وإذناً لكي يبنوا بيتاً آخر على طريقتهم ، ولا أستطيع أن أغفل عنهم .

إن حامل هذه الرسالة التي تشهد بالحب الذي أكنه لجلالتكم هو "دينغز" "Dings" بيك ، وهو رجل نبيل من إدارة بلاطي ، وأحد قباطنة جيشي . سوف يتكرم جلالتكم عليَّ بإرساله عائداً إليَّ بالسرعة الممكنة . إنه سوف يقدم إليكم بقية الأخبار التي لم أبلغكم بها في هذه الرسالة .

يجب أن يعرف جلالتكم أنه لن يوجد أبداً حب وصداقة كهذه بين ملوك مسلمين ومسيحيين ، كالذي يوجد بيننا ، ولذلك فإنني أطلب منكم مرة ثانية أن ترسلوا قساً أسقفياً تعتقدون أنه مناسب ليكون رئيساً للمسيحيين .

أطلب أيضاً من جلالتكم أن تعيدوا إليَّ الأب "أنطونيو" ؛ لأنني فقط أقوم بإصدار الأوامر إليه من بلاطي ؛ لكي يستطيع أن يعلم ما يريد جلالتكم مني أن أفعله . حتى الآن لم يكن السجل التاريخي الذي يقوم بإحضاره كاملاً ، ولكن أرجو أن ترسلوه كاملاً بكل الوقائع التي حدثت لي .

أما فيما يتعلق بما أوصاني به جلالتكم بشأن الحرير ، فإنني مسرور أن أحرم السلطان والأتراك من هذا الربح ، وأعطيه إلى رعايا جلالتكم ؛ ولذلك فإنني أرغب في هذا العقد مع هرمز ، ولكن الضروري أن ترسل إلى تلك المدينة شخصاً مستعداً للوقوف مع التجار الفرس ؛ حتى لا يعانوا من أي خسارة فيما يتعلق بالحرير الذي يحملونه من أصفهان .
حررت بينما كان جيشي في ميدان المعركة ، في يوم الثامن من نوفمبر .

*

لقد استدعى الشاه "دينغز" بيك صاحب السلطة (لورد) في مدينة

"فيلا أف كامارا" رجلاً نبيلاً متقدماً في العمر من هذا البلاط ، وأحد قباطنة هذا الجيش ، وأمره أن يستعد للرحيل بصحبتي إلى هرمز ، وأن يسافر من هناك إلى إسبانيا وإلى "روما" .

ذهب معه على جانب وأخبره بشكل سري ، وبعد فترة من الوقت طلبني وأخبرني أنه مرسله فقط معي لكي يخدمني ، وكشاهد على كل الذي كان يريدني أن أفعله في خدمته مع كل من البابا وملك إسبانيا .

جعل الرسائل يتم قراءتها في حضورنا ، أمر سكرتيره أن يطلعنا عليها ، وأعطاها إلى سفيره . قبلت يده من أجل المساعدة التي أوضحها لي في رسالته ، والتي ألزمتني بعمل المزيد في خدمته . قلت أتمنى أن تثير بعون الله القلوب لدى الأمراء الذين كان مرسلني إليهم ؛ لكي يفعلوا كل شيء يتمناه ، وإنني أيضاً كنت واثقاً أنه عندما أعود سوف أجد سموه قد استولى فعلاً على مدينة بابل .

لذلك أخذنا إذنا بالانصراف من الشاه ، ورحلنا في اليوم التالي إلى بلدة "كامارا" ؛ حيث عاش السفير حيث تمنى أن يقيم بيته في حالة جيدة ويودع أسرته . طلب مني أن أصطحبه ؛ لأن الطريق كان قصيراً ، ومن الممكن أن يكون مسروراً بشكل خاص إذا فعلت ذلك .

أمضينا أربعة أيام في "كامارا" "Camara" ، حدث في أثنائها شيء ما جدير بالملاحظة ، يعود لعظمة ومجد الإله ، وكان هذا :

في تلك المنطقة لم يهطل مطر لمدة عامين ، الأمر الذي كان سبباً في هلع شديد وضيق للسكان ، لأنه على الرغم من أن المحاصيل وأوقات بذر الحبوب في بلاد فارس عادة ما لا تعتمد على سقوط المطر من

السماء ؛ لأنه يتم التزود بمياهها من خلال الأنهار ؛ حيث تؤخذ منها إلى الحقول طبقاً للحاجة إليها ؛ فمع ذلك حيث تكون هذه الأنهار صغيرة ولا تجري جداولها لمسافة طويلة في الموسم الحار ، فإن السكان يموتون هلاكاً إذا لم يسقط المطر ، وتكون "كامارا" واحدة من المناطق الأكثر تضرراً .

عندما وصل السفير وتمت زيارته من قبل جميع أقاربه ، وأصدقائه ، والأتباع الرئيسين من أراضيه ، أخبرهم أن الشاه كان مرسلاً إياه وإلى "روما" وإلى إسبانيا معنا في مهمة هامة جداً لخدمته ، ولكي يعطي نفسه أهمية يبدو أنه أثنى بإصرار على طريقة حياتنا ، قائلاً إننا كنا أشخاصاً نفكر في الله فوق كل شيء .

لا نريد شيئاً من الدولة ، فنحن الذين قضينا النهار والليل في الصلاة فقط ، وإننا ليس لدينا زوجات ، ولا نريد مالاً ، وإن ما نتلقاه من أجل معيشتنا نقسمه طوعاً مع الفقراء ، وكذلك أشياء أخرى ربما قد لاحظها ، على الرغم من أنني اعتقدت أنه كان فقط يخبرني عن ذلك ليمجد نفسه ؛ لأن الشاه قد اختاره رفيقا لنا .

راقبنا وأعجب بنا هؤلاء الذين شاهدونا وزارونا بنوع من الاحترام ؛ حيث تم توعية بعضهم من خلال مظهرنا الخارجي (لأن الإله وحده هو الذي يحكم على الداخل ويعرف مقدار الأخطاء التي تملَؤنا ، على الأقل نفسي ؛ لأنني أعتبر رفيقي خادماً عظيماً للإله) .

أخيراً مهما كان السبب لاحترامهم ، ذهب بعض من زعمائهم إلى السفير وطلبوا منه أن يسأل الله في صلاتهم أن يمنحهم المطر الذي قد

حرموا منه لمدة عامين . أحال الالتماس إلينا وأخبرنا السبب من أجله الذي أجبنا عليه أن الله الذي نعبده لديه القدرة المطلقة ؛ لكي يمد بكل الحاجات ، مثلما طلبوا ، ولكننا لم نكن واثقين جداً من حسناتنا ، لدرجة أننا افترضنا أن هذا يمكن أن يمنح من خلالها .

لكن بإمكاننا أن نقدم إليه التضحية الأكثر قبولاً في هذه الدنيا ، تلك التي يحتوي عليها القداس الذي أقمناه ، واثقين في رحمته أن يبين قدرته لهؤلاء الذين يبتهلون إليه فقط في وقت الشدة . كان شيئاً عجيباً أنه عندما أقام الأب "جيلهرم" -وأنا معه- القداس ، هبت ريح قوية وأحضرت معها بعض المطر ، على الرغم من أنه كان فقط كمية قليلة ، ولكن أدهشهم جميعاً وأصاب عدداً كبيراً بالذهول ؛ حيث كان بعضهم مقتنعاً ، وأذاعوا أن الله قد أرسل ذلك المطر من خلال صلوات الآباء الإفرنج .

بعد يوم من رحيلنا سقط مطر كثير جداً للحد الذي كان من الصعب على جمال السفير أن تتقدم في سيرها ، ولم تصل بحقائبه في الوقت المحدد . ابتهج بهذا وقال لنا :

"أيها الآباء ، إن كل قطرة من الماء تسقط هي لؤلؤة لهذا الدين ، وأعرف أن كل الناس هنا سوف يعترفون أن الله أرسلها من خلال صلواتكم" .

إنني أعتقد أن الله منح رحمته المحتاج إليها كثيراً لهؤلاء الناس الكافرين من أجل عظمته ، مقدراً التضحية التي قدمناها ، وليس من أجلنا نحن القساوسة ، وهذا لا يمكن أن يدهشنا ؛ لأن تابوت العهد

القديم أحدث معجزات في أيدي الفلسطينيين (أبناء يهودا والسامرة) ، ونحن كأفراد وكمذنبين عظام ، نستطيع أن نقوم بها الآن .

هذه القدرة المطلقة لا تزور دائماً مشاركاً مستحقاً لها . لا أحكي هذه القصة على أنها قصة إعجازية ؛ لأن ذلك المطر يمكن أن ينتج عن سبب طبيعي ، ولكنه من غير المستحب ألا نعترف بأن مجيئها في ذلك الوقت كان عظمة خاصة للرب الذي له الحمد على طول الزمن .

غادرنا "كامارا" ووصلنا إلى أصفهان في يوم الخامس والعشرين من نوفمبر .

الفصل الثالث عشر : مبررات الشاه لنقل تجارة الحرير من حلب إلى هرمز ، والمنفعة التي يمكن أن تنتج عن هذه المهمة .

كتب الشاه إلى جلالته (كما نستطيع أن نرى من صياغة رسالته) أن ما يتم اقتراحه عليه بشأن الحرير هو كما يحب ويأتي على هواه كثيراً ، وأنه مسرور بشكل خاص أن يأخذها (تجارة الحرير) من يد سلطان الأتراك ويعطيها لرعايا جلالته .

لكي نفهم هذا يجب أن يتم معرفة أن "أنطوني شيرلي" رجل إنكليزي تم ذكره في الكتاب الأول (من هذا المؤلف) ، بعد محاولة التقدم بنفسه في طرق عديدة وصل أخيراً إلى أحسنها وأكثرها يقيناً ، والتي كانت تعني أن يضع نفسه في خدمة ملك إسبانيا ، فقد جرب شفقة وقوة الملك الكاثوليكي حينما تم إعفاؤه من عقوبة الإعدام من خلال سفيره المقيم في البندقية ، هذه العقوبة التي أقيمت عليه هناك لجريمة ثابتة قد تم اتهامه بها .

ذهب إلى ملك إسبانيا ، واثقاً من عظمة وعطف ذلك الأمير ، الذي غالباً ما يمنح المساعدات لأولئك الذين لا يفعلون له شيئاً سوى الإضرار ، وبإمكانه أن يمنعها من أولئك الذين يفعلون هذا . حينما وصل إلى البلاط تم استخدامه للمسائل التي بين نفسه فيها على أنه مجرب وخبير ، بعض منها كانت تتعلق بمصلحة الملك الكاثوليكي ، تمنى الحصول على فرص أخرى وأحسن .

تـم تعينـه قائـداً للأسطـول عابـر المحيـط الذي أمر جلالته بأن يذهب إلى البحر الأبيض المتوسط ، وجعله عضواً لدى المجلس المساند لمملكة "نابولي" ؛ حيث حضر لدى "كوندي دي بينا فينتي" "Conde de Bena Vente" ، ثم كنائب الملك لتلك المملكة .

استمع الكونت إلى خططه ووافق عليها ، وبخاصة تلك التي تتعلق بإلحاق الضرر بسلطان الأتراك ، القائمة على خبرة "أنطوني" بالموقف في تركيا ؛ حيث قد عاش هناك لبعض الوقت . فقد لاحظ أشياء عديدة ، أحدها الاهتمام الذي لدى سلطان الأتراك بتجارة الحرير التي عبرت من خلال أرضه بين ممالك بلاد فارس ، وتلك التي لدى "أوروبا" ، التي جلبت ثروة طائلة ورخاء لمدن بابل وحلب و"القسطنطينية" .

كان المصدر الرئيس لهذا الربح لأعدائنا هم المسيحيون الذين سافروا إلى "القسطنطينية" وحلب من "البندقية" و"فلورنسا" ومناطق من "إيطاليا" ، و"فرنسا" و"إنجلترا" ، والذين غالباً ما يحملون معهم للبيع والمقايضة أشياء عديدة مضرة بالديانة المسيحية ، مثل الأسلحة النارية ،

والمال ، وما هو أسوأ ، معلومات عن قضايا بيننا ، وعدم لباقتهم التي جعلتهم يشبهون أطفال الأفاعي ، الذين يولدون لكي يدمروا أمهاتهم .

لا شيء يجعلهم يترددون على هؤلاء وموانئ أخرى أكثر من الحرير من بلاد فارس والأقاليم الخاضعة لها . هم مسيحيون أرمن ، أتباع للشاه ، ولكن اهتمامهم الشخصي تسبب في أنهم جعلوا دولة سلطان الأتراك أكثر رخاء في كل يوم مقابل الضرر والإساءة إلى الديانة المسيحية ، وكان هذا بشكل دائم .

كلما زاد الأسى قل التفكير في أي شيء يمكن أن يتم فعله بشأنه ، ولكن يبدو الآن أن الرحمة الإلهية تقوم بفتح الطريق ؛ لكي تقدم لنا علاجاً ، ويرجع هذا إلى حد كبير إلى "أنطوني شيرلي" ، الذي كان أول من لفت الانتباه إليه بالطريقة الآتية :

كان كما قلت ، حاضراً لدى "كوندي دي بينا فانتي" في مملكة "نابولي" ، كمستشار لتلك الدولة ، وكانت إحدى المسائل التي ناقشها هو أن يثبت له كيف يكون من السهل تحويل تجارة الحرير هذه ، التي تمر من خلال الأراضي "التركية" في طريقها إلى "أوروبا" ، وأن يقدم تسهيلات لتصديرها من خلال هرمز .

من هناك يمكن أن يتم نقلها إلى "لشبونه" ، ثم بعد ذلك إلى بقية الممالك المسيحية ، لمصلحتها الكبيرة وخسارة سلطان الأتراك ، لو كان لدى الشاه النية في الامتثال .

قبل "الكوندي" هذه الفكرة ، فهو رجل ذو ذكاء شديد وليس أقل حماساً ، وناقشها مع الأشخاص من ذوي الخبرة ورجال الأعمال ،

ولم يكن هناك أي فرد لم يوافق عليها ، وفي الحقيقة عرض عليه بعض التجار أن يتعهدوا بالعقد لو أراد جلالته وحدثت الصفقة .

قرر "الكوندي" أن يرسل رجلاً إلى بلاد فارس برسالة منه إلى الشاه ، وكتب إليه أيضاً "أنطوني شيرلي" وإلى أخيه "روبرت شيرلي" ، الذي حثّه على أن يلح على هذه المسألة في البلاط بحماس مناسب ، معتقداً أنه ما زال في بلاد فارس ، ولكن الشاه قد أرسله سابقاً لبعض الوقت إلى "مسكوفي" .

تم إحضار هذه الرسائل إلى حيث كان الشاه في معسكر جيشه بواسطة "دومينكو ستروبيني" "Domingo Strobeni" ، وهو مواطن من أبنـــاء هرمــز ، والـــذي قـــد كان مرافقـــاً لـ "ديوجو دي ميراندا" "Diogo de Miranda" في رحلته إلى "البندقية" ، كما قد قلت . أرسلهم إلى الشاه بواسطة كبير خدمه ، مقدماً له تقريراً عن السبب الذي لأجله أرسله نائب الملك من "نابولي" إلى بلاد فارس بالرسالة .

استدعاني الشاه وأطلعني على الرسالة التي كان محتواها أن يعلمه بالمنفعة الكبيرة التي كان رعاياه يقدمونها لسلطان الأتراك ، من الحرير الذي كان مصدراً من موانئه ، ولافتاً الانتباه إلى أنه من مصالح الشاه أن ينقل هذه التجارة إلى هرمز التي كانت مستودعاً وميناء ينتمي إلى جلالته ، الأمر الذي يسره جداً إذا أصدر الشاه هذا الأمر .

إنه لن يفقد هو وأتباعه شيئاً سوى أنه يمكن أن يربح من خلاله ؛ لأن الطريق إلى هرمز كان أقصر وأكثر تردداً عليه من قبل كل الفرس والأرمن ، وهو أقل خطراً للقوافل ؛ لكي يذهبوا من خلال دولتهم

بدلاً من المرور عبر أراضٍ تركية وعربية ، لقد انتسبت إليه وإلى أتباعه جميع البلدان التي يمكن أن يذهب من خلالها الحرير حتى يصل إلى الميناء الذي يتم فيه وزنه ، لكن لو أن هذا من أجل حرمان سلطان الأتــراك من ربحه ، فإن هذا وحده كان سبباً يمكن أن يقنعه ليقوم بهذا التغيير .

سألني الشاه : ما هو رأيي فيما يتعلق بالقضية ؛ لأن الآراء اختلفت بين مستشاريه .

أجبت بأن سموه يجب أن يستدعي حامل الرسالة ؛ لكي يحصل على جواب أكثر دقه ؛ لأنني لا أستطيع أن أفعل أكثر من التأكيد بأن "كوندي دي بينا فينتي" لا يستطيع أيضاً معالجة هذه المسألة دون أمر جلالته ، ولا يناقشها دون تفكير كثير وبحث .

استدعى الشاه "ستروبيني" وأخبره بأنه أراد أن يرضي جلالته ، ولكن مستشاريه اعتقدوا أنه من الصعب أن يتعرف على هذه التجارة ؛ لأنه كانت هناك مخاطرة كبيرة ، على الأقل للأشخاص الذين يرشدونهم إلى الطريق .

أقنعه "ستروبيني" في هذه النقطة قائلاً : إن أتباع سموه ليسوا بحاجة إلى الخوف من أي خطر ؛ لأن نائب ملك "نابولي" بإمكانه أن يرسل متعاقدين عن طريق الهند إلى هرمز ؛ لكي يشتروا ويسددوا ثمن الحرير هناك ، وأنه كان ينتظر فقط رداً على رسالته ليضع هذا في موضع التنفيذ .

فكر الشاه في هذا ملياً لفترة قصيرة ، وتحول إلى وزيره (الذي طبقاً لمعلوماتي يحتفظ برأي مخالف) ثم أخبره . "أجبت نائب ملك "نابولي"

بأنني سعيد أن أغير تجارة الحرير إلى هرمز ؛ حيث كان يسألني نيابة عن ملك إسبانيا ، ولكي يعلم القدر الذي أريده لكي أرضيه ، فإنني سوف أرسل مع الأب "أنطونيو" وسفيري ، اللذين هما في طريقهما إلى إسبانيا ، كلَّ الحرير الذي يأتي من مدخولاتي في أصفهان ... ، لذلك فإنه هو أول ما يتم تعريضه للخطر .

سوف يزيل هذا خوف التجار ويفتح لهم الطريق ؛ لكي يرسلوا حريرهم الخاص . إذا شاء ملك إسبانيا أن يرسل متعاقدين لكي يشتروه ، فإنني سوف أجعل له كل الذي عادة ما يذهب من خلال تركيا مرسلاً إلى هرمز ، وسوف يتم إعطاء الإذن إلى التجار الأرمن والفرس بأن يحملوه إلى إحدى المدن ، وحتى إلى إسبانيا ، إذا جعلني أعرف ما يفضله" .

رحل "ستروبيني" بهذه الرساله إلى حلب ، وأرسل الشاه تاجراً لديه يسمى "خواجا رجب" ؛ لكي يشحن كل هذا الحرير المكدس في الخزانة في أصفهان ويجهزونه ؛ لكي يتم حمله معنا . فعل المسلم ذلك ، ولكنه لم يجد مقداراً كبيراً كما قد تخيل الشاه ، فقط ألف وستمائة من وزن هندي ، والذي يساوي خمسة وعشرين رطلاً .

عندما تم إبلاغ الشاه بهذا ، بعد أن وصل إلى أصفهان ؛ لأنه اعتقد أنها كمية قليلة فقط ، أخبر التاجر أنها لم تكن لكي تباع ، ولكنها ؛ لكي يتم تقديمها إلى جلالته كهدية رمزية للكمية الكبيرة التي يمكن أن يجلبها رعاياه إلى إسبانيا .

بهذه الصورة بدأ تجارة اعتقد بعض الناس أنها يمكن أن تكون ذات

أهمية كـبرى لتاج البرتغال مثل الفلفل ومواد العطارة التي قد تم تحقيقها ، ويتم الاحتفاظ بها بتلك التكلفة المختلفة ورأس المال .

إذا أصبحت هذه المفاوضة ناجحة (التي لا تعتمد على شيء أكثر من اجتهاد وزراء جلالته) فيبدو أنه سوف يجد نفسه سيد كل الحرير في العالم ، ولا نعرف في "أوروبا" أي منطقة أخرى يوجد فيها بعض من هذه التجارة ، باستثناء "غرناطة" ، التي تقع بعيداً في قلب إسبانيا ، يبيع ويشتري فقط رعايا جلالته ذلك من الصين التي يوجد فيها الكثير من الحرير وذو نوعية جيدة .

البقية من أقاليم أخرى لدى "جيلان أوهيركانيا" ، و"أستار أباد" ، و"يزد" ، و"خراسان" ، و"ميديا" ، و"بارثيا" ، وكل المناطق الأخرى التي تخضع لتاج بلاد فارس ، التي لا نهاية لها تقريباً ، والتي تزود معظم "أوروبا" و"آسيا" ؛ حيث يتم إحضارها إلى ميناء هرمز ؛ لكي تسافر من هناك إلى إسبانيا وإلى مناطق سلطة الملك الكاثوليكي .

ليترك رهبانه الملكيين ، الذين هو واجبهم ، ينظرون في أرباحه الدنيوية الآن ، واجبي هو أن أنظر في أرباح أخرى أكثر سمواً ، كما سوف أبين ذلك .

يوجد شك قليل في أن سلطان الأتراك سوف يعاني من التغيير الذي يفعله الآن الشاه في هذه التجارة ، ليس فقط من خلال الربح الذي يفقده ، ولكن من خلال رؤية الشاه في مثل هذا الوفاق مع الملك الكاثوليكي ، اهتمام يملَؤُه الخوف ، وبخاصة عندما يكون السلام والوفاق بين الأتراك والفرس معروضاً للنقاش بتوتر شديد أكثر من أي وقت مضى .

بالإضافة إلى الخطاب المرسل من قبل السلطانة ، والدة سلطان الأتراك ، إلى "البيجوم" ، عمه "الشاه أثر" قائد الجيش (الأتابك) ، والوزير الأعظم ، وأعضاء حكومة بلاد فارس بأكملها (الذين يقال بأنهم قد تم إغراؤهم بتقديم الرشاوي من قبل سلطان الأتراك بمبلغ كبير من المال) على الشاه ، وذهب شخصياً إلى القسطنطينية خليفة مكة ، الذي كما لو كان رجل الدين الأعلى لجميع المسلمين ، مدفوعاً بالحماس من أجل دينه .

قد حث في مرات عديدة الشاه من خلال الرسائل ؛ لكي يضع حداً لحرب بدت كما لو أنها إذا لم توضع لها نهاية ، أمكن لها أن تشمل كل أولئك الذين يعتنقون دين محمد ، وبمجرد أن عرف أن الإمبراطور قد أقام سلاماً مع سلطان الأتراك ، بدا الشاه مستعداً ؛ لكي يستمع إلى هؤلاء المستشارين .

على الرغم من أن هذه المسائل قد تم تناولها بسرية تامة ، فإنني أصبحت على معرفة بها عندما علمت أن الشاه قد اختار أحد البشوات الذي قد تم أسره في الحرب الأخيره ليرسله إلى القسطنطينية .

بسبب هذا كنت مهتماً بجعل أغراض مهمتي الخاصة معروفة بشكل جيد في جميع أنحاء الجيش ، ولماذا كان الشاه مرسلاً إياي إلى "أوروبا" مع سفيره ؛ لكي أشجع حكام "أوروبا" المسيحيين ؛ لكي يشنوا الحرب مرة ثانية ضد سلطان الأتراك ، وألا يتوقفوا حتى يتم تدمير الأتراك بشكل تام إذا وعد بأن يفعل نفس الشيء من جانبه .

أنه أيضاً كان ناقلاً تجارة الحرير إلى هرمز ، وليس راغباً في الربح من

هذا بأن يذهب إلى سلطان الأتراك كما كان حتى ذلك الحين ، ولكن إلى رعايا ملك إسبانيا ، الذي كان داخلاً معه في تحالف جديد .

كان كل هذا ؛ لكي يحمل له جواسيس سلطان الأتراك في داخل الجيش والباشا الذي كان مغادراً هذا الخبر ، وكان من المتوقع كثيراً أن يصدق هذا ؛ لأنه لا يثق في الشاه ، بشكل أكثر من آمال السلام والوئام (إذا كان معفياً بالصدفة أيٌّ منهم في رسائله ومهمته) .

لأنه هل من المعقول أنه لا يجب على سلطان الأتراك وأولئك الذين في مجلسه أن يفترضوا الخداع والحيطة في وعود الشاه (إذا هو أعطاهم كما يقال) مدركاً أنه كان في نفس الوقت واعداً بأن ينهي الحرب التي كان يلتمس من الأمراء المسيحيين أن يشنوها ، وأن يسحب تجارة الحرير وأرباحها منه ؛ لكي يعطيها لعدو لدود جداً ومناوئ مثل ملك إسبانيا؟!

إنني متأكد أنه لم يلزم بكلمته ، ولو حتى تظاهر بأن يفعل هذا ، فإنه لا يستطيع أن يكون عاجزاً عن أن يحتفظ في "آسيا" بقوات كافية من أجل الدفاع ، إذا لم تكن من أجل الإساءة ، وهذا وحده كاف ؛ لكي يمنع الشاه من إيقاف استخدامه لأسلحته ؛ لأنه لن يعتبر نفسه آمنا من تلك القوات التي لدى سلطان الأتراك حتى يراهم مهزومين تماماً ، وطالما بقي أولئك الأمراء بهذه الصورة فإنني واثق أن الممالك المسيحية سوف تكون أكثر سلماً واستقراراً .

أتمنى أيضاً أن يتم الاعتراف بأن يكون تعزيز هذه التجارة ضماناً كبيراً من أجل أمان وهدوء هرمز ؛ لأن الشاه لا يمتلك مصادر أخرى

للذهب ، أو الفضة ، أو الأحجار الكريمة في دولته ، فيما عدا هذا الحرير الذي نقوم بمناقشته ، وإذا لم يكن لديه أي منفذ آخر إلا هرمز ، فإنه لا يستطيع أن يسمح لأتباعه بالإغارة بشكل متكرر على المدينة ؛ حتى لا يخاطر بالجزء الأكبر من مدخولاته .

لا أشك في أن أحد الأسباب التي لديه لإصدار أمر بأن يتم معاقبة "قمبر بيك" بقسوة على الانتهاكات التي ارتكبها في جزيرة قشم (كما سوف نحكي) كانت ؛ لأنه لم يرغب في إلحاق الضرر بالبرتغاليين في هرمز ، الذين كان في وقت سابق بادئاً الاعتماد عليهم من أجل تجارة الحرير . من المعروف جيداً ، وهو مؤكد أن أي ميزة يستطيع أن يقدمها المرء هي وسيلة فعالة لكسب عطف قلوب أمراء "آسيا" .

***

الفصل الرابع عشر : (استمرارا لنفس الفصل السابق)

بالإضافة إلى الفوائد التي يمكن أن تنتج عن تجارة الحرير ، فإنني كنت لافتاً الانتباه إلى أولئك الذين يمكن أن ينشؤوا من البعثات المرسلة بين ملك إسبانيا وشاه بلاد فارس ، ولكن حيث أصبح مسلسل الأحداث طويلاً جداً ، فإنني خشيت أن يصبح مملاً حتى لو كانت المادة مفيدة ومناقشتها بعيدة عن الملل ؛ لأنه مثلما يقول أفلاطون : "لا شيء يفتن ويلهي الرجال بسرور أكثر مما يفعل الربح" .

لكن هذا يجب أن يعني الربح الفردي ، من أجل اهتمام قليل جداً لفائدة مشتركة ، وإذا عنى أفلاطون أي شيء آخر ، فإنه كان يتحدث عن أوقاته الخاصة ، وليس عن الزمن التعيس الذي نعيش نحن فيه الآن .

لكي نعود إلى موضوعنا : يعترف الشاه أن البعثات والرسائل من الملك الكاثوليكي أثارت مشاعره ؛ لكي يدخل في حرب ضد سلطان الأتراك ، وهي ذات أهمية كبرى للكنيسة الكاثوليكية ، وأحد الحروب التي سببت له قلقاً شديداً ، ولكنها زودته بالفرصة ؛ لكي ينتقم من هذا العدو بمثل ما لم يرَه أبداً ؛ لأنه بدأ في شن الحرب ضد أبنائه .

على الرغم من أن هذا ميزة كبرى ، كما هو واضح ، فإن الذي لا يزال أعظم من ذلك هو ما يمكن أن يتم توقعه لتمويل الأشخاص الذين هم من خلال هذا الدين مملوؤون بالجهل والعمى ، سواء أكانوا في مجموعهم ؛ بسبب عدم الإخلاص ، أو إلى حد ما بسبب خطأ انفصالي عن الكنيسة .

الهراطقة الذين قد تم تحويل بعض منهم ، ونأمل أن يتم تحويل عدد كبير من الآخرين بالمعونة الإلهية ، وليس من المستطاع أن يتم حدوثه فيما عدا من خلال البعثات المتكررة ؛ لأنه بأي حق نستطيع أن نقيم في بلاد فارس لعدد كبير جداً من الأعوام محافظين على قضية الإله مع كنيسة مفتوحة للجمهور .

مقدمين الوعظ للكافرين ، ومحولين إياهم إلى المسيحية ، معطين القوة للمؤمنين ، ومانحين إياهم الأسرار المقدسة ، ومعيدين المنفصلين إلى حضن الكنيسة بمثل هذه الحرية ، كما لو كانوا في إقليم ما رعية لتاج إسبانيا ، إذا لم نحصل على هذا العدد القليل من السفراء لملكها ، فهذا يقوينا في الممالك الأجنبية ، ويعطي الحق لقيامنا بالوعظ ويحمينا من أعداء العقيدة .

لذلك إذا أمكن لهذه البعثات أن تتوقف ، فإن المزايا التي تنشأ عنها يمكن أن تتوقف أيضاً ، (ماذا قد كان يفعل الآباء المسيحيون في بلاد فارس لعدد كثير جداً من السنين؟) ، فإن الإجابة هي : (أنهم هم سفراء الملك "فيليب" ، وأنهم يعيشون في بلاط الشاه كما يفعل أولئك الذين لدى الشاه في إسبانيا) .

بهذه الطريقة من الممكن أن نرسل إلى هرمز في كل يوم ليس فقط عدداً كبيراً من النفوس الذين قد أصبحوا مسلمين ، ولكن أن يبقوا إذا لم يذهب الآباء إلى هناك من أجل مصالحتهم مع الكنيسة ووضعهم على طريق هدايتهم .

لكنّ أيضاً عدداً كبيراً من المسلمين الذين ذهبوا ؛ لكي يتم تعميدهم في هرمز ، وسواء أكان تحويلهم إلى الديانة المسيحية التي تم الترويج لها يمكن أن يتم الحكم عليه من قبل السفراء الذين يذهبون إلى "أوروبا" ، والذين يتم حراستهم جيداً عندما يصلون إلى هناك ، ولكن يعودون بحراسة رديئة لدرجة أنهم يكادوا يحصلون على خادم واحد متبقياً من الخدم العديدين والأقرباء الذين أحضروهم معهم .

آمل أن يعود السفير الذي يرافقني بعدد قليل جداً ، على الرغم من أنه لم يُحضر الآن رجالاً كثيرين ، وحتى زوجته أرسلت لي رسالة قصيرة بأنها لا ترغب في العودة من إسبانيا ، وأنها يمكن أن تصبح امرأة مسيحية هناك .

زيادة على ذلك ، إن ما يحمل الموعد الأعظم لخدمة الإله وتقدم الدين المسيحي هو الأمة الأرمينية التي كانت لعدد كبير من السنين

بدون تأثير الكنيسة الرومانية ، رافضة الطاعة لباباواتها . إننا نؤمن بالرحمة الإلهية في أنهم سوف يتم إرجاعهم بعد وقت قصير إلى حضن الكنيسة الكاثولوكية .

إنه ليس بتأكيد قليل لهذه الآمال أن جُهد القوة الصغيرة لخمسة رجال دين أوغسطينيين عاشوا في بلاد فارس قد أصبح قادراً - دون أي مساعدة بشرية - أن يقنع بطريركاً وستة أساقفة وعدداً كبيراً من رجال الدين والناس ؛ لكي يعترفوا بالطاعة للبابا الروماني الكاثوليكي ، وعندما كان الأمر هكذا ، فماذا سوف تكون النتيجة ، إذا قدم البابا وملك إسبانيا مساندتهم لهذا التعهد ، كما ينبغي أن تعِد قدرتهم وحماسهم؟

لا أحد يمكن أن يشعر باليأس إذا رأوا أن البطريرك يُبين علامات الرغبة ؛ لكي ينسحب ؛ لأن ما قاله هو والآخرون في هذه المسألة كان الخوف الذي لديهم من الشاه ، فهذه فرصة يبدو فيها الخير الإلهي مستفاداً منه ؛ لأن الشاه نفسه في مبادرته الخاصة (حيث الله هو شاهدي) يقوم بسؤال الأب المقدس وملك إسبانيا أن يرسل إليه رجل دين كاثوليكياً ؛ لكي يكون مسؤولاً عن الرعايا المسيحيين .

يقدم لإقامته المكان الذي يسمى (الثلاثة كنائس) ، الذي كان دائماً مقر إقامة البطاركة السابقين لأرمينيا ، والذي تحتفظ به هذه الأمة في تبجيل واحترام أكثر من أي أمة أخرى في جميع تلك الأقاليم . إذا كان لديه الأخلاق الحسنة والحماس الذي يحتاج إليه والطبع الذي يتطلبه هؤلاء الناس ، فإنه بالتأكيد لا يمكن أن يعجز في إحداث عمل ذي خدمة عظيمة للإله وتوسيع العقيدة الكاثولوكية .

لأن ذراع المسيح ليس قصيراً ، ولم يتم أبداً إرواء الظمأ من أجل تحويل النفوس إلى المسيحية ، ولكن إلى حد ما ، مثلما يقول القديس "أوغسطين" العظيم ، على الرغم من أنه يشرب كثيراً ، فسوف لا توجد نهاية للعطش .

لقد أثَّر مثال الأرمن في قلوب الانفصاليين الآخرين عن الكنيسة ، والكلدانيين من خلال الأمة ، والنيستوريين من خلال العقيدة ، والأكثر تعاسة من خلال الخطأ ، الذين يُعرفون بمسيحيي القديس يوحنا ؛ بسبب إخلاصهم الشديد للمعمداني العظيم (The Great Baptist) . هؤلاء هم رعايا حاكم عربي صغير يسمى مبارك ، الذي كتبت عنه بعض الشيء في الكتاب رقم (٢) ، وسوف أفعل ذلك بتفصيل أطول في نهاية هذا الكتاب .

ذلك لأنهم غالباً ما يكونون في بلاط الشاه ؛ حيث عادة ما يوجد ابن لمبارك في مقر الإقامة (التزام مفروض من قبل الشاه ؛ بسبب الثقة القليلة التي لديه فيه) ، رأوا أن آباءنا الرهبان كانوا يعملون لصالح الأرمن – فهم مجدون في معونتهم ، يساعدونهم في حاجاتهم ، ويقومون الوساطة من أجل المسجونين والتعساء – وكيف أذعن الشاه وأعيانه لهم ، وأرادوا أن يجعلوهم في جانبهم أيضاً ؛ لكي يساعدوهم فيما مصاعبهم التي لم تكن أقل من تلك التي لدى الأرمن .

لذلك كتب الأسقف أو البطريرك الذي يعطيهم الآن التوجيهات ، ويُسمى "سيمون" ، مرات عديدة إلى الآباء "جيرونيمو دا كوستا" "Jeronimo da Costa" ، و"ديوجو دا كروز" "Diogo da Cruz" ،

واللذين كانا مسؤولين عن ديرنا في هرمز ، مُخبراً إياهما بأنهم كانوا مسيحيين وربما كان مضطهدين من قبل الكافرين أكثر من أي أناس آخرين في العالم ، وليسوا أقل حاجة من الأرمن .

قدم الآباء أعذارهم قائلين بأنهم إذا لم يحصلوا على إذن من رؤسائهم ، فإنهم لن يذهبوا إلى هناك أو يرسلوا أي رجال دين ؛ حيث تم الطلب منهم لكي يفعلوا هذا ، ولكنه يجب عليه أن يكتب إلى "غوا" ، ويجب أن يتم تزويدهم .

لذلك قرر البطريرك أن يُرسل ابن أخيه إلى رئيس الأساقفة الدون "أليكسو" ، الذي كان عندئذ حاكماً للهند ؛ لكي يطلب منه أن يرسل الآباء ليعلموهم العقيدة ولحمايتهم من قسوة المسلمين .

أرسل إليه رئيس الأساقفة الآباء "فرانسيسكو دا أبري سانتا سان" "Francisco da Appre Santa San" ، و"ماتياس دو اسبيريتو سانتو" "Mathias do Espereto Santo" ، كلاهما رجلا فضيلة وتعليم ، غادرا "غوا" في فبراير عام ١٦٠٩م بمهمة رسمية إلى الملك مبارك ، وإن ما حدث بينهم ورعاياه المسيحيين سوف يتم الإخبار به في الوقت المناسب من أجل مجد الإله وتوعية المؤمنين .

أخبرني في أصفهان الأمير "مانوشيهر" خان ، الذي هو "لورد" لجزء من مملكة الجورجيين ، أنه يمكن أن يكون سعيداً جداً إذا أمكن لبعض من آبائنا الرهبان أن يذهبوا معه إلى مملكته ، وأنه إذا أخذوا معهم طبيباً من الممكن أن تتم معاملتهم باحترام كثير جداً .

في الوقت الذي كان فيه الأب "بيلشيور دوس أنجوس" (الذي عاد

إلى بلاد فارس في هذا العام ١٦١٠م ، بأمر جلالته ، مع "باهيزا أمان كولي" بك ، (الذي قد تم إرساله سفيراً إلى إسبانيا) ، في بلاط الشاه ، اتفق مع "ألكسندر" ، ملك الإقليم الجورجي الآخر ، ليذهب معه ، ولكن تم منعه من قبل "لويس بيريرا دي لاسيردا" ، الذي قد ذهب سفيراً إلى بلاد فارس ، الذي حرم الأب الراهب من أن يقوم بهذه الرحلة حيث أراده في صحبته .

أخبرني الشاه بنفسه ، عندما حصلت منه على إذن بالمغادرة ، أن أفعل قصارى جهدي ؛ لكي أُحضر معي طبيباً مسيحياً عندما أعود ؛ لأنه لا يثق في أن تكون حياته لدى أطباء مسلمين .

يبدو لي أنني متأكد أن العناية الإلهية قضت بهذا من أجل الخلاص الروحي لهذا الأمير ؛ لكي يمكن أن يكون لديه في ساعة موته بعض آباء مسيحيين إلى جانب سريره . إنني أمتلك ثقة كبيرة أنه لن يموت مسلماً ، على الرغم من أنني آمل أن الرب لن يؤخر هذه النعمة لفترة طويلة جداً .

إن ما قد قلته كافٍ ؛ لكي ينقل القدر الذي عليه أهمية هذه البعثات المتكررة ، وما هي المشورة الحكيمة التي يعمل بها جلالته بإرسالهم ؛ لكي يستمروا في خدمة الإله ، وخدمته بهذه الطريقة الحسنة .

أستطيع أن أسمع قارئاً ما فضولياً أو قوي الملاحظة يقول : إذا كان هذا رأيي فلماذا أثرت تلك المصاعب مع الشاه عندما كان مُرسلني إلى إسبانيا و"روما" مع سفيره؟ وإذا أمكن لهذه البعثة أن تؤدي إلى تلك المنافع ، فكيف استطعت أن أخاطر بضياعها؟ وبعد ذلك بواسطة محاولة تجنبها؟

لكي أرد باختصار ، لم تكن نيتي أن أتجنب الرحلة تماماً ، ولكن أن أؤجلها ؛ لأنه كما ظهر لي أن السبب الرئيس الذي لدى الملك الفارسي من أجل إرسالنا بعد إرساله عدداً كبيراً جداً من السفراء الآخرين هو أن يكتشف ما إذا كان الحكام المسيحيون يخططون لشن الحرب على سلطان الأتراك أم لا؟

ذلك لأنه أراد أن يستخدم هذا القرار ؛ لكي يأخذ قراره الخاص بخصوص فيما إذا كان يمكنه أن يصل إلى تسوية مع سلطان الأتراك ، إذا اضطر أن يقف بمفرده ضده في حرب ، مثلما كان الحال حتى ذلك الوقت ، وكلما كان هذا واضحاً له بسرعة أكثر كثرت الخسارة في مصالح الديانة المسيحية .

لهذا السبب أردت أن أراوغ وأبقي الشاه سعيداً مع بعض الأمل ، وألا أصيبه بالإحباط برد أتخذه ، يمكن ألا يكون الرد الذي أراده ، بأن الحكام المسيحيين مصممون على تشكيل رابطة ضد سلطان الأتراك ، مشتملة على الإمبراطور ، ومُنتهكة شروط معاهدة السلام التي قد وقعها مع سلطان الأتراك .

على الرغم من أن كل هذه الأشياء هي من مصلحة الديانة المسيحية ، فهي صعبة التحقيق بسبب خطايانا ، كما قد أوضحت التجربة . كيف يمكنني أن أرغب في الإقدام على بعثة منها يمكنني الاضطرار إلى أن أُحضر إليه رداً معاكساً تماماً لرغباته؟

مع ذلك فإني فاعل ما يأمرني به ، واثق بأن الرحمة الإلهية سوف تفتح طريقاً للأمراء المسيحيين ؛ كي يتحدوا ، أو أنه عندما يكون الشاه

مُنتظراً لهم ؛ لكي يفعلوا هذا ، فإنه سوف يُقلل حجم قوة سلطان الأتراك إلى مثل هذه الحالة التي يتم تركه فيها دون أي قوة ؛ لكي يُقلقنا بها .

الفصل الخامس عشر : "الاضطرابات في هرمز ، وماذا قال الشاه عنها" .

عندما وصلت إلى مدينة أصفهان ، وجدت الآباء الرهبان في ذهول ؛ بسبب الأخبار التي تلقوها من بعض البرتغاليين الذين قد تم تأخيرهم في مدينة "لار" ، بأن "قمبر بك" ، حاكم المدينة ، قد أوقف القوافل ، ولم يكن مسموحاً لأحد أن يذهب من بلاد فارس إلى هرمز أو من هرمز إلى بلاد فارس ، غير مُكتفٍ بهذا .

قد حشد جنوداً من الريف وحرس القوافل أنفسهم ، ومع بعض جنود الخيّالة الذين رافقوه ، بما مجموع خمسمائة رجل ، لقد ذهب ؛ لكي يهاجم قلعتنا في "بندر" "Bandar" . على بعد "فرسخ" واحد في مكان يسمى "بندالين" ، لقد بدأ في بناء حصن ، صغير ، ولكن من الحجر ، على تل قوي بالقرب من البحر .

من هناك ، بفضل إهمالنا ، عبر معظم الرجال الذين أحضرهم معه غير مقاومين إلى جزيرة قشم ، التي جعل نفسه عليها زعيماً دون أي مقاومة من السكان الأصليين .

حينما وصل البرتغاليون كان المسلمون مسيطرين ، وقد عزلوها وهدموها ، وقد يكون من المستحيل للبرتغاليين أن يهزموهم ويرموا بهم بعيداً خارج الجزيرة ؛ لأنه كان هناك عدد كبير من المقاتلين المهرة في هرمز ، بينما كان الرجال في قشم مُجندين مثل الفلاحين وسائقي

الإبل ، وليسوا عسكريين ، الذين لم يأت بهم "قمبر بك" ؛ لكي يقاتلوا ولكن للتهديد .

لكنه لم يتم إصدار أوامر للبرتغاليين بالنزول إلى الجزيرة ، وعادوا لكي يُخبروا الدون "هنريك دي نورونها" ، القبطان عندئذ ، ما كان حادثاً . كان هو وبقية البرتغاليين منزعجين جداً إن وجدت جزيرة هرمز نفسها ، بدون إنذار ، تحت الحصار ؛ لأن كل فرد يشعر بالقلق ولا يتحدث عن شيء إلا عن مصلحته ، وتهمل المصلحة العامة .

يجب أن يتم تذكر أن جزيرة هرمز لا تمتلك شيئاً من أجل معيشتها فيما عدا ما يأتي من الخارج ، وحتى المياه يجب أن يتم إحضارها إما من البر الرئيس أو من جزيرة قشم ، وقد تم إغلاق كلا الاتجاهين من قبل "قمبر بيك" ورجاله .

حيث لا يمتلك الفقراء (الذين تحتوي هرمز على عدد كبير منهم) أي مصدر آخر من الطعام أكثر مما يستطيعون أن يجدوه في كل يوم ، فإنه يوجد عدد كبير من القوارب الصغيرة في الجزيرة تسمى طرّادات ، التي تتوجه في كل يوم لإحضار الماء لتزويد السكان ، وإذا عجزوا عن أن يفعلوا هذا في أي يوم ما ، فإن الأكثر فقراً منهم يعانون بشدة ، وإذا استمر هذا طويلاً فسوف تهلك هرمز .

بسبب هذا توجد خزنات كبيرة ؛ لكي تمد الجنود في تلك الظروف . بدأت المدينة كلها تشعر بأثر غياب الطرّادات التي لم تصل لأيام عديدة ، وأصبحت الأزمة حادة جداً ، لدرجة أن السكان المحليين كانوا يحفرون في أماكن عديدة من أجل الماء .

وجدوا بعضاً منه في مكان يسمى (كارو) "Caru" ، الذي اعتقد الكثيرون أنه معجزة ؛ لأن جزيرة هرمز لديها ملح أكثر من الأرض ، وفي الحقيقة تبدو المنطقة كلها مالحة ، وتشتم منها رائحته . لذلك لكي نجد الماء العذب هناك في وقت كهذا كان يُعتبر نعمة خاصة من الله وأعجوبة كبرى .

كانت ذريعة "قمبر بيك" من أجل الذهاب للإغارة على قلعة هرمز هي أنه بينما كان من عادة ملوك هرمز سابقاً أن يدفعوا مبلغاً معيناً من المال (الذي يسمونه مُقريات) "macarrarias" لملوك "لار" ؛ لكي يوفروا الحماية للقوافل التي تمر من خلال هذه المملكة في طريقها إلى هرمز ، ولقد مرَّ هذا الالتزام إلى تاج البرتغال معاً مع دار الجمارك التي قدمها ملوك هرمز إلى ملوك البرتغال .

عندما غزا الشاه مملكة "لار" في أعقاب الاضطرابات وأعمال الشغب هناك ، لم يُطلب هذا المبلغ السنوي ، المقريات ، من دار جمارك هرمز ، وقد مرَّت مدة سبعة أعوام منذ أن تم دفعها .

حينما أصبح "قمبر بيك" حاكماً ومسؤول خزانة مملكة "لار" ، وتم جعله على علم بالمبلغ الذي اعتادت أن تدفعه مملكة هرمز ، أرسل مرات عديدة لكي يطلبه ، الأمر الذي لم تستطع أن تفعله هرمز ؛ لأن الموظفين تشبثوا ، كما اعتادوا ، بحرية عدم دفع هذا السداد ؛ لأنهم لم يفعلوا هذا لمدة سبعة أعوام التي لم يتم طلبهم بالسداد فيها ، ومع ذلك ، فإنهم أبلغوا "غوا" ؛ لكي يعرفوا ما يجب أن يفعلوا بشأنه .

في هذا الوقت كانت هناك اضطرابات عديدة وأعمال شغب في "غوا" ؛ بسبب مجيء الهولنديين الذين كانوا يهاجمون الساحل ، ليس

فقط في الهند ولكن أيضاً في الجنوب ، ولم يكن مفاجئاً أن الإجابة لم تأت بالسرعة التي يتطلبها الموقف ، ربما بالاعتقاد بأنه لا يوجد خطر في التأخير ، إلا أن "قمبر بك" لم يُقبل بالسرعة التي يتطلبها الموقف ، ربما بالاعتقاد بأنه لا يوجد خطر في التأخير .

إلا أن "قمبر بيك" لم يُقبل على هذه المماطلة بشغف وأرسل سفيراً ، مهدداً بأنه إذا لم يتم دفع المبلغ المُدان به ، فإنه بإمكانه أن يصل ؛ لكي يأخذه بطريقة أخرى ، وجاء فعل ذلك ، واضعاً في خطر ليس الفقراء فقط ولكن أيضاً كرامة وشهرة البرتغاليين .

أرسل قبطان هرمز رسالة إلى "قمبر بيك" ؛ لكي يشكو عن الإساءات التي ارتكبت ضده هو وملك هرمز ، في وقت كان فيه الشاه مدعياً تلك الصداقة والسلام مع ملوك البرتغال .

قال بأنه إذا لم يُغير طرقه ويعاقب هذه الأفعال ، فإنه لا يوجد سبب لكي يخفي الكراهية والنية السيئة في السلام المختلف والصداقة .

أجاب "قمبر بك" أنه إذا كان هناك أي خطأ في هذه القضية التي يُصر على أنها ليست ملكه ؛ لأنه قد أرسل في مرات عديدة ؛ لكي يطلب المقُرريات التي دفعتها مملكة هرمز في الزمن الماضي إلى مملكة "لار" ؛ من أجل الحماية المعطاة لقوافلهم ، وعلى الرغم من أن القوافل كانت محمية بطريقة أحسن من وقت الشاه ومن أي زمن آخر .

إن ملك هرمز وموظفي الجمارك لن يدفعوها ولا يمكن لهم أو سيادته أن يقدموا أي امتيازات ؛ لكي يساعدوا سفيره ، الذي قد تم الاحتفاظ به في هرمز لمدة ثمانية أشهر دون إعطائه مالاً أو رداً ، يجب على سيادته

أن يأمر بأنه يجب أن يتم دفع المقرريات ، ويجب أن يعود إلى "لار" في الحال ؛ لأنه لا يملك أي إذن من الشاه ، وليس لديه رغبة في شن الحرب على البرتغاليين .

عند استلام هذا الرد ، قرر السلطان مع موظفي خزانته ، أن يدفعوا له المال المدينين له به ، الذي من المحتمل أن يصل تقريباً إلى مبلغ ألفي كروزادوس" بالعملة البرتغالية .

بناءً على ذلك أخبره أنه عندما يشاء في أي وقت يمكنه أن يرسل شخصاً ما ؛ لكي يُحصي المال الذي كان طالباً له ، وتخيَّل أنه ليس هناك أي خداع مُختبئاً وراء كلمات "قمبر بيك" ، ولكنه في هذا كان مخدوعاً جداً ؛ لأنه تحت هذه الكلمات الجميلة التي لا يفتقر إليها المسلمون ، فإنهم يخفون خدعة ماكرة ، مثلما فعل "قمبر بك" في هذه المناسبة .

ذلك لأنه قد عقد اتفاقاً مع عرب المضيق الذين كانوا مناوئين جداً للبرتغاليين ، وهم أيضاً على حق ؛ لأن أسطولنا الذي عادة ما يرافق القوافل البحرية القادمة من البصرة لحراستها حتى هرمز في المضيق الذي يأخذ اسمه من البصرة ، والذي يسميه القدماء "الخليج الفارسي" ، يكون أفراده قاسين جداً في تعاملهم مع طرّدات العرب ، الذين هم عادة ما يكونون لصوصاً ، وبخاصة أولئك الذين هم من قرية "نخيلو" .

منذ وقت قريب ، في زمن "ديوجو مونيس باريتو" "Diogo Mones Baretto" ، وفي زمن "د . بيدرو كوتينهو" تم إغضابهم من قبل القوات البرتغالية ، الذين قللوا من مكانتهم إلى حالة لا يجرؤ فيها أي عربي على الإبحار في المضيق دون جواز سفر ، أو رسائل من قبطان هرمز ، وعد هؤلاء

الناس "قمبر بك" بأنهم يمكن أن يهاجموا جزيرة هرمز في ليلة واحدة ، ويخربوا وينهبوا المدينة .

بعد ذلك يستيع أن يُبلغ الشاه في حالة إذا أراد أن يستمر في محاصرة القلعة ، إذا لم يكتفوا بالغنيمة التي تمنوا أن يحصلوا عليها من المدينة ، التي تخيّل لهؤلاء المسلمين أنها الأغنى في الشرق بأكمله .

بهذا الغرض وفي سرية تامة حشدوا خمسة وثمانين طرّاداً ، مزودة جيداً بالرجال المقاتلين ، جميعهم من رُماة السهام وحاملي البنادق ، وتوقعوا عدداً كثيراً ، وكان يجب على "قمبر بك" أن يصرف انتباه البرتغاليين عن هرمز إلى قلعة "غومبرون" ؛ لكي يمكن أن يتم تقسيمهم ، وهناك تتم مغادرتهم بأعداد أقل ؛ لكي يمكن أن يدافع عن هرمز .

كان جميعهم متأكدين أنه مع تواجد "قمبر بك" قريباً جداً من قلعتنا ، لا يمكن لسفننا أن تتركها ، ولذلك لن يتمكنوا من منع طرّادتهم من التجمع في سرية وبالسلامة التي تمنوها ، ولذلك حينما يتم حشدهم يستطيعون أن يقوموا بهجوم مفاجئ على الجزيرة في ليلة واحدة ، ناهبين ومُخربين المدينة .

من الممكن أن يحدث كل هذا مثلما خططوا له ، لو لم يمنع الإله هذا الحدث المأساوي بطريقة أخرى (كما سوف نحكي عنه) ؛ لأن البرتغاليين الذين لا يخافون شيئاً من البحر كانوا مهتمين بالدفاع عن قلعة "غومبرون" ، ولم تقم قواربنا السريعة بأعمال الدورية في المضيق مثلما فعلوا في العادة ؛ لأن رجالهم كان محتاجاً إليهم لتعزيز القلاع عند الضرورة .

استمر "قمبر بيك" في سياسة مخادعته ، راداً على رسالة القبطان بأن سيادته كان يتصرف كما يجب ، ولا عليه دفع أموال "المقرريات" ولكن ملك هرمز يجب أن يأمر بأن يتم إعطاؤه بعض التعويض عن مصروفات مجيئه إلى هناك مع ذلك الحشد من الجنود ، ويمكنه بعد ذلك أن يترك جزيرة قشم في سلام ويعود برجاله إلى "لار" .

بالإضافة إلى هذه الرسالة ، أرسل حصاناً هديةً إلى القبطان وآخر إلى الملك ، مع رسالة بلاغية جداً كان محتواها أنه يطلب من الملك ما قد سأله للقبطان .

أرسل خيولاً أخرى إلى رئيس الخزانة ، الذي كان "فرانسيسكو دي جوفيا" ، والذي يحمل شهادة في مجال تخصصه ، وإلى موظفي جلالته ، مُخبراً إياهم جميعهم بأنه ليس في نيته أن يعلن الحرب على البرتغاليين ، والذي كان صديقاً حميماً لهم ، وأنه لم يغادر "لار" من أجل ذلك ، لكن ليطلب ماله عن قرب ؛ لأنه لم يحصل عليه وهو بعيد عنه .

كان القبطان وسكان هرمز مسرورين بهذا ، وكانوا مقتنعين تماماً بأنه ليس لديهم أي شيء يخافونه ، و"قمبر بيك" كان منطقياً في مطالبه . اعتقدوا أن ملك هرمز يجب عليه أن يرسل المال الذي كان طالباً إياه ، والذي هو مبلغ ألفَي كروزادوس" أُخريات ، الذي يصل من المقرريات إلى أربعة آلاف .

أخبروا "قمبر بك" بهذا ، وطلبوا منه أن يرسل شخصاً ما ؛ لكي يجمعه .

ذلك لأنه لم يكن يتصرف بحُسن نية ولكن بمكر شديد ، تظاهر بأنه مندهشٌ أن ملك هرمز كان آمراً بأن يتم إعطاؤه ألفَي "كروزادوس" في صورة مستحقات ، وأن يُعطي القبطان مبلغاً إضافياً بمقدار ألفين على أنه مُقرريات .

أخبر الرسول أن قبطان هرمز لا يستطيع أن يفهم فيما إذا كان يأمل في إرضائه بمبلغ الألفَي كروزادوس ، الذي كان لمدة سنة واحدة ، عندما كان مديناً للشاه بمستحقات سبعة أعوام ، التي وصلت إلى أربعة عشر ألفاً ، وأنه عندما قد أعطى كلمته ؛ لكي يوقف القتال ويسمح للقوافل بالمرور كما كانت من قبل ، كان بشرط أنه يجب عليه أن يكون مسدداً لجميع المقرريات والمستحقات ، وليس لسبع واحد فقط منها .

سبّب هذا الرد من "قمبر بيك" شعوراً بالذهول والخوف في هرمز ، وأثار عدداً كبيراً من الإجابات : رأي بعض الناس ، على الرغم من أنه لم يتم رؤيتهم تماماً من خلاله مكره ، أو أنهم لم يقتنعوا به ، أن الدفع يجب أن يتم إعطاؤه إلى "قمبر بيك" في شكل مسحوق بارود وقذائف مدفع ، التي تعوَّد البرتغاليون في الماضي على إعطائها في ظروف مشابهة .

كان هذا في الحقيقة رأياً حكيماً ؛ لأن "قمبر بيك" لا يمتلك عدداً كافياً من الجنود معه ؛ لكي يحمل السلاح ويواجه البرتغاليين ، ولكي يعاقب جزءاً كهذا من الغطرسة يجب أن يتم تجنبه عدداً كبيراً من الآخرين الذين هم ، أو يمكن أن يُصبحوا حدثاً شائعاً في هرمز ؛ لأنه في أي وقت أراد حاكم "لار" بعض المال وجب عليه فقط أن يأتي بعدد قليل من البنادق ومعسكر بالقرب من قلعتنا في "غومبرون" .

وباستطاعته أن يكون متأكداً بأنه يمكن أن يتم سؤاله في الحال عن مقدار المبلغ الذي يريده ؛ لكي يذهب بعيداً عن المكان . على الرغم من أنها ليست وظيفتي أن أعالج مسائل من هذا النوع ، فقد كانت محنتي شديدة في الطريقة التي تناولت بها الوضع ، لدرجة أنه ليس من المستغرب إذا صعب عليَّ إدراكها قليلاً ، وبخاصة بعد أن سمعت ما أخبرني به المسلمون الذين هم مواطنون من أبناء "لار" حينما رجعت ، أنهم أعداء للفرس الذين يضطهدونهم الآن .

كانوا حانقين جداً أن يروا أن البرتغاليين لم يمزقوهم إرباً عندما كان لديهم فرصة حسنة كهذه ؛ لكي يفعلوا هذا ، ولكنهم اتخذوا اتجاهاً أكثر سلماً وأقل خطورة ، وكم كان مُشرفاً ، ولنترك من يقرُؤه يحكم عليه . أعطوا "قمبر بك" كل الذي قد طلبه شريطة أن يعيد الجزيرة إلى ملك هرمز ، ويهدم القلعة التي بنوها ، ويكف عن إعاقة طريقة القوافل .

لم يكن من السهل أن يتم جمع مبلغ من المال كهذا في هرمز ، في وقت لم يكن هناك من سفن ؛ لكي يتم التعامل معها من خلال دار الجمارك ؛ لأنه كان ذروة الصيف هناك حينما يكون في الهند شتاء ، ولم يحدث إبحار . إلا أن الملك أصدر أوامراً من أجل أن يتم جمع مبالغ كثيرة من المال بقدر المستطاع ، وأن يرسل بعضاً منها على الفور إلى "قمبر بك" .

كان يجب عليه أن يتسلم البقية بدون الرجوع إلى الجزيرة أو تدمير القلعة مثلما قد وعد ؛ لأنه كان فقط منتظراً الطرّادات العربية ؛ لكي تتجمع للهجوم في هرمز ، كما قد تآمروا معاً . لم يهتم سكانها بهذا ،

واثقين في كلمة "قمبر بك" ، ولكنه لم يكن قادراً على أن يحقق هدفه ، ولم يتجنب العقوبة التي يستحقها من أجله في اليوم التالي .

عندما وصل البرتغاليون الذين زاروا أصفهان ليبيعوا بضاعتهم إلى "لار" ، وتم منعهم من الاستمرار في الزيارة ، كما قيل سابقاً ، تم إخبارهم أن "قمبر بك" قد استولى على جزيرة قشم وبنى هناك حصناً ، على مقربة من الحصن البرتغالي في "غومبرون" ، وكان مانعاً جميع القوافل من الوصول إلى هرمز .

سمحوا في الحال لجميع الآباء الرهبان الذين يعيشون في أصفهان أن يعرفوا ماذا كان حادثاً ، ولكن ليس عن مكائد "قمبر بك" والعرب فيما يتعلق بـهرمز ؛ لأنهم لا يعرفون شيئاً عنهم ، وأنا أيضاً لا أعرف عنهم حتى ذهبت إلى "لار" مؤخراً بعد أشهر عديدة .

أخبرني الآباء بما عرفوه بمجرد أن وصلت ، وشاء الله أيضاً أن وصل الشاه مؤخراً بعد عدد قليل من الأيام محضراً معه "فيردي" خان سلطان شيراز الذي بموجب أمره كان "قمبر بك" حاكماً على "لار" ، على الرغم من أن الشاه قد منح تلك المملكة إلى ابنه الإمام "كولي" خان .

بمجرد أن وصل الشاه ذهبت ؛ لكي أُقبل يده ، ثم طلبت منه إذناً للذهاب إلى هرمز .

عندما أخبرني أنه قد أعطاه في وقت سابق أجبت : "إن سموكم قد أعطاني إذناً بأن أذهب ؛ لكي أحمل رسالة منكم إلى قداسة البابا الروماني الكاثوليكي وملك إسبانيا ، بالإضافة إلى السفير الذي

أرسلتمونه معي ، فهذه هي الأشياء التي لا أستطيع أن أفعلها ؛ بسبب المعلومات التي قد تسلمتها منذ مجيئي إلى هذه المدينة" .

عندما سألني : ماذا كانت هذه ، قلت له : "سوف يعرف سموكم أن "قمبر بك" ، حاكم "لار" ، قد أحدث مؤخراً تحركات ؛ لكي يحدث قلقاً لأراضي ملك هرمز ، وقد بنى حصناً على مقربة من قلعتنا في "غومبرون" التي يقوم منها بإيقاف القوافل من الذهاب إلى هرمز . غير مُكتفٍ بهذا ، أنزل بعض قواته بشكل سري في جزيرة قشم ، وقد سيطر عليها .

لم يفعل ذلك البرتغاليون الذين قد تمكنوا بسهولة من منعه ؛ لأنهم لا يخشون شيئاً من رعايا سموكم ، معتقدين أنه حينما كان هناك ذلك الدليل على السلام والصداقة بين ملك إسبانيا وسموكم ، فإنه ليس هناك حاجة ؛ لكي نأخذ الحذر والحيطة من رعاياكم" .

لكن حيث كان ملك إسبانيا والحكام المسيحيون مخدوعين بمظاهر الصداقة ، القائمة على تعدد السفارات المرسلة والمُستقبلة من قبل سموه ، بدلاً من قيامها على أفعال الصداقة الحقيقية مثل الحكام المسيحيين الذين استحقوها منه ، فإنني رأيت أن سفارات (بعثات) أخرى هي بدون فائدة ، ولذلك أعلنت لسموه أنه من ذلك اليوم فصاعداً ، أنني لست سفيراً ولا يجب أن أقوم بمهمته . يجب أن يوافق سموه على هذا ؛ لأنه كان صحيحاً أن أقوم بواجبي تجاه ملك إسبانيا الذي أنا رعيته .

كان الشاه غاضباً من كل ما قد قلته له ، والشروط التي قد عبرت

بها عنه ، ولكن بتعبير أكثر وداً مما شعر به في قلبه ، ردَّ : "لو كنت في مدينة أصفهان ، منشغلاً بالصيد والمطاردات الهادئة الأخرى ، ولم أعرف ماذا كان "قمبر بك" وكل رعيتي يفعلون ، يمكنكم أن تحصلوا على سبب قوي ؛ لكي تشكونني .

لكن عندما أقوم بزيارة المناطق الحدودية لمملكتي ، حارساً إياها من سلطان الأتراك وغير مفكر في شيء إلا في الحرب التي سوف أشنها عليه ، كيف يكون من المستطاع توجيه اللوم إليَّ على عدم معرفتي عن أخطاء "قمبر بك" التي يرتكبها ضد ملك هرمز؟

كيف تستطيعون أن تتقدموا ضدي بالشكوى ؛ لكي أظهر أسفي على كل ما حدث ، إذا أنا أعطيتكم كل الرضا الذي يمكنكم أن تطلبونه ، عن كل من "قمبر بك" وجميع الآخرين الذين هم مذنبون في هذه القضية؟ إذا تم معاقبة "قمبر بك" كما يستحق ، فإنه لن يوجد أي سبب يوجب عليكم ألا تفعلوا ما قد أمرتكم به ، أو يوجب أن تتخلوا عن مسألة لها تلك الأهمية من أجل حدث صغير ؛ لأنني لا أريد إجابة أخرى" .

كنت مُقتنعاً بما قاله لي الشاه ، ولذلك أخبرته أنني أعرف أن سموه لا يمكن أن يكون له أي دور في تلك الأمر سوى الاستياء من رؤية أن رعايا ملك إسبانيا قد تم مضايقتهم من قبله ، ولكن ما شعر به سموه كان خاصاً ، والإساءة التي قد تلقاها رعايا جلالته كانت عامة .

صحيح أنه لو كان التعويض الذي وعدني به سموه عاماً أيضاً لتم

إعادة كل شيء ، ولكن يجب عليَّ أن أعرف من قبطان هرمز ما طلبه من رضا من "قمبر بك" ، وبعد ذلك يمكنني أن أُجيب سموه .

وافق على ما قلته ، واستدعى "فيردي" خان ، سلطان شيراز ، الذي قد جاء معه من الجيش ، كما قلت ، وأخبره بالتفصيل ، وهو مملوء بالدهشة ، عما قد فعله "قمبر بك" ، وقال : إنني يجب أن يتم إعطائي جميع التعويض الذي طلبته ، ويجب أن يتم معاقبة وقاحته كقبطان لـهرمز ... ، ورجوت ذلك .

وعد "فيردي" خان بأن يفعل كل الذي أمر به سموه ، وتحوّل إليّ مخبراً بأننا يجب أن نلتقي ؛ لكي يمكنه أن يعرف ما أردته ، وأن يتم تنفيذ كل شيء كما أردت .

بعد أن حصلت على إذن من الشاه ، ذهبت في نفس ذلك المساء ؛ لكي أزور سلطان شيراز .

كان أول شيء اتفقت معه عليه هو أننا يجب أن نرسل في الحال اثنين من المبعوثين في مهمة برسائل إلى "قمبر بك" ، رسالة مني وأخرى منه ، التي وبَّخه فيها السلطان بقسوة مع تهديدات لما قد فعله ، مُخبراً إياه عن استياء الشاه ، وآمراً إياه بذلك عندما يهدم الحصن الذي قد بناه ، ويُعيد جزيرة قشم إلى ملك هرمز ، ولا يقول أي كلمة عن المستحقات أو المقرريات ؛ لأن الشاه لم يرد أن يتم طلب تلك في حالة الحرب .

كتب أيضاً رسالة مُنمقة إلى قبطان هرمز ، ناقلاً أسفه على تجاوزات "قمبر بك" ، وقائلاً : إن الشاه ترك مسألة العقوبة له ، التي يمكن أن يفرضها طبقاً لرأي القبطان ، مع كل شيء طلبه ، ولكي يتجنب

الخلافات بين أتباع الملوك الذين هم على تلك العلاقات الودية ، يجب عليه أن يستمر في دفع المقرريات مثلما قد فعل حتى يُصبح الشاه صاحب السلطة (لورد) على مملكة "لار" .

أعطاني هذه الرسائل وجعلهم يقرؤونها أولاً في حضوري ، ثم طلب مني أن أكتب إلى قبطان هرمز وفقاً لها ، لأتجنب سوء الفهم ، وعدته بأنني سوف أكتب ، وقلت : إنني أعتقد أنه لن توجد أي صعوبة في تنفيذ التزام لتلك الفترة الطويلة ، ولكن لا بد أن ينتظروا رسالة من نائب الملك في الهند التي بدونها لا يستطيع قباطنة هرمز أن يحدثوا تغييراً .

هنا لاحظ السكرتير أنه من الضروري أن ندفع المستحقات لمدة سبعة أعوام ، طول الفترة الزمنية ، منذ أن احتل الشاه مملكة "لار" ، التي لم يتم فيها دفع المستحقات .

أجبت أنه ليس من العدل للموظفين الحاليين أن يكونوا ملزمين أن يُسددوا ما كان مديناً به أولئك الذين كانوا سابقين عليهم في الماضي ، إنهم يجب ألا يدفعوا ما قد تم طلبه منهم ، ويمكنهم أن يؤدوا لي معروفاً حسناً إذا أمروا بألا يقال شيء عن مستحقات السنوات الماضية حتى لا تحدث تغيرات ، ولكن ينبغي أن يبدؤوا في تحصيلها عن العام الحالي .

اعتقد السلطان أن طلبي كان قانونياً ، ولم يفعل أي صعوبة في الإقرار بصحته ، وأمر بأن يتم إصدار إعلان رسمي بأن كل التجار الذين قد تم احتجازهم في "لار" يجب أن يواصلوا سيرهم على هرمز بأمان .

غادر المبعوثون برسائلهم ، حاملين تلك التي قد كتبتها إلى القبطان والموظفين الآخرين في هرمز ؛ لكي أخبرهم بكل الذي دار بيني أنا

وبين الشاه وسلطان شيراز ، حاثاً إياهم على الحاجة إلى دفع المقرريات من ذلك العام فصاعداً ، وسائلاً قبطان هرمز عما هو التعويض الذي يمكن أن يكون كافياً ؛ لكي يحصل عليه من "قمبر بك" ، مثلما قد وعد الشاه ؛ لكي يُعطيني كل الذي طلبته ، إلا أن هذه الأمور كانت غريبة على وظيفتي ، وليس لدي أي رغبة ؛ لكي أتناولها بما يجب أن أفعله .

وصلت هذه الرسائل إلى "قمبر بك" تماماً حينما كان مبحراً على ظهر سفينة ، بالخطط السرية التي قد ذكرتها ، وبعد مرور عدد قليل من الأيام قبل أن يتسلم مبلغ المال الذي قد تم الاتفاق عليه ، ولذلك أوقف الرسائل وجعل المبعوثين الذين أحضروها ينتظرون حتى تمَّ السداد .

لكنه لم يماطل كثيراً جداً ، لدرجة أنه كان مُجبراً على أن يهدم الحصن ويسلم الجزيرة قبل أن يتسلم المبلغ بأكمله ؛ لأن المسألة بدأت تنكشف ، وحقيقة أنه لم يكن معروفاً في هرمز قبل مغادرة "قمبر بك" ، الذي كتب إلى الملك وقبطان القلعة بأنه قد فعل ما قد طلبوه منه بإعادة الجزيرة وتدمير الحصن ، على الرغم من أنه لم يتم بعد دفع المبلغ الكامل الذي قد تم الاتفاق عليه .

تمنى أن يتم إعطاء البقية لخادم قد تركه في هرمز ؛ لكي يجمع ما كان مفقوداً ، وكان عائداً إلى "لار" ؛ لأنه عرف أن إقامته في ذلك المكان من الممكن أن تكون مزعجة للمقيمين لدى هرمز .

بهذا غادر واضطر إلى أن يكون راضياً بالمال الذي قد حصل عليه ؛ لأن خادمه في هرمز لم يجمع شيئاً . أعلم "قمبر بك" العرب الذين

كانوا في "كونج" أنه لا يستطيع أن يُنقذ نواياه ؛ لأن الشاه وسلطان شيراز كانوا معارضين لحرب ضد سكان هرمز .

شعر الناس بالراحة والسعادة عند مغادرته ، والحقيقة هي أنهم اعتقدوا أن سبب ذهاب "قمبر بك" هو المال الذي قد تسلمه ، وأنهم لا يعرفون شيئاً عن الخطر الذي أنقذهم منه ربنا الإله ، من خلال اجتهاد الآباء الرهبان وأنا بنفسي . لقد كانت نوايا "قمبر بك" مختلفة جداً ، ولكن الإله ربنا منح تلك العناية الحسنة للبرتغاليين في الهند ، لدرجة أنه عندما تعجز وسيلة ، فإنه يبحث عن أخرى ، وأنه أنقذ هرمز من خيانة "قمبر بك" والنية السيئة لدى العرب .

الفصل السادس عشر : عن كيف زار الشاه ديرنا ، ومعاقبة "قمبر بك" ، ورحيلي إلى مدينة هرمز . ما إن تم شعور مدينة هرمز بالارتياح من الحصار الذي فرضه "قمبر بك" ورجاله ، وتم فتح الطريق إلى بلاد فارس ، حتى بدأت القوافل في السفر مرة ثانية مثلما كانوا في الماضي .

تسلَّمت رسائل من قبطان هرمز والآباء في ديرنا ، الذين أعطوني أخباراً بالتفصيل عن كل شيء قد حدث في هرمز ، ولكنهم لم يعطوا رداً على الرسائل التي قد كتبتها ، ولم يتسلم سلطان شيراز أي رد على رسائله .

قادني هذا ؛ لكي أفترض أن "قمبر بك" لم يتسلمها ؛ لكي يجمع المال الذي تمّ إعطاؤه إليه في هرمز ، ولذلك ، فإن ما قد تمَّ الاتفاق عليه بين سلطان شيراز وبيني أنا بنفسي لم يكن معروفاً ، وعندما دققت في

هذا كثيراً وجدت أن هذا هو الحقيقة ، كما تخيلت ، وأخذت الرسائل التي قد جاءت من هرمز مع المبعوث الذي قد أحضرها ، ذهبت بحثاً عن السلطان .

شكوت مرة ثانية من "قمبر بك" ، موضحاً له من خلال الرسائل وحاملها أن لا أحدَ منا –سواء هو أو أنا–قد وصل إلى هرمز ، وكان من الواضح أن "قمبر بك" قد تظاهر وأخفى الرسائل ؛ لكي يجمع مالاً أكثر مما قد تم الاتفاق عليه بيننا .

كان السلطان غاضباً بشدة من "قمبر بك" ، وأخبرني أن غطرسته قد ضايقته من قبل ، وأنه استحق مزيداً من العقوبة ؛ لأنه لم يكن راضياً عن إساءاته الماضية التي هو أضاف إليها إساءات جديدة ، لكن ؛ حيث إن هؤلاء المسلمين يتعاملون بالخداع أكثر من الحقيقة (على الرغم من أنه إذا تعامل أي مسلم بالحقيقة ، فإنه هو سلطان شيراز هذا) ، لم أرد أن أتركه بدون رسالة تذكره ؛ لكي يعاقب "قمبر بك" ؛ بسبب أهمية هذا لمكانة الدولة ؛ لكي يتجنب وقاحة أخرى .

من الناحية الأخرى ؛ نظراً للتأخير في تسلُّم رد من قبطان هرمز على الرسالة التي قد كتبتها إليه ، أخبرت السلطان أن عقوباته عادة ما كانت قاسية جداً ، وأنه على الرغم من أن "قمبر بك" استحقها ؛ بسبب تجاوزاته ، فإنني لم أرد أن يُقال : إن تلك العقوبات كانت مفروضة بناءً على طلبي ، لدرجة أنني يجب أن أكون راضياً بواحدة معتدلة ، ولكن عادلة ، ولأن "قمبر بك" قد أساء استخدام سلطته في مملكة "لار" ، فيجب أن يكون محروماً منها .

يجب أن يكون قبطان هرمز وأنا مقتنعين بهذا ، وأولئك الذين خلفوا "قمبر بك" في تلك الوظيفة يجب أن يتم تحذيرهم بألا يرتكبوا أفعالاً وقحة مشابهة . أجاب السلطان أنه سعيد أن يفعل كما طلبت ، ولكنني أوضح أنها كانت عقوبة بسيطة جداً لهذه المخالفة الخطيرة جداً ، وأنني يجب أن أعرف أنه لن تتم إطاعة أي أمير بإخلاص إذا لم يكن خائفاً جداً .

على الرغم من أن الاعتدال دائماً ما كان ممدوحاً في أولئك الذي يحكمون ، فإنه غالباً ما أحدث تدمير دولة عندما تسبب ثقة التسامح الخوف من ارتكاب جرائم خطيرة ؛ لأنني أصدرت حكماً على "قمبر بك" بفقدان وظيفته ؛ بسبب عدوانه تجاه هرمز ، دون إذن منه ، فإنه يجب أن يحكم عليه بمصادرة جميع ممتلكاته ؛ بسبب الاستيلاء على المال ضد أوامره ، وبحرمانه من وظيفته وممتلكاته ، يمكن أن يكون قدوة حسنة؟ يمكن للرعايا أن يطيعوا مسؤوليهم .

وافقت على ما قاله السلطان وشكرته على مساعدته ، ليس فقط لي ولكن لجميع أهالي هرمز ، في إظهار استيائه مما قد فعله "قمبر بك" ، لكن كان لدي معروف واحد زيادة على ذلك لكي أسأله عنه ؛ ليعرف جميع مقيمي هرمز نية سيادته الحسنة نحوهم . كان هذا ؛ لأن جزيرة هرمز لديها تجارة كثيرة جداً مع البر الرئيس ، التي تعتمد عليها جميع خدماتها .

كما يعرف سيادته جيداً ، فإنه من الضروري لخدم وعبيد البرتغاليين أن يذهبوا إلى هناك ؛ لكي يحصلوا على أي شيء يحتاج إليه أسيادهم ، الذين لا يجرؤون على معاقبتهم . إذا فعلوا هذا ، على الرغم من أنه قليل ، فيمكنهم أن يهربوا ويسرقوا أي

أموال وبضائع يقدرون على حملها ، ثم يتم استقبالهم وإعطاؤهم مأوى من قبل السلاطين وحكام تلك الأراضي ، بذريعة أنهم يرغبون في أن يصبحوا مسلمين .

كان هذا ضاراً جداً بالمدينة ، وتوسلت إليه بحماس شديد ؛ لكي يتفضل بمنحي مرسوماً مُحرماً السلاطين وحكام البر الرئيس ومملكة "لار" ، استقبال وإعطاء مأوى لأي عبد أو أسير منتم إلى برتغاليي هرمز ، وإذا فرَّ أي أحد إلى هناك ، يجب عليهم أن يأمروا بأن يتم تسليمه إلى قبطان "بندر" "Bandar" المقيم رسمياً في قلعة "غومبرون" .

اعتقد السلطان أن التماسي كان عادلاً ، وأمر سكرتيره أن يصدر المرسوم بالصيغة التي قد استخدمتها ، وقال : إنه متفق كثيراً مع ما طلبته منه .

حصلت على إذن بالمغادرة من السلطان ، موضحاً كما كنت شاكراً لمساعدته وللأفضال التي قد أسداها لي ، وكذلك بالمثل نيته الحسنة تجاه جميع البرتغاليين .

ذهبت أيضاً لكي أحصل على إذن بالرحيل من الشاه ، مؤكداً كم كنت مسروراً من سلوك سلطان شيراز في مسألة "قمبر بك" ، وقائلاً : إنه لم يكن مندهشاً أن سموه حقق عدداً كبيراً جداً من الانتصارات ؛ لأنه كان لديه قبطان حكيم جداً ، وذو خبرة مثل سلطان شيراز .

لقد كان الشاه مُبتهجاً مما قلته ؛ لأنه كان مُغرماً جداً بهذا السلطان . سألني عما هو اليوم الذي أكون فيه مغادراً ، وأخبرته أنني كنت منتظراً فقط عيد ميلاد سيدنا المسيح ، الذي كان في اليوم التالي .

"إنكم تحتفلون بميلاد المسيح غداً" قال الشاه ، "لكن الأرمن لا يحتفلون به في ذلك معكم" ، وبأنه كان هناك اختلاف ، ولكن أخبرته أنه من المهم قليلاً أن أمة واحدة يجب عليها أن تحتفل في يوم واحد ، وأخرى في يوم آخر ؛ لأن نية كل منهما هي تعظيم وعبادة الله التي كانت الغرض الرئيس للاحتفال المسيحي وقتئذ .

سأل الشاه عما إذا كنا نحتفل بهذا العيد في دولته مثلما نفعل في دولتنا ، وأخبرته أنه في دولنا ملوك وأمراء ساعدونا ؛ لكي نحتفل بحضورهم شخصياً بأنفسهم ومع نبلائهم .

"لا أريدكم أن تُضيعوا فرصة ذلك" قال الشاه ، "وغداً سوف أذهب إلى بيتكم في المساء" . قبّلت يده على المعروف ، مُعتبراً إياه معروفاً مهماً .

عند هذه النقطة مشى واحد من رفاقي إلى آخر وهمس إليه : "يوجد شيء ما أيضاً قد افتقدناه ، الذي لا يمتلكه هؤلاء المسلمين ، وذلك هو خنزير ، مثلما نفعل في البرتغال" . أبصرهم الشاه وهما يضحكان ويتحدثان بهدوء ، وكان شغوفاً أن يعرف عن كل ما كانا يتحدثان به .

سأل الأب "غيوم" "Guillaume" الذي هو أحدهما : ماذا كانا يقولان سراً؟ لكن الأب لم يجرؤ على أن يُخبره ، وتأسف أنه قد تحدّث بشكل سخيف في حضوره ، ولكن الشاه أصرَّ ، وعندما أخبرني ما قد حدث استدرت إلى الشاه وقلت : عندما سألنا سموه عما إذا كنا نحتفل بهذا العيد كما نفعل في دولتنا ، تذكر أحد الآباء الخنازير التي عادة ما يتم ذبحها في ذلك الوقت ، هذا الذي لا نستطيع أن نفعله هنا ؛ لأنه لا يوجد واحد منها هنا .

"إنك مخطئ" قال الشاه "إننا فعلاً نمتلكها في هذه الدولة ؛ لأن أمير الجورجيين أرسلها إليّ ، ولست أعرف كم عددها ، والتي أحتفظ بها في قرية على مقربة من هنا" .

ونادى على كبير الخدم ، وأمره أن يعطينا بعضاً من الخنازير التي لديه في تلك القرية التي لا أعرف اسمها بالضبط .

تم فعل هذا في نفس ذلك اليوم ، وأحضر واحداً منهم إلى بيتنا ، ومع أصوات الشكوى التي أحدثها على طول الطريق ، وطرفة المنظر غير المألوف ، تجمع حشد من الناس في الدير ؛ حيث تم ذبحه بفرح شديد على يد البرتغاليين ، الذي تصادف أن كانوا هناك .

كان هناك عدد كبير جداً من المسلمين عابسي الوجوه ، الذين أرادوا نصيبهم للحد الذي اضطررنا فيه أن نطلب من رئيس الخدم أن يُرسل إلينا واحداً آخراً (خنزيراً) . صحيح أن زعماءهم كملالي أو رجال دينهم كانوا غاضبين بشدة أن يروا كيف كان دينهم منتهَكاً على الملأ ، في وقت يعتبرونه الأكثر قداسة ؛ لأنه رمضان ، شهرهم للصوم .

لكنه كان يوماً سيئ الحظ بالنسبة لهم جميعاً ؛ لأنه عندما كان مفتيهم الذي كما لو كان رئيس رجال دينهم ، في حضرته ، أمر الشاه أن يتم إرسال بعض الخمرة إلينا كهدية ، ولذلك يجب أن نعرف أنه حسن أن جعل كل أولئك الحاضرين يتذوقونها أولاً .

هو لم يشرب ، ولكن حيث كنت جالساً قريباً إلى جانبه قال له بهدوء : أخبر البابا أنه في يوم صومنا بحضور جميع رجال ديني ورئيسهم ، طلبت خمرة ، على الرغم منهم ومن ديني ، وأخبره كم

أنني قريب جداً ؛ لكي أصبح فرداً مسيحياً ، وعن المعروف الذي أستحقه منه لأسباب عديدة جداً .

عندما أجبت بأنني يمكن أن أفعل كل ما أمرني به سموه ، قال إنني أعدكم به ، الوعد الذي فعلته ، وأمام الله الذي يعرف كل الحقيقة ، ولن أحيد عنه فيما أنا مرتبط به هنا .

لكن هذا ليس سبباً في موجب أن أكون أكثر ثقة ؛ لكي أعد مؤكداً بتحويل هذا الملك إلى المسيحية ، ولكنني أيضاً لا أمتلك إيماناً قليلاً في الخير الإلهي الذي ربما ينوره ويأتي به إلى المعرفة الحقيقية للعقيدة الكاثولوكية المقدسة . على الرغم من أنه توجد وسائل عديدة ممكنة ، واحدة منها هي ما يريده الملك نفسه ، التي أعتقد أنها يمكن أن تكون الأكثر فاعلية ، التي هي وجود طبيب مسيحي ، والذي نستطيع أن نثق فيه (كما قد قلت) .

رجعنا إلى بيتنا راضين بما حدث بيننا وبين الشاه ، ومقدمين الشكر للإله ربنا أن الأمير كان مختلفاً عما قد كان عليه من قبل منذ عدد قليل من الأشهر ، وبنية حسنة نحونا ، لدرجة أنه لم يفعل معنا معروفاً علناً فقط في بيته الخاص ، ولكنه أيضاً رغب في المجئ إلى بيتنا .

قدرنا هذا تقديراً عالياً ؛ بسبب الأرمن الذين تعاملوا معنا ، طبقاً لكيف يتصرف الشاه نحونا ، مُتجنبين إيانا إذا رأوا أن الشاه ليس لديه مودة لنا ، وباحثين عنا عندما يرون أن الشاه يقف بجانبنا .

هذا ليس بمدهش بين رجال هم أكثر تعاسة واضطهاداً ؛ لأنه من الطبيعي لهم أن يخافوا عندما لا يوجد أي شيء يخافونه .

في خلال ساعتين من بعد منتصف يوم من أعياد الميلاد دخل الشاه ديرنا مع الأمير صافي ميرزا وأعيان آخرين في بلاطه في الطبقة العليا ، كان بينهم الأمير "مانوشيهر" خان لورد منطقة من إقليم جورجيا ، مصحوباً ببعض من رجاله .

عندما دخل الشاه الكنيسة خلع نعليه علامة على الاحترام .

لقد زيَّنا الكنيسة بصورة حسنة ، وغطينا أرضيتها بالسجاد ، مع عدد كبير من المباخر الموقدة والبخور ، لذلك كان الشاه ورجاله متأثرين بالنظافة وزخارف المكان .

كان يوجد في المذبح بعض التماثيل المقدسة لسيدتنا "مريم العذراء" ، وللمسيح "فادينا ومُخلصنا" ، التي لاحظها وتفحصها عن كثب ؛ حيث كان مهتماً جداً بالرسم الجيد وقدم الاحترام ... انحنى لكل من هذه الصور .

جلس على كرسي قد أعددناه له ، وجعل رجاله يجلسون على السجاد ، بينما بدأ الآباء الرهبان يُرتلون الصلوات ، بمساعدة بعض البرتغاليين والأطفال الأرمن الذين قد تم تعليمهم في وقت سابق . أنشدوا بمصاحبة القيثارة وآلات موسيقية أخرى مثل "الهاربسكورد" السيتار ، التي بيّن الشاه ورجاله أنهم استمتعوا بها كثيراً . قام الأمير "مانوشيهر" خان من مقعده ، وذهب إلى فرقة المنشدين مبيناً ذلك السرور لدرجة أنه –مثلما أخبرنا–اعتقد أنه في جنة .

أراد الشاه أن يسمع غناءً على القيثارة في أماكن أقرب ، وأحضر له الموسيقيون القيثارة ، ثم جلس على واحدة من درجات المذبح ، ولم

يلاحظ أحد منا هذا ، ولكن الشاه فعل ، قائلاً : إنه لم يكن في وضع حسن ، وهو يقابل بظهره تمثال المسيح وأمه ، انتقل المغني ولم يعترف بعدم اهتمامه ، واعتقد الشاه بأنه كان لديه شعور أحسن في أثناء عزف الموسيقى من اتخاذ مقعده بنفسه .

عندما لاحظ الشاه كل شيء في الكنيسة باهتمام شديد ، رأى في الوجهة الأمامية ، التي كانت مصنوعة من قماش الستان الأبيض المُطرز بخيوط الذهب ذات الصبغة الممتازة ، الأحرف آي . إيتش . إس . I H S ، التي هي اختصار لكلمة "عيسى" ، كما يُكتب غالباً الاسم المقدس "ليسوع" المسيح . سأل الشاه عما هي هذه الأحرف وماذا كانت تعني؟ وطلب ورقة وحبراً ورسمها على يده كما ظهرت في الوجهة الأمامية ، وعند طي الورقة التي كُتبت عليها وضعها على صدره . إن الاسم المقدس ليمتلك القوة على تحريك مشاعر قلبه وتنوير الخطأ الذي يعيش فيه ، ونحن نتمنى أن يكون امتلاكه صليباً وحلاوة اسم يسوع المسيح مؤثراً في ذلك المكان .

قضى الشاه ثلاث ساعات في بيتنا في ذلك المكان ، متصرفاً بشكل لطيف جداً نحونا ، ومتكلماً عن أشياء عديدة ، وربما آملاً أن نكون شاكرين له المعروف غير العادي الذي كان مُبديه لنا .

قال : "في الأزمنة الماضية لم يكن من المعتاد أن يسمح بهذا في بلاد فارس ، ولم يكن مسموحاً بكنيسة مسيحية مثلما يوجد الآن" .

أجبت بأن ملوك الزمن الماضي مثل الملك الحالي الذي هنا اليوم ، ولم يعطهم الإله ذلك الرخاء والنجاح والانتصارات الكثيرة جداً على

سلطان الأتراك كما أعطاها لسموه ، وهذا مما لا شك فيه من خلال الصلوات والتضحيات المقدمة في تلك الكنيسة لسموه ورفاهية ممالكه .

"إنني بالتأكيد أعتقد ذلك" رد الشاه ، عندما كان على وشك الذهاب ، أخبرته أن بيتنا كان على مسافة بعيدة عن قصره ، الذي جعلنا نشعر بالأسف كثيراً ؛ بسبب الظروف ، وبخاصة في فصل الشتاء .

استدعى محمد بك مدرب خيوله ، وأخبره أن يرافقني للحراسة من خلال المدينة ، وأنه كان يجب عليَّ أن أختار البيوت أو الموقع الذي أحب أن أعيش فيه ، أو أن أبني بيوتاً جديدة على طريقتنا .

بهذا أخذ إذناً منا بالانصراف ورعاية حسنة ، وقدم رجاله احتراماتهم ، مبينين مودة غير عادية ، وأظهر الأمير الذي على الرغم من أنه لا يجرؤ على الحديث كثيراً إلينا بشكل خاص عندما تحدث مثل هذه المناسبات تصنّع قليلاً من أجلنا .

في يوم ما قبل الرحيل ، أرسل إليَّ سلطان شيراز المرسوم الذي طلبته بشأن العبيد الهاربين من هرمز ، بالإضافة إلى رسالة من أجل رئيس أساقفة "غوا" ، الذي كان وقتئذ حاكماً لدولة الهند .

الآتي هو نسخة من رسالته :

"رسالة من "فيردي" خان ، سلطان شيراز وأمير "بيلر بك" بلاد فارس ، إلى الدون "فري أليكسو مينزيس" ، رئيس أساقفة "غوا" وحاكم الهند .

اللورد القوي ذو الدرجة العالية ، الذي يحرس دول ملككم بحكمة بالغة وقوة شديدة ، قبطان من أسود البحر ، في الحرب الأقوى وفي السلام الأعقل ، اللورد رئيس الأساقفة ونائب الملك في الهند .

من الرغبة في خدمتكم ، والحب الذي أحمله إليكم كصديق حقيقي ، أبلغ سيادتكم أن الرسالة التي أرسلتموها إليَّ من خلال أحسن رجال الدين في عقيدة المسيح ومريم العذراء ، الأب "أنطونيو" ، قد تم تسليمها إليَّ وهي مملوءة بالخير ودليل على الحب والخير والصداقة والنية الحسنة التي يحتفظ بها سيادتكم لي ، والتي أكون بها الأكثر سعادة .

إنني أؤكد لسيادتكم أن الحب والصداقة التي أمتلكها هي التي لا أستطيع أن أعبر عنها بكلمات ، ولكن الأب "أنطونيو" ، الذي غالباً ما قد تحدث إليَّ عن فضائل سيادتكم وعظمتكم ، وأثار مشاعري لخدمتكم ، يستطيع أن يشهد على الحب المطبوع في قلبي من أجلها ؛ حيث توجد تلك الصداقة بين أعظم الملوك وأكثرها قوة ، الذي لا يتفوق عليه أحد ، الشاه ، ظل الله على الأرض .

بين ملك الدولة العظمى الذي تاجه مصنوع من الذهب ، وجنوده كثيرون جداً مثل النجوم في السماء ، وليس من المستطاع عدَّهم ، الأحسن من كل الملوك الآخرين ، ملك إسبانيا ، وحيث تكون سلسلة الحب بينهما قوية جداً وشديدة ، أتمنى أن يوجد نفس الثبات والحب بيننا ، وألا يكون هناك من سبب للخلاف بيننا وبين رعايانا .

أيضا أن يتم الاحتفاظ بكل الكراهية والنية السيئة لأعدائنا الأتراك عندما يزوركم ، كما أنه سوف يخبركم أيضاً عن العقوبة التي قد أنزلتها بـ "قمبر بك" ، حارماً إياه من وظيفته ، ودرجات التكريم ، والممتلكات ؛ بسبب سلوكه السيئ ، اعتقد الشاه أنني أقسمت بأنني مصرٌ على إنزال أسوأ العقوبة به ، لو لم يكن الأب راضياً بهذا .

إنني واثق أن سيادتكم سوف يتذكر هذا الحب والصداقة ، وسوف يأمر قباطنة هرمز والآخرين من موظفي جلالته ، من خلال مرسوم ملكي ، بأنهم يجب أن يفهموا أن المقرريات الجمركية من الواجب تسديدها بدون تأخير أو اعتراض ، حتى لا توجد أي إساءة في أي جانب من هذا التقرير ، وسوف يتلقى سيادتكم الذي جاء إلى هذه الدولة الترحيب ومظاهر التكريم التي تستحقونها .

آمل أيضاً أن يتم الترحيب بالتجار والأشخاص الآخرين الذين ذهبوا من هذه المناطق إلى تلك ، ويتم تكريمهم بنفس الطريقة التي أتمنى أن يكون عليها رعاياكم .

يقوم الآن الشاه ، حامي العالم ، بإرسال الأب الراهب "أنطونيو" إلى جلالته ؛ لكي ينقل إليه قوة صداقته وحبه ، وفي مهمة هامة أخرى . لو لم يتم مناقشة هذه الأشياء مع جلالته ، فلن يدعه يذهب ؛ لأن الشاه لديه احترام عظيم بالنسبة له ، ويرغب في أن يُطلعه على كل المساعدة التي يستحقها ، ويأمل بأنه سوف يعود في الحال .

إن الحب الذي أحتفظ به لسيادتكم ، ورغبتي في خدمتكم شديدة جداً ، إلا أنني لا أستطيع أن أقول كثيراً في هذه الرسالة .

دامت سيادتكم .

"فيردي" خان .

أحداث عام ١٦٠٩م

ورد تقرير عن رسالة بعث بها ملك الفرس إلى جلالة ملك إسبانيا الكاثوليكي ، بتاريخ عام ١٦٠٩م ، ويتحدث التقرير عن فارس وملوكها ومنتجاتها : [٢٢]

مقدمة :

القارئ العزيز حتى وإن كانت تتملّكني الرغبة في نشر هذه الأخبار الرائعة ؛ فهناك آلاف الأسباب الأخرى التي تدفعني لذلك ،والسبب الرئيس هو رؤيتك كيف ستستمتع كثيراً للتحالف العظيم بين التاج الكاثوليكيّ ، وبين أصحاب البدع والهرطقة ؛ لأنك تقيس على أمل أن يشاء الله ويساهم هذا التواصل في تحوّلهم من الهرطقة .

لقد لاحظنا عبر كل إفريقيا ، آسيا ، وأمريكا ؛ التأثيرات الكبيرة التي تُفرزها الكلمة الدينية ، وأعتزم أن أفيدك بما يتحدث به ملك

(٢٢) رقم الوثيقة والهامش.

فارس إلى جلالة الكاثوليكيّ ملك إسبانيا . عند التوقف في ذلك الأمر ، فإنني أستميح مغفرتك على أخطائي ؛ لأنني أعترف أنني بعد التزامي بهذا العمل قد واجهتني العديد من الصعاب التي تسببت في الكثير من الإزعاج للكاتب .

ادّعى القدّيس "جوب" "Job" أنّ هذا سببٌ في إيجاد العذر له على ضعفـه عندمـا قال : أنت وضعت أقدامي في الأغلال ، وظللت تشاهد خطواتي .

لقد جعلت مني يا إلهي سهماً غادر القوس يطير في سرعة غريبة ، وبقيت تشاهد تقدمه بانتباه شديد . أثق في أن هذا العذر سيحرك عواطفك لتسامحني وتغفر لي ؛ لأنك إن وجدت أن هناك القليل من البلاغة هنا ؛ فعليك أن تدرك أنني وبإخلاص أترجم هذه الرسالة التي أرسلها الشاه عباس زعيم فارس إلى الملك "فيليب الثاني" ملك إسبانيا .

رسالة :

باسم الله أبعث إليك تحياتي . (أشكرك على) الرسالة التي قمت أنت السيد الأكبر للممالك العظيمة والبلاد بإرسالها لي ، إنني أعتبرك كأخ ، الشمس التي تزيّن رأسك ، جنودك فائقو العدد كالنجوم في السماوات . أرجو لعظمتك ومقامك أن تدوم لسنوات كثيرة قادمة ، وأسأل الله أن يحمي جلالتك .

إن جلالتك يعي الحب والصداقة التي بيننا ، وتلك تجعلنا مرتبطين ومتحدين في أمنية واحدة ورغبة واحدة وكأننا مخلوق واحد .

لهذا السبب سأطلعك على صحتي وأنني قريب منك حتى الآن ، وأن كل شيء قد حدث كما أودّ ؛ لأن رسالة من جلالتك وصلت أثناء وجودي والتي أرسلتها وهي تفيض بكل الحب وحسن النية التي تُكنّها لي ، والتي استقبلتها بكل الرضا والسعادة عندما علمت أنّ جلالتك تنعم بموفور الصحة .

أمّا لما جاء فيها ؛ أجيب وأقول بأن "مومباريكا" لا يرغب في حضور البرتغاليين للشاطئ ، لكنهم سيوفّرون له ممّراً يتمكّن منه من تطويق المدينة وقلعة البصرة برّاً ، وذلك بالدفاع عن النهر عن طريق أسطولهم ؛ فيمنعون بذلك المساعدة أو وصول المؤن من الذهاب عبرها .

عندما يتمّ قبول هذا الشرط من قبل جلالتك ، فإنه سيقدّم ثلاثين ألف "زيرافين" لمساعدة الأسطول ، ويقول لاحقاً إنه عند الاستيلاء على القلعة فسيسلّم لجلالتك نصف دخل عائدات مكتب الجمارك ، وهو ليس أقل من عائدات مكتب جمارك هرمز ، كما يعرض أيضا حماية النهر ، (وتجاوباً مع) الوعود التي يقدّمها تلتزم أنت وتتعهّد ببناء قلعة على نفقتك الخاصة في الجزيرة ؛ تقع في مدخل نهر الفرات ذاك ، وتسمى (كدره) ؛ حيث يحتفظ البرتغاليون بحمايتهم والمدفعية لمراقبة الدخول والخروج لكل السّفن التي تعْبر دون ترخيص منه .

سيكون هذا أمراً سهلاً ؛ لأن الجزيرة لا تبعد من كلا الجانبين عبر البر سوى رمية رصاص ، وفي هذه الجزيرة التي تبلغ مساحتها حوالي ثلاثة فراسخ ، لها أرض خصبة حيث رغب مسيحيو القدّيس "جون" بالاستقرار فيها حتى يهربوا من طغيان المسلمين إذا تحققت نوايا "المومباريكا" هذه .

فوق كل ذلك ؛ فإن "المومباريكا" المذكور يودّ أن يضع ابنه الأكبر ، خليفته لهذه المملكة في الأسطول كرهينة وكضمان لكل ما وَعَد به . لجلالتك الكثير من الصقور في مملكتك أمثال أبناء القدّيس "أوغسطين" ، ويستطيع "المومباريكا" إرسال أي واحد من (أبنائه) كاستجابة لمطالبك .

إنّ الحب والعطف العظيم الذي يُكنّه المسيحيون معلومٌ تماماً لجلالتك ، ولهذا السبب فإنني أرجو أن يقوم جلالتك بتعيين كبير أساقفة لكل المسيحيين الذين في ممالكي ، وعليه الإقامة في الكنائس الثلاثة ، وأنْ يكون زعيم كل أرمينيا ، أكثر الأماكن قداسةً ووقاراً بين كل ممالكي ؛ حيث عظمةُ وجلالةُ المسيح روح الله تظهره . أما الأخ "أنطونيو" فيقف شاهداً على الحب العظيم الذي أكنّه لجلالتك ، واحتراماً له فإنني أحب وأقدّر ومتحمّس لهذا الكاهن كثيراً . بما أن هذه هي المسألة فإنني أتوسل لجلالتك أن تمنحه الأوسمة والمكارم التي يستحقها .

الكهنة الذين في ديره موجودون في بلاطي ، وسأعطيهم الحماية ، وأكرمهم من أجل الحب والتقدير الذي أكنّه لجلالتك ، فقد منحتهم مساكن يسكنون فيها ، والإذن بالبحث عن أخرى طِبقاً لهذه العادة ، وسوف لن أتجاهلهم .

أجد لزاماً عليّ أن أطلع جلالتك عن وضعي فيما يتعلق بالشروط التي تخص قبولي بقلعة القسطنطينيّة ، وهذا هو السبب الذي يجعلني أقوم بذلك . الباشا ، ابن كبير الوزراء ، وهو ، نتيجة لوفاته ، قد خلفه على المملكة ، وأقسم اليمين لأسباب خاصة وضعت واحداً ضد الآخر ، أن يُحْرق "أزون أميثا" حيّاً .

أنا أعلم أن الملك الجديد قد طلب من "أميثا" "Ametha" تسليم القلعة للباشا الجديد الذي عيّنه ، وأنّ على "أميثا" أن يعتزل إلى بلاطه . أنا على علم بأن "أميثا" قد أجاب على هذا الاقتراح بأنه لن يقوم بذلك ، وأنه يودّ العودة إلى القسطنطينية (التي تبعد مائة أو أكثر من الأميال من قلعة "أميثا" ، وأنه سيقول كل شيء قد يقلل من مكانته .

إلا أنه كان واثقاً من أنه غير ملزم بتسليم القلعة ، لا له ولا لأيّ شخص آخر ؛ لأنه كان يعتقد أن ذلك في مصالح السيد العظيم ، وأن السبب لهذا هو أن الباشا الذي جاء لتلك المحافظة لم يفعل أي شيء أكثر من جلب الثراء لأنفسهم ، والطغيان على الناس ورعايا تركيا ، دون أن يهتم لا لمصالحه أو لمصالح عامة الناس من رعاياه ، وأنه كان يكتب للسيد الأكبر بذلك .

فعلاً قام بذلك ، وطلب العفو على عصيانه ؛ متذرعاً بحماسته الشديدة وغيرته في عمله ، ووعَدَه بأن يقوم بخدمته في المحافظة بالطريقة التي سيرضى عنها تماماً ، وقال إنه سيتابع الحرب ضد الفرس ، وسيستعيد من أجله مدينة "نوفود" ، وسيعامل الأهالي دون اضطهاد ، وبغير الطريقة التي كان يعاملهم بها الباشا السابق .

كانت تلك المحافظة في مرة من المرات خاضعة لتاجي ، ويرغب أهلها بدرجة ليست قليلة في العيش تحت سلطتي ، وبما أن "أميثا" أحد أولئك الذين يشتهون ذلك ، وأنه عندما علم بأن السيد الكبير لن يقبل أعذاره ، أو لعله كان خائفاً من الموت أو العقاب ، كتب لي في سرعة شديدة ليطلعني على تلك الأخبار وكل أمور أخرى أعتقد أنني أود سماعها ، وقال إنه لاحظ نفس الموقف وسط الكبار من الناس ومن

الدّهْماء ، وكان هذا هو السبب الذي جعله لا يقوم بتسليم القلعة ؛ لأن ذلك كان يتوافق مع كل وجهات نظر الآخرين .

توسّل إلى ألا أفوّت هذه الفرصة واستعادة كل ما حدث تحت سيطرة ملكي ، الذي -ولسوء الحظ-قد انفصل عنها ، وسيقوم بإرسال شخص مصدر ثقة إلى هناك ، ووعد بتسليمه القلعة والمدينة ، ومن ثَمّ تصبح المسألة متعلقة بقدرة ذلك الشخص الحربية والشجاعة للاحتفاظ بها من عمليات الأعداء ، وأظن أنه لن يكون هناك من سعر أقل لشراء ذلك .

كل ما تكتبه جلالتك لي سأقوم بتنفيذه وبأسرع ما يمكن ، دون الابتعاد عن طلباتك وأوامرك الملكية ، وستؤمن لي بأنني صديقك المخلص دائماً . أما فيما أوْليتني ثقتك لأدائه والمتعلق بالحرير ؛ فيسرني أن أتولى هذا بفرح هذا الربح من الأتراك وإعطائه لأتباع جلالتك ، وأودّ أن تمتد تلك الاتفاقية لتشمل هرمز .

لكن من الضروري أن يرسل جلالتك للمدينة شخصاً يتحمل المسؤولية في تفضيل التجار الفرس ، حتى لا يعانوا أي خسارة على الحرير الذي يأتون به من أصفهان ؛ لأنه وبلا شك يمثّل تجارة عظيمة في هذه المنطقة ، ومن غير الممكن تحقيق ذلك المطلب دون وجود خلاف .

عندي شعور مسبق قويّ بأن جلالتك لن تحقق ذلك بمثل ما أرغب دون أن تتعرض لخسارة أي واحد من رعاياك ؛ لأنهم الأساس القوي للملكية ، وأرواحهم يجب أن يحافظ عليها لإدامة الامبراطوريات .

حامل هذه الرسالة التي تعبر عن الحب الذي أكنّه لجلالتك

هو "دانسبيك" "D'Anspeck" ؛ نبيلٌ من أتباعي ، وأحد الضباط في جيشي وأكثرهم ثقة عند شخصي الملكي . سيمنحني جلالتك المعروف في إرساله مرة أخرى لطرفي مع كل المراسلات الممكنة ، وسينقل لجلالتك أخباراً أخرى لم أذكرها في هذه الرسالة ، وليتأكد جلالتك بأنه لم يكن هناك حبّ بهذا القدر بين المسلمين والملوك المسيحيين وصداقة مثل التي بيننا .

هذا ما شجعني على الطلب منك بتعيين أسقف-أيهم تراه الأفضل بالنسبة لك حتى يصبح على رأس كل المسيحيين الذين في مملكتي . سيقرر جلالتك من هو المفضّل ، وسأقوم من جانبي بكل ما يرضيه . لن أشق عليك أكثر من ذلك في هذا الأمر .

نرجو لدولتك العالية والقوية التنامي والازدهار الدائم .

*** مذكرة مختصرة عن عادات وعن عظمة ملك فارس .**

مملكة فارس ليست غنية ، ولا تملك ضمن حدودها لا ذهباً ولا فضة ولا أحجاراً كريمة ؛ باستثناء بعض أحجار "التراكوز" قليلة الأهمية ، بالرغم من أن المسلمين عندهم لها إعزاز كبير .

دخْلُ ملوك فارس الرئيس يعتمد على الحرير الذي يجمع بكميات كبيرة من كل ممالكهم ، ومن حصيلة الضرائب التي يدفعها التجار ، ليس لأنهم يدفعون الكثير ، ولكن لأن الكثيرين يدفعون ، ولاختصار كل ذلك في كلمة ؛ فإن ملوك فارس هم السادة بصورة مطلقة على كل شيء في ممالكهم ، لا يملك أتباعُهم أيّ شيء ، وليس هناك سوى استخدامهم والاستفادة منهم .

المدن الرئيسة والمدن الأخرى الصغيرة والقرى في مملكتهم موزعةٌ بين ضباطهم ومن يعملون عندهم وتدفع لهم مرتبات خاصة ، وبخلاف ذلك فهم ملزمون بتملكهم لخيول جاهزة معينة وسريعة تُدْفع لهم تكلفة رعايتها لخدمة الملك متى وأينما يكلفهم في أي حرب تنشب ؛ ولهذا السبب ، فإن الحرب تكلّفه أقل مما يمكن أن يتصوره المرء ؛ لأن الجنود يتكفل بهم ويدفع لهم ضباطهم ، والملك لا يتحمل غير رواتب أولئك الذين يقومون بحراسته بمبلغ خمسة آلاف (قرشي) ، والذين يدفع لهم أيضا أجوراً فوق العادة .

الاستثناء لذلك هو أي أمر عظيم يتعهد ويلتزم به ، وذلك عندما يضطر لاستخدام المزيد من الرجال ؛ فيقوم بتوفير الميزانية في العادة (لكن ذلك نادراً ما يحدث لتعددية الولايات والرعايا الذين لهم الالتزامات المذكورة أعلاه) . هذا هو سبب السرعة التي يتخذ ويتعهد فيها بارتباطات ، ومن ثَمّ يهتم بتوفير الضروريات . لم يكن عليه عمل ذلك إذا كان قد أنفق تكلفة قواته من خزينته في كل الأوقات .

لم تكن له تعاملات مع المليشيا حتى يمكنه من إنشاء جيوش غير إرسال المراسلين ، وتقديم النصائح للسلاطين والضباط بأن يذهبوا ويبحثوا عن (جيش) ، إن انتظاره في مكان محدد أينما كان ذلك ضرورياً ، وأكثر من مائة ألف من الفرسان أو أكثر أن ذلك كان ضرورياً ، ووضعها في مكان في نفس الوقت ، أو إرسالها إلى المكان الذي يحتاجونها فيه .

ويتم هذا دون أي فعل (خاص) من قبل قومهم ؛ لأن في كل إقليم

يرأسه هو هناك سلطان يقوم بقيادة القوات ، وضباط يقوم بنفس العمل (على دراية) بالمكان ؛ حيث يمكن تحقيق الأمر المسموح به مع العديد من الأسلحة وبتكلفة معقولة .

هذا هو السبب الذي يجعل الآخرين يخشونه كثيراً ، على افتراض أن خمسين ألفاً من الرجال قد فقدوا في المعركة من لحظة وحتى وصول التعزيزات الأخرى ، لكن بدون أي منصرفات على جنود تتم زيادتهم بأكثر من الرسول الذي ينقل الأوامر .

تلك هي تأثيرات عظمة ملوك فارس . أما عاداتهم ، فإنها تحتاج إلى الكثير من الحديث عنها ؛ لكن صفحة واحدة من الورق لا تسمح لي بذلك يا قارئ النص ليُرضي فضولك .

من العدالة أن ألتزم بوعدي لك أن أجعلك على علم بذلك ، لكن كل الخير الذي فيك عليه أن يقبل بالسبب الذي أدّعيه كعذر لي ، وحتى لا تتخيل أنني أبدي هذا العذر حتى أبريء نفسي من إرضاء فضولك ، أجزم بأنني ما زلت أعمل (لتنفيذ) ذلك الوعد ، وحتى أستمتع بنتيجة مصلحتي ، وأنت بأرباحك منها ، ادع لي بالنجاح حتى يرضيك ذكائي المحدود[أ]

* أقدم كل هذا لسلطة كنيسة الأم المقدسة .

(أ) إن كانت هذه الجملة تعني القليل من المعنى في اللغة الإنجليزية فذلك لأنها في البرتغالية أيضا لها جد محدود (ملاحظة المترجم) .

وفي العام نفسه (١٦٠٩م)

صدر مرسوم ملكي ، يتعلق بالرسوم على التجارة في هرمز ، "لشبونه" في السابع من شهر مارس عام ١٦٠٩م ؛ حيث إن الماء والحطب يأتي إلـى هرمز يومياً ، وكذلك لا بد من ضبط الخروج والدخول إليها حتى لا يتم التهريب من الدخول أو الخروج : [٢٣]

مرسوم من الملك

أنا الملك ، ليعلم كل من يطّلع على هذا المرسوم أنه تنامى إلى علمي أن الرسوم المستحقة على التجارة التي تُحْمَل في مراكب تغادر هرمز لإحضار الماء ، حطب الوقود وأشياء أخرى لم تسدّد ، وذلك لمرورها في شعاب وممرات ضيقة بعيداً عن الأعين حتى تصل إلى الشاطئ .

بما أنني أود وضع حد لذلك ، فقد قررت انه وبدءاً من نشر هذا الاعلان في القلعة المذكورة ولسكان هرمز ، فان كل من يبحر على تلك القوارب

(٢٣) رقم الوثيقة والهامش.

التي تذهب لإحضار الماء وحطب الوقود وأي مواد أخرى عليه الافصاح عنها امام باب مكتب الجمارك قبل الذهاب لأي مكان ، حتى يمكن رؤيتها إن كانت تحمل بضائع وأي مستحقات يجب أن تندفع عنها .

الرجال الذين يقومون بالتجديف على تلك القوارب عند عدم استجابتهم لهذا الأمر بهذه الطريقة سيتعرضون للعقاب بالسجن وإحراق قواربهم .

كما أخطر نائبي للملك الحالي أو حاكم أراضي الهند ومن يخلفهم ، وآمر بالمثل ممثّلي القضاء عندي والمسؤولين والأشخاص الذين ينطبق عليهم ذلك أن ينشروا محتويات هذا المرسوم في تلك القلعة ، ولأولئك السكان عليهم الاستجابة لكل شيء ، والتقيّد به تماماً ، والعمل بموجبه ؛ وفقاً لما تضمّن ، وعليهم تنفيذ العقوبات المذكورة على كل من يتورط في مخالفة ذلك من ذلك السكان المعنيين .

يسجّل هذا في دفتر دائرة الجمارك والمحطة التجارية بهرمز ؛ حيث تدون كل أحكامي وشروطي عادة . توضع إحدى النسخ التي تطبع وتنشر في الحفظ في دائرة الجمارك ، وأخرى في الأرشيف الرسمي في "غوا" . يرسل لطرفي بيان بأن كل شيء قد تم حسب رغبتي ، ويسلم لوزير خارجية مجلس الهند .

كتب هذا "جواو تافاريز" "Joao Tavares" في "لشبونه" في السابع من شهر مارس عام ١٦٠٩م . صدر مع نسخ منه .

أنا السكرتير "أنطونيو فيليس دي سيماس" "Antonio Feles de Simas" أمرت بكتابته .

"ماركيز كاستيل رودريجو"

وفي العام نفسه (١٦٠٩م)

ورد تقرير عن صدور حكم الإعدام في "غوا" بحق "تورون شاه" ابن ملك هرمز ، والمدعي بحقه لتلك المملكة ، العائلة المالكة في هرمز ، وتنفيذ الحكم عليه ، مدريد في الثالث من شهر مايو عام ١٦٠٩م : (٢٤)

سيدي ،

عند وفاة "فيراجوت" شاه ملك هرمز ، الذي توفي قبل ثمانين سنة ، كان هناك خلاف بين اثنين من أبنائه عمن سيخلفه على العرش . كان "أيريس دي سالدانها" نائب الملك حينها ، وقرّر لمصلحة الابن الأكبر حتى يتم البَتّ في المسألة ، وذهب الابن الآخر المدعو "تورون شاه" إلى "غوا" لتقديم دعواه هناك .

قام كبير أساقفة "غوا" (الذي كان حينها حاكم الهند في غياب نائب الملك "دوم مارتيم افونسو دي كاسترو") بالكتابة عن ذلك الابن

(٢٤) رقم الوثيقة والهامش.

في رسالة بتاريخ التاسع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦٠٧م ، جاءت في السفن الشراعية التي وصلت في العام الماضي ، بأنه متّهم بتدنيس المقدسات وارتكاب المعاصي (اللواط) ، وقد تمت إدانته من قبل قضاة المحكمة العليا الذين أصدروا الحكم وأوصوا بعدم تنفيذه حتى يتم إخطار جلالتك بذلك .

بالرغم من وجود تعليمات في سجلات المحكمة العليا بأن صدور حكم الإعدام الذي يصدر هناك يجب أن ينفذ على كل شخص مهما كان مقامه ومكانته ، فإنه وخشية أن ينشأ أي اضطراب يضر بخدمة الرب وبجلالتك ، وأن يتسبب الناس في بعض الشغب ، فقد أمر أن يتم تنفيذ الحكم كما هو .

جاءت رسالة على نفس السفن لجلالتك من "بيبي" (فاطمة) ، زوجة "تورون شاه" شكت فيها من حكم الإعدام وتنفيذه ، قائلة إن ذلك قد خطط من قبل أعدائه وأولئك الذين أدعوا عليه بأمر خلافة مملكة هرمز ؛ لأن هناك مصالح شخصية متورطة فيه ، وأن زوجها وضع في السجن العام دون أي تحقيق في الأمر . قام قضاة المحكمة العليا بالحكم في القضية دون أي سلطة للقيام بذلك بالنسبة لمكانة زوجها ، وأصدروا الحكم بإعدامه دون وجود أدلة كافية لإدانته والحكم بإعدامه .

على الحاكم عدم تعطيل الحكم حتى بالرغم من أن مدينة "غوا" ومنظمة أخوية الكرسي الكنسي ، سفير عادل خان ، رجال الدين والقضاة الذين أصدروا الحكم بإعدامه (دون علمه) قد توسّطوا لصالحه ؛ بالرغم من كل ذلك أمر الحاكم بأن يحرق علناً ، ويؤخذ

عبر كل الشوارع العامة مكبلاً بالسلاسل معرّضين شخصاً في مقامه لغضب مريع ، حتى وإن كانت الجريمة غير منطقية .

قد أمر أن تؤخذ كل ممتلكاته ومن ضمنها مهرها ، وزوجها الذي تركها مع ثلاثة أبناء وفتاة ، وأنه لم يكن هناك شك في إدانته ، وهي تطلب من جلالتك أن تمنحها حق أن يعاقب كل أولئك الذين يستحقون العقاب حتى لا يحدث مثل ذلك الأمر في السنوات القادمة لأبنائها ولمن يناله ، وأن يسلّم لها مهرها من خلال عائدات دائرة الجمارك في هرمز .

كان معروفاً تماماً أنه حتى يشرف مركزه ؛ لأن مطالبته بالمملكة لم يكن ينكرها أحد . كما أنها تطلب من جلالتك عدم منع ابنها الذي أرسل للالتماس من جلالتك إقامة العدل ، وأنه ستوفر له العون والمعروف ، وما يمكن أن يتوفر بالضرورة من عائدات هرمز .

جاءت السفن الكبيرة أيضا وعليها الوثائق التي تتعلق بهذه القضية تشتمل على نصوص المحاكمة وتوصيات قضاة المحكمة العليا الذي أصدروا الحكم بالإعدام ، والذي لن ينفذ من غير أن يبعث لجلالتك بتقرير أولاً .

عندما قام مجلس الهند بدراسة ذلك أولاً ، أعتقد أن رئيس الأساقفة قد تجاوز سلطته في العمل ضد التوصية ، واضعاً في الاعتبار مكانة تورون باشا والمشاكل التي قد تنتج عنها ، وأيضا تعليمات جلالتك التي بنى عليها أوامره بالاستمرار في مسألة التنفيذ ، وأنها ما كان يجب أن ينطبق على أشخاص ينتمون إلى عائلة ملكية مثل

"تورون شاه" ، حتى وإن كان مسلماً ، وبالتأكيد ، وبسبب ذلك ، يجب مواصلة الأمر بمنتهى الحذر والحرص .

مع رأي المجلس ورأي الماركيز نائب الملك "روي لورنسو دي تافورا" "Rui Lorenco de Tavora" عندما غادر إلى الهند في سبتمبر الماضي كان قد طلب منه بناء على الوضع الذي وجده هناك فيما يتعلق بهذا الأمر أن عليه أن يقوم بما هو ضروري . إذا كان كل شيء هادئاً ؛ فإن عليه أن يبقى لتأنيب الحاكم بطريقة خاصة نيابة عن جلالتك ، للقرار الذي اتخذه لتنفيذ الحكم بالإعدام دون إخطار أوّليّ لجلالتك كما أوصى القضاة بذلك .

إن كان هناك عدم ارتياح ؛ كان عليه محاولة مصالحة الأطراف بإعطاء تأكيدات بأن جلالتك سيأمر بالتحقيق في هذا الأمر ، وأنه سيطلب الحفاظ على كرامته بأفضل السبل الممكنة ، وليتحقق ذلك بسهولة ويسر ، وأن يضع نهاية لأي إزعاج قد يحدث ، إن تأنيب الحاكم يجب أن يتم علناً ، وعليه أن يستفسر عن الأطفال الباقين "لتورون شاه" المسؤول عنهم ، وماذا حدث للشقيق الآخر الذي ذهب بعد هذه الحادثة إلى فارس ، كم يبلغ من العمر وكيف هو؟ عليه أن يحملهم ، وأن يودعهم في أيدي أشخاص مناسبين .

وفي العام نفسه (١٦٠٩م)
قدّمت شهادة من "ديوجو دو كوتو" ، ساحل فارس ، "غوا" في العشرين من شهر نوفمبر عام ١٦٠٩م ، ويذكر فيها أن السفن الهولندية تتسلح : [(٢٥)]

على ساحل فارس

"ديوجو دو كوتو" ... الخ

أشهد بموجب ذلك أنه عندما تلقى "دوم هنريك دي نورونها" ، قائد قلعة هرمز ، أخباراً عن طريق رسائل وصلته من قائد (ديو) أن ثلاث عشرة من السفن الهولندية تبحر على ساحل الهند ، طلبت من "دوم ألفارو دا كوستا" "D . Alvaro da Costa" ، قائد المضائق وأساطيل هرمز ، أن يقوم بتسليح كل السفن بقدر المستطاع ، وقام بذلك في سرعة بتسليح ثلاث من سفن الملك على نفقته الخاصة ، وقام باستدانة الجزء الأكبر من المبالغ التي احتاجها لإعداد تلك السفن ؛ لأن

(٢٥) رقم الوثيقة والهامش.

جلالته لم يكن يملك أي شيء ، وغادر القلعة في الخامس من ديسمبر عام ١٦٠٨م .

قام بدورية تمشيط الساحل الفارسي والعربي مراقباً ومتحدثاً مع بحارة تلك السفن ؛ لأن يكتشفوا إن كان أولئك الهولنديين قد عبروا تلك السواحل ، كما قام بحراسة كل المنطقة في نفس الوقت ضد القراصنة مطمئناً ومؤكداً للشيوخ والزعماء أتباع جلالته أنه إن جاء الهولنديون سيقومون بقتالهم على الأرض ، وسيقوم هو بقتالهم في البحر ، ويمنعهم من الوصول إلى اليابسة لأخذ المياه .

أصدر أوامره لقلعة مسقط لأن تستعد ، علم أن السفن الهولندية أبحرت في اتجاه الجنوب فعاد إلى القلعة في هرمز في الثالث والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٠٩م .

كان "لويس دانتاس لوبو" "Luis D'Antas Lopo" على ظهر السفينة كقائد مسؤول خلال تلك الرحلة ، وقد رافقه خلال تلك الرحلة حتى عاد ، كان حاضراً لكل الأحداث التي تعلقت بما جاء أعلاه ، مؤدياً لواجبه طبقاً لشخصه ورتبته ، وقد طالب بالتعويض والمكافأة على خدماته ، وقد قدمتها له بناء على الموارد المالية التي أمكنني توفيرها .

"غوا" في العشرين من شهر نوفمبر عام ١٦٠٩م (٢٠ "ريس") .

"ديوجو دو كوتو"

وفي العام نفسه (١٦٠٩م)

بعث "روي لورنزو دي تافورا" ، نائب الملك بالهند رسالة إلـى "فيليب الثاني" ، "غوا" ، العاشر من شهر ديسمبر عام ١٦٠٩م ، يذكر فيها قادة مسقط والتجار : [٢٦]

لوجود العديد من الشكاوى عن "الدوم هنريكو" (دي نورونها) ، قائد هرمز) كنت على وشك طلب اتخاذ إجراءات ضده ، فإن وجد مذنباً فسيتم إبعاده عن القلعة حتى يكون مثالاً للآخرين ولنفسه ، بالرغم من رغبته في اكمال خدمة الثلاث سنوات الممنوحة له خاصة .

بسبب التخلي عنه من قبل الكونت ، لكن على اعتبار الوقت الذي يصل فيه طلبي إلى هرمز ، فلن يكون له سوى ثلاثة أشهر يقضيها في الخدمة ، وإنْ فقدها فمن المحتمل أن يرسل التماساً لجلالتك ، وأنا أترك أمر العقاب على أفعاله المشينة حتى تقرير تقاعده ، الذي سأقوم بأمر شخص يعتمد عليه بصياغته .

---

(٢٦) رقم الوثيقة والهامش.

قررت القيام بذلك للجميع ؛ لأنني أعتقد أن قادتنا ووزراء آخرين في هذه الدولة يتصرفون بحرية ودون ترخيص ؛ وذلك بسبب الحاجة لمحققين عامين جيدين ، وهم لا يخشون أي شيء سوى محاسبتهم على أعمالهم التي عليهم تقديمها لجلالتك . البعض منهم يعتمد على إفساد أولئك الذين يصيغون تقاريرهم مقابل الرشوة ، آخرون يظنون أن مخالفاتهم الخطيرة يمكن الإفلات منها بعقوبة خفيفة ، ويجب عمل شيء في هذا الخصوص حتى لا يصبح كل شيء فاسداً ومدمراً .

أي شخص يجد الدعم بطريقة أو بأخرى وفقط حالياً في ملاقا ، صيغ تقريران ، أحدهما "لفرناو دي البوكيرك" وآخر "لاندريه فورتادو" ، أحدهما اعتبر جيداً لعدم ذكر أي شيء بخصوصه ، أما الآخر الذي أشار لبعض الأخطاء فقد تم إلغاؤه ؛ لذلك أولئك الذين نشكو لهم التصرف غير القانوني عن القادة ، وأولئك الذين يحكمون عليهم أكثرهم استحقاقاً للاتهام .

من بين أشياء أخرى قام بها القادة في هرمز على التجار هي أنهم أجبروهم على تحميل سفنهم بكل النفايات التي تأتي من فارس ؛ لأنها حمولة تدفع عليها رسوم تحميل باهظة . إذا قال التجار إنهم يريدون أخذها إلى أماكن أخرى ، وليس للسند حيث تبحر سفينة القائد ، فإنهم يجبرون على دفع رسوم الشحن ، ومن ثَمّ يأخذون سقط المتاع حيثما أرادوا في سفن أخرى .

طلبت إصدار أمر كتابي تجاه هذا الاستخدام الإجباري الذي لا يستحق الكثير ، لكنني سأضمن أن تتم مساءلة بهذا الخصوص في

تقارير مواقع القادة في هذه القلعة ، ولربما يكون لها التأثير إذا ما تمت التحقيقات بطريقة سليمة .

كما أصدرت أمراً كتابياً آخر يقول بعدم تشكيل أساطيل خاصة باستثناء ما يصدر عن المجلس ، وأن القرارات بخصوصها يتم الموافقة عليها بأغلبية الأصوات . لعدم القناعة بالأساطيل العادية التي يبيعونها بمبالغ ضخمة لأشخاص يبحرون عليها مع بضائعهم إلى السند وأماكن أخرى ؛ فإنهم بتشكيل أساطيل غير عادية أخرى تكلف جلالتك الكثير والتي قام "دوم هنريكو" بتشكيل الكثير منها .

بدون أوامر من الشخص المكلّف في هذه الدولة قام "دوم هنريكو" و"فرانسيسكو دي جوفيا" بفرض ضريبة جديدة ، يتم تحصيلها عند الشاطئ ، على البضائع التي يحملها التجار بقصد التصدير . يقولون إنهم يفعلون ذلك ليسددوا لـ "دوم هنريكو" بعض المبالغ التي أقرضها لتدفع إلى (مومبارك؟) عندما أخذ قوات مسلحة إلى جزيرة قشم ، ومبلغ هذا القرض غير مبين ولا حتى الإيصالات عن هذه الضرائب مسجّلة .

يقوم "دوم هنريكو" بتحصيلها وكأنها ملك له ، قائلاً إنه ما زال مستحقاً لبعض الأموال . بدا لي هذا الأمر سلوكاً غير مقبول ويمكن إعطاؤه اسماً آخر .

قد أصدرت أمراً كتابيّاً بإلغاء هذه الضريبة والتحقيق في مبلغ الأموال التي جمعت وكيف أنفقت . أخطرت أن تجاراً من الهند ممن يُبْحرون إلى مضيق هرمز توقفوا عن استخدام ذلك الميناء وميناء

مسقط ؛ لأنهم يخشون التصرف المتعالي والمبالغ فيه للقادة ، ويذهبون بدلاً عن ذلك لموانئ أخرى على ساحل الجزيرة العربية لبيع بضائعهم ، مما تسبب في الكثير من الخسائر لعائدات الجمارك في تلك القلاع .

حاولت معالجة ذلك بأمر كتابي طلبت نشره في المدن والقلاع بهذه الدولة ، حرمت ومنعت فيه هذا السلوك الجديد وهددت بعقوبات عظيمة ، وطلبت من التجار وقباطنة السفن بأنهم عند عودتهم عليهم إحضار شهادات بأنهم ذهبوا مباشرة إلى هرمز ومسقط . أرجو بهذه الطريقة أن أضع حداً لهذا السلوك المسيء ، وإن لم يكن ذلك كافياً سأقوم بكل ما أراه ضرورياً لضمان ذلك .

كتب "جارسيا دي ميلو" "Garcia de Milo" ليقول إن في مكتب جمارك هرمز اثنين من الكتبة البرتغاليين يدعون أحدهم (العظيم) والآخر (المتواضع) وأربعة كتبة من المسلمين . تقول الأوامر السارية إنه عندما يتوفى أي من المسلمين لا يُعيّن آخر في مكانه ، وإن كان ضرورياً فعلى كبير موظفي الخزينة أن يقوم بإخطار نائب الملك الذي سيقوم بتعيين آخر .

ويقول "جارسيا دي ميلو" إنه من الصعوبة إدارة مكتب الجمارك ذاك بدون الكتبة المسلمين ؛ لأنهم يفهمون لغة التجار الأجانب الذين يأتون إلى هناك ، الشيء الذي لا علم للبرتغاليين به والذين لا يفعلون أي شيء سوى الحصول على أرباحهم الخاصة ، ويقول إن اولئك الكتبة يخدمون بدون (....) من نواب الملك وبدون رواتب ، ويكتفون بالإكراميات وكونه مسموحاً (...) لهم ببعض البضائع باسمهم .

هذا فيه فائدة كبيرة لهم مما يمكن الحصول عليه كراتب ، لعدم وجود حدود لكمية التجارة التي يعملون عليها ؛ قام بإيقاف هذا الأمر السيء في الحال ، وأن يكتفوا فقط بالإكراميات ، وأصدر رسائل بتعيينهم بمقتضى أمر كتابي صادر مني كان معه ، وأن يكون سارياً حتى يتم إخطاري فأصادق على تعيينهم . طلبت أن يتم ذلك في مجلس الخزينة .

أعتقد أن "جارسيا دي ميلو" قد فعل صواباً ، وأن على أولئك المسلمين الاستمرار في وظائفهم حتى يأمر جلالتك بما يراه الأفضل لمصالحك .

أخبرني أيضا أنه يرغب في تنفيذ تعليمات جلالتك بأنه على السماسرة أن يتبادلوا الخدمة في مكتب الجمارك عند تقييم وتقدير البضائع (....) ؛ حيث يوجد أكثر من ثلاثمائة من الوسطاء التجاريين في هرمز ، بعضهم عينه الملك وآخرون عينهم رئيس الوزراء في هرمز أو قائد القلعة أو كبير الوسطاء التجاريين ، ليس لأحد منهم رسالة تعيين أو تم فحص أي منهم ، وعليه لتنظيم العمل فقد قام ببحث الأمر مع الملك ، القائد ورئيس الوزراء عما ما يجب عمله .

اتفقوا على اختيار خمسين وسيطاً تجارياً ، وأن تكون لديهم رسائل تعيين ، وقد تم ذلك بمقتضى أمر كتابي مني . أيضا تمت الموافقة على ذلك في المجلس بحضوري ، وتم الاتفاق على أنه أمر جيد ، وسيتم العمل به حتى يصدر جلالتك أمراً آخر .

أفادني "جارسيا دي ميلو" أيضا أنه وحتى التاسع عشر من شهر سبتمبر من هذا العام ١٦١٠م ، جمع مكتب الجمارك مائة واثنين

وستين ألف "باردوس" ، وهو مبلغ كبير في تسعة أشهر ، وأعتقد أنه بدرجة كبيرة نتيجة لنشاط واجتهاد "جارسيا دي ميلو" . كان ضرورياً لهذا المكتب أن يجني أرباحاً تعوض إلى حد ما الخسائر في (ديو) و (ملقا) وتقريباً كل عائدات الدولة . كانت تلك المبالغ تقل بواسطة "دوم هنريكو" الذي ينفق مبالغ كبيرة منها في سداد قوائم بأشياء ليست حقيقية وأساطيل ، بينما كانت الحاجة تقتضي صرفها في احتياجات مالية مهمة .

أعطاني أيضا مثلما فعل قاضي التاج بيناً بالعداوة التي بين الملك ورئيس الوزراء والتي يلام عليها الملك كثيراً ، بل أكثر من ذلك قائد القلعة الذي يقال إنه شجع على هذه الكراهية مستفيداً منها كما فعل آخرون في ظروف مشابهة .

شكا لي الملك نفسه في هذا الخطاب ، واعتزم القيام بما أراه مناسباً لمعالجة ذلك الوضع .

سيتم التعامل في موضوع الفلفل في هرمز من قبل الوسيط التجاري كما أمرت جلالتك ، لكن يتوقع ألا يقوم بذلك بأمانة كما أنه لن يرسل للهند من أجل الفلفل ، ولن تذهب إليه من هنا ، كما يقال إنها كانت نفس الحالة عندما حكم "كوندي دي ريدوندو" "Conde de Redondo" هذه الولاية وأصدر ذلك الأمر ؛ يعتقد "جارسيا دي ميلو" وموظفون آخرون بالخزينة أنه مفيد كثيراً لمصالح جلالتك أن يكون هناك محل للبيع بالتجزئة ، وقد برهنت التجربة على ذلك .

كتبت العام الماضي لأخبر جلالتك كيف يمكننا التواصل مع

"دونا مارجريدا" ، شقيقة ملك هرمز الذي تحول عن دينه مع ابنائها ، وحتى أعرف ما يرغب فيه جلالتك أن يتم معها فقد قررت حرمانها من الاتصال بالمسلمين وإحضارها لهذه المدينة مع أطفالها وإسكانهم في ملجأ الأيتام .

"جاسبار تنريرو" قائد في قلعة مسقط ويجهز لـ "أنطونيو بيريرا دي لاسيردا" "Antonio Perriera de La Cerda" للذهاب إلى هناك . لـ "جارسيا دي ميلو" أمر لبناء جدار حماية للقلعة ، وترك هذا الأمر لمسؤولية "جاسبار تنريرو" "Gaspar Tenreiro" ، الذي قام بذلك باجتهاد واضح ، وقد علمت أنه قد انتهى من بنائه وتم بصورة جيدة .

ستتم زيادة حامية هذه القلعة بثلاثمائة جندي كما أمرت جلالتك ، عندما يتوفر مدفع هناك فأرسل ما يطلب عندئذ لعدم وجود أي مدفع حالياً .

كما طلب جارسيا أيضا التباحث مع الشيوخ والبرتغاليين الآخرين الذين لهم أنصبة في مكتب جمارك مسقط ان كانوا يقبلون بتحويلها لجلالتك ويقبلون كتعويض مبلغاً مناسباً يدفع لهم من مكتب جمارك هرمز ، كما أمرت جلالتك أن يتم ذلك عبر رسالة في عام ١٦٠٩م .

حاول "جارسيا دي ميلو" أن يضع ذلك موضع التنفيذ لكنه لم يتمكن من إقناع الشيوخ القبول بذلك العرض ، ولمح البرتغاليون أنهم يودون بيع أنصبتهم مباشرة ، لكن فيما بعد ، عندما علموا بما كان يحدث رفضوا حتى أن يقوموا بذلك .

توقع أن يقوم أولئك الرجال بالبيع عن القبول ببعض الاقتراحات

الأخرى . كتبت لـ "جارسيا دي ميلو" مطلعاً إياه وطالباً منه مواصلة المباحثات بالشراء ؛ لأن ذلك سيكون أفضل لجلالتك ، أما فيما يتعلق بإعطاء تعويضات من عائدات مكتب هرمز للجمارك فليس لدي إجابات لهم ، إلا أنني عازم لعمل أي شيء ملائم .

أخبرني وكيل جلالتك هناك أنه شرعياً وقانونياً ودون الحاجة إلى أمر كتابي ؛ فإنني أستطيع إلزام أولئك الرجال ببيع أنصبتهم التي يملكونها في مكتب الجمارك ذاك بسعر مناسب طالما أن جلالتك لكل جزء فيها ، وأنه على أصحاب رؤوس الأموال عدم تقاسم الأرباح مع أفراد خاصة الرعايا . أما ما يتعلق بالشيوخ فإنني سأتبع إقناعاً هادئاً حتى لا يتم إغضابهم ويغادرون مسقط .

يستخدم قادة مسقط أساليب اليد العليا تجاه التجار الذين يعيشون هناك والذين يعيشون في الخارج ، ولا يتركونهم يشترون البضائع من الداخل أو من الموانئ ، أو أخذها على ظهر السفن غير التي يملكونها وبأسعار شحن عالية ، لذلك يتجنب التجار ذلك الميناء ويذهبون إلى موانئ أخرى على ذلك الساحل ؛ لذلك أصدرت أمراً كتابياً بهذا الخصوص ، والذي سأعمل على إنفاذه ، وأتطلع لتنفيذه حتى يتم تصحيح هذا الابتزاز .

أوضح "جارسيا دي ميلو" في كل تلك الحالات كيف أن ذهابه لتلك القلاع كان مؤثراً ، والإجراءات الجيدة التي اتخذها دون أن يزيد النفقات على خزينة جلالتك . مكتب الجمارك سوف يوفر المزيد من الأموال

والذين يذهبون إلى ذلك المكان (....) "جارسيا دي ميلو" . لن يستطيعوا أن ينكروا الأخطاء التي ارتكبوها ، وسيتفهمون الوضع أكثر .

لا شيء ينقص تحميل تلك السفن ؛ لأن "دوم ديوجو" قد قام بكل ذلك بطريقة رائعة ، والتي سأكتب عنها بطريقة مفصله في رسائل أخرى .

للطريقة والأسلوب الممتاز الذي يقوم فيه على خدمة جلالتك ، فإن "جارسيا دي ميلو" يستحق التكريم والأوسمة ، ويجب الاحتفاظ به في خدمتك ؛ لأنه وزير مخلص ويستأثر بالإعجاب والتقدير .

وفي العام نفسه (١٦٠٩م)

بعث رئيس الأساقفة في "غوا" رسالة إلى رؤساء أديرة الأبرشية البرتغالية في لشبونه ، "غوا" في التاسع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦٠٩م ، يشكر فيها مبارك المشعشع والمسيحيين الذين معه : (٢٧)

- نسخة لرسالة بعثها الأب "اليكسو دي مينيسيس" "Alexo de Meneses" إلى الأبرشية ، عندما كان رئيساً للأساقفة في "غوا" وكبير أساقفة الهند .

(تبدأ الرسالة باستقالته ، وبيان بالأديره الأوغسطينية في الهند)

إن مشاريعنا هي الأكثر تشريفاً وجديرة بالاحترام كما أنها أساسية في الهند . الأب "بيلشيور دوس انجوس" في طريقه الآن إلى فارس مرة أخرى مع رفيق آخر لمرافقة الشاه أينما يذهب ، وقد تم تعيينه للقيام بذلك حسب تعليمات صاحب الجلالة للدولة . على أسقف الأبرشية

---

(٢٧) رقم الوثيقة والهامش.

الكتابة ، وكذلك الأب "أنطونيو دي جوفيا" المغادر إلى البرتغال سيقدم تقريراً عن كل شيء .

لسماحتكم السبب في إبداء الكثير من التقدير والعرفان للعمل الذي قام به في خدمة الرب والأخوية ، وأيضا لقدراته العظيمة . قدم الكثير هنا من علمه ومواعظه وصلواته ، وكان دائماً مثالاً ومقدراً جداً في هذا البلد . إذا كان العمل الذي في طريقه للقيام به ليس بتلك الأهمية كان علينا أن نحاول بشدة لمنعه من المغادرة .

بالقرب من نهر الفرات بين هرمز والبصرة هناك طائفة قديمة من المسيحيين المنشقين المعروفين في تلك الأنحاء كمسيحيي القديس "جون" . انتشروا عبر الحدود التركية الفارسية والكثير منهم مع الملك (بومبارك) العربي الذي يعاملهم بطريقة وحشية جداً ، ومن المحبط أن تسمع عما يعانيه المسيحيون الفقراء .

هؤلاء المسيحيين الذين أتى العديد من منهم إلى الهند بيضاً ، ويتسمون بالوسامة كأوربيين ، لكن هناك إدراك قليل هنا عما يحدث لهم ، ولذلك في بعض زياراتي طلبت أن أولئك الذين أتوا إلى تلك الأنحاء أن يُعمّدوا ، إن لم يكن ذلك قد تَم بعد .

عملت دائماً بجدّ لإحضار معلمين لمسيحيين من تلك الشاكلة بمثل ما لأولئك من "سيرا" ، لكن بما أن الطائفة في منطقة ملك عربي ، خلاصة حماس طائفة محمد (صلى الله عليم وسلم) ، وفي المكان الذي تأصلت فيه وحيث يتفاخرون كونهم من سلالته ، فهناك فرصة قليلة لإعطائهم تعليمات .

حدث أن قام هذا الملك بمحاولة تأسيس علاقات مع هذه الدولة ، وعندما

كنت حاكماً أرسل لي سفراء . أتمنى أن أستفيد من هذه الفرصة بعد العديد من المكاتبات في المرة الأولى للمسيحيين وأساقفتهم والتعامل خاصة مع الأمور المتعلقة بها هنا ، عندما استجبت لسفير الملك أرسلت اثنين من الرهبان حتى وهم في طريق عودتهم من بعثتهم يستطيعون التحدث مع اولئك المسيحيين .

ويكتشفون أين كان خطأهم الذي جعلهم يتصرفون ويؤمنون بالإيمان الكاثوليكي ويقدمون طاعتهم للكنيسة لمقدسة في روما ، وعلى الأخص التحقق من تعميدهم ، حتى على الأقل إمكانية إنقاذ الأطفال . لهذا اخترت الأب "بريزنتاساو" "Prezentasao" ، وهو مواطن من تلك الأنحاء لاهوتي معروف وواعظ جيد ، والأب "ماتياس" ، انجليزي جاء من البرتغال .

أصدرت لهم تعليماتهم وشكل الطاعة الذي يجب أن تكون عليه ، وأعلاه إيمانهم الذي عليهم الإقرار به ، وقد قمت بترجمته إلى (الكالديه) ، وأخبرتهم أن عليهم إرسال كتب استخدمت في كنائسهم وكل الاطفال الذين من الممكن الحصول عليهم ، وإرسالهم إلى هنا لتعلم الشعائر اللاتينية .

إن الخطأ الرئيس لأولئك المنشقين هو الجهل الكامل الذي كان عليهم أولاً إنشاء أخوية يستطيع الرهبان الاستمرار بالعمل فيها مع أولئك المسيحيين ، إن سمح العرب بذلك كانت ستكون أكثر ميدان خصب من فارس ؛ لأن سفننا من هرمز تغادر عبر ذلك المضيق كل الصيف ، وتزور موانئ ملك بومباي ، ويستطيع الرهبان الحضور

والذهاب بسهولة من هرمز ، تلقيت منهم رسائل يقولون فيها إنهم استقبلوا بطريقة جيدة من قبل الملك ، ووجدوا المسيحيين مستعدين لتلقي تعليماتهم ، وتم تحديد يوم لهم لإعلان إيمانهم الذي أرسلت نسخة منه من هنا ، وحتى الأساقفة اعترفوا بجهلهم ، وطلبوا من القساوسة تعليم المسيحيين .

وفي العام نفسه (١٦٠٩م)
ورد تقرير البعثات الأوغسطينية في الهند وفارس ، بتاريخ عام ١٦٠٩م ، وفي التقرير يدفع ملك هرمز منحة معينة كل عام لملك "لار" : [٢٨]

"كارلوس الونزو" "Carlos Alonso" : البعثات الأوغسطينية في الهند وفارس ، ١٥٧١م/١٦٠٩م

دمرت جيشين ، وأرسلت من العالم سنان باشا الذي كان عدواً عظماً للمسيحيين .

لم أذق طعم الراحة لسبع سنوات ، لكنهم جميعاً مرتاحين ولا يقومون بأي شيء ، وأنت الذي أرسلته مع سفيري ظللت من "غوا" ولم تذهب . لي ثقة كبيرة في ملك إسبانيا وأنك لتسعدني كثيراً إن كنت راغباً في العودة إلى إسبانيا مع سفيري لتقنع ملكك بما كنت أقنعتني أنا بعمله ، وأجبت بأنني جئت إلى هذا البلاط بناء على طلب

(٢٨) رقم الوثيقة والهامش.

جلالتك لأقوم بكل ما أمرني القيام به ؛ فإن لم أذهب في المرة الأولى إلى إسبانيا فلم تكن غلطتي ، وإنما خطأ حاكم الهند آنذاك ، وإنه متى ما طلب مني الذهاب لكنت مستعداً للمغادرة .

أجابني بحماس شديد "اليوم إذن" ، وعندما أخبرته بأنني على استعداد للذهاب في الحال ، طلب كتابة رسائل ، وقدم لي مرافقاً كان أحد المسلمين الأساسيين في بلاطه ، عندما كانت الرسائل والهدايا لجلالتك جاهزة سلمها لي ، وقصد بعد ذلك مدينته بأسرع ما يمكن .

تبعته ببطء وعندما ذهبت لتقبيل يده سألني عما كنت أفعل ، ولماذا لست في طريقي للمغادرة . أجبته بأنه تم صدي عن طريق اعتداء ، وأن إحدى سفنه هاجمت قلعة هرمز ولم يكن ممكناً ذهابي دون تعويض ، وقد يسمع جلالتك عن هذا العمل فوجدت أنه من المستحسن أن أقدّم بياناً مفصلاً عن ذلك حتى تأمر بما يجب عمله .

كانت عادة قديمة أنه على ملك هرمز أن يدفع كل سنة منحة معينة لملك لار[أ] ، وذلك نظير التزامه بحماية القوافل التي كانت تأتي وتذهب من هرمز عبر صحاري هذه المملكة ، وكانت تلك المنحة تعرف بالجزية أو الضريبة "موكاراريس" .

حدث قبل سبع سنوات أنْ قام ملك الفرس بهزيمة مملكة "لار" ، وبسبب الحرب أو لعدم معرفة هذه العادة التي كانت سارية بخصوص تلك المنحة أو الجزية ؛ فإنه لم يُسأل عنها أو يتم الإيفاء بها لست سنوات .

(أ) ملك هرمز تابع لجلالتك ، وملك لار جاره في الأراضي بالبر الرئيس .

قام بتأجير قصور وعائدات جمارك بمملكة "لار" لتابع له يدعى "قمبر بيك" . أُخطر الرجل بأمر تلك الجزية التي كانت تدفع بانتظام ، وأرسل يطلب دفعها في هذا الوقت كانت جمارك هرمز مستأجرة ، وكان القائد في ذلك الوقت غير قادر على اتخاذ قرار دون إخطار نائب الملك .

استغرقت الإجابة وقتاً طويلاً حتى تصل من "غوا" ، وكان هناك خوفٌ شديد من قيام اضطرابات جديدة . رأى مستأجرو مكتب الجمارك إن "قمبر بيك" قد يعيق القوافل بما أنه كان يهدد ذلك (وربما كانت فكرته أو نصيحته من شخص ما) فرأيت أنه قد يخاطر بالقيام ببعض ذلك فدُفعت الجزية لتلك السنة من ماله الخاص .

أصبحت قلعة هرمز آمنة إلا أنها كانت ملزمة بدفع الجزية كل سنة تحت التهديد ؛ لأنها إن لم تفعل ، فإنها ستثير غضب الفرس الذين لم يكونوا يعرفون من المتورط في الأمر . تَم دفع الجزية وحدث أن أرسل هذه السنة في طلبها فادَّعَوا أنها ليست الحق فقط ، ولكن امتلاكها تماماً هو المراد .

لعدم وصول رسالة من "غوا" بخصوص الموضوع ، فقد امتنع المستأجر عن الدفع دون طلب من المسؤولين عن الخزينة ، إلا أن أياً منهم لم يكن يريد التورط في الأمر خشية أن يلزموا بالسداد شخصياً . تسارع الأمر وقام "قمبر بيك" بالذهاب إلى باندل (بندر) (٣) مع بعض جنود مملكة "لار" بنية بناء قلعة أخرى بالقرب من قلعتنا هناك ، في مكان يسمى "تيسجو" التي كانت تزود قلعة هرمز بالمياه ، عندما رأى أهالي هرمز ذلك التحرك افتَدَوا ما سيحيق بهم بأموالهم ، وقاموا كما علمت

بسداد ليس فقط الجزية لتلك السنة ، وإنما لكل السنوات السابقة التي لم يتم دفع مستحقاتها .

كان الجيش الفارسي في هذا الوقت بالقرب من مدينة تبريز في مملكة "ميديا" ، ولم يكن مع الشاه أو مسؤوليه أي أخبار عما كان يحدث في هرمز ، وذلك لبعد المسافة بين المكان والآخر .

كان هذا واضحاً ؛ لأن حاكم "لار" كان شخصاً مهماً ، وهو هنا في الجيش كان يتحدث معي في يوم ما وشكا من أن مسؤولي هرمز لم يدفعوا له الجزية بالرغم من أنه قام بحماية القوافل أفضل مما كان يقوم به ملوك "لار" السابقين ، وفوق ذلك فقد رجاني أن أكتب عنه لنائب ملك الهند وقائد هرمز ، وأطلب ألا يكون بيننا أي سبب للخلاف أو سبب يدعو لعدم الوفاق بيننا .

لقد وافقت على طلبه واضعاً بعض شروط مربحة ومشرفة لكلينا ، إحداها كان أن السنين التي لم تدفع فيها الجزية يجب خصمها ، وذلك لعدم وجود من سأل عنها ، وافق على كل الشروط ، وبناء عليه ودون معرفة أي شيء عما يحدث هناك كما قلت ، أرسلنا رسائل واحدة منه وأخرى مني إلى هرمز .

لم يكن خطأ صغيراً أن يتركني الموظفون بهرمز دون العلم بما كان يحدث هناك ؛ لأنه كان واضحاً لي أنهم ان فعلوا ذلك لكان ذلك الخطأ قد تَم تفاديه بطريقة صحيحة ، وبتكلفة أقل لشرف وخزينة جلالتك دون أن يترك إمكانية لأي مستأجر لضرائب "لار" يريد أي أموال عليه ، وفقط القيام برحلة إلى باندل ، وسيقومون في الحال بإعطائه ما يطلب .

وصلت رسائلنا إلى لار ، رسالتي وكذلك رسالة الحاكم ، وعندما وصلت أخبار تلك الرسائل إلى "قمبر بيك" الذي كان يقوم ببناء القلعة بالقرب من قلعتنا أسرع للقيام بعمل اتفاقية مع هرمز ، عند وصول الرسائل كانت الاتفاقية قد تمت بالفعل ، ولذلك لم يكن لها أي نفع أو جدوى مهما كانت مرجوة من تلك الرسائل .

بعد بضعة أيام وصل الملك إلى مدينة أصفهان ، ووصلت أنا من بعده . أخطرني رئيس الدير في الحال بما حدث ، وقد علم به قبل عدة أيام من أحد التجار ، وبما إننا لم نتسلم رسالة الدير في الحال بما حدث ، وقد علم به قبل عدة أيام من أحد التجار ، وبما أننا لم نتسلم رسالة من هرمز .

ذهبت مباشرة إلى الملك وقدمت شكوى نيابة عن جلالتك بخصوص الاعتداءات التي يقوم بها أتباعه ضدنا كل يوم ، وطالباً من سموه أن يغفر لي بأنني لم أتمكن من أخذ أي من سفرائه معي ، ولم أرغب في أي معروف منه ؛ لأن جلالتك لم يكن ملكاً ترتكب ضد أتباعه أي عدائيات ، وطلبت منه الإذن لي بالمغادرة ؛ لأنني لم أستطع البقاء في مملكته .

كان مندهشاً للجرأة التي تحدّثت بها إليه ، وليس بأقل من الأخبار التي ذكرت فيها ما حدث ، وقال إنه كان بريئاً مثلي ؛ لأنه لم يكن على علم بها في ذلك اليوم ، وإنما علم بها فقط من شخصي . كان مستعداً لإعطائي كل ما يرضي من قوته إلا أنه قال ليس عليّ أن اتخلّى عن أهمية المباحثات التي كلفني بها ولا التخلي عن اصطحاب سفيره لمثل هذا السبب التافه ، وقال إن كان يقضي وقته في أصفهان

فقد كان خطأ منه لعدم معرفة ما كان يحدث في مملكته ، ودخولها في حرب خطيرة كهذه لم يكن ضرورياً أن تنشب ضده إن كان قد حدث أي شيء دون علمه .

هناك الكثير من الاعتبارات عن لماذا عليَّ القبول بالتعويض الذي يعرضه ملك فارس ، كما سأقوم باطلاع جلالتك إن كان الرب يقبل أن يأتي بي إلى الحضور في حضرتك الملكية ، ولذلك أجبت سموه بسعادتي على كل ما قام بترتيبه إلا أنني لا أملك المعلومات الدقيقة عن القناعة ورضا قائد هرمز ، وأرجو أن يأذن لي في التشاور معه ، وأرجو منه حالياً أن يطلب في الحال هدم القلعة التي بدأ في بنائها .

قد قام بمنح ذلك الأمر وأخبرني أن أعتبر أن ذلك قد تم ، مضيفاً أن "قمبر بيك" سيعاقب عن كل ما قام به ولكل اعتداءات مماثلة قام بارتكابها ، أو قد يقوم بارتكابها في هذا الأمر .

أتوقع أن يصل رد من قائد هرمز في أي يوم ، وعندها سأقرر التعويض الذي سأقبله من هذا الملك ، وإن جرى الأمر كما أتمنى فسأغادر إلى هرمز برفقة سفيره .

حالة الحرب التي أشعلها الملك ضد الأتراك في هذه السنة (١٦٠٨م) ، كانت : إن الشاه قام بعمل التجهيزات وذهب مع جيشه ليعسكر بين تبريز وبابل ، ليرى في أي جانب سينزل الجيش التركي ، بينما هو هناك حدث خلاف كبير بين باشا بابل وسكان تلك المدينة ؛ لأن السكان اختاروا سفراء من بينهم ، وأرسلوهم إلى ملك فارس مع مفاتيح المدينة طالبين منه الحضور والاستيلاء عليها . لم يذهب الشاه

في الحال ؛ لأن القلعة كانت في الجهة التي عليها الباشا مع أربعة آلاف من الجنود الأتراك .

أثناء تأخره وصل ابن سنان باشا إلى بابل ومعه جيش كبير ، وكان مراد باشا يقترب مع جيش آخر عن طريق "أرزيزو" (اذربيجان) أو "اسيريا" ، إلا أنهما وصلا متأخرين ؛ لأن الشتاء كان قد بدأ ، ولذلك لم يحدث أي شيء خلالها هذه السنة .

ملاحظة : باندل مدينة في البر الرئيس مقابل هرمز ؛ حيث توجد قلعة تخص جلالتكم .

وفي العام نفسه (١٦٠٩م)

ورد تقرير حول النشاط الكنسي في بلاد فارس للرهبان الأوغسطينيين ، تقرير موجز عن بعض الأعمال الأكثر أهمية التي قام بها رهبان القديس "أوغسطين" في فارس ، في خدمة الكنيسة الرومانية المقدسة وصاحب الجلالة ، "لشبونه" عام ١٦٠٩م ، ويذكر فيه حروب ملك فارس مع الممالك الشمالية لحدوده : [٢٩]

نسخة محفوظة في مكتبة "فيسكوند دا ترينيداد" "Visconde da Trindade" ، جامعة "كويمبرا" "Coimbra"

"أنطونيو دي جوفيا" : (رخص بالطبع والنشر في الثاني عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٠٨م)

في العام ١٦٠٢م ،وبموجب أمر من نائب الملك "ايريس دي سالدانها" والأسقف "دوم اليكسو دي مينيسيس" ، كبير أساقفة الهند ، لجماعة

(٢٩) رقم الوثيقة والهامش.

القديس "أوغسطين" ، تم إرسال ثلاثة من رجال الدين التابعين لتلك الجماعة إلى فارس من مدينة "غوا" ، عاصمة وحاضرة دولة الهند ، وحملوا رسائل من صاحب الجلالة ونائب الملك والأسقف .

تم توجيه الرهبان أيضا بأن يناقشوا مع ملك فارس التبشير بالإنجيل والحرب مع التركي والسلام مع دولة الهند ومملكة هرمز .

من بين رجال الدين الثلاثة الأب "جيرونيمو دا كروز" "Jeronimo da Cruz" – وهو رجل له فضائل عظيمة ، ويتراوح عمره بين خمس وستين وخمس وسبعين عاماً ، وكان مطراناً لسنوات طويلة في مقاطعة البرتغال ، وبسبب تواضعه الكبير لم يكن راغباً في قبول منصب أسقف الأبرشية الذي تم انتخابه ليشغله ، وفضّل خدمة الرب وصاحب الجلالة ككاهن اعتراف على سفينة "قادس" أرسلت ضمن الأرمادا ضد الإنجليز .

كان الراهبان الآخران هما "كريستوبال ديل اسبيريتو سانتو" "Christopal del Espereto Santo" – وهو من مواطني "إيليسكاس" قرب مدريد – والأب "أنطونيو دي جوفيا" – ، وهو معيد في اللاهوت في دير "غوا" التي كان رئيساً لدير الرهبان فيها .

قد أحسن ملك فارس استقبال هؤلاء الرهبان ، وأمر سريعاً ببناء كنيسة ودير صغير للرهبان في مدينة اصفهان ؛ حيث يوجد بلاطه وهي عاصمة مملكته .

بدأوا يتلون القداس هناك ويقدّمون العظات ويسمعون الاعترافات علانية ، ويحوّلون الناس إلى المسيحية دون أي عقبات مطلقاً ، وكان

الكثير من الناس يفدون إلى الكنيسة إلى حد أنها كانت تزدحم بهم على نحو غير عادي ، وكانوا يستمعون إلى المواعظ بخشوع ، وكان عدد الذين يترددون على الكنيسة في بعض الأيام يماثل عدد المسيحيين الذين يذهبون للكنيسة في أيام الأعياد .

كان جميع المسلمين الذين يمرض أطفالهم يحضرونهم إلى الكنيسة ، ويطلبون من الرهبان مسّهم بالصور وبالإنجيل والصلاة من فوقهم ، وكان شفاء الأطفال يتم على أيدي الرهبان .

قد أثرت أعمال مدهشة على هؤلاء المسلمين الكفار بدرجة كبيرة إلى حد أن عدداً كبيراً منهم تحول هناك إلى النصرانية ، وأصبح عدد كبير منهم يتوجه إلى "غوا" للتعميد .

كان الرهبان يتلون القداس المقدس علانية ويقرعون الأجراس ويستمعون إلى الاعترافات ويقدمون العشاء الرباني في أيام العيد إلى الأرمن والمسيحيين من أهل البلاد والأجانب .

بالنسبة للأب "جيرونيمو دا كروز" - الذي حفظه الرب لهذا العمل - فقد جاء إلى هذه المناطق عندما أصبح عجوزاً وضجراً ؛ بسبب رغبته المحمومة في نشر العقيدة ، وأن يلقى الشهادة من أجلها ، وكانت حماسته مفرطة إلى حد أنه تعلم اللغة الفارسية ، وبدأ يلقى عظاته ، ويبشّر بالإنجيل ، ويدرّس المبدأ النصراني علانية بتلك اللغة لأطفال الأرمن والمواطنين .

أقام نوعاً من المعهد الديني حتى يصبح هؤلاء الأطفال الذين نشأوا على حليب عقيدتنا المقدسة وعاداتنا الطيبة قساوسةً ، وعندما

يدرسون أبناء بلدهم سيعملون على المحافظة على النصرانية وطهارة الإنجيل وتعزيزه ، وفور وصول هؤلاء الرهبان الأوائل إلى فارس حاولوا على الفور إقناع ملك فارس بشن الحرب على الأتراك .

بعد أن اقتنع بالأسباب التي قدموها له ، هاجمهم في أشرس حرب واجهوها منذ عهد تيمورلنك ، ونتج عنها أن استولى الملك على مدينة تبريز وبلدات أخرى كثيرة وهزمت قواته الباسلة الأتراك (حسبما سيرد لاحقاً) .

قد تم سرد هذه الوقائع في الرسائل المرسلة من أسقف "غوا" والأب "أنطونيو دي جوفيا" والتقارير المرسلة من خدم الرب المقيمين في فارس .

في الرابع عشر من شهر فبراير عام ١٦٠٤م غادر الأب "بلشيور دوس انجوس" والأب "ديوجو دي سانتا آنا" والأب "جيلهيرم دي سان أوغسطينهو" "غوا" ، وقد تم إرسالهم إلى فارس بأمر من نائب الملك والأسقف بصحبة "لويس بيريرا دي لاسيردا" - الذي كان ذاهباً كسفير من صاحب الجلالة ، وغادروا هرمز جميعاً في الثاني والعشرين من شهر إبريل من العام ذاته .

كانت رحلتهم شاقة ؛ بسبب الحرارة المرتفعة والبرد القارس فوصلوا إلى معسكر ملك فارس في الثاني والعشرين من شهر أكتوبر ، وفي كل يوم من أيام الرحلة كان القُدّاس يتلى في خيمة السفير وبوجود مذبح محمول تَم إحضاره من هرمز لهذا الغرض ، وقد أدّوا أوّل قُدّاس على التراب الفارسي وهو قداس يوم الأحد الذي يلي عيد الفصح .

والذي يبدأ بـ "كما يتلهف المواليد الجدد للحليب" الذي نظر إليه

الرهبان كتأكيد وبشير بأن الرب سيجعل عيون الكفار تتفتح ، وبينما هم ضعفاء في العقيدة إلا أنهم سوف يَسْعون إلى حليب العقيدة النصرانية من أبناء أبينا القديس "أوغسطين" البطريك العظيم .

كان أول شيء نصراني مرّوا به في فارس هو الدير الصغير وكنيسة المتدينين في مدينة أصفهان ، بلاط ملك فارس ، الذي تم إبقاؤهم فيه كرجال ذوي قداسة وحَظَوْا بالاحترام الكبير من الأهالي والأجانب .

استمروا في عباداتهم ومواعظهم واعترافاتهم ، وساعدوا الأهالي في حل مشاكلهم وتخليصهم من أمراضهم بصلواتهم ، كما قيل سابقاً ، وكان الرب قد أحدث بعض المعجزات وسط هؤلاء الناس من خلال الأب "جيرونيمو دا كروز" العجوز الطاهر .

يحكي الأب "بيلشيور دوس انجوس" ورفيقاه كيف شاهدوا بأم أعينهم ابنة أحد الأعيان وهي تُشفى بفضل صلوات الأب "جيرونيمو" من مرض خطير للغاية ، وترددت على الكنيسة بورع شديد ومعها قرابين ، وهكذا ، فإن رجال الدين يستمرون في نشر الإنجيل بالكلمات ومن خلال حياتهم المتقشفة وورعهم النموذجي وعيشهم في فقر مدقع ، وعدم قبولهم أي هدايا قيمة من التي يقدمها لهم الملك والأعيان وكبار الشخصيات .

بينما كان هؤلاء الرهبان في أصفهان زارهم شاب ألماني قال إنه نصراني ، وكان أسيراً في المجر لمدة ثلاثة عشر عاماً ، وقد أصبح مسلماً في شبابه ولكنه يريد الآن العودة إلى العقيدة المقدسة ، وطلب المساعدة من الرهبان الذين قدموها له وأرسلوه إلى الهند .

في الوقت ذاته ، وبعد أن عرفوا أن هناك رجلاً فرنسياً أيضا كان قد

أسره الشاه خلال الهجوم على تبريز ، حصلوا على تصريح للتحدث إليه من القائد الذي أسره ، واكتشفوا أنه كان يقاتل في صفوف الأتراك في الحرب بالمجر لمدة سبع سنوات ، ولكنه بقي نصرانياً على الدوام ، وطلب أن يعترف ، فقدّم له الأب "جيرونيمو" الأب "ديوجو دي سانتا آنا" ككاهن اعتراف ، وقدّم اعترافه باللاتينية بكثير من الندم وأطلقه الرهبان من الأسر .

في تبريز جاء شاب مسلم جادّ مع آخرين إلى الأب "بيلشيور" ليناقش معه بعض جوانب النصرانية ، وأشار المسلم إلى الأب ليرسل الآخرين بعيداً ، وهو ما فعله الأب ، ثم أغلق أبواب الغرفة وقال للأب إنه مسيحي بقلبه ، وطلب منه وهو يبكي أن يعلمه العقيدة ما دام الرب قد جاء به إلى تلك المدينة ، وعندما سمع من الأب عن قدوم المسيح ووفاته نبذ محمداً وشريعته عدة مرات ، وطلب وهو يبكي إعطاءه ماء التعميد المقدس .

عندما سأله الأب عن المدة التي احتفظ خلالها بهذه الرغبة في أن يصبح نصرانياً أجاب أن والده كان غنياً للغاية - كما كان هو أيضا - وكان مولعاً بالتقشف وحياة العزلة ، وعندما أوشك على الوفاة استدعى زوجته وأولاده ، وقال لهم :

"آمركم بأخذ جسدي الميت ووضعه في الطريق ومن يمر ويدفنني فعليكم أن تعرفوا أنني عشت على عقيدته ، وستنقذكم تلك العقيدة" ، وعندما تم وضع الرجل المتوفى في الطريق مرّ عدد من المسلمين دون أن ينتبهوا له ، ولكن عندما جاء بعض المسيحيين الأرمن ، وشاهدوا الجثة المكشوفة قاموا بدفنها .

منذ تلك اللحظة رأى الشاب ما حدث ، وأصبح نصرانياً بقلبه ، وكان يذهب سراً في بعض الأحيان إلى كنائس الأرمن ، وتحدث معهم عن عقيدتنا المقدسة ، وقد احتجزه المسلمون وعاقبوه بسبب ذلك ، ولكنه فور سماعه بأن سفيراً نصرانياً سيجيئ ، وأن معه رجال دين ظل ينتظر وصولهم بحماس شديد بأمل أن يتم تعميده ويبيع ممتلكاته ويذهب إلى هرمز .

"أنطونيو دي جوفيا" : تقرير موجز

تقرير عن النصرانية القديمة في فارس وأرمينيا

التي درسها الرهبان ، وأشياء أخرى حدثت

على مسيرة ثلاثة أيام من مدينة تبريز ، عاصمة "ميديا" "Media" ، تقع جلفار ، مدينة الأرمن حيث لا يعيش أي مسلم ، وقبل أن يدخلها الأب "بلشيور" ورفيقاه خرج كثير من القساوسة الأرمن للترحيب بهم وهم يرتدون ملابس واقية من المطر ويحمل البعض كتب القداس التي تظهر على أغلفتها صورة المسيح مخلصنا المصلوب .

بينما حمل البعض الآخر صلبان مرفوعة ومباخر ، وكانوا يرددون ترانيم بطريقتهم ، ونزل الرهبان وبقية مرافقي السفير بعد ذلك وركعوا على ركبهم ، وقبلوا صليب المسيح بتوقير بالغ ، ومشى الرهبان وراء الموكب إلى كنيسة القديس "يوحنا المعمدان" التي كانت زاخرة بالشموع ، وبعد أن أدوا بعض الصلوات تم الترحيب بالرهبان والآخرين .

قال الأب "بيلشيور" للقساوسة الأرمن إنهم يريدون أن يسمعوا في

اليوم التالي واحداً من قداساتهم ، وأنه سيسأل جماعة من علمائهم عن نمط نصرانيتهم ، وفرح القساوسة كثيراً ؛ لأنهم لم يكونوا قد رأوا في بلدهم حتى ذلك الوقت أي رجل دين أفرنجي ممن يسمونهم رجال الكنيسة اللاتينية .

في اليوم التالي تجمعوا جميعاً في كنيستهم الرئيسة المكرسة للقديس جورج وأدوا القداس مع جميع الطقوس الإغريقية بما أن الكنيسة إغريقية أيضا .

عندما انتهى القداس ، سأل الأب "بيلشيور" جميع القساوسة عما إذا كانوا يطيعون البابا وما إذا كانوا يعترفون به كرئيس عالمي للكنيسة ، وأجابوا بالإيجاب وبأنهم يعرفون أنه يشغل مكان القديس "بطرس" و"يسوع" على الأرض .

سألهم أيضا – بما أنهم يعترفون بالبابا – عما إذا كانوا على استعداد ليطيعوه إذا قرر بعض أمور في العقيدة تتعارض مع ما كانوا يؤمنون به ؛ فأجابوا بنعم ، وأن السبب في عدم لجوئهم إليه ليقودهم ؛ فمرده هو أنهم تحت ووسط الأتراك .

ولكن بدا أنه من الصعوبة بمكان إقناعهم بتغيير طرائقهم ، والتي كانت تتبع تعاليم الكنيسة الإغريقية ؛ لأنه عندما ضغطنا عليهم لتعديل بعض طقوس احتفالاتهم التي تغاير طرائقنا أجابوا بأن القديس "جورجيوس" قد أمرهم بذلك بهذا الإيمان غير المعتمد على تعاليم الدين ، فإنهم ظلوا خاضعين لسلطة البطريرك في القسطنطينية .

أيضا قالوا بأن أكثريتهم قد زارت (حجت) إلى روما لتقبيل أقدام

قداسته (البابا) ، وأنهم يطيعون البطريرك في القسطنطينية خشية السلطات التركية .

عندما سئلوا عن قوانين وبنود العقيدة والإيمان الكاثوليكي وطقوس الكنيسة ، وجد الأب أن إجابتهم غير خاطئة ، وأنهم يمارسون المقدسات السبع تماماً ولكن بطرق قداس تختلف عما نمارسه في الكنيسة الرومانية .

إن رهبانهم يتزوجون ولكنهم لا يقيمون القداس . الآباء لا يتزوجون وهم الذين يقيمون القداس ، يلبسون ما يشبه غطاء الرأس (القلنسوة) ، ويعيشون في معمودية ولكنهم لا يعرفون من بناها أو أسسها ، ويقيمون القداس فقط في أيام الآحاد ، يهتمون كثيراً بالطقوس والمظاهر أما الآباء فيهم فيحرمون الكثير من الأشياء ؛ فهم لا يأكلون اللحم أيام الأربعاء والجمعة والسبت .

عندما كان الآباء في مدينة جلفا ذهب أربعة رجال إلى منزل سفير جلالته قاطعين مسافة ثلاثة فراسخ لسؤاله ليتدخل عنهم لدى ملك فارس ليزيح الظلم الكبير الذي يحيق بهم من جانب الأتراك . كانوا معممين وبحلاليب بأغطية وأكمام طويلة ، ووفق ما قالوه فلقد كانوا كلهم قساوسة من المذهب الدومنيكي الذي يخضع للكنيسة الرومانية والتي من طرفها كانوا يحصلون على الأساقفة لأربعة قرون ، ولهذا السبب ، وبخلاف الأرمن ، فإنهم يسمون (الفرنجة) .

نظراً إلى أن السفير لم يرد أن يخرج مسافة فرسخين عن طريقه ؛ ذهب الرهبان مسيرة يوم قبله مع ثلاثة جنود إلى مكان يعيش فيه رجال

الدين هؤلاء ، وعندما وصلوا إلى الكنيسة خرج رجال الدين ليرحّبوا بهم ترحيباً حاراً .

عندما دخلوا الكنيسة وجدوا ماء مقدّساً ، وهو ما لا يوجد لدى أرمن الكنيسة الإغريقية - ، وكانت في الكنيسة مذابح كمذابحنا ، وصلوا بفرح وهم يرون ذلك الالتزام التام بعقيدة المسيح في وسط الأتراك ، وفي بلاد بعيدة للغاية عن الاتصال بالنصرانية .

اصطحب رجل الدين رهباننا إلى غرفة المقدسات وملابس الكهنة ؛ حيث أطلعوهم على تيجان وزخارف أسقفهم الذي توفي قبل عامين ، وكانت بعض الزخارف ثمينة ، وقد حملت أذرع البابوات الذين قدموها له ، وأطلعوهم أيضا على صليب فضي كبير مصنوع في روما ، وبه آثار كثيرة وآثار أخرى للصليب المقدس والقديسين في المذاخر وكلها مصنوعة في روما .

طلب رهباننا من القساوسة الأرمن أن يعلنوا أن على الجميع الحضور في اليوم التالي إلى الكنيسة ؛ لأنهم يرغبون في إقامة قداس بالطريقة الرومانية وليسمع الجميع واحداً منهم ، وامتلأت الكنيسة بأولئك النصارى المضطهدين البؤساء الذين كانوا حتى وقت قريب أتباعاً للتركي ، والذين استمعوا للقداس بخشوع بالغ ، وأدى رئيسهم بعد ذلك قداساً آخر مع شماس وشماس مساعد وبجميع الاحتفالات الرومانية دون أيّ فرق ما عدا في اللغة التي كانت أرمنية .

بعد الرسالة الإنجيلية أظهر القسيس الصليب للناس وهو يؤدي ترنيمة ، وأظهر الناس لها التبجيل بخشوع شديد ، وكان ذلك هو الاحتفال الوحيد الإضافي على طريقة روما .

عندما انتهى القداس قدّم الأب "بيلشيور" عظة باللغة التي كانت عزاء كبيراً ، وشجعهم على المعاناة من أجل "يسوع" وعقيدته المقدسة ، وعندما انتهت الموعظة كان الجميع يبكون وهم يقبلون رداء الراهب أو قدميه أو يديه ، وهم سعداء للغاية ؛ لأنهم لم يروا رهباناً آخرين من الفرنجة في تلك البلاد .

بعد ذلك تجمع رهباننا مع القساوسة الأرمن ، وسألوهم عن أصول نمط نصرانيتهم وعن عدد المدن التي يوجد لديهم فيها قساوسة ورجال دين .

أجابوا بأن أسقفاً يدعى "بارثلوميو" "Bartholomew" جاء إلى هناك قبل أكثر من أربعمائة عام ونشر عقيدة المسيح وهدى بعض المدن إلى النصرانية ، ونظراً إلى أنه واصل عظاته ، وبعد أن هدى سبع مدن كبيرة للنصرانية ، جاء إلى مدينة كان لا يزال نصفها من الكفار ، فقدموا له السم وقتلوه ، وكان هذا الرجل المبارك قد درّسهم العقيدة ، وعلّمهم كيف يكونون مطيعين للكنيسة الرومانية .

منذ ذلك الوقت كان الأساقفة يأتون من روما ليوجهوهم ، وكانوا جميعاً رهباناً من جماعة القديس "دومينيك" "Dominique" ، كالأب "بارثلوميو" المبارك ، وكانوا إما من أهالي البلاد أو من الأرمن ؛ إذ أنه فور وفاة أسقف ، كان راهبان يذهبان إلى روما وكان أحدهما يُرسَّم أسقفاً ، وقد مر عامان منذ أن ذهب رجال دين منهم إلى روما ليعود واحد منهم أسقفاً ، ولكنهم لم يعودوا ؛ لأن الحروب تعوق رحلتهم .

لا يتميز نمط دينهم بالنضج ذاته الذي يوجد في أوروبا ، وهم

يحتفظون بالأمور الجوهرية في نذرهم ، والأسقف هو رئيس ديرهم دائماً ، وفي غيابه يترك مطراناً يطيعه الجميع كما يطيعون رئيس الدير .

عندما أراد رهباننا رؤية بعض كنائسهم ذهبوا إلى واحدة تبعد مسافة نصف فرسخ ، وقابلهم في الطريق قسيس عجوز اسمه الأب "دومينيك" ، وقد بدا عليه من مظهره وهيئته أنه موقر للغاية ، وبعد أداء صلاة ، كشف لنا عن أحد ذراعي الحواري المجيد القديس "جود ثادايوس" "Jude Thadius" الذي استشهد في فارس .

قد كشف الذراع حتى المرفق ، وقد تم وضعها داخل علبة خشب حتى لا يسرقها الأتراك ، وفي بعض الأماكن كانت عظام الذراع واضحة ، وتم اطلاعهم أيضا على صليب ثقيل وعريض مصنوع من الحديد ؛ صنعه القديس بيديه المقدستين وشكل بهما الحديد وكأنه الشمع .

تم دفن "بارثلوميو" المبارك في هذه الكنيسة وشاهدوا قبره ، ويأخذ النصارى بعض التراب من قبره يداوون به بعض أمراضهم .

على المذبح توجد رافدة للقديس "يوحنا المعمدان" من قطعتين ، ورافدة أخرى للعذراء وهي تحمل طفلها في حضنها ، وهذه الرافدة محطمة نوعاً ما ؛ لأن الأتراك حاولوا تدميرها ، ولكنهم لم يستطيعوا ذلك فقطعوها واقتلعوا عيون العذراء والابن بأطراف سيوفهم ، ويحمل رجال الدين الأرمن الرافدة بتبجيل عظيم ، ويقولون إنها تفعل معجزات .

في كنيسة أخرى ، على مسافة فَرْسخ ، كان رجال الدين أنفسهم يحتفظون بالشفرة الحديدية لرمح يعتقدون أنه الرمح الذي اخترق

جنب المسيح ، ولكن رهباننا لم يتمكّنوا من الذهاب إلى هناك ؛ لأن السفير كان قد سبقهم بالفعل بمسيرة يوم كامل .

لكن ، وخلال عودتهم ذهبوا إلى هناك ولقرية على سفح جبل تغطّيه الثلوج ، وداخل الكنيسة التي كانت صغيرة وجدوا رجلي دين شديدي التقوى وفقاً لأسلوب حياتهما .

جاء جميع أهالي القرية لرهباننا ، وبعد أن صلوا ؛ طلب رهباننا من رجلي الدين المسؤولين عن المكان اطلاعهم على آثارهم المقدسة ، واصطحبهم أحد رجلي الدين إلى غرفة المقدسات وملابس الكهنة ؛ حيث وجدوا على مذبح صندوقاً خشبياً له أبواب مغلقة بأقفال ، وبداخله الشفرة الحديدة التي يقولون إنها اخترقت جنب المسيح ، وعندما فتح رجل الدين الصندوق ذرفوا الكثير من الدموع ، وكذلك فعل الحاضرون معهم وركع دون أن يلمس الأثر .

حمل أحد رهباننا الأثر الضخم بيديه واتجه نحو الناس ، وبدأ يردد ترنيمة "The Deum Iaudamus" مع زميله ، وعندما وصلا إلى نهايتها أدّوا صلاة الصليب ، وقبّل كل واحد من الحاضرين الأثر بخشوع شديد ، وتم إخراج الأثر من غرفة المقدسات في صندوقه ملفوفاً في قماش مذهب ، وارتفعت حماسة الناس إلى حد جعل دموع الكثيرين تسيل وأحدث فيهم منظره اضطراباً دفع أقسى القلوب إلى أن ترتعش ، وقاس رهباننا طول وعرض الشفرة الحديدية وسجلوها على ورقة وأرسلوها إلى أسقف "غوا" .

أكد الجميع أن الشفرة الحديدة حققت الكثير من المعجزات ، وفي

مرات كثيرة ، عندما حدث طاعون كانت الشفرة الحديدية تُحمل في موكب فكان الطاعون يختفي .

لاحظ رهباننا أن الأثر المقدس تنبعث منه رائحة طيبة ، وكان يحرك مشاعر كل من يراه بحيث اقتنع الجميع أنه أثر مقدس .

عرض رهباننا إعطاء رجال الدين الأرمن أي شيء يطلبونه مقابل الحصول منهم على الشفرة الحديدة ، ولكن الأرمن ردوا بأنهم حتى لو حصلوا على جميع الآثار المقدسة في العالم ؛ فلن يعطوهم تلك الشفرة الحديدة ، وأنهم سيقطعون رأس أي شخص يحمل هذه الشفرة الحديدة بعيداً عن مكانها .

يحكي رجال الدين الأرمن أن البابا طلب من أحد أساقفتهم إعطاءه ذلك الأثر المقدس ، ولكنه رد عليه بأنه وبسبب المعجزات التي تحققت بفضل ذلك الأثر فقد أصبح الوسيلة التي اهتدى بواسطتها كثير من الكفار إلى النصرانية ، وبقي المؤمنون بفضلها متمسكين بعقيدتهم خلال جميع عمليات الاضطهاد التي تعرضوا لها على أيدي الأتراك ، وعندما سمع الباب ذلك قرر التخلي عن طلبه .

عندما ترك رهباننا رجال الدين الأرمن شاهدوا من مكان مرتفع سفينة نوح العالية للغاية والمغطاة دائماً بالثلوج ، وقد سافروا لمدة ثمانية أيام قبل أن يصلوا إلى سفح هذا الجبل والذي وجدوا عند قاعدته ثلاث كنائس مشيدة على نحو ممتاز بالحجارة .

يعيش البطريرك الأرمني في الكنيسة الوسطى مع عدة رهبان ، ولكنهم لم يجدوه هناك ؛ لأنه كان قد ذهب إلى جلفا ، وعموماً ،

فإن أحد أساقفته خرج مع رهبان ليرحب بهم ويقودهم إلى الكنيسة الوسطى ، وكانت هناك شموع كثيرة تشتعل ، وفي الوسط يوجد حجر على الأرضية مرفوع بمقدار ذراع عن البقية وطوله حوالي شبرين وعرضه شبر واحد ومغطى بقماش مقصب وبجواره شمعة مشتعلة .

بعد الصلاة ، سألوا عن الحجر الغامض ؛ فأجاب الأسقف بأن القديس "جريجوري نازيانزينوس" "Gregpri Nazianzenos" أمضى عدة أيام على الجبل يتضرع إلى الله من خلال الصوم المستمر والصلاة المتواصلة ليكشف له عن المكان الذي قدم فيه البطريرك نوح أول قربان بعد الفيضان ، وفي إحدى الليالي ظهر له المسيح (Risen Christ) وبيده قضيب ، ولمس ذلك الحجر ، وقال له : "هذا هو يا "جريجوري" المكان الذي أردت أن تعرفه والذي تم تقديم القربان فيه" .

عمل القديس العظيم بعد ذلك على قطع الحجر ، وبنى الكنيسة ووضعه في وسطها ، وتم تشييد الكنيستين الآخريين ، ويعيش البطريرك هناك مع أنها قرية صغيرة للغاية .

يأتي المسلمون من مناطق نائية ليروا الحجر ويعظمونه ، وتلقى رهباننا تصريحاً لصنع مذبح من ألواح خشبية ليؤدوا القداس عنده ، وكان في ذلك سلوى كبيرة لهم ، وقد صلوا للرب من أجل أن يهدي الكفار للنصرانية .

لهذه الكنيسة باب قوي ومنيع للغاية وهو مغلق ، ويقول رجال الدين الأرمن إن القديس "جريجوري" العظيم ترك وصية بأن الباب عندما يفتح سيكون العالم كله نصرانياً ، وحاول الأتراك بكل قواهم

فتح الباب ، وهناك علامات معاول واضحة على الباب ، ولكنهم عجزوا عن فتح الباب .

على مسافة فرسخ من الكنيسة وقع حدث يجب ذكره ؛ فقد كان اثنان من الفتية يرتكبان أعمالاً شنيعة ، وبلغ أذاهم حد أنهما تزوجا بعضهما البعض ، وقال الأكبر للأصغر : "عليك بارتداء ملابس كالنساء ، وسنذهب إلى الأب في الكنيسة وسيستقبلنا" .

ذهبا إلى الكنيسة بتلك النية البغيضة ، وكان القسيس طائشاً إلى حد أنه استقبلهما دون أن يحاول الحصول على مزيد من المعلومات ، وبعد أن فعل هذا ظهر المسيح مخلصنا للقسيس ، وقال له : "هل تعلم ما فعلت؟" فرد القسيس : "لا أعرف" ، وقال له "يسوع" : "إذا لم تكن تعرف فاعلم الآن أن هذه الكنيسة شاهدة على ذلك الأمر البغيض ، وستنقلب رأساً على عقب" .

رأى رهباننا الكنيسة وهي منقلبة بهذه الطريقة ، وفحصوها بعناية وتوصلوا إلى أنها انقلبت فقط بمعجزة ، وليس مدهشاً أن الذي قلب المدن ؛ بسبب هذه الخطيئة الشنيعة يقلب الكنائس بينما ينبغي تقديسها ، وعندما وصل الرهبان والسفير إلى معسكر الشاه ، ملك فارس ، وجدوا هناك ألكساندر خان - وهو دوق من جورجيا ومعه أسقف وقسيسان ، وزار هؤلاء رهباننا وناقشوا معهم شؤون النصرانية ، ووجد رهباننا أنهم يعتقدون أن الأعراف موجود وسيبقى قائماً حتى نهاية العالم ، ومن ثَمّ ستكون هناك جنة وجحيم فقط .

أما بالنسبة لأشخاص الثالوث الأقداس فهم يعتقدون أنهم

متساوون كما نعتقد نحن ، وهم يعترفون بالبابا بصفته رئيس الكنيسة العالمي ، وأنه يشغل مكان "يسوع" على الأرض ، ولكن كان لديهم رئيس آخر للكنيسة في القسطنطينية ؛ لأنهم لم يكن بمقدورهم طلب العون من روما .

كان مع هذا الأسقف مذخر مثل كتاب ذهبي بداخله أثر مقدس من الصليب المقدس ، وكان لدى الدوق مذخر آخر به سن من القديس "يوحنا المعمدان" ، وكانت السن تبدو جديدة ومتماسكة وكأنها أخرجت من فمه للتو .

سيكون من السهل جلب هؤلاء الناس إلى الكنيسة الرومانية من أجل إضاءة إيمانهم ، وبخاصة في هذا الظرف الراهن ؛ حيث إن ملك فارس قد احتل هذه المناطق والأراضي ، ولسوف لن يسمح لهم أن يدينوا بالطاعة والولاء لبطريرك من القسطنطينية .

إن الآباء "الأوغسطينيين" هم الآن مشغولون بهذا العمل لتحويلهم إلى مذهبهم ، وبأمل أن يدعمهم جلالته وقداسته فيسهل عليهم حملهم على الإيمان والطاعة للمعتقد الجديد .

"أنطونيو دي جوفيا" : التقرير الموجز

تقرير عن الحرب التي شنها شاه فارس ضد التركي من سبتمبر عام ١٦٠٣م إلى ديسمبر عام ١٦٠٤م وانتصاراته ، والفوائد المتوقعة منها بالنسبة للنصرانية ونشر الإنجيل .

إن زعيماً كردياً يدعى غازي بيك في "ميديا" ، بالقرب من تبريز ، وهو

أحد رعايا التركي ، وكان يدفع الجزية لباشا تبريز ، وكان صديقاً حميماً لشاه فارس ، وقد حاول دائماً إقناعه بشن الحرب على التركي ، وبتشجيع من هذا الرجل عبر رسائل وخطابات ، بعث الشاه برسالة مفادها أنه إذا تمرد ضد التركي ، ولم يدفع الجزية لباشا تبريز ، فسيدرك الباشا أنه يتمرد وسيهاجمه ، وسينتهز الشاه هذه الفرصة ويهاجمه من الخلف .

هكذا حدث الأمر ؛ فقد زحف الباشا على غازي بيك بسبعة آلاف فارس ، وعندما كان في مسيرة ثمانية أيام من تبريز علم غازي بيك بتقدم الباشا وتراجع .

في اليوم ذاته الذي تم إبلاغ ملك فارس بحملة الباشا ، توجه من أصفهان على رأس عشرين ألف فارس - ؛ إذ أنه كان يحتفظ بذلك العدد معه دائماً - دون أن يعطي إشعاراً عن نياته ، وعلى الرغم من أن الرحلة من أصفهان إلى تبريز تستغرق عشرين يوماً وأكثر ، على أساس ستة أو سبعة فراسخ في اليوم ، فقد اجتاز الشاه المسافة خلال تسعة أيام .

عندما كان الشاه على مسافة فرسخين من مدينة تبريز ، عاصمة وحاضرة ميديا ، ذهب إلى منزل يشغله رجال يحصّلون رسوم القوافل ، ودق على الباب ، ومعه بعض رجاله ، قائلاً إنه تاجر ، وفتح "الرهادار" (وهذا هو اسم الرجال الذين يقومون بتحصيل الرسوم) الباب ، وسألوهم عن البضاعة التي يحملونها ، وبعد مناقشة تظاهر خلالها بأنه قائد القافلة ، رأى أن قواته كانت توشك على الوصول ، قطع رؤوسهم ، وركب جواده بعد ذلك .

في تلك الليلة ذاتها وصل إلى بوابة قلعة تبريز ، وتجاهل المدينة ؛

لأنها ليست مسورة ، ودق على البوابة فسأله الحارس عن هويته ، ورد الشاه بأنه تاجر لديه جمال وبضاعة ، وأن عليهم فتح البوابة ، وأجابوه من الداخل بأن عليه الانتظار حتى الصباح ؛ لأن القلعة لا تفتح ليلاً .

أمر الشاه جيشه بالوقوف ، وأطلقت أبواقه التي كانت معروفة تماماً ، وقد أثارت فزعاً كبيراً ورعباً وسط الناس في القلعة والمدينة ، وأرسل ابن الباشا - وكان قائداً على القلعة - ثلاثة رسل على ظهور الخيل لتحذير والده من الخطر الذي يواجهه بوصول الشاه ، ولكن الباشا قطع رأسي الرسولين الأول والثاني قائلاً إنهما كانا يكذبان .

ولكن التحذير الثالث أقنعه بأن الخبر حقيقي ، ولكنه أخفاه من جنوده حتى لا يثبط عزائمهم ، وأبلغ قادته أن الشاه قد توجه إلى تبريز ، ولكنه يأمل بواسطة السبعة آلاف رجل الذين يحتفظ بهم في أن يدخل القلعة عن طريق اختراق جيش الشاه .

توجه إلى تبريز ليحقق هذا الهدف ، وعندما أصبح على مسافة ثلاثة فراسخ منها واجه أحد قادة الشاه ومعه ألفان من رجاله ، ثم واجه آخر ومعه ألف وخمسمائة رجل ، وسرعان ما فر هؤلاء الجنود في حين جاء الشاه بجيشه كاملاً ، وشكّل به هلالاً ليحاصر الأتراك ، وبالنسبة للذين هربوا فقد قتلهم الأهالي أينما ذهبوا ، لأن الأتراك كانوا مكروهين إلى درجة كبيرة في تلك المناطق .

يقال إن النساء الفارسيات في تبريز في ذلك الوقت اللواتي أنجبن أطفالاً من الأتراك قطعوا رؤوسهم ، وأخذوهم إلى الشاه كعلامة على الحب وكراهية للأتراك ، وقد لقي ثلاثمائة فارسي مصرعهم خلال هذه المواجهة .

بعد تحقيق هذا النصر ؛ هاجم الشاه القلعة لمدة سبعة وعشرين يوماً ، في حين أرسل الباشا المحاصر رسائل لابنه - الذي كان قائداً داخل القلعة - بالاستسلام .

وأخيراً قرر المحاصرون بالداخل الاستسلام شريطة أن يؤكد لهم الشاه أن الباشا على قيد الحياة ، وعندما حدث هذا طلب الباشا لابنه وللذين في القلعة أن يستسلموا لأنهم لم يكن معهم إلا خمسمائة رجل ، وهو عدد غير كاف للدفاع عن قلعة ضخمة كهذه ، وقد استسلموا في اليوم التالي لزوجة ملك فارس وسمح لأولئك الذين رغبوا في الذهاب بالمغادرة ومنح عطفه للذين بقوا معه .

وجد الشاه داخل القلعة مائتي ألف كروزادوس" كقطع نقدية كان التركي يحتفظ بها وخمسمائة قطعة مدفعية ومسجداً كبيراً مملوءا بالبارود والذخائر ، وعلى الرغم من أن القلعة كانت منيعة للغاية ، وكانت تقوم على مساحة شاسعة ، إلا أن الشاه دمرها تماماً وسوّاها بالأرض خلال أربعين يوماً .

غادر الشاه تبريز وزحف منتصراً عبر المنطقة التي سيطر عليها التركي ، والتي أقرت بالطاعة له ما عدا مدينتا جلفا و"نخشيفان" - التي يقيم فيها الأرمن - واللتان مانعتا في الانصياع في البداية ، ولكنهما استسلمتا دون مقاومة ، ومن هناك سار منتصراً إلى قلعة يريفـان التــي وجدها محصنة إلى درجة قوية ، وتضــم قوة عسكرية كبيرة ؛ لأن جميع الجنود الذين كانوا يعملون في حاميات بلدات ، ومدن المنطقة توجهوا إليها .

لذلك فقد تجمع الكثيرون هناك إلى حدّ لم تتسع القلعة لهم جميعاً ، وخلال خمسة وعشرين يوماً بنوا قلعة أخرى مجاورة لها ذات أسوار وجدران متقابلة وتجهيزات وكل شيء آخر ضروري للدفاع عنها .

في هذا الوقت كان جيش الشاه يتألف من أكثر من خمسين ألف رجل من الفرسان والمشاة علاوة على الخبراء والمهندسين العسكريين الذين شقوا الخنادق ، وأقاموا السياجات ورصفوا الطرق ، وبواسطة أولئك الجنود أحاط الشاه القلعة التركية بالخنادق والمتاريس الترابية القريبة إلى حدّ لم يكن بينه وبينها سوى اثني عشر يوماً ، وبهذه الطريقة منع الشاه التركي من استخدام المدافع ، أو إظهار نفسه دون أن يقتله جنود الشاه .

شهد رهباننا والسفير كل ذلك ، ويقولون إن العمل كان قوياً إلى حدّ لم يكن من الممكن تصوّر أنه تم بواسطة بشر خلال وقت قصير كهذا ، وقد شق الشاه أنفاقاً واسعة إلى حد أن البعض منها كان يتيح للجياد الخروج من القلعة .

استمر الحصار لمدة تسعة شهور دافع الأتراك خلالها عن أنفسهم بشجاعة وبجرأة إلى حدّ أنهم عندما لم يبق لديهم ما يكفي من الرصاص لصنع قذائف المدافع ، وطلب منهم الفرس الاستسلام لأنهم لم يعد لديهم ما يحاربون به ، أجابوا : "لقد حاربنا لمدة ستة شهور بقذائف مدفعية من الرصاص ، ولدينا فضة لنحارب بها لمدة ستة شهور أخرى وذهب لنحارب به لفترة مماثلة" .

في بداية الحصار كان الأتراك يشنون هجمات مضادة ويناوشون

الفرس ، وقد أخرجوا معهم قطعاً مدفعية من القلعة قتلوا بها الكثير من رجال الشاه .

بعد ثمانية شهور ، وفي صباح أحد الأيام ، وبينما كانت فترة الحراسة عند الفجر توشك على الانتهاء ، وضع الفرس سلالم على الجدران وبواسطتها وعن طريق الفتحات التي أحدثها الخبراء الفنيون دخلوا القلعة ، وقتلوا جميع الأتراك الذين كانوا داخل القلعة وعددهم ألف وخمسمائة رجل ، ونظراً إلى أنهم فاجأوا الأتراك لم يخسر الفرس إلا ثلاثة رجال خلال هذه المعركة .

بعد شهر تصالح أولئك الذين كانوا داخل القلعة القديمة مع الشاه واستسلموا له ، وقدموا له مبالغ طائلة ، وعفا الشاه عنهم ، وسمح لأولئك الذين أرادوا المغادرة بالذهاب ومعهم ممتلكاتهم ، وأما الذين بقوا فقد زاد لهم بنسبة الثلث المبلغ الذي كانوا يتلقونه من التركي ، ولم يأخذ الشاه لنفسه إلا ممتلكات القتلى .

خلال شق الخنادق والمتاريس الترابية ، وخلال الحصار توفي ألفان وخمسمائة فارسي ، وتوفي أكثر من ثلاثة آلاف آخرين من البرد والثلوج التي عانوا منها في المعسكر ، وقد استسلمت هذه القلعة في الخامس من يونيو ، وأسر الشاه الباشا الذي كان فيها ، وتم تدمير القلعة تماماً ، ومن هناك توجه الشاه إلى منطقة أذربيجان التي خربها وأسر أو قتل أهلها .

من الأشياء الأخرى التي قام بها تدمير أربعين ألف منزل عائدة للنصارى الأرمن سويت بالأرض ، وتم استخدام الكثير من الكنائس

كأسطبلات للجياد ، وتم أخذ النساء والأطفال أسرى وسبايا ، وكانت الطرق تعج بهؤلاء الناس البؤساء ، وقد افتدى رهباننا الكثير من الأطفال الذكور والإناث وبعض النساء .

في بداية سبتمبر جاء "جيغال" - أوغلو باشا من القسطنطينية ، ومعه خمسة وعشرون ألف جواد بنية تكوين جيش ضخم ، ولكنه وجد أن بعض الباشوات محايدون ، وأن آخرين متمردون ، وتمكن فقط من جمع أربعين ألف رجل ، وعزم على الخوض بذلك العدد معركة مع الشاه ، وقد انضم إليه جنود آخرون .

كان الشاه على مسافة خمسة فراسخ ومعه ستون ألف رجل ، وكانوا جميعا في حالة من الفرح الشديد وجيادهم ممتازة ، وكان الشاه يتوقع قوات أخرى ولذلك لم يدخل المعركة ، وشن الفرس عدة هجمات انتصروا فيها وسيطروا على تبريز عاصمة ميديا وواحدة من مدن العالم العظيمة ، ولمسافة أكثر من خمسين فرسخاً وراء جميع المدن والبلدات كانت تحت سيطرة الفرس ما عدا مدن أرمينيا ، وقد قيل إن الشاه كسب خلال تلك السنة وحدها ما كسبه أسلافه خلال مائة عام .

في معسكر الشاه كان هناك سفير من بولندا أجرى معه الرهبان حديثاً ، وقد عرض صداقته وتحالفه على الشاه ضد التركي ، وكان هناك توقع بوصول سفير آخر من موسكو للغرض ذاته ، وكان هناك أيضا الكساندر خان ، الزعيم الجورجي ، ومعه ثلاثة آلاف نصراني .

عندما تحرك المعسكر ، جاء رهباننا براية لقواتهم ، وهو صليب مرفوع ومغطى بقماش من الحرير الأحمر .

الذي يمكن استنتاجه من هذه الحروب هو أنه في حال شن الحكام النصارى هجوماً على التركي من الجانب الآخر ، وصرفوا اهتمامه ؛ فسيكون الشاه محظوظاً للغاية ، وستكون فرصة للقضاء على العثمانيين ، ولثقة الشاه من هذا الدعم ، تجرأ على شن الحرب على التركي ، وهذا ما قاله لسفير صاحب الجلالة في اليوم الذي سلمه رسالته .

يمكن أن تعزى جميع هذه الانتصارات التي حققها الشاه ، والنجاح الذي حققه ضد التركي - ؛ علاوة على السبب الأول وهو الرب - ؛ إلى رهباننا الذين تم إرسالهم إلى فارس في مناسبتين لتشجيع هذا الملك وحثه على أن يحاول استعادة الأراضي التي فقدها أسلافه ... .

لم يتوقفوا أبداً عن القيام بذلك عند كل فرصة .

كانت نتيجة الحروب التي خاضها ملك فارس ضد التركي لاستعادة الأراضي التي فقدها أسلافه هي تدمير جميع مدن وبلدات أرمينيا التي يسكنها العرق النصراني العظيم ، الذي كان منشقاً لأنه لم يكن هناك أحد ينير بصائر أولئك الناس بشأن نقاء العقيدة ، وأما حالياً فقد قضى الرب بأن ينتصر ملك فارس هذا ؛ لكي يخرج هؤلاء النصارى من نفوذ التركي وليضعهم في قلب فارس .

بالقرب من بلاطه في أصفهان ، أمر ببناء مدن وبلدات على نفقته ليعيش هؤلاء المسيحيون منفصلين عن المسلمين ، وليكونوا على اتصال سهل مع رهباننا حتى تتم إعادتهم للكنيسة ، وهو ما يجري بالفعل .

"أنطونيو دي جوفيا" : التقرير الموجز

تابع التقرير الخاص بالأمور المتعلقة بهداية غير المؤمنين إلى النصرانية

في نهاية أكتوبر عام ١٦٠٤م ، وبعد أن استمع شاه فارس لبعثة صاحب الجلالة ، أبلغ السفير ، "لويس بيريرا" ، بأن ينسحب من صحبته ، ويذهب للراحة في مدينة قزوين (وهي تقع في فارس على مسيرة شهر من هناك) ، وأنه سيعطيه رسالته هناك ، ووصل السفير والرهبان وجميع مرافقيهم إلى قزوين عشية عيد القديس "اندرو" .

في مطلع مارس عام ١٦٠٥م ، وبعد أن رأى السفير أن الشاه كان مشغولاً بالحرب في منطقة نائية للغاية ، ولم يهتم بالطلبات التي كان يقدمها له برسائل ليجيب على بعثته ، ألح السفير على الأب "بيلشيور دوس انجوس" ليذهب شخصياً ويحاول الحصول على رد ، وسافر الأب "بيلشيور" في العاشر من شهر مارس .

ومر على طرق وعرة للغاية تغطيها الثلوج ، وذلك خلال الصوم الكبير ، وكان ذلك يعني أنه كان صائماً ، ويعيش على الخبز والحليب ، ولكنه تمكن من قطع المسافة في وقت قصير ، ووصل إلى معسكر الشاه في الحادي والعشرين من شهر مارس ، وكان ذلك هو اليوم الأول في سنة الفرس ، وكانت عادة الشاه أن يقيم وليمة لكثير من الناس في ذلك اليوم .

رحب الشاه بالأب بحرارة ، وأنهى سريعاً مهمة السفير ، فأرسل رسالة إلى صاحب الجلالة عن طريق سفير آخر ، وهو تركماني ذو شهرة كبيرة وسطهم ، يدعى جلي بيك عيسى إمام ، وكان سفيراً

لدى موسكو في وبلوشستان مملكة الأوزبك ، وقد جاء إلى "غوا" بصحبة سفيرنا والرهبان ، وبقي هناك حتى نهاية ١٦٠٦م حيث غادرها إلى البرتغال .

خلال هذه الرحلة هدى هذان الراهبان أكثر من أربعين شخصاً لديانة "يسوع" بعد أن كانوا كفاراً ، وهداهم الرهبان إلى عقيدتنا ، أو كانوا منشقين أو مرتدين ، وتم التصالح معهم ، وسيروى هذا في تقرير آخر يؤمل أن تتم طباعته .

في أكتوبر عام ١٦٠٧م وصلت السفينة القرقور "نوسا سينيورا دا أوليفيرا" إلى لشبونه وعلى ظهرها السفير الفارسي ، وبأمر من نائب الملك ، "دوم بيدرو دو كاستيلهو" ، الذي كان آنذاك في البرتغال أسْقفاً ومحققاً عاماً ، تم إرساله ليقيم في مجمع القديس "أوغسطين" بتلك المدينة ؛ حيث لقي استقبالاً جيداً ، وعلى نفقة صاحب الجلالة قدم له رجال الدين ما احتاجه من لوازم وخدمات .

في يناير عام ١٦٠٨م أمر صاحب الجلالة بإحضار السفير الفارسي لجلالته ، فذهب إلى بلاط مدريد ؛ حيث أبدى له أصحاب الجلالة التكريم والرعاية اللتين بعثتا فيه السرور والفرح ، وتوجه إلى الهند في آخر أسطول للعام ١٦٠٨م .

قد تحوّل خمسة مسلمين من أفراد الحاشية المرافقة لهذا السفير إلى عقيدتنا بعد الحضور إلى البرتغال ، وذلك بفضل عظات وإرشادات الرهبان "الأوغسطينين" وبقوا هنا ، وينفق على إعالتهم صاحب الجلالة .

**

في عام ١٦٠٤م ، وبعد أن تلقى صاحب الجلالة إفادة عن الأداء الجيد لرجال الدين من جماعة القديس "أوغسطين" في فارس ؛ أرسل هذه الرسالة إلى البابا بواسطة "دوم جوزيف دو ميلو" وكيله في الإدارة البابوية الرومانية ، وكان الرسالة التالية هي رسالته لوكيله :

رسالة من صاحب الجلالة

إلى "دوم جوزيف دو ميلو" "D . Joseph do Milo" ، الوكيل في روما

المكرم صديقي "دوم جوزيف دو ميلو" . أبعث إليك أنا الملك بتحياتي .

لقد تم إرسال الأب "أنطونيو دو جوفيا" والأب "كريستوبال ديل اسبيريتو سانتو" والأب "جيرونيمو دا كروز" – وهم من جماعة القديس "أوغسطين" – بأمر من نائبي في الهند ، "ايريس دي سالدانها" ، إلى بلاط شاه فارس من أجل أن يمنحوا الأسرار المقدسة إلى النصارى والكاثوليك ، الذين يوجد الكثير منهم هناك ، من أجل إعادة المنشقين إلى طاعة الكنيسة الرومانية ، ومن أجل الاهتمام بأمور أخرى ذات صلة بالنصرانية تحدث هناك ، وتشجيع الشاه على شن الحرب على التركي ، وهو عدوّنا المشترك .

طبقاً لما يكتبه لي نائب الملك ، وللرسالة التي بعث لي بها الشاه ذاته وتلقيتها من أولئك الذين وصلوا من الهند في العام الحالي ، وأرسل إليك صورة عنها مع هذه الرسالة ، فقد أحسن استقبالهم وعاملهم معاملة طيبة ؛ لأنهم تصرفوا بطريقة نموذجية أثناء أداء واجباتهم الدينية ،

ولأنهم لم يكونوا يقبلون أي شيء أمر بإعطائهم إياه ، موضحين مدى قلة اهتمامهم بالأشياء الدنيوية .

نظراً إلى أنه من المنطقي والسليم أن تتم مكافأة الرهبان المذكورين بطريقة ما ، ولتحفيزهم على الاستمرار في أداء عملهم الطيب الذي قاموا به حتى الوقت الحاضر ، ومتابعة تحقيق الأهداف التي تم إرسالهم من أجلها إلى بلاطه ، والتي كما هو واضح تهدف إلى خدمة الرب ؛ فقد رأيت أنه يتعين عليّ أن آمر بأن يطلب من البابا شكر هؤلاء الرهبان على ما فعلوه برسالة بابوية خاصة لحثّهم وتشجيعهم على الاستمرار .

لذلك أوصيك وآمرك بأن تقدّم إلى قداسته ، نيابة عني ، تقريراً بكل الذي قلته وأن ترجوه أن يوافق على القيام بهذا ، وهم لا يستحقون فقط هذا العطف من قداسته ، بل إنني على ثقة من أنهم سيجدون فيها العزاء والقوة ، وسيكسبون التقدير والاحترام والسمعة الحسنة ، وسأعتبر هذه فضلاً وعطفاً استثنائياً .

عندما يتم إصدار الرسالة البابوية ، عليك إرسالها لي بأسرع ما يمكن مع صورتين أو ثلاث صور ، حتى يتسنى إرسالها على سفن القرقور التي توشك على المغادرة في بداية السنة التالية .

عليك كذلك أن تبلغ قداسته بأنني قد عرفت من رسائل من نائب الملك في الهند بأن هناك خلافات بين "فرانسيسكو دا كوستا" "Francisco da Costa" و"ديوجو دي ميراندا" ، وهما اثنان من الرعايا البرتغالية أرسلهما قداسته إلى الشاه ، أدت إلى اعتبارهما غير مرضيين في تلك الأنحاء ومختلفين تماماً عما يجب أن يتصفا به كمبعوثين من قداسته .

قد رأيت أن من الأفضل أن يفاد قداسته بهذا الأمر حتى لا يحدث مرة ثانية ، وأن الأشخاص الذين يتم إرسالهم يجب أن يكونوا ملائمين للمهمة ، وإذا كانوا برتغاليين يجب أن يعلم منك أولاً عنهم وعن صفاتهم وسلوكهم ، ويجب أن أزودهم بالسفن وبما يحتاجونه للسفر براحة تامة عن طريق الهند لخدمة قداسته بهذه الطريقة بما أنني أرغب في أن يكون ملماً بكل شيء .

وعليك إبلاغي بما ستفعله في هذا الشأن حتى أعرف .

كتبت في بلد الوليد ، السابع والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٦٠٤م .

الملك

**

وفقاً لهذه الرسالة قدم الوكيل تقريراً لقداسة الباب "بولص الخامس" "Pope Paul V" – وهو سيدنا الآن – في السنة الأولى من فترة توليه منصب البابوية ، وأمر بإصدار الرسالة البابوية التالية :

إلى أبنائي المحبوبين الأب "أنطونيو دو جوفيا" والأب "كريستوبال" والأب "جيرونيمو دا كروز" ، نساك القديس "أوغسطين" ، المقيمين في فارس البابا "بولص الخامس"

أبنائي المحبوبون ، تحياتي وبركاتي البابوية .

إن الغرض الذي سافرتم من أجله قبل سنوات إلى فارس مبعوثين كرسل من رؤسائكم في جماعتكم ، هو أنكم ومن خلال أعمالكم

ونموذج الحياة الدينية ، ونشر الكتاب المقدس يجب أن تؤكدوا التزام أولئك النصارى المؤمنين (الذين أسعدنا أن نعلم أن عددهم في تلك الأرجاء كبير) وتمسّكهم بالكرسي الرسولي ، وأن تتمكنوا من خلال عظاتكم وتدريسكم للمذهب الجدير بالتمجيد أن تعيدوا إلى حضن الكنيسة الكاثوليكية المنشقين في تلك البلاد .

قد سمعنا بفرح غامر أنكم لم تكونوا مصدر عون فقط للنصارى الذين يعيشون هناك حيث منحتوهم الأسرار ، وأوضحتم لهم أسرار العقيدة والدين المسيحي ، ولكنكم أذهلتم ملك فارس ذاته أيضا إلى درجة كبيرة بفضائلكم ومزاياكم ، وقد علمنا أنه عندما أحسن الملك استقبالكم رفضتم قبول الهدايا التي قدمها لكم وفقاً للعادة والكرامة الملكية .

على الرغم من أنكم ملزمون بهذا وفقاً لقواعد حياتكم الدينية التي تخليتم بسببها عن كل شيء لتكسبوا رضى "يسوع" ، إلا أن هذا السلوك أدهش الملك إلى حد أنه اعتبر أنكم تتسمون بطبيعة رفيعة بما أنكم ترفضون الثروة والجوائز والزخارف ووسائل الراحة في هذه الحياة التي يرغب فيها كثير من الناس .

لهذا السبب نتقدم بالشكر إلى الرب ولي الرحمة الذي أرسل ابنه ، مخلصنا ، إلى هذا العالم ليعلمنا كيف نحتقر الأشياء الزائلة في الدنيا ، وأن نسعى للأشياء الأبدية فقط .

بما أنكم تحاولون تقليد المسيح ، ولهذا السبب تزدرون بجميع المنافع الذاتية ومباهج الحياة البشرية ومتعها ، وتحرمون أرواحكم من القيم البشرية العادية ، فقد اخترتم الانعزال في الحياة الدينية المتقشفة

لتكسبوا من خلال "يسوع" أرواحكم وأرواح الآخرين ، فإننا نعظكم بالمضي قدماً في كل يوم بحماس أكبر في هذا التأسيس للحياة الإنجيلية .

لقد باشرتم مشروعاً رسولياً لا يوجد ما يفوقه رفعة وامتيازاً ، وأنتم تقلدون الحواريين فيه وأتباع القديسين وأصحابهم ، وإذا كنتم تتبنون فضائلهم من خلال تقديم أنفسكم للعمل باسم "يسوع" المسيح سيدنا ، فستكسبون أيضا مكافآت الحياة الأبدية .

أنتم تعرفون جيداً الأشياء الضرورية لأولئك الذين يتعين عليهم تعليم الآخرين وتدريسهم ، وأنه إذا كان أولئك الذين يعيشون في عزلة أديرتهم ، وبعيداً عن حياة البشر يجدون الكفاية في أن يتحلوا بالفضائل العادية ؛ فكم عدد الفضائل التي تستحقونها وما مقدار عظمتها بالنسبة للذين يعيشون يومياً بين الوثنيين والكفار ، وتتعهدون بأن تدلوهم على ضوء الحقيقة وفهم الآخرين ، ولتهدونهم إلى طريق الحياة وتلهمونهم إلى الفضيلة؟

عليكم تدريس الكتاب المقدس – كما تفعلون الآن – بكل التواضع والرفق والصبر ، وبالحب والخير الحقيقي حتى يعرف الناس أنكم أبناء الرب ، وعندما يرون أعمالكم – يمجدونه ويحمدونه وهو في السماء .

تأكدوا من أن وعظكم وحديثكم سيكون مثمراً وسط أولئك الناس ؛ إذ أننا نرغب في أن يكونوا ضمن الكنيسة العالمية متوافقين مع أعمالكم وسلوككم .

من خلال ثقتكم في أن الرب سيمنحكم الشجاعة ، وعليكم العمل

بحماس وزرع كلام الرب بالفضيلة ؛ إذ أنكم في حال زرعتم بالبركات فسوف تحصدون ثمار البركات .

الأمر الذي يحزننا هو أن نرى مدى قلة العاملين في حقل محصول عظيم كهذا ، على الرغم من أنكم لا تقصرون في أداء التزاماتكم ومهامكم لتأكدكم من أنكم إذا عملتم وقمتم بالتدريس في الوقت ذاته فستكونون عظماء في مملكة السماء ، وستكونون لامعين كالنجوم في الأبدية السرمدية .

من جانبنا فإننا نرغب كثيراً وعلى نحو مستمر في أن ندعو "يسوع" ، مخلصنا ، أن يتلطف ويمنحكم ثمرة الصعوبات التي تعانون منها باسمه .

أعطيت في روما في كنيسة القديس "ماركوس" "Marcos" ، وتم مهرها بخاتم "فيشرمان" في السابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٦٠٥م ، في السنة الأولى فترة تولينا منصب البابوية .

**

بفضل التشجيع والتعزية التي لقوها في عظات البابا ، وبعد أن كوفئوا بالمباركة البابوية وصلوات الكنيسة الرومانية المقدسة ؛ استغل رهبان القديس "أوغسطين" المقيمون في فارس ذلك الحرص للتوحد مع الأرمن في فارس لإعادتهم لطاعة الكرسي الرسولي والبابا الروماني ، ونقاء العقيدة الكاثوليكية لما منحهم إياه الرب من بداية موفقة كهذه للسنة الماضية ١٦٠٧م .

في مايو من ذلك العام قدم البطريرك الأرمني وستة أساقفة فروض

الطاعة ، وانضموا إلى الكنيسة الرومانية ، ومعهم كثير من رجال الدين والعامة ، في دير القديس "أوغسطين" بمدينة أصفهان على يدي رئيس دير الرهبان ، الأب "ديوجو دي سانتا آنا" وبحضور أربعة آخرين من رجال الدين التابعين لذلك الدير ، وهم الأب "جيرونيمو دا كروز" والأب "كـريستـوفاو دا فيـجا" والأب "برنـاردو دي ازيفيـدو" "Bernardo de Azevido" والأب "انـدريه دا بوريفـيكاسـايو" "Andre da Boreviscasayo" .

قد كتبت هذه الطاعة وهذا التأكيد باللغة الأرمنية ، ووقع عليها البطريرك ومهرها بالخاتم ، وذهب الأساقفة في السفينة القرقور : "نوسا سينهورا دي بينهادي" "Nosa Senhora de Benhade" لإرسالها إلى قداسته ومعها رسالة من البطريرك إلى الحبر الأعظم ، وقد كتبت بالأرمنية أيضا ، وفيما يلي ترجمة لها إلى البرتغالية :

تعهد بطاعة الحبر الأعظم بطريرك الأرمن وستة من الأساقفة الآخرين وبقية المؤمنين ، بحضور رجال الدين من جماعة القديس "أوغسطين" في دير تلك الجماعة بمدينة أصفهان في مقاطعة فارس في العهد السعيد للبابا "بولص الخامس" سيدنا ، وعهد الملك "فيليب الثالث" في إسبانيا وشرقي الهند ، من خلال مثابرة دوم الأب "اليكسو دي مينيسيس" ، أسقف "غوا" وكبير أساقفة الشرق وراهب جماعة القديس "أوغسطين" ذاتها :

أنا ، "ديفيد" بطريرك أرمنيا كافة ، ومعي أساقفتي المساعدين والرهبان الذين سيوقعون أدناه ، نتعهد ونُقْسم بـ "يسوع" المسيح سيدنا بأننا سوف لن ننشر أي عقيدة ذات صلة بالرب وسيدنا "يسوع" المسيح ؛

إلا تلك العقيدة التي تتبعها الكنيسة الرومانية وتدرسها ويؤكدها البابا الروماني رئيس الكنيسة العالمية والحبر الأعظم .

علاوة على ذلك ، نعد ونُقْسم بأننا سنطيع دائماً الكرسي الرسولي الروماني المقدس والبابا الروماني المنتخب أصولاً والذي يرأس الكنيسة الرومانية ، وكأبناء حقيقيين ومطيعين للحبر الأعظم والكنيسة الرومانية ، ونخضع ونطيع طواعية البابا "بولص الخامس" الذي يقود حالياً بصفته الرئيس الأعلى للكنيسة الكاثوليكية العالمية ويشغل المكان الأول فيها وسنطيع أوامره ، ولأننا نرغب في هذا ، نؤكد تحت القسم ، ونقسم بـ"يسوع" المسيح سيدنا وإنجيله المقدس ، الذي نضع أيدينا عليه ، ونوقّع بأسمائنا في الثاني عشر من شهر مايو من عام ١٦٠٧م وفقاً للتقويم الروماني .

نحن الأساقفة المساعدون للبطريرك "ديفيد" "David" المذكور أعلاه نتعهد أيضا ونُقْسم على أن نلتزم بالنظام الذي يقبله البطريرك "ديفيد" المذكور – سواء بنفسه أو من خلال وكيل له ، وأن نكون رهن إشارة البابا الروماني ، وبأن نطيع كل الذي يمكن أن يصدر أمر بشأنه فيما يتعلق بنا وبرعايانا ، وسوف لن نطيع أسقفاً أو رئيساً آخر ، بل سنجعل "ديفيد" المذكور اسقفاً لنا أو أحداً آخر يُعيّنه لنا قداسة الحبر الأعظم الذي نعترف بعقيدته ، ونقسم على ذلك في اليوم والعام ذاتهما .

**

رسالة مرسلة من "ديفيد" بطريرك الأرمن إلى سيدنا الحبر الأعظم "بولص الخامس"

أفادني الرهبان "الأوغسطينيون" المقيمون في مملكة فارس بأنني

يجب أن أرسل هذه الرسالة إلى قداستكم ، وأن أقدم تقريراً عن السبب الذي منعني في الماضي من تقديم فروض الطاعة لقداستكم التي ينبغي على جميع مطارنة الكنيسة إلى البابا ، ويتعين عليّ من الآن فصاعداً أن أقدمها ؛ إذ أن المصالحة مع الكرسي الرسولي من خلال الرهبان أنفسهم ستكون سهلة ، وأستطيع أيضا إرسال رسائل لقداستكم واستلام الردود عليها .

أما فيما يتعلق بالطاعة ، فإنني أعترف أنها واجبة لقداستكم ، وأنني لم أقدمها إلى الآن ، وأستطيع أنا وكنيستي برمتها تقديم السبب وراء ذلك ، وهو حقيقة أننا نعيش وسط أتباع طائفة محمد وكنا في السابق خاضعين على نحو بائس لنفوذ ملوك كافرين ، وكان من الصعب للغاية أن نطلب العون من قداستكم .

بسبب جميع الأخطاء التي ارتكبتها وارتكبها رعاياي وجميع الناس عامة ، ألقي بنفسي عند قدمي قداستكم الطاهرتين ، وألتمس العفو بكل تواضع ، ومن الآن فصاعداً سأكون على استعداد لتقديم فروض هذه الطاعة وممارستها وللاعتراف بوحدة العقيدة مع الكرسي الرسولي .

لكي يتأكد قداستكم من حالتي العقلية وما ستكون عليه من الآن فصاعداً ؛ فإنني أعترف في هذه الرسالة الموقعة والممهورة من جانبي وبموافقة جميع الناس بالأمور التالية :

إنني أعترف بقوة بالكرسي الرسولي ، وأؤكد أن البابا الروماني يشغل المكانة الأولى في العالم ، وأن الحبر الأعظم ذاته هو حليفة القديس "بطرس" رئيس الحواريين والحبر الأعظم الحقيقي ورئيس وأب الكنيسة العالمية .

علاوة على ذلك ، أؤكد أنه يتعين اعتبار أن وحدة الكنيسة راسخة إلى حد ألا أحد من أولئك الذين يعيشون ويوجدون خارج حضن الكنيسة الكاثوليكية يمكن إنقاذه أو أن يحصل على الحياة الأبدية .

أقر بوحدة وكمال عقيدة كاثوليكية واحدة ينبغي الإيمان بها باعتبارها الكنيسة الكاثوليكية التي يتولى قداستكم رئاستها ويتولى التدريس وتوجيه الأوامر فيها ، وأن الكنيسة هي مؤسسة معصومة ولا تخطئ .

إضافة إلى ذلك ، وكابن مطيع لقداستكم فإنني أخضع نفسي لتلك القواعد والأوامر والنواهي التي يمكن أن يعلنها قداستكم باعتباركم الحبر الروماني الحقيقي ، وبفضل البابا "بولص الخامس" أخضع لجميع البابوات الرومانيين المنتخبين أصولاً كخلفاء لكم ، وأتعهد للحبر الأعظم بالطاعة التامة والدائمة .

أتعهد أيضا بأن أحتفظ بهذه العقيدة على نحو لا تنتهك حرمتها فيه ، وبشكل كامل وثابت باعتبارها العقيدة التي تدرسها الكنيسة الكاثوليكية التي يرأسها قداستكم ، وهو أمر أؤمن به تماماً .

بعون الله سأعترف به ، وسأقوم بتدريسه ، وسأشترطه على جميع رعاياي وجميع أولئك الذين يخضعون لاختصاصي ، وسأبذل قصارى جهدي لضمان المحافظة على ذلك وإبقائه مستمراً .

حيث إنني أفعل هذا طواعية ؛ فإنني أتعهد وأقسم بـ "يسوع" المسيح ، وأرسل هذا التعهد إلى قداستكم ممهوراً بخاتمي .

سيبلغ الرهبان "الأوغسطينيون" قداستكم عن المحاكمات والمحاكم

التي أعاني منها أنا شخصياً وتعاني منها كنيستي من تدمير للمدن والمعابد ، وسيبلغون قداستكم أيضا أننا قد تم ترحيلنا من منازلنا وبلدنا إلى فارس ، مع إحداث خراب لا يوصف وخسائر وبؤس كبير ، وأرجو من قداستكم التكرم بتقديم شيء ربما تراه ضرورياً لي ولأساقفتي وقساوستي لنتحمل هذه الحياة البائسة ، وإلا فإنني أخشى من أن نكون في وضع أسوأ مما كنا فيه سابقاً ، وتنضم لي هذه الكنيسة المحزونة في أن نتوسل بتواضع لقداستكم للسماح لنا بالاحتفاظ بعاداتنا القديمة التي ولدنا عليها والتي نتلقاها كتقاليد .

يؤكد الرهبان لنا أن بمقدورنا أن نأمل في هذا من قداستكم ، ونقصد هنا تلك العادات التي لا تتعارض مع مواد العقيدة ؛ لأننا لا نرغب في عادات كهذه ، وأنني ومعي هذا الشعب البائس والأساقفة المزدرى بهم نتوسل إلى قداستكم للمساعدة على بناء معابد وتزيين المذابح ، ونرجو من قداستكم إرسال رسائل إلى ملك فارس ، معنونة إلينا ليقوم بتوصيلها لنا يمكن أن نحصل من خلالها على موافقته على أن نحتفظ بعقيدتنا القديمة ، وبحيث لا يتدخل المسلمون في حقوقنا فيما يتعلق بالحكم الروحي أو الدنيوي .

إذا كان رجال الدين من أتباع القديس "أوغسطين" يرون أن هناك أشياء أخرى ضرورية سيقومون بإخطار قداستكم بها .

ندعو الرب العظيم أن يحفظ قداستكم في حالة طيبة من أجل تعزيز الكنيسة وتعزيزنا جميعاً بصفتنا ابناء قداستكم الحقيقيين ورعايا قداستكم .

**

قد تم إرسال الرسائل الأصلية إلى قداسته ، مع المعلومات الضرورية الأخرى المتعلقة بتوفير تلك المواد المسيحية كما هو مؤمل من قداسته بما أن هناك أملاً في أن يستمر هذا العمل المقدس إلى أن يتصالح جميع الأرمن مع الكنيسة .

هناك صيغة أخرى للنصرانية تُسمى على القديس "يوحنا المعمدان" في هذه الأرجاء قرب نهري دجلة والفرات ، ولهذه الصيغة كنائسها وأساقفتها الذين أرسلوا رسالة إلى الرهبان "الأوغسطينيين" للحصول على تدريس حول عقيدة الكنيسة الكاثوليكية ، وقد تم إرسال اثنين من الرهبان بالفعل لمعرفة ما يحدث هناك .

نظراً إلى أن نجاح هذه المهام المقدسة يعتمد أساساً على العون الإلهي ؛ فإن الرهبان "الأوغسطينيين" يطلبون من جميع المؤمنين النصارى من أبناء الكنيسة الرومانية المقدسة أداء الصلوات للرب ، وأن يدعوه ليمنح روحه لرجال الدين وكهنة الإنجيل المقدس حتى يستمروا في العمل الذي بدأوه ، ولهذه الشعوب النصرانية حتى يتمكنوا من المحافظة على وحدة العقيدة هذه ، وللجميع بأن تتوفر حاجاتهم الدنيوية ، ولمجد اسمه المقدس ورفعة الكنيسة الرسولية الكاثوليكية الرومانية المقدسة .

ولله الحمد

أحداث عام ١٦١٠م

صدرت رسالة من سيدي مبارك إلـى "دوم لويس دي منيزيس" "D . Luis de Meneses" ، بتاريخ عام ١٦١٠م ، ويذكر فيها أنه عدو أعدائه ، ويطلب حضور أسطول برتغالـي لاحتلال البصرة : (٣٠)

نرسل تحياتنا وأمنياتنا الطيبة إلى النبيل عضو المجلس العادل والمستقيم كريم الخصال والمحترم ، العظيم والمعتبر ذي الأخلاق الحميدة ، والذي يترأس أعضاء المجلس وحكام العالم المسيحي ، ونائب ملك البرتغال دوم "لويس دي منيزيس" .

أنت تدرك جيداً مدى المحبة والصداقة والتمثيل الدبلوماسي والوعود والعهود التي تبادلناها بواسطة السفراء الذين قاموا بتمثيلنا . لقد أحببنا وقدرنا دائماً أمنياتكم وذلك نسبة لما تمتازون به من رأي

(٣٠) رقم الوثيقة والهامش.

ثاقب ، إلا أننا لا نفهم لماذا قمتم بتأخير وإرجاء الوفاء بعهدكم الذي قطعتموه .

لقد كنا ننتظر الدعم ووصول الأسطول من الهند إلا أنكم لم تقوموا بإرساله ، وأما الرهبان الذين أرسلتهم لنا وطلبت منهم البقاء معنا فلم يفعلوا ذلك ، وأخبرناهم بأنهم بفعلهم هذا يعصون أوامر نائب الملك ، وكان دورهم بأنه ينبغي عليهم الذهاب إلى البرتغال ، وبعد ذلك قمت بإكرام وفادتهم وأظهرت لهم كل العطف إلا أنهم عادوا إلى هناك .

نسبة للمحبة والصداقة العظيمة التي نتقاسمها ؛ فإن الغرض الذي من أجله أرسلنا شيخ فربان ومعه رسائل إلى ملك البرتغال فهو أن تقوم بمساعدتنا بإرسال الأسطول ، والذي نتوقع وصوله إلى هنا في هذا الوقت .

بالإضافة فإننا نتمنى أن تسمح لتجارنا بمغادرة هرمز بدون أن يقوموا بدفع رسوم الجمارك نسبة ؛ لأننا نقف إلى جانبك ونحن أعداء أعدائك الأتراك ، وما نزال نقاتلهم ، وقمنا بالاستيلاء على ثلاثين من حصونهم بكامل مدفعيتها وآليات حربها والبضائع الموجودة فيها ، وحكامنا يسيطرون عليها من الداخل ، وهذه السنة قاموا بمهاجمتنا بالقرب من بابل حيث قمنا بقتل ثلاثة آلاف من رجالهم ، وقمنا بالاستيلاء على مدافعهم وأسلحتهم النارية القديمة .

يبدو أن الروح المعنوية قد انخفضت ؛ حيث لا يمكنهم القيام بهجوم مباغت أو التقدم ، ولم يبق لهم حصن أو مدينة بالقرب منا ما عدا مدينة البصرة والتي يمكن الوصول إليها عن طريق البحر ، ونحن في انتظار مساعدتكم ودعمكم وإرسال الضروريات لنا ، وأن أي انتصار سوف نقوم بتحقيقه سوف يكون مرده لكم .

وفي العام نفسه (١٦١٠م)

حُرّر صك تخويل لأبناء "توران شاه" ، لشبونه ، في الرابع من شهر يناير لعام ١٦١٠م ، بإعادتهم إلـى وضعهم السابق : (٣١)

أنا "دوم فيليب" بفضل الله ملك البرتغال و"الغرب" على هذا الشاطئ وما بعد بحر إفريقيا سيد غينيا والاحتلال ، والملاحة وتجارة أثيوبيا ، والجزيرة العربية فارس والهند ... إلخ . فليكن معلوماً للذين يطّلعون على خطابي هذا ، والذي تدمغه أسباب وطيبة ، وأعتقد أنه من العدل ، وأنها رغبتي ؛ في أن أعيد أبناء توران باشا إلى وضعهم السابق ، والذي صدر في حقه حكمٌ بالإعدام ، وتم تنفيذه في "غوا" "والتي عاش فيها بينما كان يناضل من أجل حقه في مملكة هرمز" .

في الحقيقة وبهذه الرسالة الحالية وبمعلومات معينة والسلطة الملكية المطلقة وإرادتي الحرة ؛ فأنا أخوّل لهم ولكل الذين ينحدرون منهم لكل نتائج الإجراءات القانونية أو القوانين ، وأزيل

(٣١) رقم الوثيقة والهامش.

عنهم كل خزي وعار نتج أو يمكن أن يتمخض بأي طريقة نتيجة للحكم المذكور سابقاً .

أنا أعيدهم إلى وضعهم السابق حتى يتمكنوا من أن يستخدموا وأن يستمتعوا بالكامل بالامتيازات والمناصب والألقاب والامتيازات والحقوق الخاصة والمحاباة والحريات والإعفاءات ، والتي كان بإمكانهم استخدامها والاستمتاع بها إذا لم تتم إجازة هذا الحكم وتنفيذه .

أنا أفعل ذلك بدقة حتى يمكنهم متابعة كل الخطوات والادعاءات مثل تلك التي قدموها في المحكمة والمتعلقة بحقهم في مملكة هرمز وأي مناطق أخرى ، وأيضا تلك التي ربما من الآن فصاعداً يقومون بإبراز مثلها أو أي أفعال أخرى ، وإن الحكم المذكور آنفاً في حق والدهم والقيام بتنفيذه لا يمكنه تسبيب الضرر لهم بأي طريقة مع أن بعض الأطراف تدعي بأنها قد تحصلت على حقوق نتيجة لذلك الحكم .

حتى إذا ما تم الحكم على "توران شاه" وإعدامه ، فإن بعض البضائع والإيرادات وبعض الأشياء الأخرى قد صودرت وأن أمنيتي أن يتم إرجاعها فوراً ، وأن تعاد بكاملها ومن دون نقصان إلى أولاده ، وزوجته وورثته والذين ينتمون إليه بحق وحقيقة ومعها إيراداتها وفوائدها وذلك منذ وفاة "توران شاه" ، وأن يتم ذلك بدقة وذلك للطريقة التي تم أخذها منهم ، فهي الآن تتبع لهم حتى ولو كانت في حوزة طرف ثالث .

هذا الطرف سوف يلزم بإرجاعها وإعادتها بنفس الأسلوب على الرغم من أي قوانين ، لوائح ، تعليمات ، دساتير ، أعراف ، عادات وأفكار ، وملاحظات العلماء التي قد تكون معاكسة ، وحتى إذا كانت

بمثل هذه الطبيعة ، فإنه لا بد من إشارة خاصة بهم هنا ، وعلى الرغم من القانون في الكتاب رقم ٢ ، قسم ٤٤ ، والذي ينص على أنه لا يفهم أي قانون أو يتم إبطاله إلا إذا نص على ذلك بوضوح .

عليه ، فإنني أعلم نائبي الحالي وحاكم الهند في المستقبل وآمره هو وكل قضاة المحكمة العليا ، رئيس القضاء والقضاة والمسؤولين والأشخاص الذين ينطبق عليهم هذا الأمر أن يراعوا أن رسالتي ومحتوياتها قد تمت مراعاتها والامتثال لها من دون تردد أو احتجاج ، ومن أجل قرار في كل شيء فلقد أمرت بإصدارها وهي ممهورة بإمضائي وختمي المرفق .

قد قام "سيماولويس" بكتابتها في لشبونه في الرابع من يناير لعام ١٦١٠م ، وصدرت بثلاث نسخ واحدة منها فقط هي السارية ، وأنا السكرتير "أنطونيو فيليس دي سيماس" وأمرت على كتابتها .

الملك .

وفي العام نفسه (١٦١٠م)

بعث الملك رسالة إلـى نائبه ، بتاريخ الرابع والعشرين من شهر ينـاير عام ١٦١٠م ، ويطلب منه التعامل مع مبارك المشعشع : [٣٢]

إلى نائب الملك الصديق "روي لورنسو دي تافورا" ، أنا الملك أرسل لك تحياتي . اهتماماً بما كتبته عن المساعدة التي تطلبها "بومبريكا" من تلك الدولة حتى يتمكن من الاستيلاء على البصرة وإلى التسهيلات والمواد والتسهيلات التي يقدمها لهذا (الغرض) ، والذي كتب لك حوله وإلى كبير الأساقفة "برايمت" في رسائل ، والتي أرسلت نسخاً منها :

بما أن لي حصن في المضيق وهو ذلك الذي يوجد في هرمز ، سوف يكون الجميع أكثر أمناً وكذلك المسائل في تلك المناطق ، وأنا أعتقد نتيجة لهذا ولأسباب أخرى والتي يمكن فهمها ، بأن هذا الموضوع يمثل أهمية ، وأنه من الملائم مساعدة "بومبريكا" "Pombreca" .

مع ذلك إذا أخذنا في الاعتبار المتطلبات وظروف الدولة ؛ فإن

(٣٢) رقم الوثيقة والهامش.

الطريقة التي تتناسب مع خدماتي تقريباً يمكن أخذها في هذا الموضوع ، ونحن نثق مؤمنين بأنه نسبة للحماس الذي نشعر به تجاهه ؛ فإنك سوف تعمل جاهداً للتغلب على الصعوبات ، ويبدو لي أنه يتعين عليّ أن أعهد لك بهذه المهمة ، وأن أقوم بدعمك كما أفعل الآن ، بأن كل المسائل قد تم أخذها في الحسبان ، والتي كتبت عنها في رسائلي التي قمت بإرسالها في السفن التي أبحرت في عام ١٦٠٧م ، وأنه لأنه يمكن إنجازها وأن هناك متسعاً من الوقت .

يجب عليك التعامل مع هذا الموضوع بالسرعة المطلوبة ، وحتى إذا كان هذا يعني السير بالأسطول المتواجد في هرمز وذلك على أساس الفهم بأن هذا سوف يكون مؤثراً وأنه لا يوجد هناك أسطول ضخم آخر .

إن الأطراف الملائمة يجب أن تتوصل أولاً إلى اتفاق مع "بومبريكا" ؛ حيث يتعين عليه تسليم الرهائن والمال ، وسوف يتعاملون معه آخذين في الاعتبار تقوية البصرة لأنها مكان استراتيجي ؛ فإذا لم يوافق على هذا فسوف نقبل بما تم عرضه ، وذلك بفعل أي شيء تعتقد أنه مناسبٌ ، ويمكن إنجازه في الوقت المحدد ، وسوف تقوم بإبلاغي عن كل هذا بالتفصيل الدقيق .

بالإشارة إلى النصارى التابعين للقس جون والذي يقيم في أرض "بومباريكا" ؛ كتب لي القُس الرئيس بريمات يخبرني بأنه يتعين عليّ أن أرسل لهم اثنين من الرهبان المنتسبين إلى القديس "أوغسطين" (يدعون) بطارقتهم وأساقفتهم أن يتعهدوا بطاعة الكنيسة في روما وأن .... يقوموا بتعديل كتبهم .

أيضا يجب إحضار الأطفال الأيتام حتى يمكنهم التعلم ، وأيضا

ونسبة لوجود اثنين من هؤلاء في الكلية "الأغسطينية" ، وكما تم التخوف من أنه لا الكنيسة أو الدير يمكن بناؤهما للرهبان في أراضيهم . (وحاول كبير الأساقفة "بريمت") من قشْم ؛ لأن هناك أشخاصاً قليلين من العبور إلى هناك .

وبما أنها بعيدة ؛ فإن الملك "يقوم بمساعدته" على أساس أنه سيقوم إذا قام بإعطاء جزيرة قشم ، فإنه (يمكنهم) أن يتوسطوا وهم يتعايشون مع نقاء إيمان القساوسة ؛ لأن الأرض خصبة وممتدة وغير مأهولة بالسكان تقريباً .

تساءل أنه ما دام المسلمون موافقين على وجود الرهبان هناك ؛ فإن (كبير القساوسة "بريمت") يجب أن يمنح الإعانات التي طلبها لأنه سوف يكون من المؤسف فقدان الكثير من المزايا ، والتي يمكن أن تستخدم لمصالحتهم مع الرهبان في هرمز ، وأيضا مع السفن والتي تسافر عبر هذه المضايق طيلة الصيف .

أخبرني "فيليب دي ميركادو" "Philipe de Mercado" بواسطة "كونت سالييناس" "Conde de Salinas" بأن كبير الأساقفة ، وبينما كان حاكماً أرسله كسفير لدى مملكة الرافدين وبصحبته اثنين من الرهبان المنتمين "الاوغستين" ، ولقد استقبل بحفاوة من الملك والنصارى والذين تمت تسميتهم نسبة لتبعتهم للقديس جون ، وكانوا ما بين الكبير والصغير حوالي تسعة عشر أو عشرين ألف شخص وكانوا كلهم مستعدين بأن يتعهدوا بالطاعة إلى كنيسة روما :

في خلال أربعة عشر يوماً منذ وصوله تم تعميد وتنصير أكثر من مائة

شخص ؛ حيث اشترك في عملية هدايتهم لمدة خمس سنوات ، والتي أنفق خلالها أكثر من ثمانية آلاف "كروزدو" ، وهؤلاء النصارى لا بد أن يكونوا نفس الأشخاص الذين أشار إليهم ، وسوف يمكنك الحصول على تفاصيل أكثر منه .

أن أوصيك أن تقوم بإرسال المساعدة لهم بكل الوسائل الممكنة ، وإذا كانت المسائل هي كما اقترحها "فيليب دو ميركو" فإن المسيحية تكون قد ترقّت ، فإن رهبان "أوجستين" سوف يتم إرسالهم نسبة للاحتياج لهم ، وسوف تكتب له نيابة عني وتبلغه بأنه بعمله هذا فأنا أعتبر أنه قام بخدمتي بطريقة جيدة ، وسوف تقوم بتكريمه كما ترى أنه يناسب خدماتي .

"هنا تأتي العديد من الفقرات عن الحالة الدينية لبعض المناطق العمادة الخ الخ"

حرر في "لشبونه" في الرابع والعشرين من شهر يناير عام ١٦١٠م .
الملك . "الكونت آميرال" (أ) .

(أ) ان النص المطبوع لهذه الوثيقة يوضح بأن الوثيقة قد أصابها التلف الشديد ؛ لأنه في حالات كثيرة توجد كلمات تكون جزئياً مكتوبة بشكل مائل تقترح الحروف المفقودة ، وفي بعض الأحيان فإنه من ترجمة دينفر توضح هذه بوضع خط تحتها" .

وفي العام نفسه (١٦١٠م)

بعث الملك رسالة إلـى نائبه ، تتعلق بأوضاع حصن هرمز ، في الثالث عشر من شهر فبراير لعام ١٦١٠م ، ويذكر أن حصن هرمز وحصن البحرين يجب أن تقوى ضد النوايا الشريرة لملك فارس : (٣٣)

إلى الصديق ونائب الملك .

أنا الملك أرسل لك تحياتي الزائدة . لقد علمت بواسطة رسائل كبير الأساقفة والحاكم السابق للدولة وعبر طرق أخرى عن أوضاع حصن هرمز ، والضرر الذي أصاب التحصينات ونقصان الحاجيات الضرورية ، هذا إلى جانب النوايا الشريرة التي يبديها "إكسا" ملك فارس تجاهنا ، ويجب عليك أن تكون مدركاً لكل هذا ، وكيف أن شيئاً واحداً والآخر يحتم معالجة الموضوع بسرعة فائقة وذلك لمصلحة أمنها .

مع أنني أثق بأنك تعمل لنفس الأسباب ، ولا تهمل موضوعاً

(٣٣) رقم الوثيقة والهامش.

بمثل هذه الأهمية ؛ فأنا آمركم بالنظر في كل شيء يحتاج أن ينجز من أجل تحقيق هذا الهدف ، لذا لابد أن يكون هناك شخص تكون مهمته الخاصة هي الإشراف على الأعمال المطلوب القيام بها ، وسوف نقوم بإشراك مشرف عليها يمكن الاعتماد عليه وواحد يعرف عما هو مسؤول عنه ، وإن النفقات المترتبة على هذه الأعمال يمكن تحديدها بواسطة المراقب المالي في القلعة والقائد لن تكون له علاقة بها .

إلى جانب هذا سوف تقوم في الحال بإصدار أمر ينص على وجود حامية قوامها خمسمائة جندي جاهزة للخدمة في الحصن على الدوام ، وتقضي الليل في الحصن كما تم النص عليه في الأوامر الدائمة ، ويتعين على الجنود أن يكونوا بصحبة القادة والضباط ويقاتلون تحت إمرتهم ، ويجب عليهم أن يبدأو وأن ينهوا واجب حراستهم بالطريقة المعتادة في الحاميات في هذه الممالك ، وإلى جانب الخمسمائة جندي والذين يجب أن يكونوا دائماً هناك كما قيل .

عليك الآن توفير مائتي جندي آخرين والذين سيبقون في الحصن بنفس طاقتهم كالآخرين ما دامت هناك مخاوف سائدة عن محاولة "إكسا" القيام بعمل أي شيء ضدنا ، وسوف تراقب الأشخاص المعوقين وأصحاب الاحتياجات الخاصة ، والذين لديهم أماكن مدفوعة في القلعة/ قد تم إرسالهم إلى قلاع أخرى حيث الأماكن متوفرة ، ويمكن الصرف عليهم هناك .

ذلك حتى لا يحتاجون أبداً للأشياء التي كانوا يفتقدونها في حصن هرمز ، وحتى إذا وقعت كارثة فسوف تأمر بأن مؤن الطعام والذخيرة أو

أشياء أخرى كان القادة يقومون بتوفيرها للوكالات التجارية ينبغي أن ترسل إلى "غوا" .

ويجب إشراك الناس هناك والذين سوف يتعهدون بمدهم بالمؤن وإرسالها في الوقت المعين ، وذلك حتى يكون الحصن دائماً مكتفياً من المؤن كما تم توضيحه ، وسوف تنتبه إلى أن هذه المسألة قد تم إنجازها بأكثر الطرق سهولة وفائدة ممكنة بالنسبة لخزانتي .

لقد تم الإيحاء لي بأنه من الملائم تقريباً إرسال أحد الأشخاص ليتولى منصب القائد الأعلى في البحر وبصحبته سفينة شراعية كبيرة ، وذلك بهذه السفينة والمراكب الموجودة هناك ، فإنه سوف يكون سهلاً عليه تقديم المساعدة في أوقات الاضطرابات وقتال أولئك الذين يهاجمون الحصن .

يمكن بذلك تطهير البحر من كل السفن والتي بداخله حيث يمكن حرقها ، وبخاصة تلك التي تتبع إلى "نيوكوليس" وذلك لإجبارهم على الذهاب إلى واحدة من جزر (الصحراوية) القريبة من هرمز حيث قاموا بالمطالبة بذلك من قبل وحيث يكونون تحت سيطرة ملكها أو قائد الحصن ، وعليهم تقديم الضمانات الآتية بأنهم سوف لا يحاولون القيام بعمل أي شيء ضدها ولكن إذا حاولوا فسوف يكون من السهولة عقابهم ، وهذا يبدو تفكيراً متزناً .

لذا فقد قررت أنا أن يكون القائد الأعلى في البحر تابعاً للقائد في الحصن وأن يشارك بواسطتك ونواب الملك والحكام الذين يقيمون في تلك الدولة ، وأنا أعهد إليك بالتحديد أن تقوم بتنفيذ هذا الأمر حالاً ، وأن

الشخص الذي سوف تقوم بتعينه في المنصب المذكور والذي يكون تابعاً وشجاعاً وموثوقاً به هو ما يحتاجه الوضع الحالي ، ويمكن أن نأمل بأنه من خلاله سوف يتم تحقيق الغايات المبتغاة .

سوف تعطي القائد الأعلى في البحر الأمر الذي يتعين عليه الامتثال له والمتمثل في فحص المدفعية المتوفرة في الحصن ومعرفة الأشياء الناقصة ، وسيقوم بإبلاغك حتى تستطيع توفير النقص ، وعندما يحين الوقت فسوف تأمر بجمع الحطب المطلوب لعمل الإصلاحات والتي يجب تنفيذها ، وأن يتم صنع البارود الذي يستخدم في المدافع داخل الحصن نفسه كما كان من قبل .

كتب لي كبير الأساقفة المذكور والذي كان حاكماً سابقاً للدولة بأن حصن البحرين ظل في نفس الحالة كما كان في السنوات السابقة وهو يواجه خطر احتلاله بواسطة الأتراك ، وذلك بعد أن اطلعت على الرسالة التي قام بكتابتها حاكم القطيف والذي عاش هنالك إلى قائد هرمز يلتمس منه جدياً بالزحف والاستيلاء عليها أولاً ، وأنه سوف يقوم بمساعدته .

قام ملك هرمز بالكتابة بشكل جدي باتخاذ بعض الوسائل على الفور ؛ وذلك بسبب الصعوبة البالغة والتي سوف تبرز عند الاستيلاء عليها من سيطرة الروم ولأهميتها الكبيرة ، وحيث إنه في مسائل الحرب لا يجب أن تضيع أي فرصة وبالطريقة التي قدم بها المذكور آنفاً واميرها مساعدته ، وبالغوث الذي قام بإرساله "بوميريكا" ويسأل عن تلك الدولة من أجل الاستيلاء على البصرة ، في ظل الظروف والتي

سوف تطلع عليها من خلال رسالتي بتاريخ الثامن عشر من شهر يناير عام ١٦٠٧م ، فإنه يبدو جلياً بأن الفرصة قد سنحت لإعادة احتلال الحصن المذكور آنفاً ، والذي يعتبر ذا أهمية عظمى .

أنه عندما يتم الاستيلاء عليه بواسطة الأتراك ؛ فإن النتائج المترتبة على ذلك ستكون ليس فقدان تجارة تلك المناطق فقط ، ولكن هرمز نفسها وحصنها سوف يواجهان خطراً عظيماً ، وإن يكن من ناحية أخرى أنه من الواضح بأن "إكسا" سوف يستولي عليه وهو سيء ، فإن الاستعادة المذكورة آنفاً ، وعلى أساس هذه الاسباب سوف تنقل الحرب إلى هرمز .

إنه من المفهوم بأن الحصن قد تمت تقويته ، وأن سفني تسيطر على البحر ، وهذا سوف يكون ذا أهمية ضئيلة وأنه سوف يمنعه من الظهور هكذا ، وعلى أساس المزايا الضخمة والتي استمدها من القوافل المسلحة والتي تأتيه من هرمز وبوسائل البرتغاليين والذين يملكون العديد من الأشياء التي تحتاجها سفنه .

والتي تدر إيرادات ضخمة له والتي يمكن إرسالها على طول خليج البصرة ، والذي سوف يكون سكانه في غاية السعادة ، وسوف يقدمون من أجل تحقيق ذلك الهدف كل ما نطلبه منهم ، كما أوضحت التجارب السابقة .

من ثَمّ ؛ فأنا أطلب منك وبشكل جدي أن تزحف بحذر واجتهاد إلى القائد الأعلى للبحر ، والذي أمرته بأن يكون متواجداً في هرمز ومعه أيضا المركب الذي أمرته بأخذها ، وعليك أيضا توفير أربعة

مراكب أخرى ، وأريدك أيضا أن تعلن بأن مغادرة القائد هي من أجل مساعدة "بومباريكا" والذي سوف تخبره عنها وسوف تتفق معه على الشروط التي على أساسها قام بطلب العون ، وعندما يعطي الضمانات التي وعد بها وإذا رأيت ذلك ضرورياً .

بسرية تامة سوف نعطي القائد الأعلى التعليمات المتعلقة بالذي يتعين عمله في تلك الموانئ وسوف تبدأ بالأشياء التي تحتاجها لتقوية دفاعات حصن هرمز وبعدها سوف تتعامل مع مسألة استعادة البحرين بالطريقة التي تراها مناسبة معك ، وفي الوقت المناسب وبمساعدة الأمراء والسكان الآخرين والذين يريدون تقديم يد المساعدة ، وسوف تقوم بعمل هذا متوخياً أقصى درجات الحذر بأن لا ينتشر الخبر وذلك لتحقيق الغايات المأمولة .

عندما يتم الاستيلاء على الجزيرة فسوف تقوم بوضع رجال من حامية ملك هرمز في الحصن كما كان يحدث في الماضي ، ومع ذلك لا بد من حمايتها بشكل أفضل حتى تكون آمنة ومناسبة ، ويجب مساعدة الملك في كل شيء معقول وبطرق تبرز محاسنه ، وسوف تقوم بأمر القائد الأعلى في البحر أن يكون حذراً وأن يتعامل مع "بورمباريكا" فيما يتعلق بشؤونه ، وعندما تجد الفرصة لتنفيذ ما طلبه وكنت في وضع يمكنك من مساعدته سوف تفعل ذلك بالطريقة المتفق عليها ، وفي ظل الشروط التي يقدمها والتي تأمره بها .

منذ أن تم التوضيح لي بأنه ليس فقط يجب تقوية الحصن في هرمز ولكن أيضا الجزيرة ، وذلك عن طريق تعلية بعض الأرصفة وهي التي

فوق مستوى المراسي وهي تعطي تحذيراً بأن داخل الحصن يعتبر ضعيفاً وذلك كضمانة ضد الانتفاضات ، ولأنه في بعض الأوقات يكون من الضروري معاقبة المواطنين الذين لا يملكون موقعاً يستطيعون من خلاله الدفاع عن أنفسهم ، ويجب بناء سور للخندق محشو بالحجر على طول منطقة "لارميميرا" .

يجب علينا إغلاق الشوارع بالأبواب وأبراج المراقبة ، وآمرك بأن تتعامل مع هذه المسألة إلى جانب المسائل الأخرى المتعلقة بتحصينات تلك الحامية ، وأن تقوم بإصدار أوامرك بأن يتم عمل كل شيء بالطريقة الأكثر ملائمة .

لقد تلقيت نصائح عبر فارس مفادها بأنه ما دام أن الاتجار الرئيس للفرس يأتي من الحرير والذي يقوم ببيعه ، وذلك للحفاظ على دولته وخوف التجار من تغيير تلك التجارة إلى هرمز و"غوا" ، فكان هو البادئ بإرسال قافلة محروسة منه قيمتها بما يساوي أربعمائة ألف كروزادوس .

ذلك بفرض أنه في حالة نجاح هذه المحاولة معه وإعطائه ميزة تفضيلية في الجمارك ؛ فإن كل شيء سوف يمر عبر ذلك الطريق ، وذلك من دون السماح لأحد بالمرور عبر حلب ؛ حيث تم الفهم أن هذه التجارة سوف تدر فائدة عظيمة لخزانتي من الإيرادات المتحصلة من الجمارك . هذا إلى جانب الخسائر التي سوف يتكبدها الأتراك .

أنا آمرك جدّياً بأن تعطي أوامرك إلى قائد الحصن المذكور ووكيله التجاري ومراقب بيت مالي أن يعاملوا هؤلاء الأشخاص بعناية خاصة ؛ لأن مثل هؤلاء الأشخاص ربما يرسلهم "إكسا" محملين بالحرير ، وإعطائهم

كل المزايا والسرعة في دفع الرسوم ، وذلك عندما يسمع "إكسا" بهذه المعاملة الكريمة فسوف يدرك مدى تقديري لصداقته ، وأنني أشعر بالمساعدة في المحافظة عليها ، وأن تستمر هذه الترتيبات ، وسوف تبلغني عن الفوائد التي سوف تجنيها خزانتي أو الأضرار المحتملة .

بالإضافة إلى ذلك ؛ فإنه بواسطة رسالة تلقيتها من رئيس الأساقفة حاكم تلك الدولة وبطرق أخرى أيضا ؛ تلقيت إخطارات بأن "قمبر بك" وسلطان إكراس قد دخلا هرمز ؛ حيث قاما بوضع الرجال في جزيرة قشم ؛ حيث أمر بشن الحرب على الكوموراو .

وقام بالاستيلاء على موارد المياه وحرق بعض المنازل في بندر ؛ لأن الرسوم المقررة لم تدفع له[أ] وهي عطايا عند دار جمارك المذكورة آنفاً كانت تدفع في السابق لملوك "لادا" لتسهيلهم مرور القوافل ، ومنذ أن قام بالدفع لهم مقابل ذلك قام بأمر عشيرته بمغادرة الجزيرة ، وتحرير موارد المياه وترك حصنين بالقرب من حصن غمبرون ، واستمعت لكل الشكاوى والتي كانت واضحة .

منذ ذلك الحين واستناداً على معلومات بأن الدفع مقابل الكتيبة قد تم تأكيده بأمر مني في رسالتي بتاريخ الثامن عشر من شهر يناير عام ١٦٠٧م ، أنه يجب دفعها وأن الذي تقرر يجب تنفيذه ، وكما أفاد كبير الأساقفة بأن ذلك تم الاتفاق عليه في محكمة دار المال بأن تلك الدفعية يجب سدادها كما كان معمولاً به :

(أ) الرسوم التي يدفعها ملوك هرمز إلى الملوك والحكام الآخرين حتى لا يؤخروا تجارتهم .

يجب عدم بروز الهفوات نسبة لعدم الاهتمام بها في حينها ، ولهذا السبب فإنني آمرك أيضا بتأنيب الشخص المسؤول عن هذه المسألة ، وكما أمرت بتأنيب القائد "دوم هنريك دي نورونها" لتراخيه في حسم هذا الأمر ، وقم بإصدار الأوامر بأن يتم دفع الرسوم في كل عام بالطريقة التي كانت تدفع بها لأنها مناسبة لكل شخص تقريباً .

سوف تقوم بإصدار أمر ينصح سلطان شيراز بأنه يتعين عليه عدم بناء الحصنين واللذين حاول بناءهما بالقرب من الحصن في "غومبرون" :

إذا قام بفعل ذلك ؛ فإن الرسوم سوف لن تدفع له ، وإذا لم يتخل عن هذا المشروع فعليك القيام بأي شيء حتى تتأكد من أن هذين الحصنين قد تم هدمهما ؛ حتى إذا اضطررت لشن الحرب بالطريقة التي تراها مناسبة وبذلك بطريقة أو أخرى ؛ فإن الحصنين لن يتم تشيدهما .

من حيث الذي تَمّ فعله مع "إكسا" فربما يكون مسروراً باستعادته جزيرة البحرين المذكورة آنفاً على أساس الادعاء الذي لديه بخصوص تجارة الحرير التي تم ذكرها آنفاً ، وربما يأمر أيضا بهدم الحصون المذكورة آنفاً ، سأرسل له خطاباً بهذه الواسطة وسوف أرسل لك نسخة للاطلاع ومعها شرط ينصّ على أنه كلما أرسل له رسالة مني لم يقم باستلامها أو حتى أستمع إلى حاملها على أساس اتفاقية السلام التي قام الإمبراطور بإبرامها مع الأتراك .

إذا توصلت إلى هذا الموضوع لا ترسل له رسالتي المذكورة آنفاً ، ولكن على نفس بنودها ، أكتب واحدة بنفسك والتي سوف ترسلها له بواسطة رجال الدين الذين يقيمون هناك حتى تتحصل على إجابة بأسرع وقت ممكن .

كتب "دوم هنريك دي نورونها" قائد حصن هرمز المذكور آنفاً رسالة إلى الحاكم ؛ حيث قام بإرسال صورة منها إليَّ ذكر فيها بأنه قد قرر بناء حصن في جزيرة قشم ، وذلك بغرض الدفاع عنها في ظروف مشابهة ، ويعني ذلك أنه في حالة قدوم الأعداء من قبل البحر وهم يرغبون في الاستيلاء عليها .

عندما قمت بطلب (معلومات) عن مزاياها وفوائدها ، فلقد تم الشرح لي أنه ليس من مصلحتي بناء هذا الحصن ؛ لأنه سوف يتطلب نفقات مقدرة ويوظف أشخاصاً غير مهمين ، ولا فائدة ترجى منهم ، وسوف يكون أكثر تأثيراً إذا أضفنا مما سوف يتم صرفه على هذا المشروع إلى الأسطول ، والذي تعتمد عليه الدولة في الدفاع عن نفسها .

بينما يمكن الاستغناء عن الحصن إلا أن الأسطول لا يمكن الاستغناء عنه ؛ نسبة للطريقة التي تشن بها الحرب هناك ؛ فالفرس والأعداء في تلك المناطق لا يستطيعون الهجوم إلا عن طريق البحر فقط ، ولذا فكلما يكون الأسطول قوياً بفضل أعمالي تكون كل الأشياء الأخرى جيدة وآمنة ، وسوف يكون العدو أكثر خشية وستكون أحواله في خطر ، لذا يبدو لي أنه يتعين عليَّ أن أوكل إليك هذا الموضوع وكما أفعل ، حتى يمكنك أن تقدمها للمجلس .

إذا لم يتم التوصل إلى أي شيء جديد يعترض تنفيذ هذا الأمر والذي لا توجد عنه أي نصيحة هنا ، لذا يجب عليك تنفيذه وأن تقوم بإصدار أوامرك بمنع تشييد الحصن في جزيرة قشم ، وإذا تم تشييد الحصن فيتعين عليك أن تأمر بتدميره ، وبالنفقات التي ربما تكون قد صرفت على هذا العمل فسوف تقوم بتقوية الأسطول .

حيث إنك مدرك لتحطيم القلعة في حد ذاته ؛ فإن تكاليف العمل التي يطالب بها الوكلاء تبدو باهظة ، ولقد أفهموا انه لا يمكن تخيلها ، وهذا أمر يجب عليَّ أن أتجنبه على نحو ملائم لأنه ليس فقط سيؤدي إلى تنضيب خزانتي إلا أنه يضع الحصن في خطر ، وحيث إنه من العدل أن أعرف عما يجري من حسابات وأن المذنب يجب أن يعاقب .

لذا آمرك بأن تأخذ حسابات الوكلاء التجاريين والمتعلقة بالسندات التي تعتبرها وثيقة الصلة بالموضوع ، وأن تقوم بإعداد قائمة مع مراجع بالتكاليف التي أدخلت في الأعمال وماذا كانت ، وسوف تأمر القائد الأعلى في البحر ومعه مراجع مالية الحصن لتكوين مجلس للتحقيق ، وذلك لمراجعة ما إذا كانت هذه الأعمال قد تم إنجازها ، وما هي الأعمال ، وما هي درجة أهميتها وما هو الحجم المحتمل لهذه التكاليف .

يجب تكوين مجلس تحقيق إذا ثبت أن الوكلاء قد قاموا باستلام رواتب زائفة ومواد مغشوشة ، وأيضا إذا قاموا بعقد اتفاقيات سرية مع التجار ، وذلك بإرسال البضائع والسلع الأخرى بأسمائهم الخاصة ، وقيامهم بسرقة إيرادات الضرائب ، ثم إذا تم إرسالها باسم البانيان من الهنود .

إذا قام أيضا القادة بالغش في الأوزان وعن المقاييس والأسعار المدفوعة للطعام والمؤن المعتادة لتسيير شؤون الحصن ، وسوف تصدر أمر بعد تكوين مجلس التحقيق بأن يقوموا بتسليمك النتائج التي يتوصلون إليها والتي سوف تقوم بإعلانها ، وإذا تم التوصل إلى أن الأشخاص مذنبون ؛ فيتعين اتخاذ الإجراءات المدنية والجنائية ضدهم وبالقسوة التي يستحقونها .

في الشروط التي وضعتها واحد في عام ١٥٩٠م والآخر في الثامن من شهر فبراير عام ١٦٠٢م ، فلقد قمت بمنع قادة حصون تلك الدولة من أخذ المدفعية لسفنهم وقواربهم أو لأي غرض آخر ، وإذا قاموا بفعل ذلك فيجب إبعادهم من الحصون بواسطة أولئك الذين قاموا باتهامهم ، أو أن يعانوا من العقوبات الأخرى المنصوص عليها في تلك الشروط .

حيث تم إبلاغي بأن هناك الكثير من المدفعية قد تم الاستيلاء عليها من الحصون بواسطة الأشخاص والذين لا يخافونهم ، ولا يحترمون خدمتي ، وهذا ما أدى إلى حدوث نقص كبير .

لقد قررت ، وأنا آمرك بأن تشكّل في الحال مجلس تحقيق للأشخاص الذين قاموا بنقل المدفعية من أي واحد من حصون تلك الدولة ، وأولئك الذين يثبت أنهم مذنبين سوف تتم معاقبتهم ، هذا إلى جانب قيامهم بدفع التكلفة الإجمالية للمدفعية .

هذا ولا أنت ولا نواب الملك الآخرين والحكام يمكنهم التغاضي عن ذلك أو حتى عن جزء منه ، وإلى جانب هذا فسوف تتأكد بأن الشرط الذي أرسل إليك مع هذه والذي أمرت فيه أن يتم إعلان أولئك الذين تورطوا في هذا الموضوع ، وكما سوف تطبق ذلك بكاملة .

لدَيّ معلومات تفيد بأن بعض قادة الحصن في هرمز لهم تعاملات تجارية في كل أو معظم موانئ المضيق ، ونتيجة ذلك هو أنه في وقت الحرب مع جيرانهم يضعون خدماتي في خطر ، ومصداقيتي وسمعة الدولة وذلك من أجل حماية ممتلكاتهم ، وحيثما أن هذا يجب أن يمنع ؛ آمركم أن تتحصلوا على معلومات من تلك الموانئ في خليج البصرة ،

والتي من الملائم ألا يقوم القادة بعمل صفقات فيها أو عمل تجاري ، وسوف تمنعهم من القيام بذلك في المسائل التي تتوصل إلى أنها ضارة ، وسوف تقوم بسحب المؤن باسمي .

توقع العقوبات التي تبدو مناسبة لك مع الإعلان بأنهم إذا قاموا بالتعامل في هذه الأشياء فسوف يلامون ، ولتحقيق لهذه الغايات فسوف تقوم بإضافة هذا التفصيل إلى اللائحة ، ووفقاً له فإن إقامتهم سوف تسلب منهم في حالة طلبهم الاطلاع عليه .

لقد تم إبلاغي بطرق عديدة عن الشكاوى الخطيرة عن الآثام والابتزازات ، والتي يقال إن القادة في حصن هرمز قد قاموا بارتكابها ضد التجار ، والذين يذهبون إلى هناك ببضائعهم ؛ حيث يقومون بشرائها بأسعار يختارونها ، ويقومون ببيع سلعهم بالأسعار التي يرغبون فيها ، وبهذا يجبرون التجار على قبول ذلك ، وإذا لم يقوموا بعمل ذلك ، فإنهم لا يستطيعون أن يبيعوا أو أن يشتروا من أي شخص .

يقومون باستخدام طرق مخزية لا تنسجم مع واجبهم ومع النظم التي وضعتها لذلك الحصن ، ولكنهم غير جديرين بأن يكونوا من الأشخاص الذين تعهدوا بالخدمة معي ، وفي سعيهم لتحقيق مصالحهم الذاتية ، فإنهم يعملون ضدها ، وبهذا الإجراء ، فإنهم يتعرضون لمثل هذا الخطر المقدر والذي يمكن فهمه ، فإنه حتى "إكسا" قد اشتكى لي ، فإنهم لم يقوموا بارتكاب هذه التجاوزات فقط ، بل تجاوزات أخرى كبيرة ضد ممتلكاتي ، وفي الدفعيات والإمدادات الخاصة بالجنود ، وأولئك شائنون إلى حد بعيد .

إن إدراك الأذى والضرر الذي ينتج من مثل هذه الأفعال يكون محسوساً كثيراً عندما تكون عامة ، ولا يستطيع أي شخص تجاهلها ، وحتى الآن ، فإن الأوامر المتعددة والتي حاولت عمل ذلك لم تقدم الحل .

حيث يتعين أن يكون هناك حلاً واحداً ويجب أن يطبق بطريقة فعالة ؛ لذا قررت وأنا آمرك وفقاً لذلك أن تأخذ في عين الاعتبار بأن الإجراءات في الحصن تنسجم مع الأوامر واللوائح الموضوعة ودفع المزيد للامتثال بها ، وذلك .

حتى يتم معالجة كل الذي تم ذكره وحتى لا أتلقى شكاوى مماثلة ، وعليك أن تخطر القباطنة بهذا وذلك بالطريقة التي تراها أكثر ملائمة وذلك حتى يمكن تحقيق هذه الغايات ، وليكن مفهوماً بأنه بصرف النظر عن اعتبار أولئك الذين تصرفوا عكس ذلك قد أصابوا خدمتي بالضرر ، أنا أيضا آمر أن تتخذ ضدهم الإجراءات بكل قسوة .

حيث إن "فرانسيسكو دي جوفيا" والذي ذهب إلى ذلك الحصن ، كقاضي أعلى وملأ وظيفة الكابتن بها أيضا ، قد قام بالكتابة لي بأن القادة قد ذهبوا بطريقة أوحت بأنهم يرمون للبقاء ليس أكثر من ثلاث سنوات فلسوف تأمره بذلك وبسرية تامة أن يخبرك بأسماء القادة المذنبين وبشكل أكثر خصوصية عن العادات السيئة التي اكتسبوها .

في حالات أولئك الذين تمت إزالة مساكنهم ؛ فسوف تأمر بإبراز الأدلة على تلك الأفعال المشينة ، وكيف تم ارتكابها ، وإذا لم يتم الاستيلاء على المنازل من القادة فسوف تأمر بإزالتها ، وأن تقوم بعمل التحريات عن تلك الاعتداءات المذكورة آنفاً .

إذا تم التوصل إلى أنهم هم المذنبون ؛ فسوف تحرّك الإجراءات ضدهم حتى يتم إنزال العقاب بهم وبقسوة ، وسوف تقوم بإبلاغي بكل شيء تجده في هذا الصدد .

لقد تقدم لي ملك هرمز بشكوى مكتوبة بلغة المبالغة عن الاعتداءات والسلوك غير العادل والذي قال إن قائد الحصن "دوم هنريكو دي نورنها" قد استخدمه ضده ، ولقد طلب مني أن آمر بتوزيع أمر ملكي مكتوب وفقاً له ؛ فإن القادة الموجودين هنا لا يمكنهم استدعاؤه إلى الحصن ؛ فلقد قاموا بفعل ذلك عدة مرات ومن دون سلطات كافية ، ولقد تلقى سلوكاً غير جميل منهم وهو في منازلهم .

حيث إنني لا أعتبر أن مثل هذه الأفعال مناسبة لخدمتي ، ولأن السلوك الصحيح يجب أتباعه تجاه الأشخاص ذوي الصفات الملكية ؛ فلقد قمت بتأنيب "دوم هنريك" لسلوكه غير القويم تجاه ملك هرمز ، وحذرته بأن يتقيد بما تعهد به في أوامري ولوائحي والتي أكررها الآن ، وإذا لم يفعل ذلك سوف أمر بمعاقبته بما أراه مناسباً ، وحتى يدرك هو والضباط في الحصن تماماً الطريقة التي يجب أن يسلكوها تجاه الملك ومع أولئك الذين يتبعونه فسوف تأمر بوضع لائحة تحفظ في الحصن ، وعمل صورة منها حتى يقوم الضباط الذين تم ذكرهم آنفاً بالتخلي عن السكن .

من خلال هذه فسوف يتم الإعلان بأنني قد قررت وأمرت بأن لا يقوموا باستدعاء الملك إلا في مسائل تتعلق بخدمتي ، وفي هذه الحالة فسوف يتم ذلك بواسطة القاضي أو مدير الشركة ، وعندما يذهب إلى الحصن ، فإن قادة الحصن سوف يكونون في انتظاره بالطريقة والكياسة ، والتي

كان يستخدمها القادة السابقون ، وسوف يجتمعون لمعالجة المسألة والتي من أجلها تم استدعاؤه وذلك في المجلس ، والتي عادة ما يتم استدعاء الناس فيها ، وسوف يقدم له كرسي ليجلس عليه ويعامل كما كان يتم .

مع أن بعض الأمور ، والتي تتطلب المعالجة ، ليست ذات أهمية كبيرة فسوف يتم نقلها له بواسطة القاضي أو مفتش الخزانة من دون أن يتم استدعاؤه ، وسوف يقومون بزيارته عندما يكون هناك سبباً ، ويعاملونه معاملة طيبة ولطيفة ، وسوف تأمر بأن هذا الموضوع المحدد يحب التحري حوله في منزل القائد ، وأما أولئك الذين لا يمتثلوا له فسوف يعاقبون .

أنا أيضا أقوم بالكتابة إلى الملك بأن يحافظ على علاقات ودودة مع القادة ، كما سيطلب منهم نفس الشيء ، وأنه من الحكمة أن يطلع على دفاع حصنه واستعادة أراضيه كما كان يفعل أسلافه وبمساعدة قادتي والتابعين لي .

طلب مني ملك هرمز أن أقوم بتمرير أمر مكتوب يمكن بمقتضاه للمسلمين التمتع بالحرية والعزة الممنوحة للرجال الآخرين ، وذلك من أجل زيادة الأعداد في تلك المملكة ، وإيجاد أشخاص في وضع أحسن ، وذلك نسبة لندرة النبلاء من المسلمين والذين ينحدرون من أسر كريمة كما جرت العادة .

كما يوجد نقص في مثل هؤلاء الأشخاص في الحصن ، وهذا ما سبب نقصان الكياسة والإهانات العديدة التي ارتكبت في حقه

بواسطة القادة ، واحتراماً لما قاله ، ورغبة في إسعاد الملك قررتُ أنه يتعين عليه عمل سجل للرجال المحترمين الذين يوجدون ضمن المسلمين في هرمز ، وأيضا بوضع هؤلاء في منازلهم قيد الإقامة الجبرية وفقاً للأمر ، والذي سمح بهذه المزية للرجال المحترمين ، وإصدار بيان مكتوب بأن هذا سوف لا يطبق في الحالات المدنية ؛ إلا إذا قاموا بتقديم ضمان إلى الدائنين والذين لديهم إجراءات قانونية معهم .

ذلك بقيامهم بدفع ما تم الحكم به عليهم ، وصورة من هذا الكتاب سوف تحفظ في القلعة ، ولقد أمرت أن تكتب إلى الملك بهذه الطريقة .

حيث إن ملك هرمز طلبها مني فقد قررت مكافأة "دومينجوس دي فرانسا" بوظيفة الراعي لدار الجمارك في الجزيرة المذكورة آنفاً ، وفي رسالتي بتاريخ الثالث من شهر يناير عام ١٦٠٧م ؛ فقد كتبت بأن المراسلات الضرورية يجب أن تتداول بالطريقة التي حددتها في خطابي .

وحيث إن فترة خدمته لم توضح أو حتى متى سيبدأ العمل ، ولأن الملك كتب لي مرة أخرى عن هذا الموضوع ، فقد قررت تشريف "دومينجوس دي فرانسا" بوظيفة راعي دار الجمارك في هرمز لفترة ثلاثة سنوات .

بالتالي القيام بملء الوظيفة العامة الشاغرة ، قبل الثالث والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٠٦م وهو التاريخ الذي قمت فيه بتشريفه لها ، وسوف تقوم بتمرير هذا الإعلان له ليخدم تحت اسمي بالطريقة الموضحة في الخطاب ؛ لذا فأنا آمر أن يتم إبلاغ نائب الملك[أ] .

(أ) في الهامش كتب ما يلي : في الثامن عشر من شهر سبتمبر عام ١٦١٢م سلم "دونجوس دافرانسا" رسالة بحسب الأمر حتى يتمكن من شغل الوظيفة العامة الشاغرة قبل الثالث والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٠٢م ، (غوا ، الثاني والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٦١٢م ، "فالكاو") .

كتب لي الحاكم بأن "دوم بيدرو كويتنهو" وقائد سابق لحصن هرمز ، قد طلب الإذن لتقديم استقالته ، وأن يترك واحداً ليعمل في مكانه لمدة شهر واحد حتى تاريخ انتهاء قيادته ، وأيضا وبسبب أن "دوم هنريك دي نورونها" ، والذي كان سيخلفه في المنصب .

لم يرغب في خدمته فالطريق مفتوح للمرخص له "فرانسسكو دو قوفيا" أن يبقى في الخدمة ؛ حيث إنها ربما تحدث في مناسبات أخرى ، وأن القادة يريدون أن يستقيلوا في وقت ما قبل نهاية فترة خدمتهم مما يحدث بعض المضايقات ؛ فلقد قررت وآمر بأنهم لا يستطيعون القيام بذلك ، ولا يمكن لمثل هذه الاستقالات أن تقبل .

سوف تأخذ هذا كمذكرة بأن هذا يجب التقيد به الآن ، وفي كل الأوقات .

كتب في "لشبونه" بتاريخ الثالث عشر من شهر فبراير عام ١٦١٠م .

الملك . "الكونت أميرال"

وفي العام نفسه (١٦١٠م)
صدر أمر قضائي من الملك ، بشأن المسلمين في هرمز بأن يمتلكوا بيوتاً في هرمز ، بتاريخ الثاني والعشرين من شهر فبراير عام ١٦١٠م : [٣٤]

أنا الملك ،

ليكن معلوماً لكل من يطلع على هذا الأمر القضائي ؛ بأنني قررت أن يتمتع السادة من المسلمين في هرمز بأحقية امتلاك منازل ، وبما أنني أود إسعاد "الشاه فيرو" الملك الحالي لهرمز ؛ حيث طلب ذلك مني ، فيسرني أن أمنحه هذا الفضل .

سيسجل أولئك المسلمين في دفر خاص يفتحه الملك ، وستحفظ نسخة منه في القلعة ، وعندما يتم التأكد من تسجيلهم في الدفتر ، وكتابة أسمائهم ، سيمنح لهم حق المسكن لنفس القضايا وبنفس الطريقة حسب الأوامر المحلية ، وقد منح للمتزوجين من أصول طيبة من المقربين لي .

(٣٤) رقم الوثيقة والهامش.

سيكون هناك إعلان بأنه في القضايا المدنية ما لم يتمكنوا من تقديم ضمانات لدائنيهم حتى يكونوا عادلين معهم ، ويؤدون ما طلب منهم دفعه ، لن يحصلوا على تلك الحقوق ، ولن يتمتعوا بالاستفادة منها ؛ لذلك أُخْطر نوابي للملك والحكام الحاليين ومن يأتي في المستقبل بالهند .

وآمرهم ومعهم رؤساء القضاء ، قضاة التاج ، القضاة الموظفين والأشخاص الذين تتطلب مسؤولياتهم التمسك والالتزام بهذا الأمر القضائي واحترامه ، عليهم جميعاً الالتزام بهذا الأمر واحترامه ؛ لكل ما جاء فيه دون الشك فيه ، أو إعاقة تنفيذه بأي حال وشكل .

سيتم ذلك بغض النظر عن أي قوانين ، أوامر محلية ، أوامر ، أوامر قضائية أو أي كتابات (قد تنشأ) بخلاف ذلك ، ولا حتى للأوامر المحلية في الكتاب الثاني ، الفقرة (٤٤) ، والتي تقول بعدم إمكانية إلغاء أمر محلي ، ما لم يكن قد حدد بصورة خاصة سيسجل هذا الأمر القضائي في دفاتر المستشارية ، المحكمة العليا في جوا ، وفي المحطة التجارية بقلعة هرمز ، وبالمثل سيسجل عند بداية الكتاب الذي سيصيغه الملك لأولئك المسلمين ، وعلى النسخة التي ستحفظ في القلعة حتى يكون هناك دليلاً متواجداً في كل الأوقات .

سيكون نافذاً كميثاق ، لكنه لن يمر عبر المستشارية بغَضّ النظر عن الأوامر المحلية في الكتاب (٢) الفقرة ٣٩ و٤٠ ، والتي تحكم بخلاف ذلك .

صدر في ثلاث سبل إحداها فقط ستكون نافذة .

كتبه "جواو تافاريز" في لشبونه

بتاريخ الثاني والعشرين من شهر فبراير عام ١٦١٠م

أنا "أنطونيو فيليس دي سيماس" ، أمر السكرتير بكتابته .

الملك - الكونت الأميرال

الأمر القضائي الذي تمنح جلالتك بموجبه (حق) السكن للسادة المسلمين في هرمز مع الإعلان والتصريح ، وبالطريقة التي وُضّحت بأعلى .

لاطلاع جلالتك عليه ... .

أرسل في ثلاثة مسارات

برسالة من جلالتك بتاريخ السابع والعشرين من شهر يناير عام ١٦١٠م

وفي العام نفسه (١٦١٠م)

صدر الرد الذي أمر "فيليب الثاني" بأن يعطى إلى "روبرت شيرلي" ، سفير شاه عباس بخصوص التحالف ضد الأتراك ، مدريد ، الثالث من شهر مارس عام ١٦١٠م : (٣٥)

الرد المكتوب من جانب جلالته إلى السير "روبرت شيرلي" .

عند اطلاع جلالته الكاثوليكي على وثيقة تحتوي على ملاحظات أعطاها لجلالته سعادة السفير "روبرت شيرلي" نيابة عن ملك الفرس الرزين ؛ أمر بأن يكون الرد كما يلي :

١- بخصوص محتوى النقطة الأولى ؛ فإن الملك المذكور آنفاً يظهر حسن النية والحب لجلالته الكاثوليكي وأتباعه ، وهذه المشاعر مشابهة لما يكنه للملك المذكور واتباعه ، ويرغب جلالته بشدة في وجود المناسبات والتي سوف تمنحه الفرصة ليعبر عن عميق احترامه لشخصه ولصداقته .

(٣٥) رقم الوثيقة والهامش.

٢- وبخصوص النقطة الثانية ، فإن جلالته قد ابتهج كثيراً عندما علم بأن الملك المذكور قد صمم بحزم متابعة الحرب ضد الأتراك العدو المشترك ، ولقد قرر بنفسه نفس القرار ، ولتنفيذ ذلك ، فإن جلالته ما زال مستمراً في طرد الكفار الموجودين في ممالكه ، لأنهم كانوا يتعاملون ويتناقشون مع الأتراك .

ويسربون إليهم المعلومات ، وفي حالة قيام جلالته بالتخلص منهم فسوف يتمكن من دون خوف أو وجل ، ومن دون قوات كبيرة من الاستمرار في إرسال أساطيله لإيقاع الضرر بالأتراك كما كان يفعل في كل هذه السنوات ، ومستذكراً ذلك قام جلالته بتوقيع هدنة مع الثوار الهولنديين ، ويمكن للملك المذكور أن يكون متيقناً بأن جلالته من جانبه وبمساعدة البابا والأصدقاء وأتباعه سوف يسعون لإيقاع أكبر قدر ممكن من الضرر بالعدو المشترك .

في نهاية السنة الماضية قام أسطول جلالته بحرق الأسطول التركي الذي كان متواجداً في تونس ، وفي نفس الوقت قام جلالته بإرسال أسطول آخر مكون من سفن ذات سطح مرتفع تحت قيادة السير "انطوني شيرلي" ، وذلك لاجتياح بحاره وسواحل الأتراك ، ولقد ساهمت هذه في جعل الأتراك لا يستطيعون حشد قوات كثيرة على الجانب الفارسي .

٣- أما بخصوص النقطة الثالثة فسوف يعطي جلالته نموذجاً إلى الأمراء المسيحيين الآخرين حتى يقوموا بالمساعدة في الحرب ضد الأتراك ، وأن جلالته من جانبه سوف يسعى لضمان أنهم يقومون بذلك كما تمت الإشارة إليه بالتناغم مع أصدقائه وأتباعه .

٤ – أما المسائل ذات الثقل كتلك المتضمنة في النقطة الرابعة ؛ فإنها تحتاج إلى المزيد من التفكير العميق ، ليس فقط من أجل الاحتلال والنصر ، وإنما أيضا للسيطرة على الذي تم اكتسابه ومواصلة الغزو والاحتلال .

الآن وجلالته يجد نفسه متحرراً من الخوف الذي يمكن تبريره والذي كان يتملكه من سكان غرناطة ، الأعداء داخل حدوده وأصدقائه الأتراك ؛ فإن جلالته سوف يجاهد باهتمام خاص وغير عادي لتوفير ما هو ضروري للهجوم الكبير الذي يهدف إلى تحطيم العدو ، والذي يمكن تنفيذه ، وفي الوقت الحالي ، فإن ملك فارس سوف ينصح بأنه من جانبه يمكن أن يقوم بعمل نفس الشيء .

٥- وبخصوص الجزء الخامس ؛ فإن جلالته يشعر بأسف عميق لعدم استطاعته كشيء يخصه إقناع ملك فرنسا وإنجلترا ولورد البندقية بشن الحرب على الأتراك ، ويعتقد جلالته بأن القضية التي يؤكدها تتمثل في الفائدة التي يجنيها رعاياهم من التجارة ، ونسبة لأن جلالته قد اعتبر على الدوام أنه من الملائم والضروري السعي لحرمان الرعايا الأتراك من التجارة التي يقومون بها في البحر الأحمر ، ولقد أمر جلالته بمعالجة الموضوع بكل أمانة ، وفي الوصول إلى هذه الغاية ؛ فإن أسلحتهم قد تم الاستيلاء عليها في عدة مناسبات .

ذلك فضلاً عن العديد من السفن المشتركة في التجارة في ذلك الإقليم ، والآن ونتيجة للتصورات والمزاعم التي عملت نيابة عن أكثر ملوك فارس رزانة ، وعن رغبة جلالته الخاصة لإعطائه اقتناعاً تاماً ؛ فسوف يأمر بأن يعالج هذا الموضوع بالسرعة المطلوبة ، إما بالاستيلاء

على جزيرة سوقطرة بواسطة الأساطيل كما تمت الإشارة إليه أو منطقة أخرى ، أو بما يبدو ، فإنه من الأفضل الهجوم - .

لقد قرر جلالته أن الملائم هو عرضه في أن يرسل إلى هرمز جزءاً من السلع التي تنتجها بلاده ؛ لأن هذا سيؤدي إلى تقوية العلاقات الجيدة بين الأتباع في كلا المنطقتين ، فسوف تتوسع وتزداد الصداقة نتيجة لتنفيذه لما يقول ، ومع أن جلالته قد أمر من قبل بأن التجار الذين يسافرون من فارس إلى هرمز أن يفضلوا ، وأن يتم احترامهم وتقديرهم كأتباعه ، فلسوف يرسل المزيد من الأوامر في سبيل تحقيق هذه الغاية حتى يلتقوا هناك في هرمز كل عطف وحماية في إرسالهم لسلعهم ، وسوف يأمر أيضا بأن يزود المكان بقائد وموظفين آخرين والذين سوف يضمنون وبعناية خاصة أن تلك الأوامر قد تم تنفيذها .

٦- بالنسبة لمحتوى النقطة السادسة ؛ فإن أحدهم من هنا يجب أن يذهب إلى هناك ، وأترك الملك المذكور آنفاً أن يفهم إلى أي حد يحترم جلالته شخصه وصداقته ، وكيف أنه كان مهتماً بأي شيء يمكن أن يكون ملائماً لتأكيد ودفع الصداقة والسعي لتدمير الأتراك ، وبهذه الوسيلة ، فإن الملك يستطيع أن يبلغ عن كل شيء يحدث له من دون الحاجة إلى إرسال سفير .

٧- أن الفقرة السابعة والأخيرة تمت الإجابة عليها بالذي قيل في الفقرة السابقة .

مدريد/ المؤرخة الثالث من شهر مارس عام ١٦١٠م "أندريه دي برادا" "Andre de Brada" .

وفي العام نفسه (١٦١٠م)

صدرت رسالة من الملك إلى نائبه ، بتاريخ التاسع من شهر مارس عام ١٦١٠م ، وأصدر أمراً يمنع هدم بيوت المسلمين والوثنيين القريبة من المعابد المسيحية : [٣٦]

الصديق ونائب الملك "روي لورنسو دي تافورا" ،

أنا الملك أبعث لك تحياتي ؛

لقد أمرت بقرار أصدره مجلس الأبرشية والذي عقده رئيس أساقفة "غوا" "دوم اليكسو دي منيزيس" في عام ١٦٠٦م بهدم جميع المنازل والمعابد والتي تتبع لعبدة الأوثان في ديو وهرمز ؛ حيث إنه تم الإيعاز لي بأنه في حالة عمل ذلك فسوف تنتج مشكلة ذات أهمية معتبرة ، أمرت بعض علماء اللاهوت ببحث الموضوع .

لقد اطلعت على آرائهم حول هذا الموضوع ، وما تم عمله في مناسبات أخرى بخصوص هذا الموضوع ، ولقد فكرت أيضا بما تم الإيحاء به إليّ

(٣٦) رقم الوثيقة والهامش.

والمتمثل في أنه إذا أردنا أن نواصل في نشر وحماية المسيحية في تلك الدولة ؛ فإنه ليس من الحكمة التدخل في شؤون السكان في الوقت الحاضر .

من أجل هذا شعرت أنه يتعين عليّ أن أطلب منك كما أفعل الآن أن تأمر بتعليق تنفيذ المرسوم : هذه المنازل والمعابد لا تهدم ، ما دمت لا أعطي أمراً معاكسا ، وسوف يكون هناك إعلان بأن لا يقوموا بتشييد معابد جديدة ، ولا يقوم الوثنيون ولا المسلمين باستخدام العنف لمنع أولئك الذين يريدون أن يصبحوا مسيحيين مِن فعْل ذلك ، أو أن يقوموا بقرع الأجراس لدعوة الموالين لهم ، أو يكون لهم دعاة أو يكون لهم مبشرون ، أو إقامة الاحتفالات العامة ؛ يمكنهم عمل أي شيء آخر يقوله المفتشون في أوامرهم أو أثناء زياراتهم ، على أساس أن يتم ذلك مع التبرير الكامل ، وأيضا التقيد بما تم إقراره .

سوف تقوم بتنفيذ التحريات والتعليمات الخاصة بها مضمنة في وثيقة سوف تصلكم مع هذه الرسالة ، وموقعة بواسطة "أنطونيو فيليس دي سيماس" سكرتيري في مجلس الهند في وزارة شؤون الدولة في هذه المناطق والمناطق الواقعة فيما وراء البحار ، وسوف تقوم بفعل كل شيء ممكن حتى يتم إرسال الرد لي في أول مركب في رحلة عودته إلى هذه المملكة .

كتبت في بلد الوليد بتاريخ التاسع من شهر مارس عام ١٦١٠م الملك "كونت دي سالييناس" "لاى رفادو"/ دوق "فرانكافيلا" .

مذكرة حول الأوامر التي أصدرها جلالته في الهند والمتعلقة بمراجعة المعابد في ديو وهرمز :

إذا تم السماح ببناء المعابد الخاصة بالوثنيين إلى أي مدى سوف تكون عدائية بالنسبة للمؤمنين؟

إذا تم هدمها ، هل سيحدث ذلك اضطرابات واسعة ويولد الكراهية وعدم الرضا والاعتراضات في أوساط الوثنيين إلى الحد الذي يحد من هدايتهم إلى المسيحية ويجعلها أكثر صعوبة؟!

إذا تتم تنفيذ مرسوم المجلس الكنسي ، هل يتبع ذلك أن يقوم ملك فارس بإبعاد الرهبان الموجودين في مملكته ، والذين يشاركون في هداية أولئك الناس وإدخالهم في المسيحية؟

هل ستتأثر خزانة جلالته سلبياً نتيجة لتنفيذ هذا المرسوم؟ إذا كان كذلك فإلى أيّ حد؟ ما هو الغرض الذي توظف فيه الإيرادات ، والذي يستلمه جلالته من القلاع في ديو وهرمز؟ أين يمكن عمل المكاسب المشابهة لنفس الغرض من دون إحداث نقص لبعض الأشياء الضرورية؟ أن السبب الذي أسس عليه ما تم قوله يجب نسيانه بدقة ، وأيضا التعويل على الأسباب التي تم الدفع بها .

إلى جانب هذا ، أمر جلالته بإرسال رسالة إلى القساوسة الذين هم في المجلس الكنسي : عليهم أن يذكروا الأسباب والتي بنوا على أساسها قرارهم الذي اتخذوه بخصوص الوثنيين ؛ لذا عندما يرى جلالته كل شيء فربما يتخذ القرار الذي يصب في مصلحته وفي مصلحة الخالق ، وعندما تأتي هذه المعلومات ، فإن أحد الأوامر سوف يعطى لتنفيذ مرسوم المجلس الكنسي ، أو إذا بدا ذلك ضرورياً ، فإن سماحته سوف يستشار عن كل شيء .

"أنطونيو فيليس دي سيماس"

الرد على محتوى هذه البنود

في حالة السماح بتشييد المعابد للوثنية ؛ فهذا سوف لا يكون ذلك مستفزاً لمشاعر المؤمنين ، هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فقد توصل رهبان الكنيسة إلى أن أولئك الذين تتم هدايتهم حديثاً يصابون بالانزعاج عند رؤيتهم لتلك الطقوس التي شب عليها آباؤهم وأجدادهم .

وتكون النتيجة أن من أكثر الاحتمالات ترجيحاً أن يقوموا بالرجوع إلى معتقداتهم الأصلية ، ومع أن تلك الاحتفالات غير مسموح بها بشكل علني ، إلا أنه في الواقع ، فإن الذين تتم هدايتهم حديثاً يرتدّون بسهولة عندما تكون هناك مقارنة في حالة عدم وجودها .

إذا ما تم هدم المعابد ؛ فسوف يحدث هذا انتفاضة في أوساط السكان الوثنيين ، وسيقوم الكثيرون منهم بالرحيل والعيش في أراضي المسلمين ؛ حيث يسمح لهم بذلك ، وبهذا ، فإن فرص هدايتهم سوف تضيع ، وهذا الاحتمال ليس مستبعداً على أية حال .

إن عيشهم وسط البرتغاليين وتعاملهم واتصالاتهم بهم في كل الأوقات ومع قساوسة الكنيسة والذين يقومون بإسداء النصح لهم باستمرار ؛ قد أدى إلى هذه النتائج التي نراها ماثلة الآن ، وسوف تفقد هذه الثمار إذا قام هؤلاء الأشخاص بالذهاب إلى أراضي المسلمين حيث لا يذهب أحد منا للتبشير هناك ، وبمعجزة تحتاج هداية واحد من الوثنيين من أولئك الذين يعيشون وسط المسلمين إلى معجزة ؛ بينما الآلاف من الوثنيين الذين يعيشون بين ظهرانينا تتم هدايتهم كل عام ، ولهذه الأسباب ، فإن أي مسعى لفصلهم عنا يجب أن يتم استبعاده .

إنه من المفهوم أن ملك فارس لا يمانع بتاتاً إذا ما تم هدم المعابد المجاورة في هرمز ، إنه سوف يكون سعيداً بذلك . هذا إلى جانب إساءتنا معاملة الوثنيين العابرين إلى أراضيهم وبخاصة الأغنياء منهم والذين يعملون في التجارة .

سوف تتعرض خزانة جلالتكم لخسائر كبيرة إذا ما قام الوثنيون بمغادرة ديو وهرمز ؛ لأن أولئك الذين يقيمون في هذه المناطق الحصينة هم من رجال الأعمال ، والذين يقومون من خلال تجارتهم بإنعاش دور الجمارك ويجعلوها أكثر ربحية . إنه ليس في الإمكان معرفة حجم الخسارة ، أو هل هناك طريقة لتعويض هذه الخسارة بوسائل أخرى .

وفي العام نفسه (١٦١٠م)

بعث الملك رسالة إلى "روي لورنسو دي تافورا" ، بتاريخ السادس عشر من شهر مارس عام ١٦١٠م ، بعد وفاة الملك عيّن ابنه الثاني ، ولم يؤكد ذلك حتى تاريخه : [٣٧]

نائب الملك والصديق ،

أبعث لك أنا الملك بعظيم تحياتي

كتب لي "دوم هنريكو دي نورونها" ، قائد قلعة هرمز ، أنه وعند وفاة "فيروشا" الذي كان يحكم مملكة هرمز تلك في شهر فبراير من السنة الماضية ١٦٠٩م ، وقام "الدوم هنريكو" باسمي وعيّن كملك الابن الأكبر الثاني خلفاً للراحل "فيروشا" ، وهو ابن شرعي من صلب أبيه ، وقد نال ذلك الترشيح الكثير من الرضا بين كل السكان في البلاد ؛ لأنه ولد وتربّى وعاش بينهم ... الخ .

قد كان السيد "فيروشا" حاكماً في تلك البلاد ، بناء على حكم

(٣٧) رقم الوثيقة والهامش.

من نائب الملك "أيريس دي سالدانها" ، مرر في السابع من فبراير عام ١٦٠٢م ، حتى أعلنه كملك ... إلخ .

أرى من الصحيح أن يستمر كحاكم فقط طالما أنني لم أعلن من سيخلف الملك حتى الآن ... إلخ .

حيث إن المذكور "دوم هنريكو" كان مذنباً بتجاوزات كثيرة ومخالفات في الثورة والتمرد ، فيستحق تأديباً يُضْرب به المثل ، وآمرك القيام بتحقيق يتم في هذا الشأن الخ ...

كتب في "لشبونه" ، بتاريخ السادس عشر من شهر مارس عام ١٦١٠م ، "ماركيز كاستيلو رودريجو" ، "الكونت الأميرال"

وفي العام نفسه (١٦١٠م)

قدم رأي "د . فرانسيسكو دا جاما" المتعلق بالمستندات المرسلة من "روبرت شيرلـي" ، بتاريخ التاسع من شهر أغسطس لعام ١٦١٠م ، وحث ملك فارس بالحرب على الأتراك : [٣٨]

رد لسموكم بتاريخ الثاني عشر من شهر أغسطس ١٦١٠م

أعتقد فيما يتعلق بكل هذه المستندات[أ] ، فإن الرد الذي أمرتم جلالتكم السكرتير برادا بأن يقوم به مناسب بالنظر لعدم سلامة الأساس الذي بنيت عليه المقترحات .

منذ أن تم بناؤها بواسطة البرتغاليين في عام ١٥٠٧م ؛ فإن حصن هرمز أصبح موضوعاً يمثل أهمية بالغة بالنسبة لملوك فارس ، وإذا كانت قوتهم مكافئة لإرادتهم لقاموا بالاستيلاء عليه ، إلا أن الحصن قوي جداً .

(أ) مذكرة هامشية : سعيت أن يكون رأي "انتاودي ميسكيتا" حول هذه منسجماً مع أوامر سلطانكم وذلك نسبة لخبرته الواسعة في الشؤون الهندية .

(٣٨) رقم الوثيقة والهامش.

ويتم إمداده بكل الأشياء التي يحتاجها الدفاع عنه[أ] ، وهو يقع في جزيرة لا يستطيع الفرسُ الوصول إليها إلا عن طريق سفننا نسبة لأنهم لا يملكون مثلها ، وكانت هذه العقبة الرئيسة التي أعاقت تنفيذ مخططاتهم المؤذية ، والتي قاموا بتخطيطها في مختلف الأوقات ، وهذه كانت بالتحديد الحالة في عام ١٦٠٢م .

ذلك عند قيامهم باحتلال جزيرة البحرين ؛ حيث أوعز الشاه إلى تابعة سلطان شيراز بالاستيلاء على أرض "موغستان" والتي كانت تتبع إلى ملك هرمز التابع لجلالتكم ، وقام بعد ذلك بإحكام الحصار على بندر والتي هي في فارس ، والتي تقع ضمن سلطة حصن هرمز ، وقد كان بوسعه الاستيلاء عليه لولا المساعدة التي أرسلت إلى هناك .

قام نفس القائد بالاستيلاء على جزيرة قشم ، والتي تقع ضمن سلطة هرمز ، إلا أنه تم دحرهم منها بواسطة قائد الحصن[ب] .

في نفس الوقت كان ملك فارس يقوم بإرسال واستقبال السفراء والهدايا من جانب جلالته ونائب الملك في الهند ، إلا أنه لم يوافق أبداً على إرجاع حصن البحرين أو الأراضي الأخرى التي استولى عليها أو إعطاء أي تعويضات ؛ لذا فإن الصداقة والسلام الذي كان يسعى ويرغب فيها مع جلالته يَبْدُوان ضرباً من ضروب النفاق والخداع .

من هذا المنطلق ؛ فيمكن تصور ما هو الشيء الذي تعهد به بواسطة

(أ) مذكرة هامشية : وإذا كان هناك أي تجاهل أو عدم نظام كما أوضح جلالته فلقد تم التعامل معهم بشكل ملائم .

(ب) المذكرة الهامشية : قريباً .

سير "روبرت شيرلي" الرجل الإنجليزي المتجول ؛ لأن الملك الفارسي أرسله كسفير له ، وذلك لمعالجة مسألة بالغة الأهمية ، ومن هذا المنطلق يمكن الاستدلال بأنه من المحتمل بأنه كان يريد معرفة مدى قوة إسبانيا ، وأن يرتبط في بعض التعاملات المزدوجة مع الإنجليز . لذا لابد من استخدام الحذر والحيطة تجاهه والحذر الشديد فيما يتم نقله إليه .

كل الفقرات التي وضعها "السير روبرت" بوضوح في مذكراته المطولة يمكن تقليصها لهذا الغرض في مسألتين مهمتين :

المسألة الأولـى : تتمثل في حث جلالته لشن الحرب على الأتراك وحرمانهم من كل التجارة في البحر الأحمر والهند ، وأن يقوم بإرسال أسطول ضخم إلى المناطق المجاورة إلى سوقطرة لنفس الغرض ، والمتمثل في منع الأساطيل التركية من مغادرة المضيق .

أما المسألة الثانية : فتتمثل في توفير الكثير من الحرير عن طريق هرمز ، حتى لا تكون هناك حاجة لذلك الذي يأتي من الصين .

بتوضيح هاتين المسألتين يبدو الأمر في ظاهره مفيداً إلى دولة الهند ، إلا أنه يتضمن مؤامرة تهدف إلى إيقاع الضرر بها ، وتعمل على تحطيمها تماماً ؛ فإذا استطاع ملك الفرس بأي وسائل تحقيق هدفه من الاستيلاء على حصن هرمز ، والذي هو مولع به ؛ فهذا هو الطريق الوحيد .

فيما يتعلق بالمسألة الأولى ، والمتمثلة في أنه يجب على جلالته منع التجارة بين الهند والبحر الأحمر ؛ فإنها لا تعني شيئاً أقل من أن إيرادات دور جماركه سوف تتناقص وبخاصة إيرادات "ريو" ، والتي تبلغ إيراداتها السنوية مائتي ألف كروزادوس .

ثانياً : سوف تهدم السلام والصداقة مع كل الحكام في دولة الهند مثل المغول والمالك وعادل خان والسامورين وملك كوتشين وآخرين ، وستؤدي إلى خرق كل الاتفاقيات المبرمة معهم والعلاقات السائدة الآن معهم وحالياً ، وستكون نتيجتها اندلاع الحرب في أرجاء الدولة ، ولأن جلالته قد وافق بواسطة عقد مع هؤلاء الحكام أن يتكفل بمقتضاه بإعطائهم كل سنة عبوراً آمناً لكل واحد منهم ليرسلوا مراكبهم إلى المضيق .

وإذا رفضوا فسوف يقومون كلهم بشن الحرب معاً ، ويبحرون من دون العبور الآمن ، وسوف تعمل الدولة على منع هذا التصرف بواسطة أساطيلها القوية والمحافظة على كل الحصون الواقعة على حدودهم مزودة تزويداً جيداً .

كل هذا سوف يتطلب صرفاً باهظاً ويؤدي إلى تقليص إيرادات دور الجمارك والفوائد التي يجنيها رعاياه ؛ هذا بصرف النظر عما يحدث في حالة الحرب والذي سوف يختلف ، وأثناء هذا الوقت المليء بالشكوك في البحر فالشيء المهم هو عدم الإساءة لهؤلاء الحكام ، وذلك لأننا نعلم بأنهم غير راضين بقبول الغارات والتي حاولت السيطرة عليهم مما سبب الضرر لخدمة جلالته والذين يتبعون له ، وهي تبدو واضحة من الرسائل التي قام بإرسالها نائب الملك في الهند .

أما فيما يتعلق بالاقتراح والمتمثل في أنه يتعين على جلالته إرسال أسطول من السفن الشراعية الكبيرة وذات المجاديف لتقوم بأعمال دورية بين سوقطرة ومدخل المضيق ، وذلك لمنع الأتراك من مغادرته ؛ فان هذا يعتمد على العديد من الفرضيات الزائفة ، ويفترض أن الشاه

سوف يوفر ميناء لحماية سفننا ، ويبدو هذا مضحكاً لدرجة أنه لا يستحق الرد عليه .

أما بالنسبة للأساطيل التركية والتي ربما تغادر المضيق ، فإنها لم تكن قادرة على القيام بذلك لمدة طويلة ، لذلك ، فإنه لا خوف منها ، وأن كل الأساطيل التي وصلت إلى الهند في أوقات متعددة في الماضي قد تم تدميرها ، وتحقيق الانتصارات الباهرة عليها . أما سفن التجار وتلك التي لا تتبع إلى حكام الدول المجاورة أو إلى المقيم في ديو ، والذين يبحرون بواسطة أذونات عبور آمنة من نواب الملك ، والتي يمكن الاستيلاء عليها كغنائم ، تبدو مشتتة .

لتقليل المصروفات فقد أقلع نواب الملك منذ فترة طويلة مضت عن إرسال الأساطيل لتقوم بتعقبها ، وعندما كانوا يرسلونها ، فإنها كانت معتادة أن تبحر من الهند في نهاية شهر مارس ، وتتجه إلى مدخل مضيق البحر الأحمر وتمكث هناك ، وهي في انتظارهم ، وتبقى هناك حتى نهاية رياح المانسون .

في هذه الأثناء سوف يوقعونهم ، وبعد ذلك يذهبون ليقضون الشتاء في هرمز ويرجعون على الهند في نهاية أكتوبر ، وعادة بدون فائدة تذكر ، وكان لنواب الملك في الهند دائماً جواسيس يمكن الوثوق بهم ، والذين يقومون بإبلاغهم عندما تكون هناك محاولة لبناء أسطول داخل المضيق ؛ لأن مثل هذه الأمور تحتاج إلى وقت طويل مما يوفر هناك وقتاً لتحذير الهند .

كان هذا هو الحال قبل اثنين وعشرين عاماً عندما كان مانويل دو "كوتنوهو" حاكماً : عندما تم إبلاغه بأن هناك أربع سفن يجرى إعدادها

في المضيق ؛ حيث قام بإرسال أسطول قام بالاستيلاء عليها جميعاً ، وأنه من الاستحالة بمكان افتراض أنه من المستحسن تجميع هذا الأسطول لأغراض أخرى فيمكنه أن يذهب لحماية ساحل الشمال كما تم اقتراحه[أ] .

إن التجارة في الحرير عبر هرمز ، والتي اقتُرحت ، تبدو غير ملائمة بدرجة أقل ، فإذا استمرت ، فإن تجارة الحرير مع الصين سوف تصل إلى نهايتها ، ونسبة لأن هذا يبدو جيداً ، فإنه من المؤكد أنه سيقومون بالبحث عن مخرج آخر ، والذي سوف يلحق الضرر لخزانة جلالته في الدولة ، وربما في إسبانيا أيضا .

من المؤكد أنه لا يوجد رأسمال كافي في الهند لشراء الحرير الذي تنتجه فارس والصين ، وإذا بدأت التجارة مع فارس ، فإنه سوف يأتي رعايا كثيرون تابعون لذلك الملك إلى حصن هرمز ، وبهذه الإضافة وحرية الدخول إلى الحصن فسوف يتمكنون من محاولة السيطرة على الحصن عن طريق التآمر والخيانة ، لذا فإن كل تجارة "دوميرتكو" معهم سوف تكتنفها المخاطر لأنهم أشخاص يميلون للفتنة بطبعهم ومتعجرفون في عملهم التجاري .

لا يحتاج حصن هرمز أو دولة الهند إلى شيء من فارس ، والذي يعتبر ضرورياً للصيانة بكل ما في الكلمة من معنى . إلا أن فارس لا تستطيع العيش من دون التجارة مع هرمز ؛ لأن الأشياء التي يريدونها

(أ) مذكرة هامشية : ليس هناك من حاجة للرد على ما قاله عن خليج (ساباي) وسنغافورة ؛ لأنهم أبعد بكثير من البحر الأحمر ، ولم يقم الأتراك أبداً بإرسال أساطيلهم إلى هناك ، وإذا قبلت بالإشارة إلى الهولنديين ، فقد تم عمل رد كافي بالتشاور مع مجلس الهند .

من الصين لا تستطيع الذهاب إلى هناك من أي طريق آخر ، ويذهب الناس إلى هرمز من فارس لشراء كل هذه الأشياء بنقود جاهزة مثل الفضة والذهب والتي هي ذات فائدة عظيمة إلى دور الجمارك الهندية .

إذا تم فتح تجارة الحرير فهذا سوف ينتهي لأن الحرير سيدفع كقابضة لبضائع أخرى لبضائع أخرى ليست لديهم ، وسوف يتحصلون على الكمية الكافية منها بهذه الطريقة ، وبدلاً عن المال الذي تعودوا على دفعه فسوف يدفعون بالحرير والذي لا يمكن إنفاقه [أ] .

كذلك يجب الأخذ في الاعتبار بأن الفرس قد طلبوا في الماضي من نائب الملك في الهند بأنه يتعين عدم دفع رسوم إلى دار الجمارك على البضائع التي يرسلها إلى هرمز ، وإذا تم ضمان التجارة له فسوف يحاول ذلك مرة أخرى وبإصرار ، وإذا استطاع تحقيقها فسوف يدعى أن كل الحرير القادم من فارس هو ملك له ، وهذا يعني خسارة كبيرة لخزانة جلالته في الذي فقد وتعويض العطايا التي تدفع للموظفين الذين يقومون باستلامها .

تأسيساً على ما قبل عالية ؛ فالواضح أن مقترحات "السير روبرت" تنطوي على ضرر عظيم للخزانة الملكية ، وذلك بواسطة الخسارة المباشرة وبالطرق التي تهدد السلام مع الحكام المجاورين على السواء ، وإذا كانت هناك من حرب تشن عليهم ؛ فإن الفرس ستكون لهم فرصاً أكثر لتنفيذ أهدافهم الهدامة ضد حصن البحرين وأراضي "موغستان"–

(أ) مذكرة هامشية : سير أنتوني ، رفيق سير روبرت تم إرساله إلى مدريد .

وهو الشيء الذي لم يقم به لأنه راض عن نفسه بعد الانتصارات التي حققها على الأتراك .

يعتقد في أنه سوف ينجز أي شيء يقدم عليه ، وبالتالي يجب ألا يكون هناك من قبول لهذه المقترحات باستثناء كونها في شكل آمال بعيدة ، والتي تجعله قانعاً من دون أن يستطيع أن يخمن ماذا تعني(أ) .

يتعين علينا انتظار سفيره ، والذي سوف يعود في سفينة القائد ليرى إذا كانت أهدافه تتفق مع تلك لسير روبرت ؛ فرجل الدين "الأوجستيني" والذي سيأتي معه يمكنه إعطاء معلومات أكثر عما هو المناسب ولمصالح أمنية ، فإن الإخطار سوف لن يسيء إليها حول الموضوع الذي تم التعامل معه في هذه المقترحات كما جاء الأمر من رسالة (...) هذا العام ، وفيها تقرير عن كل شيء اقترحه "السير روبرت" .

"لشبونه" المؤرخة في التاسع من شهر أغسطس عام ١٦١٠م

صورة عن الفكرة التي أعطيتها لنائب الملك حول المستندات من السير "روبرت شيرلي" السفير من طرف الشاه والتي أرسلها دوق ليرما .

(أ) مذكرة هامشية : وسوف يناقش السلام والصداقة من دون خوف مما تعنيه وسوف يوصي لجلالته بمشروع (....) ذي أهمية كبيرة لأمن حصن هرمز والسبب (...) ولأنه يفكر في بابل (...) ملوك (...) وأن ينشر السلام بأمل كبير بأن يقدر على ذلك (...) خطة هرمز .

وفي العام نفسه (١٦١٠م)

صدرت رسالة من نائب الملك "روي لورنسو دي تافورا"[أ] إلـى "فيليب الثاني" ، بتاريخ شهر ديسمبر عام ١٦١٠م ، يذكر فيها المطالبة بالبحرين من شاه فارس : [٣٩]

سيدي ،

الأحوال في هرمز تحتاج إلى تقرير منفصل ، وفي هذا الخطاب الحالي فأنا أقوم بتزويد جلالتكم بهذا .

يوجد "د . هنريك دي نورونها" في الحصن في نهاية فترته لثلاث سنوات ، ومعه ثلاثمائة جندي وهم مزودين بكل ما يحتاجه . لا توجد إشارة لأي حركة من جانب الشاه ، ولا يوجد الكثير الذي يخيف من جانبه في الوقت الحالي ، لأنه متورط في الحرب مع الأتراك ، وكان بارداً

(أ) مذكرة المترجم : روي لورنسو دي تافورا هو نائب الملك فيما بين عامي ١٦٠٩م – ١٦١٣م ، خطابات أخرى منه تذكر هنريك دي نورنها بنفس الاسم والمؤرخة في ديسمبر ١٦١٠م .

(٣٩) رقم الوثيقة والهامش.

تجاهنا نسبة للسلام أو الهدنة في المجر ، وكما أبلغت جلالتكم في مكان آخر ، إلا أن السبب الأول يبدو قوياً ، ولا شيء يجعلني واثقاً في أن أفشل في اتخاذ التحوطات اللازمة والأمر لمواصلة التحصينات والتي يقوم بها "جاسبار دي ميلو" "Gaspar de Milo" .

لقد كتب لي قائلاً إن كل شيء في الداخل يبدو في وضع ممتاز ، وأن كل شيء جاهز للخارج ، إلا أنهم ينتظرون انتهاء هبوب الرياح الغربية في بداية شهر أكتوبر حتى يمكن بدء العمل هناك ، وينجز من دون انقطاع ، وعندما ينتهي ذلك فسوف يبدأ العمل الذي يأمر معاليكم أن يأتي بعد إتمام العمل الأول ، ولكن هذا لن يكون أثناء فترة تقلدي منصبي .

لقد أصدرت أوامري بأن يكون بالحصن حوالي خمسمائة جندي في خدمة مستديمة كما أمرت معاليكم ، منقسمين إلى خمس مجموعات ، ووفقاً للأمر المكتوب قمت باللازم وبإصدار صورة سوف ترسل لمعاليكم في السفن للاطلاع عليها وتقوم بالتعديل والإجازة بما تراه مناسباً ، من المتوقع أن يقوم "د . جورج دي كاستيلو برانكو" (والذي تقلد القيادة هناك في مايو ١٦١١م) باستخدام خبرته في إدخال هؤلاء الرجال في النظام العسكري .

ويوفر أساساً جيداً لهذا التدريب ، وذلك لفائدة هذه الدولة ، وعلى الأقل فسيكون مفيداً تواجد جنود في الحصون ، وهو مما يؤدي إلى توفير المنصرفات للعديد من المراكز الحصينة غير الضرورية ، ونسبة لما تم صرفه على هذه المراكز حيث إن النظام الذي يأمر معاليكم باتخاذه لم يتم تطبيقه .

إن المطالبة بالبحرين حدثت مباشرة بواسطة مساعدة قائد هرمز – ، وأنا أمنحه المسؤولية للقيام بهذا العمل بكل التأييد الممكن وواعداً إياه من جانبي بالدعم الضروري ، وسوف لن أفشل في القيام بهذا في أيّ جانب ، وذلك حتى إذا كانت البحرين ليست لديها الآن حامية كبيرة كالتي كانت لها عندما تم إبلاغ معاليكم .

بالرغم من ذلك فقد تم الإدراك بأن الجيش في هرمز ليس كافياً للقيام بهذه المحاولة ، وأنه سيصبح من الضروري إرسال المزيد من القوات من هذه المدينة ، وهذا ما نقله لي "غارسيا روميلو" "Garcia Romello" ، وأن ملك هرمز من أكثر الأطراف رغبة في هذا الموضوع ، وسوف يجعلها ميسرة .

كما يقوم المطالبين في الحالات المشابهة عادة بفعل لك ، وأخبرني أنه بالإضافة إلى سفن هرمز ، فإنه يحتاج إلى عشرين أخرى من هذه الدولة ، وأنا في انتظار دوم جورج في أن يذهب ويقوم بمعاينتها عن كثب ، وأن يقوم بتقدير كل شيء بتصميم ، وأن يقوم بتقديم النصح عما هو ضروري للقيام بهذا المشروع الذي أفكر فيه ، وذلك نسبة لأهميته في الحفاظ على مصالح معاليكم .

إن ضريبة نصف في المائة النصفية التي قام بفرضها "د . هنريك" و"فرانسيسكو دي جوفيا" وذلك بهدف إحاطة المدينة بأسوار ، قد أشير لأن معاليكم قد أمر بها بواسطة رسالة في عام ١٦٠٩م ، ولقد تم جمع بعض المال وأشياء أخرى وذلك للبدء في البناء ، وأراد "قارسيا دي ميلو" أن يستخدم هذه الأموال للعمل في الحصن أو إغلاق المسارات

الجانبية التي تقود إلى البحر ، والتي عن طريقها فقدت الرسوم الواجب سدادها إلى دار الجمارك عن طريق التهريب .

لا يريد الناس أن يتم هذا العمل ، وتمت استشاراتي فأمرت مجلس الخزانة بمناقشته ، واعتقدوا بأن ذلك الدخل والطريقة التي تم صرفه بها يجب أن تؤخذ في الحسبان ، وأن كل هذا الدخل يجب أن يستخدم لإغلاق المسارات الجانبية وأبواب المنازل التي تفتح في اتجاه البحر ؛ ولأن هذا قد تمت الموافقة عليه ، فقد قمت بإصدار أمر مكتوب بأن يتم إنفاذ ذلك .

لذا يبدو بأن جلالتكم يتعين عليه المصادقة على إعادة فرض ضريبة نصف في المائة ، وبذلك فسوف يتقدم العمل في تقوية المدينة وجعلها مفتوحة من الجانب الذي يطل على الحصن ، وهذا أمر معاليكم أن يبني ذلك السور من البحر إلى البحر ، ولكن سيتم ذلك ببطء وبنفقات باهظة على خزانة جلالتكم إذا لم يتم دعمها من ضريبة نصف في المائة هذا .

كتب لي "غارسيا دي ميلو" بأنه من الصعوبة جمع "الكورجور" "وهي رسم يدفعه الأرمن" نسبة لأنها وضعت بمعدل منخفض وتحتاج إلى شخص خاص للإشراف عليها ، وقد تقرر بأن يتم إنعاشها ، وأن المال الذي يرد منها يستخدم في العمل الذي يجري في الحصن .

لاقى هذا رضى مسؤولي الخزانة مع أن هذا المال قليل للعمل الجديد الذي أمرتم معاليكم القيام به ، ولكن إذا كان نصف في المائة ، والتي ذكرتها ، عليه تمت إضافتها فسوف يكون ذلك كافياً ، وعندما

يتم إنجاز العمل ؛ فإن الإيرادات المستمدة من رسوم "الكورجوز" سوف تستخدم في البناء ؛ لأنها كافية لإعادة البناء وجعل العمل في حالة إصلاح إذا كان هذا ضرورياً في المستقبل .

قام "د . هنريك دي نورونها" ، والذي على وشك إتمام فترة الثلاث سنوات في الحصن ، بقضاء جل وقته في جمع المال متناسياً كل الواجبات الأخرى الأكثر أهمية ، ونتج عن ذلك فضيحة وخسارة كبيرة لرعاياك والتجار الأجانب ولخزانة معاليكم بشكل كبير . لم يهتم قادته بأن يجعلوا أنفسهم مسيطرين على دار الجمارك ، وعما إذا كان هناك من خادم أمين وذكي للعمل على مضاعفة إيراداتها . فبعض التجار توقف عن القدوم ؛ خوفاً من التحرش الذي يلاقونه من قبل القادة .

الذين يقوم وكلاؤهم وخدمهم وآخرون باتباع نفس أسلوبهم إلى الحد الذي أصبح أنه بمجرد أن يقوم التجار بتخليص بضائعهم ويغادرون دار الجمارك معهم يتم الاستيلاء على هذه البضائع بل ويتم أخذها إلى الحصن ، وبعد فترة إذا كان التجار يريدون استرداد بضائعهم فعليهم دفع أسعار مبالغ فيها أو يستبدلوها ببضائع ليست ذات فائدة للتجار .

هي عادة ما تكون فاسدة ولا تستحق القيمة التي تم شراؤها بها ، وتم إبلاغي في واحدة من هذه الحالات بأن دار الجمارك قد قيمت قطعتين من السجاد بمائتين "بارادوس دي لايرنس" ، وقام التاجر بدفع الرسوم وتم أخذهما منه بمبلغ ليس أكثر من ثلاثين "بارادوس" .

عندما حاول "غارسيا دي ميلو" القيام ببعض التعديلات ، وجعل الأمور تبدو معقولة له ، أقترح على القائد أنه يجب عليه اقتناء بعض

القطع القيمة والتي جاءت إلى دار الجمارك وأرسلت إلى منزله لشرائها وبالسعر المطلوب ، وأنه يتعين عليه أن يتأكد بأن الكثير من البضائع لا يجب أخذها إلى الحصن ضد رغبة التجار ، وعلى الرغم من شكواهم مع خسارة التجار والدخل لدار الجمارك ، ولم يرض "د . هنريكو" بهذا ؛ بل انزعج كثيراً ، ومنذ ذلك الوقت بدأ في معارضة ضابط الخزانة الأعلى في أي شيء يستطيعه .

وفي العام نفسه (١٦١٠م)

قدمت صورة من الوثيقة التي أُرسلت إلـى "المركيز" نائب ملك البرتغال في الخامس والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٦١٠م ، تتعلق بمساعدة الشاه في حربه على الأتراك باحتلال عدن : (٤٠)

اطلعت على الوثيقة والتي جاءت مع هذه ، وأنا أقوم بالرد عليها امتثالاً وطاعة لمقاكم ، لأنه لا شيء من الأشياء التي تم تناولها فيها يوفر أساساً يدفع أي مسائل تتعلق بمصالح جلالته ، وحتى لا نضيع زمن وزرائه والذي يتعين عليهم استخدامه لمسائل أكثر أهمية .

باختصار ؛ فهناك نقطتان متداخلتان هنا : واحدة منهما تتعلق بالسفن الذاهبة إلى ملقا والأخرى بالحروب التي ينوي الشاه شنها ضد الأتراك ولاحتلال عدن ، وقد عبرت عن رأيي حول الاثنين في الوثائق التي أعطيتها لمقامكم في اليوم الثالث والثالث عشر من

(٤٠) رقم الوثيقة والهامش.

شهر أغسطس المنصرم ، وحتى يدرك جلالته مدى الضرر الذي لحق بمصالحه وذلك لعدم اجتذابه لمجموعة من الأشخاص ذوي الخبرة في فتوحات عالمه ، وأوضح مرة أخرى ما يجول بخاطري :

عندما قرر جلالته في بداية هذه السنة بأن تقوم سفينتان بالإبحار مباشرة إلى ملقا كل سنة ؛ فقد كان يدرك جيداً بأن الحصن لم يكن تحت وطأة الحصار أو يحتاج مجدداً للعون ، ولقد تم اطلاعه على سببين جعلاه يأمر بتسيير هذه الرحلة ؛ فالسبب الأول يهدف إلى تشجيع المقيمين والحلفاء وأن يسحق من هم غيرهم ، وهذا يوضح بأن جلالته يولي اهتمامه بتلك الحامية والتي تمتاز بأهمية نعلمها نحن جميعنا ، وليس فقط الاعتراض على أي واحد يريد أن يهاجمها ولكن لمعاقبة أولئك الذين لا ينصاعون إليه .

السبب الثاني : يتمثل في منع الهولنديين من شحن الفلفل والأدوية بهذه السهولة ، لأن هذا الأمر يمر من دون أن يذكروا بأن لديهم العديد من المصانع في الأرخبيل الجنوبي ، وعندما تصل هذه المراكب إلى هناك تكون كل الأدوية قد تم جمعها في ذلك الحين ، وسوف يخاطرون بعدم وجود أي شحنة .

الرد على هذه الحجة هو أن جلالته قد أجبر في السابق نائب الملك في الهند بأن يتجاهل عمل الترتيبات الضرورية للشحنة الأولى - ، وأيضا للشحنات للسنوات القادمة على السواء ، وسوف يكون أكثر سهولة عمل ترتيبات من سنة واحدة إلى أخرى ، وإذا كان من الضروري الاستمرار بهذه الرحلة وهذه التجارة ، فإنه من الأفضل عدم التأخير

لأنها لم تذكر بأنه سوف يكون مفيداً إذا كان الهولنديين أقل عزماً لأن أتباع جلالته يملكون تجهيزات كبيرة في ترتيب الأمور لمنفعتهم .

من المعلوم أيضا بأن سكان هذه المناطق قد خاب أملهم في البرتغاليين لأنهم في هذه الأيام بدأوا يعاملونهم معاملة يعوزها الصدق والكرم ، وليس كما كانوا يفعلون في البداية ؛ لذا فإذا قام قادة ملقا بمعاملتهم معاملة طيبة فسوف يقنعونهم بسهولة بإبداء شعورهم غير الودي تجاه الهولنديين ، وهذا سيحدث فيهم ضرراً بالغاً مقارنة بالضرر الذي يصيبهم من أساطيل جلالته التي تحاربهم في تلك البحار ، كما أوضحت ذلك التقارير المختلفة .

أما بخصوص تلك السفن الذاهبة مباشرة إلى هرمز ، وهي تحمل السفراء من فارس ، وتساعد الشاه في حربه ضد الأتراك في الاستيلاء على عدن ، وهذه تبدو فكرة سخيفة لا تستند لأي أساس مثل تلك التي اقترحها السير "روبرت شيرلي" ، لأنها تساوي مائتين وثلاثة وتسعين فرسخاً على الأرض من هرمز إلى عدن ، ويقع مضيق البصرة بينهما ، ولعبورها ، فإن الفرس لا يملكون سفناً ؛ فسيكون من غير الممكن توفير عدد الأشخاص المطلوبين لمثل هذا العمل الصعب حتى من الهند .

توجد عقبة كأداء في طريق وصولهم إلى البحر الأحمر عن طريق البر من فارس وهي رحلة صعبة وليست لها نهاية نسبة لأنهم سوف يقومون بعبور أراضي الجزيرة العربية . فينبغي على جلالته التوقف عن الانصياع لخدع "السير روبرت" ، وألا يبدد أموال خزانته عليه ، وأن يأمر بمعاقبته كواحد يقوم بتنفيذ مثل هذه الألاعيب والحيل قبل أن

يقوم بالاختفاء ، وأعتقد أنه يقوم بفعل ذلك في حالة علمه بأن السفير والراهب "الأوغسطيني" واللذين وصلا هذه السنة من فارس ، وهما في طريقهما إلى ذلك المجلس .

عندما يكون مناسباً لهذه المراكب للذهاب إلى هرمز لمساعدة الفرس في ذلك العمل ، وهذا ليس ممكناً ، وأن توضح بأنني لصيقٌ بشؤون الهند ، ولست جاهلاً بالعمل الملاحي ، وسوف أشير إلى الصعوبات التي تواجه هذه المراكب عندما تُبْحر إلى هرمز وسيلان ، ومن ثَمّ إلى "ملقا" :

إذا غادرت البرتغال في بداية أكتوبر ووفقت في رحلة جيدة فسوف تصل إلى موزمبيق في منتصف إبريل كما حدث لنواب الملك "كونت أتوغيا" "Conde de Atogia" و"روي فرانسيسكو دو تافورا" "Rui Francisco de Tavora" ، وفي نهاية إبريل هناك رياح المنسون على طول ذلك الساحل حتى هرمز .

حيث وصلوا إلى كيب (رأس الحد) في مايو ، وتقع هرمز على بعد مائة وثمانية فراسخ داخل المضيق على خط عرض ٢٧/١/٢ درجة ، وللوصول إلى ملقا يقلع الواحد في الخامس عشر من شهر سبتمبر ، ولا تغادر أي سفينة من هناك ما عدا واحدة تتبع إلى قائد الحصن ، وهذا ليس مؤكداً كل سنة .

هذه المراكب تصل إلى مشارف "غوا" ، والتي تقع على خط عرض ست عشرة درجة في أكتوبر بالضبط ، وهذا سيكون متأخراً لمواصلة السير إلى "ملقا" على أساس حاجز "كورماندل" "Coromandel" ، وإذا لم يتسبب ذلك في فقدان السفن إلا أنه يجبرهم – في دخول الملجأ –

بمخاطرة كبيرة ، حتى بعد وصولهم إلى هناك في يونيو ، فإن هذه السفن التي تبحر من هرمز إلى ملقا عليها أن تغادر أثناء المنسون الأخير والذي يأتي في مارس ، وعليهم إنفاق الشيء الكبير ؛ بسبب الرجال الذين يحملونهم ، وأنه من المحتمل أن يظلوا كلهم هناك من دون تمكنهم من منعه ، لأن تلك الأرض خصبة وصعبة مقارنة بـ "ملقا" .

هناك القليل من المخاطر للحياة هناك ، وإذا قامت المراكب من هنا مباشرة إلى ملقا في بداية شهر فبراير ؛ فيمكنها إنزال الأشخاص في سيلان عندما يصلون في مايو ، ويمكنهم البقاء هناك حتى سبتمبر ثم يقضون الشتاء في موانئ "القال" و"باتيكال" "Phatikal" ، وهي أكثر اتساعاً من كولومبو والتي تقع على شاطئ صخري أو "شيلو" والتي لها شواطئ رملية .

إذا غادرت المراكب من هنا إلى هرمز في فبراير عام ١٦١١م ، واستمتعت برحلة جيدة ، فسوف تصل إلى ذلك الحصن في نهاية يونيو ؛ حيث لا توجد رياح "مانسون" حتى إلى ملقا ، وسوف ينتظرون في هذا الحصن حتى مارس ، وإذا لم يتأخروا في سيلان فسوف يصلون إلى ملقا في بداية ديسمبر ، وهو موسم المانسون لتلك المملكة .

إذا غادروا أثناءه فسوف يصلون إلى هنا في بداية يونيو عام ١٦١٢م - ، وأما إذا أجبروا على التأخير في سيلان والتي ربما يصلونها في بداية ديسمبر ؛ حيث تكون رياح مانسون أخرى تأخذهم إلى "ملقا" شريطة أن تكون الشحنة جاهزة هناك ؛ فسوف يمكنهم المغادرة أثناء ديسمبر ، وهو موسم الرياح في المملكة ، فإذا غادروا في أثنائه فسوف يصلون

إلى هنا في يونيو عام ١٦١٣م ، ولكنني من أنصار الرأي القائل بأن الرحلة إلى هرمز لا طائل منها للأغراض المذكورة في الوثيقة ، والتي قام سماحتكم بإعطائي إياها .

ربما تكون أكثر فائدة لمصالح جلالته في حالة قيام المراكب بالمغادرة من هنا مباشرة إلى "ملقا" ، وأن ترجع إلى هنا للأسباب المذكورة في الوثيقة التي أعطيتها لمقامكم في الثالث من شهر أغسطس .

دليل الباحثين

الوثيقة رقم : ١

صدرت رسالة من ملك البرتغال إلى نائبه ، في الثامن والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٦٠٥م ، يذكر فيها أنه قد بلغه أن المسؤولين عن المسيحية يحققون نجاحاً طيباً في هرمز ومسقط و"ممباسا" و"مالندي" ، ونتائج مثمرة وسط المسلمين والوثنيين ، أما في سوقطرة فلم تحقق نجاحاً .

(صفحة رقم ٩)

الوثيقة رقم : ٢

بعث الملك رسالة إلى نائبه في الهند بشأن الأسطول البرتغالي ، في السادس من شهر مارس ، عام ١٦٠٥م ، يذكر فيها تمرد العرب على الأتراك وهم القاطنون على ساحل البحر الأحمر ، ويعدّون ثلاث سفن حربية في جدة ، ربما يهاجمون ساحل مالندي .

(صفحة رقم ١٦)

الوثيقة رقم : ٣

ورد بيـــان عن الرحلـــة التي قـــام بها "نيكـــولاو دي أورتا ريبيلو" "Nicolao de Orta Rebello" ، بتاريخ عام ١٦٠٥م ، وفيها وصف لبلاد فارس .

(صفحة رقم ٢٤)

الوثيقة رقم : ٤

دوّن موجز الرحلة التي قام بها "نيكولاو دي أوركا ريبيلو" ، بتاريخ عام ١٦٠٥م ، وفيه وصف لكل المناطق من سوقطرة إلى هرمز ومنها إلى بلاد فارس .

(صفحة رقم ٣٧)

الوثيقة رقم : ٥

صـــدرت رســـالة من الأسقـــف دوم "بيدرو دي كاستيلـــهو" "Pedro de Csstelho" ، نائب ملك البرتغال إلى "فيليب الثاني" ، الحادي عشر من شهر أكتوبر ، عام ١٦٠٦م ، ويطلب فيها بناء معهد للرهبان في مدينة أصفهان البلاط الفارسي .

(صفحة رقم ٨١)

الوثيقة رقم : ٦

صدر تقرير عن مجلس الهند يتعلق بموضوع السفير "لويس بيريرا دي لا سيردا" "Luis Perriera de La Cerda" في فارس ، بتاريخ عام ١٦٠٦م ، وينتقد السفير شاه فارس بأنه لا يثق فيه ، وهو الذي احتل البحرين من البرتغاليين .

(صفحة رقم ٨٣)

الوثيقة رقم : ٧

بعث الملك رسالة إلى نائبه في الهند دوم "مارتيم أفونسو دي كاسترو" ، بشأن قلعة هرمز ، بتاريخ الثالث من شهر يناير ، عام ١٦٠٧م ، وطلب منه العمل على استرداد جزيرة البحرين بدون حروب . **(صفحة رقم ٨٧)**

الوثيقة رقم : ٨

بعث الملك رسالة إلى دوم "مارتيم أفونسو دي كاسترو" ، نائب الملك في الهند ، في السابع عشر من شهر يناير ، عام ١٦٠٧م ، ويأمره بمساعدة مبارك المشعشع ، وكذلك استعادة البحرين . **(صفحة رقم ٩٨)**

الوثيقة رقم : ٩

بعث الملك رسالة إلى نائبه في الهند ، بتاريخ السابع والعشرين من شهر يناير ، عام ١٦٠٧م ، يأمره فيها بأن يقوم بتخليص مبارك المشعشع وتقديم المساعدة له . **(صفحة رقم ١٠١)**

الوثيقة رقم : ١٠

صدر بيان بدخل ومصروفات كل دولة الهند مع ملاحظات أخرى على درجة كبيرة من الأهمية تتعلق بخدمة جلالة الملك ، وفيه بيان مفصل عن الإيصالات المستلمة والصادرة لـهرمز ، وتشمل النفقات على ملك المدينة ، والموظفين ومؤسسات عديدة . **(صفحة رقم ١٠٣)**

الوثيقة رقم : ١١

دوّنت ملاحظـــات حــول قلعة هــــرمــــز ، بتاريخ عام ١٦٠٧م .

(صفحة رقم ١١٠)

الوثيقة رقم : ١٢

دوّن ما كان عليه مظهر دولة الهند في بداية القرن السابع عشر ، وذكر ما يلي : حالة دولة الهند ومحور "لشبونه" ، "غوا" لها أهمية تاريخية كبرى ، ليس فقط لأنها تتعلق بفترة عظمة البرتغال ؛ لكن لأن دراستها أيضاً يمكن أن تضيء الحاضر ، وقد توفر الأمل للمستقبل .

(صفحة رقم ١١٤)

الوثيقة رقم : ١٣

قدّمت نصيحة مجلس البرتغال في بلاط "مدريد" فيما يتعلق بسفير شاه فارس ، "مدريد" في العاشر من شهر يناير ، عام ١٦٠٨م ، بأن يقوم السفير البرتغالي بالتهنئة لملك فارس على انتصاره على الأتراك وفتح موضوع إعادة جزيرة البحرين وحصون أخرى تابعة لملك البرتغال .

(صفحة رقم ٢٠٧)

الوثيقة رقم : ١٤

وردت أخبار عن سفينتين مسلحتين في طريقهما إلى الهند الشرقية

قادمتين من إنجلترا ، "مدريد" في السادس من شهر فبراير ، عام ١٦٠٨م ، وفيها مخطابة الملك البرتغالي بأن يحذر قائد مسقط بأن يراقب رأس الحد ويتصالح مع الشيوخ في ذلك الساحل . **(صفحة رقم ٢١١)**

الوثيقة رقم : ١٥

بعث الملك رسالة إلى نائبه ، بتاريخ الخامس عشر من شهر مارس ، عام ١٦٠٨م ، ويذكر فيها قضية مبارك المشعشع واحتلال البصرة .

(صفحة رقم ٢١٥)

الوثيقة رقم : ١٦

صدرت توجيهات ملكية لنائب الملك ، تخصّ ملك فارس ، في السادس والعشرين من شهر مارس ، عام ١٦٠٨م . **(صفحة رقم ٢٢٢)**

الوثيقة رقم : ١٧

صدرت رسالة إلى "أنتوني شيرلي" من "دوم رودريجيس كالديرتون" "D . Roderigues Calderton" ، تتعلق بالحرير الذي يبيعه الفرس في هرمز ، بتاريخ عام ١٦٠٨م . **(صفحة رقم ٢٢٥)**

الوثيقة رقم : ١٨

صدرت رسالة ملكية إلى نائب ملك البرتغال ، "مدريد" ، بتاريخ

عام ١٦٠٨م ، ويذكر فيها أن "أنتوني شيرلي" ليس لديه اتفاقية مع البرتغاليين .

(صفحة رقم ٢٢٧)

الوثيقة رقم : ١٩

صدرت رسالة إلى الملك من الأب "أنطونيو دي جوفيا" ، أصفهان في السابع والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٦٠٨م ، وفيها بيان لوضع "لار" بين الفرس وهرمز .

(صفحة رقم ٢٣١)

الوثيقة رقم : ٢٠

صدرت رسالة من "ديوجو دو كوتو" "Diogo do Couto " إلى الكونت أدميرال دوم "فرانسيسكو دا جاما" "D . Francisco da Gama" ، "غوا" في السابع والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٦٠٨م ، وفيها ذكر أن ملك "لار" احتل منطقـة ماغستان كلها حتى بندر "غمبرون" ، وكذلك جزيرة قشم .

(صفحة رقم ٢٣٩)

الوثيقة رقم : ٢١

دوّنت أحداث بين فارس وهرمز ، بتاريخ عام ١٦٠٨م ، كما جاء في كتاب : وصف وقائع الحرب والانتصارات العظيمة التي تمّ تحقيقها من قبل ملك بلاد فارس ، العظيم شاه عباس على السلطان التركي ، لمؤلفه "أنطونيو دي جوفيا" "António de Gouveia" ، ويذكر فيه أنه إذا

طلب من الشاه الفارسي توقيع اتفاقية مع الحكام المسيحيين سيكونون حلفاً ضد الأتراك ، وشاه فارس سينتهك معاهدة السلام التي أقامها مع الأتراك .

(صفحة رقم ٢٥٢)

الوثيقة رقم : ٢٢

ورد تقرير عن رسالة بعث بها ملك الفرس إلى جلالة ملك إسبانيا الكاثوليكي ، بتاريخ عام ١٦٠٩م ، ويتحدث التقرير عن فارس وملوكها ومنتجاتها .

(صفحة رقم ٣٢٣)

الوثيقة رقم : ٢٣

صدر مرسوم ملكي ، يتعلق بالرسوم على التجارة في هرمز ، "لشبونه" في السابع من شهر مارس عام ١٦٠٩م ؛ حيث إن الماء والحطب يأتي إلى هرمز يومياً ، وكذلك لا بد من ضبط الخروج والدخول إليها حتى لا يتم التهريب من الدخول أو الخروج .

(صفحة رقم ٣٣٢)

الوثيقة رقم : ٢٤

ورد تقرير عن صدور حكم الإعدام في "غوا" بحق "تورون شاه" ابن ملك هرمز ، والمدعي بحقه لتلك المملكة ، العائلة المالكة في هرمز ، وتنفيذ الحكم عليـــه ، مدريد في الثالث من شهر مايو عام ١٦٠٩م .

(صفحة رقم ٣٣٤)

الوثيقة رقم : ٢٥

قدّمت شهادة من "ديوجو دو كوتو" ، ساحل فارس ، "غوا" في العشرين من شهر نوفمبر عام ١٦٠٩م ، ويذكر فيها أن السفن الهولندية تتسلح .

(صفحة رقم ٣٣٨)

الوثيقة رقم : ٢٦

بعث "روي لورنزو دي تافورا" ، نائب الملك بالهند رسالة إلى "فيليب الثاني" ، "غوا" ، العاشر من شهر ديسمبر عام ١٦٠٩م ، يذكر فيها قادة مسقط والتجار .

(صفحة رقم ٣٤٠)

الوثيقة رقم : ٢٧

بعث رئيس الأساقفة في "غوا" رسالة إلى رؤساء أديرة الأبرشية البرتغالية في لشبونه ، "غوا" في التاسع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦٠٩م ، يشكر فيها مبارك المشعشع والمسيحيين الذين معه .

(صفحة رقم ٣٤٩)

الوثيقة رقم : ٢٨

ورد تقرير البعثات الأوغسطينية في الهند وفارس ، بتاريخ عام ١٦٠٩م ، وفي التقرير يدفع ملك هرمز منحة معينة كل سنة لملك "لار" .

(صفحة رقم ٣٥٣)

الوثيقة رقم : ٢٩

ورد تقرير حول النشاط الكنسي في بلاد فارس للرهبان الأوغسطينيين ، تقرير موجز عن بعض الأعمال الأكثر أهمية التي قام بها رهبان القديس "أوغسطين" في فارس ، في خدمة الكنيسة الرومانية المقدسة وصاحب الجلالة ، "لشبونه" عام ١٦٠٩م ، ويذكر فيه حروب ملك فارس مع الممالك الشمالية لحدوده .

(صفحة رقم ٣٦٠)

الوثيقة رقم : ٣٠

صدرت رسالة من سيدي مبارك إلى "دوم لويس دي منيزيس" "D . Luis de Meneses" ، بتاريخ عام ١٦١٠م ، ويذكر فيها أنه عدو أعدائه ، ويطلب حضور أسطول برتغالي لاحتلال البصرة .

(صفحة رقم ٣٩٩)

الوثيقة رقم : ٣١

حُرّر صك تخويل لأبناء "توران شاه" ، لشبونه ، الرابع من شهر يناير لعام ١٦١٠م ، بإعادتهم إلى وضعهم السابق .

(صفحة رقم ٤٠١)

الوثيقة رقم : ٣٢

بعث الملك رسالة إلى نائبه ، بتاريخ الرابع والعشرين من شهر يناير عام ١٦١٠م ، ويطلب منه التعامل مع مبارك المشعشع .

(صفحة رقم ٤٠٤)

الوثيقة رقم : ٣٣

بعث الملك رسالة إلى نائبه ، تتعلق بأوضاع حصن هرمز ، في الثالث عشر من شهر فبراير لعام ١٦١٠م ، ويذكر أن حصن هرمز وحصن البحرين يجب أن تقوى ضد النوايا الشريرة لملك فارس .

(صفحة رقم ٤٠٨)

الوثيقة رقم : ٣٤

صدر أمر قضائي من الملك ، بشأن المسلمين في هرمز بأن يمتلكوا بيوتاً في هرمز ، بتاريخ الثاني والعشرين من شهر فبراير عام ١٦١٠م .

(صفحة رقم ٤٢٦)

الوثيقة رقم : ٣٥

صدر الرد الذي أمر "فيليب الثاني" بأن يعطى إلى "روبرت شيرلي" ، سفير شاه عباس بخصوص التحالف ضد الأتراك ، مدريد ، الثالث من شهر مارس عام ١٦١٠م .

(صفحة رقم ٤٢٩)

الوثيقة رقم : ٣٦

صدرت رسالة من الملك إلى نائبه ، بتاريخ التاسع من شهر مارس عام ١٦١٠م ، وأصدر أمراً يمنع هدم بيوت المسلمين والوثنيين القريبة من المعابد المسيحية .

(صفحة رقم ٤٣٣)

الوثيقة رقم : ٣٧

بعث الملك رسالة إلى "روي لورنسو دي تافورا" ، بتاريخ السادس عشر من شهر مارس عام ١٦١٠م ، بعد وفاة الملك عيّن ابنه الثاني ، ولم يؤكد ذلك حتى تاريخه .

(صفحة رقم ٤٣٨)

الوثيقة رقم : ٣٨

قدم رأي "د . فرانسيسكو دا جاما" المتعلق بالمستندات المرسلة من "روبرت شيرلي" ، بتاريخ التاسع من شهر أغسطس لعام ١٦١٠م ، وحث ملك فارس بالحرب على الأتراك .

(صفحة رقم ٤٤٠)

الوثيقة رقم : ٣٩

صدرت رسالة من نائب الملك "روي لورنسو دي تافورا" إلى "فيليب الثاني" ، بتاريخ شهر ديسمبر عام ١٦١٠م ، يذكر فيها المطالبة بالبحرين من شاه فارس .

(صفحة رقم ٤٤٨)

الوثيقة رقم : ٤٠

قدمت صورة من الوثيقة التي أُرسلت إلى "المركيز" نائب ملك البرتغال في الخامس والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٦١٠م ، بشأن مساعدة الشاه في حربه على الأتراك باحتلال عدن .

(صفحة رقم ٤٥٤)

هوامش المجلد الرابع عشر

1- Arquivo Nacional da Torre do Tombo (TT), Lisboa, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/121, 1605-1607, Doc. 4.

2- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/121, 1605-1607, Doc. 8.

3- Account of the Journey made by Nicolau De Orta Rebelo, 1605, Chapters, VI-XV, f 18-58.

4- Account of the Journey made by Nicolau De Orta Rebelo, 1605, Chapters, VI-XV, f 18-58.

5- Biblioteca da Ajuda (BA), Lisboa, 51-VII-18174 Fl 86r.

6- Arquivo de Goa (AG), Assentos do Conselho do Estado, pp. 390-393.

7- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/121, 1605-1607, Doc. 17.

8- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/121, 1605-1607, Doc. 23.

9- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/121, 1605-1607, Doc. 36.

10- Biblioteca Pública de Évora (BPE), Cod CXVI-2-18- ff 14v-16v.

11- Arquivo Nacional da Torre do Tombo (ANTT), Lisboa, Arquivo de Simancas, Secretarias Provinciales Codice 1479 ff 554-555r.

12- Arquivus do Centro Cultural Portugues, Jose Gentil da Silva, 1972, pp. 242-286.

13- AG, Assentos do Conselho do Estado, pp. 490-492.

14- ANTT, Arquivo de Simancas, Secretarias Provinciales Codice 1479 ff 265r-266v.

15- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/122, 1607-1610, Doc. 73.

16- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/122, 1607-1610, Doc. 78.

17- ANTT, Arquivo de Simancas, Secretarias do Estado, Legajo 1171 f 201.

18- ANTT, Arquivo de Simancas, Secretarias Provinciales Codice, 1499, f 31v.

19- ANTT, Arquivo de Simancas, Secretarias Provinciales Codice 1479 ff 556-560.

20- ANTT, Miscelanias da Graca, Tomo II E pp. 651-654.

21- Relaçam em que se tratam as guerras e grandes victorias que alcaçou o grade rey da Persia Xá Abbas do grao turco Mahometto, António de Gouveia, Lisboa, 1611, Chapters: 10-16.

- Bibliotheca National de Portugal-Portuguese National Library (BNL), Res 875 p.

22- BNL, L 3559 A.

23- TT, Arquivo Portugues Oriental. Nova Goa, Imprensa Nacional. 1861 (fasc. 3. , p.II); 1865 (fasc. 5. P. I); 1876 (fasc. 6. , suplementos), (Arquivo 1), Fasc. 6, Supp 2, doc 991,

- AG, Livro de Alvaras No 2 f 79.

24- ANTT, Arquivo de Simancas, Secretarias Provinciales Codice 1479 ff 412-415v.

25- Luciano Cordeiro-Questoes Historico-Coloniais. III. Lisboa, Agencia-Geral das Colonias, 1936, pp. 383-384.

26- BNL, Fondo Gesuitico (FG), 1975 ff 362r-365v.

27- Augustinian Missions in India and Persia, 1571-1609, Carlos Alonso, pp. 57-58.

28- Augustinian Missions in India and Persia, 1571-1609, Carlos Alonso, pp. 48-51.

29- Breve relacam d'algunas coisas mais notaveis, que os religiosos de Santo Agostinho fizerao na Persia em seruico da Sancta Igreja Romana e de Sua Magestade ate o Anno passado de, António de Gouveia, Lisboa, 1607, fols 1-31.

30- ANTT, Arquivo de Simancas, Secretarias do Estado, Legajo 263 G.

31- TT, Arquivo 1 , Fasc. 6, Supp 2, doc 1008,

- AG, Livro de Alvaras No 2 f 101.

32- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/122, 1607-1610, Doc. 106.

33- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/122, 1607-1610, Doc. 110.

34- TT, Arquivo 1 , Fasc. 6, Supp 2, doc 1013,

- AG, Livro de Alvaras No 2 f 88v.

35- AG, Assentos do Conselho do Estado, pp. 498-501.

36- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/122, 1607-1610, Doc. 130.

37- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/122, 1607-1610, Doc. 135.

38- BNL, FG, 7144 ff 20r-22v.

39- BNL, FG, 1975 fo 366r-v.

40- BNL, FG, 7144 ff 47r-48r.

ISBN 978-9948-720-02-7
9 789948 720027
www.alqasimipublications.com